

صَحِيحُ مُسْلِمٍ

بَيْنَ الْقَدَاسَةِ وَالْمَوْضُوعِيَّةِ

بِحَسْبِ جَهْلِيٍّ وَخَلِيٍّ

الجزء الثاني

موسسة البلاغ

بيروت - لبنان

صحيح مسلم
بين القداسة والموضوعية

صحيح مسلم بين القداسة والموضوعية

محمد جواد خليل

الجزء الثاني

مؤسسة البعثة

بيروت - لبنان

حقوقه الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع



بنو العبد - مدخل مدرسة حارة حريك الرسمية الثانية - بناية فوعاني - الطابق الأول
ص.ب. ١١، ٧٩٥٢ بيروت ١١٠٧-٢٢٥٠ - هاتف: (٠٣/٥١٤٩٠٥) - فاكس: ٠١/٥٥٣١١٩ لبنان

الموقع الإلكتروني : www.albalagh-est.com

E-mail : Albalagh-est@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

باب في قوله تعالى {وإذا رأوا تجارة}

١.... عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يخطف قائماً يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً فانزلت هذه الآية التي في الجمعة ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَخْفَضُوا أَلْيَتَهُمَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا﴾.

٢.... عن جابر بن عبد الله قال كنا مع النبي ﷺ يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس إليها فلم يبق إلا اثنا عشر رجلاً أنا فيهم قال فانزل الله ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَخْفَضُوا أَلْيَتَهُمَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا﴾ إلى آخر الآية.

٣.... عن جابر بن عبد الله قال بينا النبي ﷺ قائم يوم الجمعة إذ قدمت عير إلى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر قال ونزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَخْفَضُوا أَلْيَتَهُمَا﴾.

قال القرطبي في شرحه: قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ الجمعة/١٧، التجارة هنا: العير التي تحمل التجارة. واللهو: الطبل الذي كانوا يضربونه عند قدومهم، وانفضوا: أي

تفرقوا.

قوله ﴿وَتَرْكُوكَ قَائِمًا﴾ أي تخطب فهذا ذم لمن ترك الخطبة بعد الشروع فيها ونهي للمسلمين أن يتفرقوا عن إمامهم^(١).

يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة وكانت لهم سوق كانت بنو سليم يجلبون إليها الخيل والإبل والسمن فقدموا فخرج إليهم الناس وتركوه وكان لهم

لهو يضربونه فنزلت ووصله أبو عوانة في صحيحه والطبري بذكر جابر فيه أنهم كانوا إذا نكحوا تضرب الجواري بالمزامير فيشتد الناس إليهم ويدعون رسول الله ﷺ قائماً فنزلت هذه الآية^(٢).

قوله ﴿أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾... أن الله لم يكن مقصوداً لذاته وإنما كان تبعاً للتجارة... وقال الزجاج أعيد الضمير إلى المعنى أي انفضوا إلى الرؤية أي ليروا ما سمعوه^(٣).

ويقول ابن حجر أيضاً: ووقع في تفسير الطبري وابن أبي حاتم بإسناد صحيح إلى أبي قتادة قال (قال لهم رسول الله ﷺ كم أنتم؟ فعدوا أنفسهم فإذا هم اثنا عشر رجلاً وامرأة.

ويقول: (وامراتان... (وسبع نسوة)... أن سالمًا مولى أبي حذيفة منهم... أن الاثني عشر هم العشرة المبشرة وبلال وابن مسعود... وفي رواية (عمار) بدل ابن مسعود...^(٤).
أقول:

اثنا عشر صحابياً ثبتوا مع النبي الأكرم فقط، فالسؤال والعتاب:

أين بقية الصحابة؟! لماذا تركوا النبي وهو يخطب؟! ومن الذي يخطب؟! النبي الأكرم هو الخطيب! وماذا يقول في خطبته؟! يقول ما لا أذن سمعت بذلك أبداً، وهذا

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج ٢، ص ٥٠١، ح ٧٣١، كتاب الجمعة، باب الخطبة والقيام لها.

(٢) فتح الباري، ج ٢، ص ٥١٥، ح ٩٣٦.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) فتح الباري، ج ٢، ص ٥١٥، ح ٩٣٦.

الخطيب صاحب البيان البليغ الجامع نعم هؤلاء الصحابة تركوا النبي ولماذا تركوه؟
تركوه من أجل تجارة قدمت من الشام وقد جلبت بعض الزيت، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾ الجمعة/٩.

وأخيراً قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا نُفِئُهِمْ فِي حَرْبٍ وَلَا بَيْعٍ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ النور/٣٧.

فهل يا ترى تنطبق هذه الآيات على الصحابة العدول؟!!

كتاب صلاة العيدين

٤... عطاء قال سمعت ابن عباس يقول أشهد على رسول الله ﷺ لصلى قبل الخطبة قال ثم خطب فرأى أنه لم يسمع النساء فأتاهن فذكرهن ووعظهن وأمرهن بالصدقة وبلال قائل بثوبه فجعلت المرأة تلقي الخاتم والخرص والشيء.

٥... عطاء عن جابر بن عبد الله قال سمعته يقول إن النبي ﷺ قام يوم الفطر فصلى فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم خطب الناس فلما فرغ نبي الله ﷺ نزل وأتى النساء فذكرهن وهو يتوكأ على يد بلال وبلال باسط ثوبه يلقين النساء صدقة قلت لعطاء زكاة يوم الفطر قال لا ولكن صدقة يتصدقن بها حينئذ تلقي المرأة فتحها ويلقين ويلقين قلت لعطاء أحقاً على الإمام الآن أن يأتي النساء حين يفرغ فيذكرهن قال إي لعمرى إن ذلك لحق عليهم وما لهم لا يفعلون ذلك.

٦... عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئاً على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم فقامت امرأة من سبطه النساء سفعاء الخدين فقالت لم يا رسول

الله قال لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير قال فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقرطهن وخواتمهن.

٧... عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ كان يخرج يوم الأضحى ويوم الفطر فيبدأ بالصلاة فإذا صلى صلاته وسلم قام فأقبل على الناس وهم جلوس في مصلاهم فإن كان له حاجة يبعث ذكره للناس أو كانت له حاجة بغير ذلك أمرهم بها وكان يقول تصدقوا تصدقوا تصدقوا وكان أكثر من يتصدق النساء ثم ينصرف فلم يزل كذلك حتى كان مروان بن الحكم فخرجت مخاصراً مروان حتى أتينا المصلى فإذا كثير بن الصلت قد بنى منبراً من طين ولبن فإذا مروان ينازعني يده كأنه يجرنني نحو المنبر وأنا أجره نحو الصلاة فلما رأيت ذلك منه قلت أين الابتداء بالصلاة فقال لا يا أبا سعيد قد ترك ما تعلم قلت كلا والذي نفسي بيده لا تأتون بخير مما أعلم ثلاث مرار ثم انصرف.

عن أبي سعيد الخدري قال أخرج مروان المنبر في يوم عيد ولم يكن يخرج به وبدأ بالخطبة قبل الصلاة ولم يكن يبدأ بها قال فقام رجل فقال يا مروان خالفت السنة أخرجت المنبر يوم عيد ولم يك يخرج به في يوم

عيد وبدأت بالخطبة قبل الصلاة ولم يكن يبدأ بها قال فقال أبو سعيد الخدري من هذا قالوا فلان بن فلان قال فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله ﷺ يقول من رأى منكم منكراً فإن استطاع أن يغيره بيده فليفعل وقال مره فليغيره بيده فإن لم يستطع بيده فبلسانه فإن لم يستطع بلسانه فبقلمه وذلك أضعف الإيمان^(١).

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال شهدت العيد مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة^(٢).

أقول:

إن مروان بن الحكم قد تعمد تغيير سنة النبي الأكرم في صلاة العيدين كما ذكرنا لك ذلك أخي القارئ وقد أصر مروان على ذلك من خلال إجابته أبي سعيد (قد ذهب ما تعلم

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ١٠، مسند أبي سعيد الخدري، ط دار الفكر العربي، بيروت.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، الباب الأول منه، حدثني محمد بن رافع، صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر.

أو قد ترك ما تعلم يا أبا سعيد) أي قد ولى ما تعلم وعفا عليه الزمن وقد غيرنا سنة النبي وذلك لعدم جلوس المصلين لنا أثناء الخطبة لذا جعلنا الخطبة قبل الصلاة.

إذن، الصحابة والتابعون لم يكونوا يعتقدون بصلاح مروان ولا بأهليته للخطابة والنصيحة للمسلمين، ففي مسند أحمد عن داود بن أبي صالح قال أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فقال أتدري ما تصنع فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال نعم جئت رسول ﷺ ولم أت الحجر سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله^(١).

وطالما نحن في ذكر هذا الذي لعنه النبي ﷺ وهو في صلب أبيه كما جاء في بعض الروايات فلا بأس من إيراد شيء يسير من ترجمة المذكور (مروان).

قال ابن الأثير الجزري: مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف القرشي الأموي يكنى أبا عبدالمك بابه عبدالمك وهو ابن عم عثمان بن عفان بن أبي العاص، ولد على عهد رسول الله ﷺ قيل ولد سنة اثنتين من الهجرة، قال مالك ولد يوم أحد وقيل ولد يوم الخندق وقيل ولد بمكة وقيل بالطائف ولم ير النبي ﷺ لأنه خرج إلى الطائف طفلاً لا يعقل لما نفى النبي ﷺ أباه الحكم لما ذكرناه في ترجمة أبيه، وكان مع أبيه بالطائف حتى استخلف عثمان فردهما واستكتب عثمان مروان وضمه إليه ونظر إليه علي يوماً فقال ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك وكان يقال لمروان (خييط باطل) وضرب يوم الدار على قفاه فقطع أحد علباويه فعاش بعد ذلك أوقص والأوقص الذي قصرت عنقه ولما بويع مروان بالخلافة بالشام قال أخوه عبدالرحمن بن الحكم وكان ماجناً حسن الشعر لا يرى رأي مروان:

فوالله ما أدري وإني لسائل حليمة مضروب القفا كيف تصنع

لحا الله قوماً أمروا خييط باطل على الناس يعطي ما يشاء ويمنع

وقيل: إنما قال عبدالرحمن هذا حين استعمل معاوية مروان على المدينة واستعمله معاوية على المدينة ومكة والطائف ثم عزله عن المدينة سنة ثمان وأربعين واستعمل

(١) كتاب العيدين، باب الخطبة بعد العيد .

عليها سعيد بن أبي العاص وبقِيَ عليها أميراً إلى سنة أربع وخمسين ثم عزله واستعمل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فلم يزل عليها إلى أن مات معاوية.

ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية ولم يعهد إلى أحد بايع بعض الناس بالشام مروان بن الحكم بالخلافة وبايع الضحاك بن قيس الفهري بالشام أيضاً لعبدالله بن الزبير فالتقيا واقتتلا بمرج راهط عند دمشق فقتل الضحاك واستقام الأمر بالشام ومصر لمروان وتزوج مروان أم خالد بن يزيد ليضع من خالد، وقال يوماً لخالد (يا ابن رطبة الإست)، فقال له خالد: أنت مؤتمن خائن، وشكى خالد ذلك يوماً إلى أمه فقالت لا تعلمه أنك ذكرته لي، فلما دخل إليها مروان قامت إليه مع جواريتها فغمته حتى مات. وكانت مدة ولايته تسعة أشهر وقيل عشرة أشهر ومات وهو معدود فيمن قتله النساء^(١).

يقول ابن العربي: إن مروان لما وقعت عينه في الاصطفاف على طلحة - يوم الجمل - قال لا نطلب أثراً بعد عين ورماه بسهم فقتله^(٢).

اعلم أن مروان بن الحكم كان في عسكر عائشة يوم الجمل وكذلك طلحة بن عبيدالله ولكن مروان أخذ بثأر ابن عمه فانتقم من طلحة يوم الجمل وذلك لأن طلحة كان من المؤيدين الأساسيين على عثمان، ولكن ابن العربي لم يعجبه هذا القول فحاول أن ينفي الخبر فقال:

ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب، ولم ينقله ثبت!!

ويقول: وقد روى أنه أصابه سهم بأمر مروان لا أنه رماه^(٣)!!

ولكن سنرد على ابن العربي ونفحمه من مصدر ثبت وصحيح، جاء في المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري:

١.... عن عكراش قال كنا نقاتل علياً مع طلحة ومعنا مروان قال فانهزمتنا قال فقال مروان

(١) أسد الغابة، لعلي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، المتوفى ٦٣٠هـ، ج ٥، ص ١٣٩، ترجمة ٤٨٤٨. والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي، المتوفى ٦٣٠هـ، ج ٣، ص ٤٤٤، ترجمة ٢٣٩٩.

(٢) العواصم من القواصم، للقاضي محمد بن عبدالله بن العربي المعافري، ص ١٥٧، مصرع طلحة بن عبيدالله.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ١٥٨.

لا أدرك بثأري بعد اليوم من طلحة قال فرماه بسهم فقتله.

٢. وفيه... عن ابن عون قال قال نافع طلحة بن عبيدالله قتله مروان بن الحكم.

٣... عن قيس بن أبي حازم قال رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة بن عبيدالله يومئذ فوق في ركبته فما زال يسبح إلى أن مات^(١).

ويقول الذهبي في الذيل: صحيح وسكت عن الروایتين الأخرين!

وأضيف بأن العلماء الثقات لا يختلفون في مقتل طلحة وأن الذي قتله مروان بن الحكم، فماذا يقول ابن العربي الآن ولماذا يكذب الخبر اليقين ولماذا يحاول أن يمويه على القارئ المسلم؟

ثم ألا يعلم ابن العربي ومن على شاكلته أن من لا يتورع في تغيير سنة النبي الأكرم فيقدم الخطبة قبل الصلاة لا يتورع عن قتل صحابي عدل؟!!

فكلام ابن العربي مردود ولا يصح ما ذكره، وأزيدك أيضاً أخي الكريم:

يقول ابن حجر العسقلاني: إن مروان بن الحكم رأى في الخيل فقال هذا أعان على عثمان فرماه بسهم في ركبته فما زال الدم يسبح حتى مات، أخرجه عبدالحميد بن صالح عن قيس وأخرجه الطبراني من طريق يحيى بن سليمان الجعفي عن وكيع بهذا السند قال رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم فوق في عين ركبته فما زال الدم يسبح إلى أن مات^(٢).

وفي المستدرک أيضاً للحاكم النيسابوري أن مروان بن الحكم رمى طلحة بن عبيدالله بسهم فشك ساقه بجنب فرسه فقبض به الفرس حتى لحقه فذبحه فالتفت مروان إلى أبان بن عثمان وهو معه فقال لقد كفيتك أحد قتلة أبيك^(٣).

وروى ابن عساکر أيضاً من طرق متعددة أن مروان هو الذي رمى طلحة فقتله.

... عن قيس قال / كان مروان مع طلحة والزبير يوم الجمل فلما شبت الحرب قال

(١) ج ٣، ص ٣٧٠، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب طلحة بن عبيدالله التميمي.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٤٣٢، ترجمة ٤٢٨٥.

(٣) ج ٣، ص ٣٧١، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب طلحة بن عبيدالله التميمي.

مروان لا أطلب بثأري بعد اليوم فرماه بسهم فأصاب ركبته.

... عن قتادة، عن الجارود بن أبي سبرة قال لما كان يوم الجمل نظر مروان إلى طلحة فقال لا أطلب بثأري بعد اليوم فنزع له سهماً فقتله.

... عن قيس بن أبي حازم أن مروان بن الحكم رأى طلحة بن عبيدالله في الجمل فقال ماذا؟ قالوا طلحة قال هذا أعان على قتل عثمان لا أطلب بثأري بعد اليوم فرمى بسهم في ركبته قال فما زال الدم حتى مات.

أبناً أبو علي الحداد وجماعة في كتبهم قالوا أنا أبو بكر بن ريدة ثنا سليمان بن أحمد الطبراني ثنا أحمد بن يحيى بن حيان بن خالد الرقي نا يحيى بن سليمان الجعفي نا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم فوقع في عين ركبته فما زال يسبح إلى أن مات.

... أخبرنا عوف قال بلغني أن مروان بن الحكم رمى بطلحة يوم الجمل وهو واقف إلى جنب عائشة بسهم فأصاب ساقه ثم قال والله لا أطلب قاتل عثمان بعدك أبداً فقال طلحة لمولاي له ابغني مكاناً، [قال:] لا أقدر عليه، قال: هذا والله سهم أرسله الله، اللهم خذ لعثمان حتى ترضى، ثم وسد حجراً فمات.

... عن يحيى بن سعيد عن عمه أن مروان رمى طلحة بسهم فقتله ثم التفت إلى أبان بن عثمان فقال قد كفيناك بعض قتلة أبيك.

... عن قيس بن أبي حازم قال رمى طلحة يوم الجمل بسهم في ركبته فكانوا إذا أمسكوها انتفخت وإذا أرسلوها انبعثت فقال دعوها فإنه سهم أرسله الله.

... عن ابن سيرين قال رمى طلحة بن عبيدالله بسهم فأصاب ثغرة نحره قال فأقر مروان أنه رماه^(١).

ويقول خليفة بن خياط في تاريخه:... عن الجارود عن أبي سبرة الهذلي قال نظر

(١) تاريخ مدينة دمشق لعلي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى ٥٧١، ج ٢٥، ص ١١٣، ترجمة ٢٩٨٣.

مروان بن الحكم إلى طلحة بن عبيدالله يوم الجمل فقال لا أطلب بثأري بعد اليوم فرماه بسهم فقتله.

... عن ابن سيرين قال رمى طلحة بسهم فأصاب ثغرة نحره قال فأقر مروان أنه رماه. عن يحيى بن سعيد عن عمه قال رمى مروان طلحة بن عبيدالله بسهم ثم التفت إلى أبان بن عثمان فقال كفينك بعض قتلة أبيك^(١).

ويقول صاحب الطبقات الكبرى: ... أخبرنا عوف قال بلغني أن مروان بن الحكم رمى طلحة يوم الجمل وهو واقف إلى جنب عائشة بسهم فأصاب ساقه ثم قال والله لا أطلب قاتل عثمان بعدك أبداً فقال طلحة لمولى له ابغني مكاناً، قال لا أقدر عليه قال هذا والله سهم أرسله الله اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى ثم وسد حجراً فمات.

... أخبرنا ابن عون عن نافع قال كان مروان مع طلحة في الخيل فرأى فرجة في درع طلحة فرماه بسهم فقتله.

... عن محمد بن سيرين أن مروان اعترض طلحة لما جال الناس بسهم فأصابه فقتله. قال محمد بن سعد أخبرني من سمع أبا حباب الكلبي يقول حدثني شيخ من كلب قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لولا أن أمير المؤمنين مروان أخبرني أنه هو الذي قتل طلحة ما تركت من ولد طلحة أحداً إلا قتلته بعثمان بن عفان.

... عن اسماعيل بن أبي خالد قال أخبرني قيس بن أبي حازم قال رمى مروان بن الحكم طلحة يوم الجمل في ركبته فجعل الدم يغذو يسيل فإذا أمسكوه استمسك وإذا تركوه سال، قال: والله ما بلغت إلينا سهامهم بعد ثم قال دعوه إنما هو سهم أرسله الله فمات فدفنوه على شط الكلاء...^(٢).

(١) تاريخ خليفة بن خياط لخليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري، المتوفى ٢٤٠هـ، ص ١١١، حوادث سنة ست وثلاثين، ط ١٥/١٤١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الواقدي المتوفى ٢٣٠هـ، ج ٣، ص ٢٢٤، طلحة بن عبيدالله، ط ٣٧٧هـ، دار صادر، بيروت.

ويقول الدينوري:

إن طلحة لما علم بانصراف الزبير هم أن ينصرف فعلم مروان بن الحكم ما يريد فرماه بسهم فوق في ركبته فنزف حتى مات^(١).
نكتفي بهذا القدر خوفاً من الإطالة.

(١) الأخبار الطوال لأحمد بن داود الدينوري، المتوفى ٢٨٢هـ، ص ١٤٠، بمث الرسل إلى البصرة، دار الأرقم، بيروت.

باب الرخصة في اللعب

٢٦٨... عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعثت قالت وليستا بمغنيتين فقال أبو بكر أبعزموه الشيطان في بيت رسول الله ﷺ وذلك في يوم عيد فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا.

٢٦٩... يونس عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ يسترنني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو.

٢٧٠... عن عروة عن عائشة قالت دخل رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعثت فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال تشتبهين تنظرين فقلت نعم فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي.

إن أبا بكر قال أبعزموه الشيطان في بيت رسول الله وفي الرواية الثالث قال مزمار الشيطان عند رسول الله!؟

فأقول:

إما أن أبا بكر كان قد سمع من النبي حرمة الغناء، وإما أنه رأى حرمة ذلك من تلقاء نفسه لما في ذلك من مفسد لا تحمد عقباها.

فإن قلنا بالأمر الأول فالنبي الأكرم يقول ما لا يفعل ولا يطبق!!

ولو أخذنا بالأمر الثاني فكيف بأبي بكر يحرم ذلك من تلقاء نفسه، وأقول أيضاً:

طالما أن أبا بكر قال مزار الشيطان وفي الشروح قالوا بأن الشيطان هو الذي يستعمل تلك المزامير فالعقل فوراً يسلم ويحكم بحرمة ذلك.

وكذلك بعد أن أصدر النبي حكمه في الغناء وقال إن لكل قوم عيد وهذا عيدنا أي دعهم يا أبا بكر ولما غفل قامت عائشة بغمز المغنيتين وأخرجتهما من الدار مراعاة لقول أبيها في ذلك وكانت في عملها هذا قد كسرت كلام النبي وعملت برأي أبيها في الغناء فتأمل.

وتقول عائشة: أقامني النبي وراء وخدي على خده وأنا أنظر إلى لعب الأحباش!!

أقول: هذه أمور شخصية وعائلية ولا يجوز أن تنقلها عائشة للامة وهم بدورهم يتناقلونها فيما بينهم للمؤمن منهم والمسلم الضعيف الإيمان والمناق وأعداء الإسلام الذي اتخذوا ذلك ذريعة للنيل من الإسلام والمسلمين.

ألم يكن النبي أشد حياءً من العذراء في خدرها؟!؟

ألا يتنافى ما ذكرته عائشة مع حياته ﷺ؟!؟

قد يقول قائل أن عائشة أرادت بذلك أن تبين حكماً شرعياً أو ما أشبه!

فأقول:

ليس كل أمر أو حكم شرعي يضرب به مثل، فالجواب يجب أن يكون على قدر السؤال، مثلاً بنعم يجوز أن يتسابق الزوج مع زوجته مع مراعاة الضوابط الشرعية أو لا يجوز كذا مثلاً ومن دون ذكر الأمثلة أو أنها كانت تفعل ذلك مع النبي.

ثم ألا يتبادر إلى ذهنك أخي القارئ لماذا يفعل النبي ذلك مع أهله ليشرع فيما بعد

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ.

ولا يفعله أمام الصحابة مباشرة أو على الأقل لماذا لا يذكر للصحابة التشريع بحلية الغناء مثلاً.

٢٧١... عن أبي هريرة قال بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله ﷺ بحرابهم إذا دخل عمر بن الخطاب فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا عمر.

جاء في صحيح البخاري:... عن السائب بن يزيد قال كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فأنتي بهذين بجثته بهما... الحديث^(١).

لقد نهى النبي الأكرم عن رمي الحصى على الغير وذلك لأنه قال وذكر ذلك مراراً (إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدو وإنه يفتأ العين ويكسر السن). راجع صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب النهي عن الخذف.

وفي الرواية الأولى فإن عمر بن الخطاب حصب الأحباش أمام مرأى النبي الأكرم فنهاه عن ذلك وفي الرواية الثانية حصب السائب بن يزيد عندما كان على دكة الحكم أي أنه اعتاد على الحصب ولم ينته عما نهاه عنه النبي الأكرم.

(١) كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد.

باب البكاء على الميت

٢٧٢.... عن أسامة بن زيد قال كنا عند النبي ﷺ فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيّاً لها أو ابناً لها في الموت فقال للرسول ارجع إليها فأخبرها أن الله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب فعاد الرسول فقال إنها قد أقسمت لتأتينها قال فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وانطلقت معهم فرفع إليه الصبي ونفسه تقعق كأنه في شنة ففاضت عيناه فقال له سعد ما هذا يا رسول الله قال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

٢٧٣.... عن عبدالله بن عمر قال اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتى رسول الله ﷺ يعبده مع عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود فلما دخل عليه وجده في غشية فقال أقد قضى قالوا لا يا رسول الله فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال ألا تسمعون إلا الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم.

يقول الاستاذ الدكتور لاشين: أرسلت إليه ﷺ إحدى بناته تخبره أن ابناً لها يموت

وفي النزاع الأخير وتطلب حضوره إليها يواسيها ويخفف عنها وتحصل به البركة والرحمة فأرسل إليها يقول اعلمي أن الله ما أعطى هو الذي وهبك هذا الولد فتمتعت به أياماً كان عارية وأمانة لديك فإن أخذه فهو حقه وله ما أخذ وكل أجل عنده في كتاب فاصبري واطلبي من الله أن يحسب صبرك عليه في صحيفتك فأرسلت إليه تقسم عليه أن يأتيها فأتاها ومعه بعض أصحابه فرفع إليه الصبي فأخذه بين يديه فرأى صدره يعلو ويهبط ونفسه تتحشرج في حلقومه وأمه بجواره تكاد تموت حزناً وكمدماً فسقطت العبرات على خد رسول الله ﷺ وظن الصحابة الحاضرون أن الإسلام ينهى عن البكاء والدمع فقال أحدهم ما هذا يا رسول الله تبكي وتنهانا عن البكاء قال إنما نهيتكم عن هذا وأمسك بلسانه أما الدمع فهو أثر الإحساس والرحمة التي جعلها الله في قلوب عباده...^(١)

ويقول عن لسان ابن حجر فقال هي زينت وابنها قيل هو علي بن أبي العاص بن الربيع فقد اتفق أهل العلم بالنسب على أن زينب لم تلد لأبي العاص إلا علياً وأمامة فقط... وذكر الحافظ ابن حجر قولاً آخر أن المراد من بنت النبي ﷺ رقية وأن المراد من ابنها هو عبدالله بن عثمان بن عفان... إلى أن يقول الصواب في حديث الباب أن المرسله زينب^(٢).

ابنة النبي الأكرم ترسل إليه وتدعوه أن يحضر إليها لأن ابناً لها في حالة الاحتضار ونزع الروح فيقول للمرسل اذهب إليها وأخبرها أن الله سبحانه وتعالى أعطاك هذا الولد ويريد أن يأخذه فاصبري.

أيعقل هذا القول من النبي الأكرم لابنته زينب؟!!

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء/١٠٧، وقال تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح/٢٩.

وهذا النبي الرحيم الرؤوف يرد على ابنته بتلك اللهجة الشديدة وكان الرحمة قد انتزعت من قلبه فطالما هي ابنته ومن صلبه فهذا الصبي يكون حفيداً له وهو جده، أيعقل أن لا رحمة بين الأب وابنته وبين الجد وحفيده؟!!

(١) فتح المنعم، ج ٤، ص ١٩٤، ح ١٨٥٥.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٩٦.

نعم.. قد يكون هذا إن لم تكن زينب من صلبه وإنها ليست ابنته كما يقول به بعض المسلمين ولكن أهل العامة مصرّون على أنها ابنته ومن صلبه فكيف نوفق بين قولهم وبين الرواية؟!^(١)

وفي الرواية أيضاً إن زينب عندما سمعت ما ذكره النبي أرسلت إليه مرة أخرى تقسم عليه أن اتنا يا رسول الله فقام النبي الأكرم ومعه بعض الصحابة فأتاها.

ألا يعني ذلك لنا أن زينب لو لم تقسم على النبي لما أتاها ولما حضر موت ابنها. ثم نلاحظ أيضاً أن الصحابة قد استنكروا بكاء النبي وذلك لأن المعلومة قد وصلت إليهم خطأً على غير معناها، فقد ورد في صحيح البخاري... لما أصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول وا أخاه وا صاحبا فقال عمر رضي الله عنه يا صهيب أتبكي علي وقد قال رسول الله ﷺ إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه قال ابن عباس رضي الله عنه فلما مات عمر رضي الله عنه ذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها فقالت رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله ﷺ إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه ولكن رسول الله ﷺ قال إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه وقالت حسبكم القرآن ولا تزر وازرة وزر أخرى...^(٢)

نعم، لقد اختلط الأمر على عمر كما اختلط الأمر على الصحابة الذين حضروا مع رسول الله عند زينب حال موت ابنها.

لكن شتان ما بين الأمرين لأن الصحابة كانوا مع النبي الأكرم ورأوا دموعه على خديه فاندھشوا من ذلك وصحح لهم النبي ما كانوا يعتقدونه خطأً ولكن عمر ظل طيلة حياته معتقداً ذلك إلى آخر لحظة من عمره كما بينا لك في الرواية، أي أنه خرج من الدنيا معتقداً أن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه.

يقول شيخ النواصب ابن تيمية: ويستحب البكاء على الميت رحمة له وهو أكمل من الفرح لقوله ﷺ (هذه رحمة جعلها الله في قلوب عبادة) متفق عليه^(٣).

(١) كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه.

(٢) الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية اختارها علي بن محمد الدمشقي، المتوفى ٨٠٣هـ، ص ٩٠، ط دار المعرفة، بيروت.

باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه

٢٧٤... عن ابن عمر قال لما طعن عمر أغمي عليه فصيح عليه فلما أفاق قال أما علمتم أن رسول الله ﷺ قال إن الميت ليعذب ببكاء الحي.

٢٧٥... عن أبي بردة عن أبيه قال لما أصيب عمر جعل صهيب يقول وا أخاه فقال له عمر يا صهيب أما علمت أن رسول الله ﷺ قال إن الميت ليعذب ببكاء الحي.

هذا ما كان يعتقد عمر طيلة حياته ولكن عائشة قد صححت للمسلمين فقالت إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه.

ويقول النووي: وقالت عائشة رضي الله عنها معنى الحديث أن الكافر أو غيره من أصحاب الذنوب يعذب في حال بكاء أهله عليه بذنبه لا ببكائهم^(١).
راجع ما قبله.

٢٧٦. حدثنا داود بن رشيد حدثنا اسماعيل بن عليّة حدثنا أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة قال كنت جالساً إلى جنب ابن عمر ونحن ننتظر جنازة أم أبان بنت عثمان وعنده عمرو بن عثمان فجاء ابن عباس يقوده قائد فأراه أخبره بمكان ابن عمر فجاء حتى جلس إلى جنبي فكنت بينهما فإذا صوت من الدار

فقال ابن عمر كأنه يعرض على عمرو أن يقوم فينهاهم سمعت رسول الله ﷺ يقول

(١) المجلد ٣، ج ٦، ص ٤٨٤، ح ١٨-١٩، من كتاب الجنائز.

إن الميت ليعذب ببكاء أهله قال فأرسلها عبدالله مرسله فقال ابن عباس كنا مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو برجل نازل في ظل شجرة فقال لي اذهب فاعلم لي من ذاك الرجل فذهبت فإذا هو صهيب فرجعت إليه فقلت إنك أمرتني أن أعلم لك من ذاك وإنه صهيب قال مرة فليلحق بنا فقلت إن معه أهله قال وإن كان معه أهله وربما قال أيوب مره فليلحق بنا فلما قدمنا لم يلبث أمير المؤمنين أن أصيب فجاء صهيب يقول وا أخاه وا صاحباه فقال عمر ألم تعلم أو لم تسمع قال أيوب أو قال أو لم تعلم أو لم تسمع أن رسول الله ﷺ قال إن الميت ليعذب ببعض بكاء أهله قال فأما عبدالله فأرسلها مرسله وأما عمر فقال ببعض فقمت فدخلت على عائشة فحدثتها بما قال ابن عمر فقالت لا والله ما قاله رسول الله ﷺ قط إن الميت يعذب ببكاء أحد ولكنه قال إن الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذاباً وإن الله لهو ﴿أَصْحَكَ وَأَبْكِي﴾ ﴿وَلَا نَزْرُ وَإِزْرَةٌ وَرَزْرُ أُخْرَى﴾ قال أيوب قال ابن أبي مليكة حدثني القاسم بن محمد قال لما بلغ عائشة قول عمر وابن عمر قالت إنكم لتحدثوني عن غير كاذبين ولا مكذبين ولكن السمع يخطئ.

٢٧٧... عبدالله بن أبي مليكة قال توفيت ابنة لعثمان بن عفان بمكة قال فجننا لنشهدها قال فحضرها ابن عمر وابن عباس قال وإني لجالس بينهما قال جلست إلى أحدهما ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبي فقال عبدالله بن عمر لعمر بن عثمان وهو مواجهه ألا تنهى عن البكاء فإن رسول الله ﷺ قال إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه فقال ابن عباس قد كان عمر يقول بعض ذلك ثم حدث فقال صدرت مع عمر من مكة حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب تحت ظل شجرة فقال اذهب فانظر من هؤلاء الركب فنظرت فإذا هو صهيب قال فأخبرته فقال ادعه لي قال فرجعت إلى صهيب فقلت ارتحل فالحق أمير المؤمنين فلما أن أصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول وا أخاه وا صاحباه فقال عمر يا صهيب أتبكي علي وقد قال رسول الله ﷺ إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه فقال ابن عباس فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة فقالت يرحم الله عمر لا والله ما حدث رسول الله ﷺ إن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد ولكن قال إن الله يزيده الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه قال وقالت عائشة حسبكم القرآن ﴿وَلَا نَزْرُ وَإِزْرَةٌ وَرَزْرُ أُخْرَى﴾ قال وقال ابن عباس عند ذلك والله ﴿أَصْحَكَ وَأَبْكِي﴾.

راجع ما قبله.

٢٧٨... عن هشام بن عروة عن أبيه قال ذكر عن عائشة قول ابن عمر الميت يعذب ببكاء أهله عليه فقالت رحم الله أبا عبدالرحمن سمع شيئاً فلم يحفظه إنما مرت على رسول الله ﷺ جنازة يهودي وهم يبكون عليه فقال أنتم تبكون وإنه ليعذب.

٢٧٩... عن عمرة بنت عبدالرحمن أنها أخبرته أنها سمعت عائشة وذكر لها أن عبدالله بن عمر يقول إن الميت ليعذب ببكاء الحي فقالت عائشة يغفر الله لأبي عبدالرحمن أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يبكي عليها فقال إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها.

راجع باب البكاء على الميت من كتاب الجنائز.

باب في كفن الميت

٢٨٠.... عن عائشة قالت كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة أما الحلة فإنما شبه على الناس فيها أنها اشترت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية فأخذها عبد الله بن أبي بكر فقال لأحبسها حتى أكفن فيها نفسي ثم قال لو رضىها الله ﷻ لنبيه لكفنه فيها فباعها وتصدق بثمانها.

٢٨١.... عن عائشة قالت أدرج رسول الله ﷺ في حلة يمنية كانت لعبد الله بن أبي بكر ثم نزعته عنه وكفن في ثلاثة أثواب سحول يمانية ليس فيها عمامة ولا قميص فرفع عبد الله الحلة فقال أكفن فيها ثم قال لم يكفن فيها رسول الله ﷺ وأكفن فيها فتصدق بها.

٢٨٢.... عن أبي سلمة أنه قال سألت عائشة زوج النبي ﷺ فقلت لها في كم كفن رسول الله ﷺ فقالت في ثلاثة أثواب سحولية.

أقول:

إن مسلم صاحب الصحيح قد عرض هذه الروايات على مقص البتر وقام بقص وحذف ما يقدح في الصحابة والصحيح ما ستقرؤه لاحقاً ومن دون بتر.

جاء في مسند أحمد بن حنبل عن عائشة أن أبا بكر قال لها: في أي يوم مات رسول

الله ﷺ؟

فقلت: في يوم الإثنين، فقال: ما شاء الله إنني لأرجو فيما بيني وبين الليل.

قال: ففيم كفتتموه؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية، ليس فيها قميص ولا عمامة. وقال أبو بكر: انظري ثوبي هذا فيه ردع زعفران أو مشق، فاغسله واجعلي معه ثوبين آخرين. فقلت عائشة: يا أبت، هو خَلَقُ. قال: إن الحي أحق بالجديد. وإنما هو للمهلة. وكان عبدالله بن أبي بكر أعطاهم حلة حَبْرَةَ، فأدرج فيها رسول الله ﷺ، ثم استخرجوه منها!! وفي رواية أبي يعلى (ثم أخرج منها) فكفن في ثلاثة أثواب بيض. قال: فأخذ عبدالله الحلة فقال: لأكفنن نفسي في شيء مَسَّ جلد النبي ﷺ. ثم قال بعد ذلك: والله لا أكفن نفسي في شيء منعه الله بَرَكَةً نبيه ﷺ أن يكفن فيه. فمات ليلة الثلاثاء ودفن ليلاً، وماتت عائشة فدفنها عبدالله بن الزبير ليلاً^(١).

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ج ٥، ص ٢٦١، ح ٦٧٧٥، جمع أبواب عدد الكفن، ط ١٤١٦/١هـ، دار الفكر بيروت.

ومسند أبي يعلى الموصلي لأحمد بن علي الموصلي المتوفى ٣٠٧هـ، ج ٤، ص ٩٦، ح ٤٤٧٨، مسند عائشة، ط ١٤١٨/١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

وابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان، لعلي بن بلبان الفارسي، المتوفى ٧٣٩هـ، ج ١٤، ص ٥٩٨، ح ٦٦٢٩، ذكر وصف الثياب التي كفن ﷺ فيها، ط ١٤١٨/٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

وابن سعد الواقدي في الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٨٢، ذكر من قال كفن رسول الله، ط ١٣٧٦هـ، دار صادر، بيروت.

والحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ٤٧٨، كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب عبدالله بن أبي بكر، ط بيروت، وابن عبدالبر القرطبي في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج ٢٢، ص ١٤٢، حديث خامس عشر، وج ٢٤، ص ٣٩٥، حديث تاسع وأربعون، ط ١٤١٠هـ.

ويقول المحقق الأرناؤوط في ذلك:

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ١٣٢، ح ٤٥، مسند عائشة، ط دار الفكر العربي بيروت.

إسناده صحيح على شرط مسلم، حماد بن سلمة من رجاله، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، عفان هو ابن مسلم الصنفار^(١).
وجاء في سنن أبي داود عن عائشة: أُدرج رسول الله ﷺ في ثوب حبرة، ثم أُخِرَ عنه^(٢).
وقد صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود. راجع ج ٢، ص ٢٨٨، حديث ٣١٤٩، ط ١٤٢١/٢هـ، الرياض.

أقول:

هل لاحظت كيف أن مسلماً في صحيحه قام ببتتر هذه الرواية ولم يذكر ما جاء فيها كما في مسند أحمد بن حنبل والمصادر التي ذكرناها! لماذا؟!
لأن في ذلك قدحاً في الصحابة وقد فعلوا ما لا يليق بمقامهم، هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء الصحابة قاموا بإهانة النبي الأكرم بفعلهم هذا، حيث إنهم قد ندموا على تكفين النبي بتلك الأثواب الجديدة واستكثروها عليه!! فقاموا باسترجاعها من جثمانه الطاهر وجعلوا مكانها أثواباً خلقة!! وذلك لأن الحي أحق بالجديد!! كما ادعوا ذلك.

نعم.. لقد استكثروا عليه تلك الحلة! هذا الذي عانى الكثير من المصاعب في سبيل إخراج الناس من الظلمات إلى النور.. هذا الذي بذل جميع أموال خديجة سلام الله عليها في نشر الدعوة.. تستكثر عليه حلة جديدة!!

هذا الذي أعطى وأعطى جميع ما كان يملك للمسلمين عامة، وللفقراء خاصة، يبخل عليه بحلة جديدة!

فيا حبذا لو كانوا في أول الأمر قد كفنوه روعي له الفداء بأثواب خلقة، لا أن يكفنوه بأثواب جديدة ثم تنتزع عنه تلك الأثواب بعد ذلك بحجة أن الحي أولى بها من النبي الأكرم!!

واقراً معي أخي القارئ ما جاء في سنن أبي داود:

(١) مسند أحمد بن حنبل - الموسوعة الحديثية -، ج ٤١، ص ٤٦٥، ح ٢٥٠٠٥، تحقيق شعيب الأرنؤوط وجمع من المحققين، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) ج ٣، ص ١٩٨، حديث ٣١٤٩، كتاب الجنائز، باب الكفن.

قال النبي ﷺ: إذا كُفّن أحدكم أخاه فليحسن كفنه^(١).

وخوفاً من الإطالة على القارئ أقول:

نبي الإسلام يكفن بأثواب جديدة! ثم إن الصحابة يتأسفون على تلك الأثواب أن تدفن وتطمس تحت التراب! ويكون مصيرها التلف، فالحي أولى بها من النبي!

ألا يحق لنا أن نقول لمن يدعي بعدالة جميع الصحابة بأن الصحابة بعملهم هذا فقط - أي بعد أن كُفّن النبي في حلة حبرة ثم استخرجوه منها - يجب أن تسقط عنهم العدالة التي ادعوها لهم؟!!

راجع كتابنا «هل مات النبي مسموماً؟! ولماذا جردوه من أكفانه» وكذلك كتاب «مناقشاتي في أحاديث أهل السنة».

(١) نفس المصدر السابق.

باب في تحسين كفن الميت

٢٨٣.... قال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يحدث أن النبي ﷺ خطب يوماً فذكر رجلاً من أصحابه قبض فكفن في كفن غير طائل وقبر ليلاً فزجر النبي ﷺ أن يقبر الرجل بالليل حتى يصلى عليه إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك وقال النبي ﷺ إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه.

يقول النووي في شرحه: قوله (غير طائل) أي قصير غير كامل الستر^(١).

(١) المجلد ٤، ج ٧، ص ١٤، ح ٩٤٣.

باب فضل الصلاة على الجنابة

٢٨٤... نافع قال قيل لابن عمر إن أبا هريرة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فقال ابن عمر أكثر علينا أبو هريرة فبعث إلى عائشة فسألها فصدقت أبا هريرة فقال ابن عمر لقد فرطنا في قراريط كثيرة.

٢٨٥... عن يزيد بن عبدالله بن قسيط أنه حدثه أن داود بن عامر بن سعد بن ابي وقاص حدثه عن أبيه أنه كان قاعداً عند عبدالله بن عمر إذ طلع خباب صاحب المقصورة فقال يا عبدالله بن عمر ألا تسمع ما يقول أبو هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد فأرسل ابن عمر خباباً إلى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت وأخذ ابن عمر قبضة من حصباء المسجد يقلبها في يده حتى رجع إليه الرسول فقال قالت عائشة صدق أبو هريرة فضرب ابن عمر بالحصى الذي كان في يده الأرض ثم قال لقد فرطنا في قراريط كثيرة.

قال الأبي في شرحه: القيراط اسم لقدر من الثواب معلوم عند الله تعالى. قلت: القيراط جزء من الدينار....

قوله (قد أكثر علينا أبو هريرة) (ليس) اتهاماً بل خاف أن يكون نسي أو اشتبه عليه

ولذلك أرسل إلى عائشة واستثبتها حتى نفى عنه ما كان يخاف عليه^(١).

ويقول في حديث رقم ٥٤:.... قلت يا أبا هريرة ما القيروط قال مثل أحد^(٢) فبأي قول تأخذ وبرأي من نعمل؟ الأبى الذي يقول أن القيروط جزء من الدينار أم من هذا الدوسي الذي يقول القيروط مثل جبل أحد؟!!

أضيف وأقول أن الأبى يحاول أن يجد العذر لصاحبه الدوسي في قوله (خاف ابن عمر أن يكون أبا هريرة قد نسي)!

جاء في صحيح البخاري:.... عن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه قال ابسط رداءك فبسطته قال فغرف بيديه ثم قال ضمه فضمته فما نسيت شيئاً بعده^(٣).

فكيف يدعي الأبى ذلك العذر لصاحبه أبي هريرة ويقول إن ابن عمر خاف أن يكون نسي فهذه الرواية ترد قول الأبى.

ويبقى الاحتمال الآخر وهو اتهام أبي هريرة وذلك لأنه كلما أراد شيئاً وضع فيه حديثاً لذا اتهمه ابن عمر وشك في قوله ولم يصدقه إلا بعد أن أرسل إلى عائشة يسألها عن صحة قول أبي هريرة.

وجاء في صحيح مسلم:.... عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب إلا كلب صيد أو كلب غنم أو ماشية فقيل لابن عمر إن أبا هريرة يقول أو كلب زرع فقال ابن عمر إن لأبى هريرة زرعاً^(٤).

قال الأبى في شرحه إكمال إكمال المعلم: لم يقل ابن عمر ذلك توهيناً لرواية أبي هريرة بل تصحيحاً لها لأنه لما كان صاحب زرع اعتنى بحفظ هذه الزيادة^(٥)!!

(١) إكمال إكمال المعلم، ج ٣، ص ٣٥٤، ح ٥٦-٥٥.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٣٥٥.

(٣) كتاب العلم، باب حفظ العلم.

(٤) كتاب المساقاة، باب الأمر بقتل الكلاب.

(٥) ح ٥٥٢، ص ٤٥٢، ح ١٥٧١.

أقول:

قول ابن عمر واضح وينم عن اتهام أبي هريرة بزيادة (أو كلب زرع) على الحديث وذلك لمصلحته لأنه صاحب زرع كما بين ابن عمر ذلك.

الحاصل، كان هذا الدوسي نشطاً في وضعه الحديث، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ولو لا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً ثم يتلو ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله ﴿الرَّحِيمُ﴾ البقرة/١٥٩، إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون^(١).

لاحظ أخي القارئ الكريم هنا أيضاً الصحابة اتهموا هذا الدوسي في قولهم أكثر أبو هريرة!

فيقول أبو هريرة مزكياً نفسه ومجيباً المنكرين عليه (بماذا) فقد صنف الصحابة وقسمهم إلى قسمين قسم منهم وهم المهاجرون كان يشغلهم الصفق بالأسواق أي كانوا مشغولين في البيع والشراء - التجارة - وأما القسم الثاني وهم الأنصار فيقول عنهم إنهم كانوا أصحاب زرع وتمر يعملون بأيديهم في الزراعة هؤلاء الذين ذكرهم هذا الدوسي هم الصحابة القريبون من النبي الأكرم وقد ذكرهم الله تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه بخلاف ما ادعى عليهم هذا الدوسي فقال عز من قائل ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ بَحْرَةَ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ النور/٣٧ وهل يعقل أن جميع الصحابة كانوا أصحاب أموال ويعملون في التجارة، هؤلاء هم الصحابة المقربون الذين مدحهم الله في كتابه الكريم وفي مواضع عديدة ويأتي هذا ويريد أن يقلل من شأنهم وفضائلهم، نعم هؤلاء كانوا يعملون بأيديهم فيأكلون من تعبهم وعرق جبينهم ولم يكونوا من أصحاب الصفة ولم يكونوا يمدون يد الذل لهذا أو ذاك ونحن نعلم بأن هذا الدوسي قدم على النبي ودخل الإسلام بعد الانتهاء من معركة خيبر وكان له من العمر ما يقارب الثلاثين سنة أي كان في عنفوان شبابه فجلس في الصفة ومد يده للصحابة لعل وعسى أن يعطيه هذا أو يطعمه ذاك ولم يأل جهداً في

(١) كتاب العلم، باب حفظ العلم.

العمل وبعد أن أكل من طعام المهاجرين والأنصار وقام الصحابة باتهامه بوضع واختلاق الحديث أخذ يوجه السهام إليهم ناسياً فضائلهم عليه وادعى أيضاً بأنهم كانوا أهل دنيا وكانوا يهرولون وراء متاع الدنيا وزخرفها ووراء جلب الأموال والعقار أما هو فكان من أهل التقوى والزهد وكان لصيقاً بالنبي الأكرم لذا أهدها هذا الثوب أو المزود المزعوم! وملاؤه له علماً وحلماً وحكمة حتى صدق نفسه بأنه أحد أركان الحديث.

وأبو هريرة يروي فيقول: حفظت من رسول الله ﷺ وعائنين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم^(١).

يقر ويعترف على نفسه بأنه لم يبث الوعاء الثاني وذلك خوفاً من الضرب بالسياط والدرّة وخوفاً من أن يقطع عمر بلعومه فلذلك أخفاه عن الصحابة وكتمه إلى حين وقام بنشر هذا الوعاء التنن وبثه في أيام بني أمية، لذا تلاحظ وتشم رائحة الوضع في الكثير من أحاديثه أيام بني أمية كما ذكرنا.

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم.

باب فيمن يثني عليه خير أو شر من الموتى

٢٨٦... عن أنس بن مالك قال مرَّ بجنّازة فأثني عليها خيراً فقال نبي الله ﷺ وجبت وجبت وجبت ومُرَّ بجنّازة فأثني عليها شراً فقال نبي الله ﷺ وجبت وجبت وجبت قال عمر فدى لك أبي وأمي مرَّ بجنّازة فأثني عليها خير فقلت وجبت وجبت وجبت ومرَّ بجنّازة فأثني عليها شر فقلت وجبت وجبت وجبت فقال رسول الله ﷺ من أثنتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض.

قال القرطبي في شرحه: (أنتم شهداء الله في الأرض) قال الداودي معنى هذا عند الفقهاء إذا أثني عليه أهل الفضل والصدق لأن الفسقة قد يثنون على الفاسق فلا يدخل في الحديث ولذلك لو كان القائل فيه عدواً له وإن كان فاضلاً لأن شهادته في حياته كانت غير مقبولة له وعليه وإن كان عدلاً.

وقيل: ذلك فيمن علم الله أنه لا يحمله الحسد والعداوة أو فرط المحبة وكثرة الإطراء والغلو المذموم فيقول ما ليس فيه من خير أو شر...^(١).

ويقول النووي في شرحه:... أن هذا الثناء بالخير لمن أثني عليه أهل الفضل فكان ثناؤهم مطابقاً لأفعاله فيكون من أهل الجنة... وإن لم يكن فليس هو مراداً بالحديث^(٢).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج ٢، ص ٦٠٦، ح ٨١٧.

(٢) المجلد ٤، ج ٧، ص ٢٣، ح ٩٤٩.

أقول:

يحاول أهل العامة أن يعطوا الصحابة من القدسية الشيء الكثير كلما سنحت لهم الفرصة، سواء البخاري أو غيره.

وتريد أيضاً أن تجعل الصحابة ميزاناً لبقية المسلمين ولو بإشارة منهم كما مر عليك في الرواية.

وتريد أن تقول إن هذا دليل مؤكد على عدالتهم!

ولكن أحاول أن أختصر فأقول:

جاء في البخاري كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت:

خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار لنا عثمان بن مضعون فأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك يا أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟! فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟!

فقال: أما هو فقد جاءه اليقين والله إنني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي.

قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً.

أقل ما يقال الآن.. كيف نوفق بين هذه الروايات المتضاربة ولماذا لم يؤيد النبي قول أم العلاء ولماذا لم يقل وجبت وجبت؟!!

باب الصلاة على القبر

٢٨٧... عن أبي هريرة أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد أو شاباً ففقدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها أو عنه فقالوا مات قال أفلا كنتم أذنتموني قال فكانهم صغروا أمرها أو أمره فقال دلوني على قبره فدلوه فصلى عليها ثم قال إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله عَزَّ وَجَلَّ ينورها لهم بصلاتي عليهم.

يقول الأبى في شرحه:.... واختلف الناس في الصلاة على القبر، ومشهور قول مالك المنع، والشاذ جوازها فيمن دفع بغير صلاة.

تحصيل الصلاة على القبر أنه إن دفن الميت بغير صلاة فإنه يخرج ما لم يفت فإن فات فالمشهور أنه يصلى عليه وهو في القبر.

وقال أشهب وسحنون أنه لا يصلى على القبر وفيما يفوت به أربعة. أشهب: بإهالة التراب. عيسى بن دينار: بالفراغ من دفنه. ابن القاسم: ما لم يخف تغيره. سحنون: أن يطول. وقال أبو حنيفة بالزيادة على ثلاثة أيام. أبو عمر: وأجمع من قال بالصلاة على القبر أنه فيما قرب، وأقل ما قيل في القرب أنه شهر.

وأما الصلاة على قبر من صلى عليه، فالمشهور أنه لا يصلى عليه، وبه قال أبو حنيفة قال إلا أن يكون ولي الميت.

وعن مالك أيضاً والشافعي جوازه.

واحتج من منع الصلاة على قبر من صلى عليه بأنه ﷺ لم يصل على قبره واحتج
المجيز بصلاته على قبر السوداء.

وأجيب عن ذلك بجوابين: الأول أنه كان وعدها ذلك فصارت كالنذر، وهو ضعيف
لأن النذر إنما يوفى به إذا كان جائزاً، إذ لو لم تكن الصلاة على القبر جائزة ما فعلها.
الثاني: أنه أمرهم أن يؤذونه، فلما لم يعلموه وهو الإمام فكأنها دفنت دون صلاة،
وهذا تساعده الرواية الشاذة التي حكيناها عن مالك فيمن دفن دون صلاة.

والوجه عندي في الجواب أن ذلك خاص به لقوله حين صلى عليها: إن هذه القبور
مملوءة على أهلها ظلمة، وأن الله ينورها بصلاتي عليهم. وهذا لا يتحقق في غيره ﷺ.
قلت: تأمل اختلافهم في حكاية المشهور فيمن لم يصل عليه، فهو في كلام الإمام
المنع.

والاحتجاج بأنه لم يصل على قبره، قيل إنه كان لا يتجه لأن ذلك خاص به للإجماع
على أن الصلاة على غيره مطلوبة.

واختلف هل صلى عليه؟ فقيل: لم يصل عليه، وإنما كان الناس يدخلون فيدعون
وينصرفون. وقيل: بل صلوا عليه أفذاذاً فوجاً بعد فوج، واختلف في علة القول بعدم
الصلاة عليه فقيل لأن الصلاة شفاعة وهو شفيح، فلا يكون مشفوعاً له، وقيل لأنه شهيد
وقيل لعدم الإمام لأن البيعة لم تتم لأبي بكر حينئذ.

وما قيل من أنها تمت له قبل الدفن باطل لأن فاطمة ؓ ومن لاذ بها لم يوافقوا إذ
ذلك.

وتقدم الخلاف في وجه تأخير دفنه.

حديث السوداء حجة في الصلاة على القبر، وإن صلى عليه وتأوله المالكية تأويلات
فاسدة^(١).

ويقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم: ... كرم ﷺ امرأة سوداء كانت
تنظف المسجد فماتت فسأل عنها فقالوا ماتت فغضب وعاتبهم أن صغروا شأنها فلم

(١) إكمال إكمال المعلم، ج ٣، ص ٣٦٦، ح ٩٥٦.

يعلموه بموتها وقال لهم دلوني على قبرها فدلوه فصلى عليها صلاة الجنائز وهي في قبرها^(١).

أقول:

لقد عاتب النبي الأكرم الصحابة لعدم إعلامه بموت هذه المرأة أو الرجل (على اختلاف) فقال: أفلا آذنتموني؟ أي أعلمتموني بموته وقال إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم فأتى قبرها فصلى عليها. فكيف يقول أهل العامة لا تجوز الصلاة على القبر أو عند القبر؟!

٢٨٨... عن محمد بن قيس بن مخزوم بن المطلب أنه قال يوماً ألا أحدثكم عني وعن أمي قال فظننا أنه يريد أمه التي ولدته قال قالت عائشة ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ قلنا بلى قال قالت لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه ورويداً وانتعل رويداً وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويداً فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت فهورول فهورول فأحضر فأحضرت فسبقت فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال مالك يا عائش حشياً رابية قالت قلت لا شيء قال لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير قالت قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته قال فأنت السواد الذي رأيت أمامي قلت نعم فلهدني في صدري لهدة أوجعتني ثم قال أظننت أن يحيى الله عليك ورسوله قالت مهما يكتم الناس يعلمه الله نعم قال فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك فأجبت فأخفيتك منك ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قالت قلت كيف أقول لهم يا رسول الله قال قلني السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون.

(١) ج ٤، ص ٢٤٠، ح ١٩٢٦.

قال الأبي في شرحه: (قوله (رويداً) أي قليلاً بلطف لثلا ينبهها ومعنى أجافه أغلقه وفعل ذلك لثلا تعلم بخروجه فيلحقها ذعر واستيحاش والظاهر في خروجه أنها اتهمت أن يذهب لبعض نساء بدليل لهده لها أي ضربه لها في صدرها.

قلت: والحامل لها على الخروج الغيرة وإلا فمثل هذا الخروج يفتر لإذن^(١).

قوله (حشياً رابية)... معناه قد وقع عليك الحشا وهو الهيج الذي يعرض للمسرع من نفسه من ارتفاع النفس وتواليه....

قوله (رابية) أي مرتفعة البطن.

قوله (فلهدني)... أي دفعني في صدري^(٢).

ويقول القرطبي: وقوله (أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله) أي يجور، وهذا يؤيد أنها ظنت أن قد سار إلى بعض أهله^(٣).

لنا على هذه الرواية ملاحظات عدة يجب أن نلفت انتباه القارئ لها.

قال الأبي في شرحه: إن النبي الأكرم ريشما ظن أن عائشة قد نامت أخذ رداءه وانتعل رويداً وفتح الباب فخرج ثم أغلق الباب رويداً أيضاً أي بلطف لثلا ينبهها وعقب على ذلك الأبي فقال وفعل ذلك لثلا تعلم بخروجه فيلحقها ذعر واستيحاش!!

فأقول:

كانت عائشة تنام وحدها ثماني ليال فماذا كانت قد أعدت لتلك الليالي خوفاً من الاستيحاش والذعر، هذا أولاً.

وتقول عائشة إنها تقنعت إزارها واختمرت ثم انطلقت وراء النبي حتى جاء البقيع.

أقول:

إن عائشة ظنت أن النبي الأكرم سيذهب إلى إحدى نسائه لذا قامت واتبعته غيرة، نعم، أليست هي الغيورة من بين نساء النبي؟!

(١) إكمال إكمال المعلم، ج٣، ص٣٩٢، ح١٠٣.

(٢) نفس المصدر السابق، شرح السنوسي، ص٢٩٣.

(٣) المفهم، ج٢، ص٩٣٥، ح٨٤٢.

يقول ابن حجر في شرحه: ... لأن الحامل لها على ذلك الغيرة التي جبلت عليها النساء وهي لا تنشأ إلا عن فرط المحبة^(١)، هذا ثانياً.

ثالثاً: عندما رأت عائشة أن النبي الأكرم أراد أن يرجع إلى داره هرولت هي قبله فسبقتة واضطجعت وكان شيئاً لم يكن قد صدر منها وهذا هو عين التجسس المنهي عنه.

رابعاً: عندما سألها النبي ما بالك تتنفسين هكذا وبسرعة وكأنك قد جريت مسرعة فأجابت لا شيء أي أنها كذبت في جوابها على النبي.

خامساً: النبي الأكرم لم يستغ جواب عائشة وأخذته الريبة والشك فقام بتهديدها إذا لم تصرحي لي فإن الله سوف يخبرني بأمرك عاجلاً أم آجلاً وكان عائشة قد غفلت من شدة غيرتها عن ذلك وإن النبي يتعامل مباشرة مع جبريل هذا الذي يأتيه بالأخبار سريعاً من قبل الله تعالى.

سادساً: هنا اعترفت عائشة بعد التهديد وعلمت أن لا شيء يخفى على النبي فأخبرته بالحقيقة وكان عليها أن تخبره قبل التهديد والوعيد.

سابعاً: النبي الأكرم قام بدفع عائشة كما جاء في الرواية على لسان عائشة حيث قالت (فلهديني في صدري لهدة أوجعتني) فهل النبي كان مأثوماً في ضربها على صدرها وبقوة وهل آذاها وهل على نبينا ذنب وسيحاسب غداً عليه وهل من يدفع امرأته بصدرها وبالقوة تلك يحبها أو يتمنى أن يمرض في بيتها ويقول أين أنا غداً وهل من تتجسس على زوجها وتبلك الكيفية وتكذب عليه مع علم زوجها بكل ما جرى يحبها ويتمنى المكوث عندها أكثر من غيرها.

ثامناً: قال النبي بعد أن قصت عليه عائشة أسباب اللحوق به (أظننت أن يحييف الله عليك ورسوله)، يقول الأستاذ الدكتور لاشين: الاستفهام إنكاري أي ما كان ينبغي أن تظني أن رسول الله يظلمك والحيف الميل عند العدول عن الطريق المستقيم^(٢).

أيعقل من عائشة أن تعتقد هذا الاعتقاد هذا الذي بعثه الله رحمة للعالمين هذا الذي

(١) فتح الباري، ج ١٠، ص ٥٩٩، ح ٦٠٧٨، باب ما يجوز من الهجران من كتاب الأدب.

(٢) فتح المنعم، ج ٤، ص ٢٥٧، ح ١٩٦١.

جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور هذا الذي جاء ليقيم العدل بين الناس يكون ظالماً لأهله أيعقل من عائشة أن تعتقد هذا الاعتقاد ولكن طالما أن النبي هو الذي قال لها ذلك فهو صحيح أي أنها تعتقد ذلك وتتوقع من النبي أن يصدر منه الظلم.

باب استئذان النبي (ص) ربه ﷻ في زيارة قبر أمه

٢٨٩. حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه وزهير بن حرب قالوا حدثنا محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت.

من رواية هذه الرواية محمد بن عبيد بن أبي أمية الطنافسي.

قال صالح بن أحمد بن حنبل سألت أبي عن يعلى ومحمد ابني عبيد فقال كان محمد يخطئ ولا يرجع عن خطئه.

وقال العجلي كوفي ثقة وكان عثمانياً.

وقال يعقوب بن شيبه محمد بن عبيد مولى لإياد... وكان من الكوفيين ممن يقدم عثمان على علي^(١).

ومن الرواة أيضاً يزيد بن كيسان أبو إسماعيل الشكري.

قال ابن أبي حاتم في ترجمة المذكور... ابن المدني قال سألت يحيى بن سعيد عن

(١) تهذيب الكمال للمزي، ج ٢٦، ص ٥٦-٥٨، ترجمة ٥٤٤٠، والكاشف للذهبي ج ٣، ص ٦٦، ترجمة ٥١٧، ط ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

يزيد بن كيسان فقال ليس هو ممن يعتمد عليه^(١).

عبدالرحمن قال سمعت أبي يقول: لا يحتج بحديثه^(٢).

وقال البخاري أيضاً ليس ممن يعتمد عليه^(٣).

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة المذكور يزيد: وقال أبو حاتم لا يحتج

به... ليس ممن يعتمد عليه^(٤).

وقد ذكره العقيلي في كتابه الضعفاء ومن نسب إلى الكذب ووضع الحديث^(٥).

وذكره أيضاً ابن الجوزي في كتاب الضعفاء والمتروكين^(٦).

وذكره ابن عدي في ضعفاء الرجال... قال أبو أحمد الحاكم ليس بالحافظ^(٧).

وقال المزني أيضاً: وكان البخاري قد أدخله في كتاب الضعفاء^(٨).

قال النووي في شرحه: فيه جواز زيارة المشركين في الحياة وقبورهم بعد الوفاة لأنه

إذا جازت زيارتهم بعد الوفاة ففي الحياة أولى وقد قال الله تعالى ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا

مَعْرُوفًا﴾ وفيه النهي عن الاستغفار للكفار قال القاضي عياض:... سبب زيارته ﷺ قبرها

أنه قصد قوة الموعظة والذكرى بمشاهدة قبرها ويؤيد قوله ﷺ في آخر الحديث فزوروا

القبور فإنها تذكر الموت.

قوله (فبكى وأبكى من حوله) قال القاضي بكاؤه ﷺ على ما فاتها من إدراك أيامه

(١) الجرح والتعديل لعبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، المتوفى ٣٢٧هـ، ج ٩، ص ٢٨٥، ترجمة ١٢٠٩،

ط ١٣٧٣/١٥، الهند.

(٢) نفس المصدر السابق، بتصرف.

(٣) التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، المتوفى ٢٥٦هـ، ج ٨، ص ٣٥٤، ترجمة ٣٣٠٩.

(٤) ج ٤، ص ٤٣٩، ترجمة ٩٧٤٥.

(٥) محمد بن عمرو بن موسى العقيلي المتوفى ٣٢٢هـ، ج ٤، ص ١٥٠٢، ترجمة ٢٠١٢، ط ١/١٤٢٠هـ، دار الصمعي،

السعودية.

(٦) عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، ج ٣، ص ٢١٢، ترجمة ٣٨٠، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٧) عبدالله بن عدي الجرجاني، المتوفى ٣٦٥هـ، ج ٧، ص ٢٨٣، ترجمة ٢١٨، ط ١/١٤٠٩هـ، دار الفكر، بيروت.

(٨) تهذيب الكمال، ج ٣٢، ص ٢٣٢، ترجمة ٧٠٤٤.

أقول:

في الرواية أن النبي الأكرم زار قبر أمه فبكى متأسفاً على أن أمه آمنة لم تدرك أيامه لتؤمن به فما فائدة زيارته لأمه طالما لا يتمكن من الاستغفار لها؟!!

ونسأل أيضاً هل الندم والتأسف على ما مضى أمر مندوب وهل البكاء على المشرك أمر مندوب أيضاً؟!!

وفي الرواية أن النبي عندما بكى أبكى الصحابة أيضاً فهل بكاء الصحابة كان على أم النبي أم كان شفقة على النبي؟!!

وقوله ﷺ فزوروا القبور فإنها تذكرك الموت فهل زيارته لأمه كان من أجل أن يتذكر الموت فقط؟

فمن من الصحابة زار قبر والديه المشركين وهذا التاريخ بين أيدينا لم نقرأ فيه بأن أحد الصحابة زار قبر أبيه المشرك فلو كانت زيارة قبر المشرك مندوبةً وذلك لأنها تذكر بالآخرة لزار عثمان قبر أبيه ولزار عمر قبر أبيه مثلاً.

يقول محمد نور سويد: قال الإمام الحافظ صلاح الدين العلائي المتوفى ٦٦٠هـ في كتابه الدررة السنوية في مولد خير البرية: كان سن عبدالله حين حملت منه آمنة برسول الله ﷺ وسلم نحو ثمانية عشر عاماً ثم ذهب إلى المدينة ليبتار منها تمرأ لأهله، فمات بها عند أخواله من بني النجار، والنبي ﷺ حمل على الصحيح. انتهى.

لابد للباحث وللفقيه حتى يصدر حكماً شرعياً من جمع وتتبع الروايات والطرق التي وردت فيها ألفاظ الحديث، والوقوف عليها ودراستها والتوفيق بينها أو ترجيح بعضها أو ثبوت النسخ فيما بينها ثم يستنتج الحكم.

ولدى تتبع روايات الحديث فقد وجد اتفاقها على مجيء أعرابي أو رجل وتوجيه السؤال للرسول ﷺ: (أين أبي)؟ وقد جاءت الروايات بجوابين مختلفين من الرسول ﷺ وكلتا الروايتين صحيحتان من حيث السند فبقي دراسة المتن وفي هذه الحالة يتم أخذ

الرواية التي توافق القرآن وروح التشريع مع ضرورة الإجابة على الرواية الأخرى.
أما أخذ إحدى الروايات بدون دراسة متأنية مع الكتاب والسنة فهو الهوى أعادنا الله
منه فلنستعرض هذه الروايات وأقوال العلماء فيها:
الرواية الأولى للإمام مسلم واللفظ له وأبي داود في سننه وابن حبان وأحمد في
مسنده كلهم عن حماد بن سلمة:

استنبط المعارض من رواية حماد فقط وبدون النظر في الروايات الأخرى من غير
طريق حماد ولم يعرض رواية حماد على القرآن:
روى مسلم في صحيحه فقال:.... عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي قال في
النار فلما قفى دعاه فقال إن أبي وأباك في النار.

وفي عون المعبود شرح أبي داود قال: (وهذا الرجل هو حصين بن عبيد والد عمران
بن حصين، وقيل هو أبو رزين لقيط بن عامر العقيلي) انتهى.

الرواية الثانية لأبي جعفر الطحاوي ليس فيها حماد ولا الزهري:

روى أبو جعفر الطحاوي في كتابه مشكل الآثار فقال:.... عن عمران بن حصين قال:
جاء حصين إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم فقال يا محمد كان عبدالمطلب
خيراً لقومه منك كان يطعمهم الكبد والسنام وأنت تنحرهم. فقال له رسول الله ﷺ ما شاء
الله أن يقول ثم إن حصيناً قال يا محمد ماذا تأمرني أن أقول؟ قال: قل: اللهم إني أعوذ
بك من شر نفسي وأسألك أن تعزم لي على رشد أمري. قال: ثم إن حصيناً أسلم ثم أتى
النبي ﷺ فقال: إني كنت سألتك المرة الأولى وإني الآن أقول ما تأمرني أن أقول؟ قال:
قل: اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما عمدت وما جهلت وما علمت.
ثم تابع الإمام أبو جعفر الطحاوي قوله فقال قائل هذا الحديث قد روي ما يخالفه
عن عمران بن حصين وذكر:.... عن عمران بن الحصين أن أباه الحصين بن عبيد أتى
النبي ﷺ وكان مشركاً فقال أرأيت رجلاً كان يقري الضيف ويصل الرحم مات قبلك؟
قال أبو جعفر: كأنه يعني بذلك أباه، فقال رسول الله ﷺ: إن أبي وأباك في النار. قال: فما
مرت عشرون ليلة حتى مات مشركاً.

قال: ففي هذا الحديث أن حصيناً أبا عمران بن حصين مات مشركاً.

وفي الحديث الأول ذكر إسلامه وتعليم النبي ﷺ إياه ما ذكر تعليمه إياه فيه وهذا اختلاف شديد!

فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله ﷻ وعونه:

أن هذا وإن كان اختلافاً كما ذكر في هذين الحديثين فإنه ليس من رسول الله ﷺ وإنما هو من رواة هذين الحديثين والله أعلم بحقيقة الأمر في ذلك ما هو.

غير أنا تأملناهما فوجدناهما قد يخرجان بما لا اختلاف فيه وذلك أن يكون عمران هو ابن حصين بن حصين بن عبيد فيكون أبو حصين المذكور بالإسلام في الحديث الأول من الحديثين الذين ذكرناهما في هذا الباب أباه الأدنى هو الذي أسلم وعلمه رسول الله ﷺ ما علمه في الحديث المذكور فيه إسلامه من الحديثين الذين رويناها في هذا الباب.

ويكون الذي مات مشركاً هو حصين بين عبيد أباه الأقصى من أبويه الذين كانا اسم كل واحد منهما حصين، فيصح الحديثان جميعاً ولا يتضادان، وذلك أولى مما حملا عليه حتى لا يدفع واحد منهما صاحبه ولا يخالفه ولا يضاده....

ويقول: فانظر إلى براعة الإمام الطحاوي الحنفي في التوفيق بين الأدلة ولم يذكر والد رسول الله ﷺ بسوء.

الرواية الثالثة للبخاري عن الزهري:

أخرج البخاري... عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أين أبي؟ قال في النار، قال فأين أبوك؟ قال: حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار.

الرواية الرابعة للطبراني في معجمه الكبير وللبيهقي في دلائل النبوة وزيادتهما على رواية البخاري كلهم من رواية الزهري:

قال الطبراني... عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار، قال فأين أبوك؟ قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره

بالنار وسند رجاله رجال الصحيح.

وزاد الطبراني والبيهقي في دلائل النبوة: فأسلم الأعرابي بعد، فقال لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار.

الرواية الخامسة لابن ماجه ليس فيها حماد وإنما الزهري:

... عن الزهري عن سالم عن أبيه عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو؟ قال في النار قال فكأنه وجد من ذلك فقال يا رسول الله فأين أبوك قال رسول الله ﷺ حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار قال فأسلم الأعرابي بعد وقال لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار.

فتلاحظ عدداً من الروايات للحديث كان الجواب إن أبي وأباك في النار.

ومنها كان الجواب حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار.

فأصبح روايتان للجواب نحتاج للتوفيق بينهما فوجدنا الإمام الطحاوي والسيوطي

قالا:

قال أبو جعفر الطحاوي: وإن كان اختلافاً كما ذكر في هذين الحديثين فإنه ليس من رسول الله ﷺ وإنما هو من رواة هذين الحديثين والله أعلم بحقيقة الأمر في ذلك ما هو؟ وقال السيوطي فلماذا لا يحمل الجواب على اختلاف الرواة وخاصة أن له نظائر كثيرة في كتب السنة.

ترجيح رواية الزهري على رواية حماد التي يتمسك بها المعارض:

وجدنا أن الروايات التي يتمسك بها المعارض تدور حول رواية حماد إلا أن الروايات الأخرى تدور حول الزهري والزهري أعلم وأوثق من حماد بكثير بل الزهري أول من أسس وقعد علم الحديث بأمر من الخليفة عمر بن عبدالعزيز... والزهري هو التابعي أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب عاش أغلب

حياته في المدينة (٥٨-١٢٤هـ) شافه عشرة من الصحابة قال عنه الخليفة الراشد السادس عمر بن عبدالعزيز عليكم بابن شهاب هذا فإنكم لا تلقون أحداً أعلم بالسنة

الماضية منه.

وقال مالك كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد من العلماء حتى يخرج وهو مجمع على توثيقه وعدالته، أخرج له البخاري في صحيحه ١١٦٦ حديثاً ومسلم ٦٠٤ أحاديث وخرج له التسعة ٥٥٠٠ حديث وهو من أكثر رواة التابعين.

وبالتالي فإن رواية الزهري مقدمة على رواية حماد وتعتبر رواية حماد شاذة بالنسبة لرواية الزهري لأنه أوثق منه ولأن علماء الحديث يقولون كما هو معروف في تعريف الحديث الشاذ: مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه أو مخالفة الثقة للثقات بينما حماد وإن كان ثقة في ذاته إلا أن علماء الجرح أخذوا عليه مأخذ منها ما قاله الذهبي كما نقله الإمام السيوطي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ:

قال الذهبي: حماد ثقة له أوهام ومناكير كثيرة كانوا يقولون أنها دست في كتبه من ربيبه ابن أبي العوجاء^(١) وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم ومن ثم لم يخرج له البخاري فحديث معمر أثبت وقد وجدناه ورد بمثل رواية معمر من حديث سعد ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما كما في رواية البزار والطبراني في الكبير وابن ماجه بسند صحيح.... ثم قال السيوطي: ولو كان الجواب باللفظ الأول أي إن أبي وأباك في النار لم يكن فيه أمر بشيء البتة، أي أمر للأعرابي، فعلم أنه تصرف في الرواية وأن هذه الطريق في غاية الإلتقان^(٢).

ويقول محمد سويد ناقلاً عن العلامة محمد أبو زهرة حيث قال في كتابه خاتم النبيين

(١) من مناكيره: روايته لأحاديث التجسيم منها التي ذكرها السيوطي في التعظيم والمنة ص٤٠، حماد عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قرأ فلما تجلى ربه للجبل قال أخرج طرف خصره وضرب على إبهامه فساخ الجبل رواه أحمد والترمذي والحاكم وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال إنه لا يثبت وإنه مما دسه ربيبه عليه. انتهى.

أقول: ومن مناكيره ما جاء في كتاب الفتن كما أن الدس واللعب بالكتب أثناء استنساخها في القديم من قبل النساخ وتحقيقها في العصر الحديث من مذهب أهل الأهواء والبدع من المجسمة والباطنية وغيرهم ولذلك وجب التحقق والتحقيق ومن أمثله المشهورة وجود ما يسمى بالأحاديث الموضوعة فإذا كان الدس والكذب والاتراء وجد على رسول الله ﷺ فهو على غيره أولى وإلا فما فائدة طلب العلم إلا إظهار الحقائق والصدق في التحقيق.

(٢) تأكيد الأدلة على نجاته والدي النبي ﷺ من النار لمحمد نور سويد، ص ١١٢، ط/١٤٢٦هـ، دار التراث الإسلامي، القاهرة.

١ / ١٢٣: ولا شك أن الخبر الذي يقول إن أبا محمد عليه الصلاة والسلام في النار خبر غريب في معناه كما هو غريب في سنده لأن الله تعالى يقول ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء/١٥ وقد كان أبو محمد عليه السلام وأمه على فترة من الرسل فكيف يعذبون؟ إن هذا مخالف للحقائق الدينية لقد مات أحدهما قبل أن يبرز الرسول إلى الوجود ومات الأخرى وهو غلام لم يبعث رسولاً ولذلك كان الخبر الذي يقول أنهما في النار مردوداً لغرابة سنده أولاً ولبعد معناه عن الحقيقة ثانياً.

ولعل نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الاستغفار لأن الاستغفار لا موضع له إذ إنه لم يكن خطاباً بالتكليف من نبي مبعوث وليس كاستغفار إبراهيم لأبيه^(١) الذي نهى عنه لأن أبا إبراهيم قد خوطب برسالة إبراهيم فعلاً فهو مكلف أن يؤمن بالله ويكفر بالأوثان. ثم يتابع أبو زهرة قوله بطريقة فطرية سليمة وعقل مستنير وحجة قوية:

وفي الحق أنني ضرست في سمعي وفهمي عندما تصورت أن عبدالله وآمنة يتصور أن يدخل النار لأن عبدالله الشاب الصبور الذي رضي بأن يذبح لنذر أبيه^(٢) وتقدم راضياً ولما افتدته قريش استقبل الفداء راضياً وهو الذي كان عيوقاً عن اللهو والعبث وهو الذي برزت إليه المرأة تقول هيت لك فيقول لها أما الحرام فالممات دونه ولماذا يعاقب بالنار وهو لم تبلغه دعوة رسول ونفى الله تعالى العذاب إلا بعد أن يرسل رسولاً ولما تكن الرسالة قد وجدت ولم يكن الرسول قد بعث.

وأما الأم الرؤوم الصبور التي لاقت الحرمان من زوجها فصبرت ورأت ولدها يتيماً فقيراً فصبرت وحملته صابرة راضية في الذهاب إلى أخواله أيتصور عاقل أن تدخل هذه النار من غير أن يكون ثمة رسالة إلهية تهديها ودعوة إلى الوحداية توجهها.

(١) انظر لدقة العبارة (لأبيه) ولم يقل والده .

(٢) انظر إلى رضا عبدالله بالذبح وفاء لنذر والده وكان بإمكانه الهرب أو التمرد أو تأليب قريش على والده أو على أقل تقدير أن يعبر عن سخطه وعدم رضاه إلا أنه لم يفعل كل ذلك وكان نور النبوة الذي يحمله في جبينه يحس بوجوده ويطمئن إليه، ثم انظر إلى رضا سيدنا إسماعيل عليه السلام ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ الْكَمَةَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَارِ آيَاتٍ مُّبِينًا فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا بَنِيَّ أَعْمَلُوا لِمَ تُمْرُونَ سَبْحًا ۚ إِنَّ سَعَةَ اللَّهِ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ الصافات/١٠٢ أليس كلا الذبيحين من صنعة واحدة؟ ونسب واحد وتربية واحدة؟

ثم قال أبو زهرة بعد أن أيد حديث إحياء الوالدين الشريفين:

وخلاصة القول وهو ما انتهينا إليه بعد مراجعة الأخبار في هذه المسألة: إن أبي محمد عليه السلام في فترة، وإنهما كان قريبين إلى الهدى وإلى الأخلاق الكريمة التي جاء به شرع ابنهما من بعد وإنهما كانا على فترة من الرسل ونعقد أنه بمراجعة النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة لا يمكن أن يكونا في النار فأمه المجاهدة الصبور الحفية بولدها لا تمسها النار لأنه لا دليل على استحقاقها بل الدليل قام على وجوب الثناء عليها هي وزوجها الذبيح الطاهر.

وما انتهينا إلى هذا بحكم محبتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كنا نرجوها ونتمناها ولكن بحكم العقل والمنطق والقانون الخلقي المستقيم والأدلة الشرعية القويمة ومقاصد الشريعة وغايتها. انتهى.

وإني أعجبت كل الإعجاب لطريقة الإمام أبي زهرة في التحليل فهو ناقش الموضوع بطريقة أصولية حديثة عقلية فطرية بالإضافة إلى الحب والتقدير لرسول الله الأمين فهو لم يستطع أن يتقبل من أي ناحية وأية حجة أنهما في النار وأن ذلك مخالف لفهم النصوص ومقاصد الشريعة وروح التشريع والعدالة الإلهية ورحمتها وفضلها، فهل من مدكر^(١)!!

راجع إن شئت كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار من كتابنا هذا، وإن شئت المزيد فراجع كتاب محمد نور سويد فإنه قد جمع من الأدلة ما يدحض به الخصم.

(١) تأكيد الأدلة على نجاة والدي النبي صلى الله عليه وسلم من النار لمحمد نور سويد، ص ١٠١، ط ١٤٢٦هـ، دار التراث الإسلامي،

باب في المنفق والممسك

٢٩٠.... عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً.

قام ابن تيمية على منبر الجامع الأموي في دمشق يوم الجمعة خطيباً فقال إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر يريهم نزول الله تعالى نزولاً حقيقياً بكل ما للنزول من لوازم كالحركة والانتقال من العالي إلى السافل فعارضه فقيه مالكي... وأنكر عليه ما قال فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال...^(١).

فأهل العامة يعتقدون بنزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا! نعم، ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له^(٢).

فاحكم بنفسك أخي القارئ الكريم، وكن منصفاً في حكمك هل تقبل لربك النزول بنفسه كل ليلة أم تقبل بنزول الملائكة الذين خلقهم من أجل ذلك.

(١) كتاب رحلة ابن بطوطة لمحمد بن عبدالله الطنجي اللواتي، المتوفى ٧٧٩هـ، ص ٩٥، حكاية الفقيه ذي اللوثة، ط دار صادر، بيروت.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التهجيد، باب الدعاء والصلاة آخر الليل.

باب من جمع الصدقة

٢٩١... عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من أصبح منكم اليوم صائماً قال أبو بكر رضي الله عنه أنا قال فمن تبع منكم اليوم جنازة قال أبو بكر رضي الله عنه أنا قال فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً قال أبو بكر رضي الله عنه أنا قال فمن عاد منكم اليوم مريضاً قال أبو بكر رضي الله عنه أنا فقال رسول الله ﷺ ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة.

اعلم أن من الكراهة أن يخبر أبو بكر عن نفسه في قوله أنا وقد كرر ذلك مراراً. قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا﴾ الأنعام/١٦٠، وأما أن يجاهر بتلك الحسنة ويتصنع ويرائي في قوله ويجيب النبي وأمام الصحابة ويقول أنا أنا وفي كل مرة يقول أنا فلا أظن الحسنة ستضاعف عشر أمثالها، فنحن نعلم بأن النبي الأكرم قد بين لنا وأدبنا فأحسن تأديبنا في قوله وإرشاداته ووصاياه للأمة الاسلامية كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم بيمنه ما تنفق شماله...^(١)

فالنبي الأكرم كان يحرص على الصحابة بأن شمال الإنسان يجب أن لا تعلم كم درهماً تصدق بيمنه، فكيف بعلم جميع من كان مع النبي من الصحابة وقد علموا

(١) كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، وصحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وكتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، وكتاب الحدود، باب فضل من ترك الفواحش، وسنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله.

بتصدق أبي بكر ذلك اليوم ثم أليس من المحتمل أن في الصحابة من زار مريضاً ذلك اليوم ولكنه سكت ولم يجب النبي خوفاً من المراء أو استحياء من النبي الأكرم. ألم يكن من المحتمل أن في الصحابة من كان صائماً ذلك اليوم؟ ألم يكن في الصحابة من تصدق ذلك اليوم على مسكين ولكنه خاف أن يحبط عمله فسكت؟!!

ثم لماذا هذا الأسلوب لتلميح بعض الصحابة؟ وهل الفضائل تأتي وتكون على هذا النمط؟ ولماذا محاولة تلميح هذا الصحابي أو ذاك بطرق ملتوية كما نقرأ في الرواية التي نحن بصدددها أو نعطي فضيلة لصحابي عن طريق الرؤيا كما في كثير من الروايات؟ فأبو بكر في غنى عن مثل هذه الفضائل المختلفة الموضوعة فهو صحابي قريب من النبي ولصيق به حتى في الحروب وكفاه بذلك شرفاً وفضلاً أما أن ندعي له فضيلة ونطعن فيه من حيث لا نشعر فهذا ما لا نقبله.

باب النهي عن المسألة

٢٩٢... حميد بن عبدالرحمن بن عوف قال سمعت معاوية بن أبي سفيان وهو يخطب يقول إني سمعت رسول الله ﷺ يقول من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم ويعطي الله.

قال النووي: قوله ﷺ (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) فيه فضيلة العلم والتفقه في الدين والحث عليه وسببه أنه قائد إلى تقوى الله تعالى.

(وإنما أنا قاسم ويعطي الله) معناه أن المعطي حقيقة هو الله تعالى ولست أنا معياً وإنما أنا خازن على ما عندي ثم أقسم ما أمرت بقسمه على حسب ما أمرت به فالأمر كله بمشيئة الله تعالى وتقديره^(١).

يقول الأستاذ الدكتور لاشين: وفائدة هذه الجملة - أي قول معاوية - دفع توهم التسلط والتحكم في العطاء والمنع^(٢)!!

نعم يا دكتور لاشين، معاوية لا يحب التسلط والتحكم في العطاء والمنع!! يقول ابن تيمية: عن أبي الدرداء قال ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا يعني معاوية!!

(١) المجلد ٤، ص ٧، ص ١٣٥، ح ١٠٣٧.

(٢) فتح المنعم، ج ٤، ص ٣٩٤، ح ٢٠٨٠.

ويعقب ابن تيمة ويقول: فهذه شهادة الصحابة بفقهم ودينه...!!^(١)

ويقول: ومن المعلوم أن معاوية كان يعطي من يتألفه أكثر من عثمان ومع هذا فغاية ما أعطى الحسن بن علي مائة ألف أو ثلاثمائة ألف درهم وذكروا أنه لم يعط أحداً قدر هذا قط^(٢).

لاحظ أن ابن تيمة جعل معاوية فقيهاً وديناً وقد جعل الإمام الحسن عليه السلام من المؤلفين قلوبهم!

نعم، هذا ما يريد ابن تيمية أن يقول، فالسؤال هنا: هل أعطى جميع المسلمين قدر ما أعطى الإمام الحسن عليه السلام؟!^(٣)

والعجيب من شيخ النواصب أنه ينسى ما ذكره آنفاً فيقول في موضع آخر... ولكن لعلي من الفضائل الثابتة في الصحيحين وغيرها ومعاوية ليس له بخصوصه فضيلة في الصحيح^(٤).

أحاول أن أختصر، فأقل ما يقال في معاوية بن أبي سفيان أنه رئيس من دعا إلى النار يوم صفين وهو رأس الفئة الباغية الخارج على إمام زمانه وذلك كما وصفه النبي الأكرم حين قال لعمار (ويح عمار تقتله الفئة الباغية عمار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار)^(٥).

فمن يدعو إلى الله فإنه يدعو إلى الجنة وهذا ما كان من عمار وينطبق عليه وأما من يدعو إلى النار فهو من أهل النار وهذا ما كان من معاوية وحزبه وينطبق عليهم أيضاً وبعد خدعة رفع المصاحف من عمرو بن العاص وتحكيم الحكامين أعطى معاوية مصر لعمر بن العاص مكافأة له على خدعة رفع المصاحف وتمكين الأمر لمعاوية وتثبيتته في الحكم.

فأقول:

من يكون عطاؤه هكذا يعطي عمرو بن العاص ويقطع له مصر وما فيها ويحرم الغير

(١) منهاج السنة النبوية، المجلد ٢، ج ٣، ص ١٨٥، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٣) نفس المصدر السابق، ج ٤، ص ١١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الرأس.

من القوت يكون فقيها وقاسماً لمال الله بالحق والسوية والعدالة ولا يحب التسلط على الغير والتحكم فيهم؟!

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي:.... صلى بنا معاوية في النخيلة الجمعة في الضحى ثم خطب وقال ما قاتلنا لتصوموا ولا لتحجوا أو تزكوا قد عرفت أنكم تفعلون ذلك ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم^(١).

وقد حاول المحدثون اختلاق ووضع الفضائل في معاوية.

يقول ابن حجر: وأورد ابن الجوزي في الموضوعات بعض الأحاديث التي ذكرها ثم ساق عن إسحاق بن راهويه أنه قال لم يصح في فضائل معاوية شيء... عن طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل سألت أبي ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: أعلم أن علياً كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه كيداً منهم لعلي، فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له.

وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد! وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما^(٢).

ونحن نعلم أن النسائي دفع حياته ثمناً لقوله الحقيقة عندما أعلن أن ليس لمعاوية فضيلة كما ذكر المزني في كتابه تهذيب الكمال: قيل له: ألا تخرِّج فضائل معاوية؟ فقال: أي شيء أخرِّج، اللهم لا تشبع بطنه؟!

وفي رواية: فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه فضربوه في الجامع فقال أخرجوني إلى مكة فأخرجوه إلى مكة وهو عليل وتوفي بها مقتولاً شهيداً^(٣).

وفي تذكرة الحفاظ للذهبي عن محمد بن موسى المأموني صاحب النسائي وقال فيه سمعت قوماً ينكرون على أبي عبد الرحمن كتاب الخصائص لعلي عليه السلام وتركه تصنيف فضائل الشيخين فذكر له ذلك فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن علي بها كثير فصنفت

(١) ج ٣، ص ١٤٧، ترجمة ٢٥.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج ٧، ص ١٣١، ح ٣٧٦٦.

(٣) تهذيب الكمال للمزني، ج ١، ص ٣٣٩، ترجمة ٤٨.

كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم الله^(١).

وفيه: أن النسائي خرج من مصر في آخر عمره إلى دمشق فستل بها معاوية وما جاء من فضائله فقال ألا يرضى رأساً برأس حتى يفضل؟ قال: فما زالوا يدفعون في خصييه حتى أخرج من المسجد ثم حمل إلى مكة فتوفي بها^(٢).

ألا يدل كل ذلك على أن الإعلام الأموي كان مؤثراً في أهل الشام وانتقلت تلك العدوى إلى أصحاب الحديث الذين يلهثون وراء الدنيا فقاموا بتلميع تلك الموضوعات المختلفة وزينوها في أعين الناس وروّجوها في كتبهم رغم معرفتهم بأن جميع ما جاء في معاوية من فضائل لم يصح منه شيء، والأنكى من ذلك أن أئمة الحديث قد حولوا المطاعن والمثالب إلى مناقب لمعاوية!!

ويكفي أن البخاري عندما أراد أن يذكر ترجمة معاوية جاء بكلمة ذكر معاوية ولم يقل مناقب معاوية أو فضائل معاوية!

ويقول الأستاذ الدكتور لاشين: أن معاوية لم يكن من المتسلطين على رقاب المسلمين وما كان يحب التحكم فيهم ولا في عطائهم!!

قال الذهبي: عن أبي سعيد: إذا رأيت معاوية على منبري فاقتلوه^(٣)!

وقال ابن عساكر: عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال إذا رأيت معاوية على هذه الأعواد فاقتلوه.

قال: فقام إليه رجل من الأنصار وهو يخطب بالسيف فقال أبو سعيد ما تصنع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا رأيت معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه فقال له أبو سعيد إنا قد سمعنا ما سمعت ولكننا نكره أن يسلم السيف على عهد عمر حتى نستأمره فكتبوا إلى عمر في ذلك فجاء موته قبل أن يجيء جوابه^(٤).

نعم هذا الفقيه الذي لا يحب التسلط والتحكم في العطاء وكان مجتهداً أيضاً في

(١) تذكرة الحفاظ، المجلد ١، ج ٢، ص ١٩٤، ترجمة ٧١٩، الطبقة العاشرة.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٩٥.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٤٩، ترجمة ٢٥.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج ٥٩، ص ١٥٦، ترجمة ٧٥١.

تغيير سنة النبي الأكرم فابتدع من الأحكام في الشريعة كما سننبتن بعضها باختصار وذلك خوفاً من الإطالة.

١. ابتدع الأذان في العيدن؁ عن الزهري قال لم يؤذن للنبي ﷺ ولا لأبي بكر ولا لعمر ولا لعثمان في العيدن حتى أحدث ذلك معاوية بالشام^(١).

وقال ابن حجر العسقلاني في شرحه فتح الباري: اختلف في أول من أحدث الأذان فيها... فروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب أنه معاوية^(٢).

وقال ابن أبي شيبة في مصنفه:... عن أبي ذر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية^(٣).

٢. معاوية يترك البسملة والتكبير أيضاً!

ففي كتاب الأم للشافعي: عبيد بن رفاعه عن أبيه أن معاوية قدم المدينة فصلى بهم فلم يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر إذا خفض وإذا رفع فناداه المهاجرون حين سلم والأنصار أن يا معاوية سرقت صلاتك أين بسم الله الرحمن الرحيم وأين التكبير إذا خفضت وإذا رفعت فصلى بهم صلاة أخرى فقال ذلك فيها الذي عابوا عليه^(٤).

وفي المقابل نرى أن الإمام علي عليه السلام كان حريصاً على السنة النبوية؁ يقول الرازي في تفسيره: إن علياً عليه السلام كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعيماً في إبطال آثار علي عليه السلام^(٥).

٣. معاوية يأمر بسب الإمام علي عليه السلام.

ففي صحيح مسلم... عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما منعك أن تسب أبا التراب فقال أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول

(١) الأم لمحمد بن إدريس الشافعي المتوفى ٢٠٤هـ المجلد ١؁ ج ١؁ ص ٢٣٥؁ من قال لا أذان للعيدن؁ ط ١٣٩٣هـ؁ دار المعرفة؁ بيروت.

(٢) فتح الباري؁ ج ٢؁ ص ٥٤٩؁ باب المشي والركوب إلى العيد من كتاب العيدن.

(٣) المصنف؁ ج ٧؁ ص ٢٥٩؁ ح ٣٥٨٦٦.

(٤) الأم؁ المجلد ١؁ ج ١؁ ص ١٠٨؁ باب القراءة بعد التوعد.

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي؁ ج ١؁ ص ٢٠٦؁ الجهر بالبسملة في الصلاة.

الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له علي يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله ﷺ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي وسمعتة يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتناولنا لها فقال ادعوا لي علياً فأنتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه وفتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ آل عمران/ ٦١ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلي^(١).

يقول الأستاذ الدكتور لاشين: (أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً) المأمور به محذوف لصيانة اللسان عنه والتقدير أمره بسب علي ﷺ وكان سعد قد اعتزل الفتنة - حرب علي مع خصومه - ولعله اشتهر عنه الدفاع عن علي.

(فقال ما منعك أن تسب أبا التراب)؟ معطوف على محذوف والتقدير أمر معاوية سعداً أن يسب علياً فامتنع فقال له ما منعك؟

ويحاول النووي تبرئة معاوية من هذا السوء فيقول قال العلماء الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي يجب تأويلها قالوا ولا يقع في روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه وإنما سأله عن السبب المانع له من السب كأنه يقول هل امتنعت تورعاً أو خوفاً أو غير ذلك، فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السب فأنت مصيب محسن وإن كان غير ذلك فله جواب آخر ولعل سعداً كان في طائفة يسبون فلم يسب معهم وعجز عن الإنكار عليهم فسأله هذا السؤال قالوا ويحتمل تأويلاً آخر أن معناه ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا، وأنه أخطأ. انتهى.

ويعقب الأستاذ الدكتور فيقول: وهذا تأويل واضح التعسف والبعد، والثابت أن معاوية كان يأمر بسب علي وهو غير معصوم فهو يخطئ ولكننا يجب أن نمسك عن انتقاص أي من أصحاب رسول الله ﷺ وسب علي في عهد معاوية صريح...^(٢).

(١) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ؑ.

(٢) فتح المنعم، ج ٩، ص ٣٣٢، ح ٥٤١٣.

وفي رواية عن سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم علياً فأبى سهل فقال له أما إذا أبيت فقل لعن الله أبا التراب فقال سهل ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي التراب... الحديث^(١).

ومن موبقاته أيضاً: دعا معاوية الناس إلى بيعة ابنه يزيد من بعده وجعله ولي عهده...^(٢).

وكان معاوية يقول: لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي^(٣).

الحاصل أن من بوائق معاوية سبه علياً عليه السلام على المنابر غير مكثرث بما قاله النبي الأكرم في حق الإمام (من سب علياً فقد سبني) وقد أمر الخطباء في كل بقعة من الأرض وعلى كل منبر بلعن الإمام وسبه وشتمه كما قرأت أخي الكريم فإن ما ذكرناه لك في الصفحات السابقة ما هو إلا غيض من فيض.

أحاول أن أختتم: جاء في المستدرک على الصحيحين: عبدالله الجدلي قال دخلت على أم سلمة رضي الله عنها فقالت لي أيسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم فقلت معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سب علياً فقد سبني. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد^(٤).

وذكر الحافظ السيوطي: أنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب عليه السلام بما سنه لهم معاوية^(٥).

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ٥.

(٢) الرد على المتعصب الغنيد لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المتوفى ٥٩٧هـ، ص ٣١، ط ١٤٠٣هـ.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٣٤.

(٤) ج ٣، ص ١٢١، كتاب معرفة الصحابة ومن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٥.

(٥) نقلاً عن النصائح الكافية لمن يتولى معاوية لمحمد بن عقيل العلوي المتوفى ١٣٥٠هـ، ص ٩٨، ط ١٣٨٥هـ، مطبعة

النعمان، النجف.

باب كراهة المسألة

٢٩٣.... عن حمزة بن عبدالله بن عمر أنه سمع أباه يقول قال رسول الله ﷺ ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم.

٢٩٤.... عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ويستغني به من الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن تعول.

٢٩٥.... قيس بن أبي حازم قال أتينا أبا هريرة فقال قال النبي ﷺ والله لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيبيعه ثم ذكر بمثل حديث بيان.

٢٩٦.... عن أبي عبيد مولى عبدالرحمن بن عوف أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب فيحملها على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل رجلاً يعطيه أو يمنعه.

أقول: هذه الروايات التي يرويها أبو هريرة ألا يعلم أنه هو المعني بعينه بها؟!

هذه الروايات التي كررها النبي الأكرم في مناسبات عديدة لماذا؟

لكي يمتنع ويرتدع بعض الصحابة أمثال هذا الدوسي ومن في وجهه بقايا حياء من الاستجداء والتسول ومد يد الذل والاعتماد على الغير هذا الذي قدم إلى النبي الأكرم بعد الانتهاء من معركة وفتح خيبر وكان له من العمر ثلاثون سنة وليس به أي عاهة فلم يعمل

بيديه وفضل الجلوس على دكة الصفة لعل هذا يطعمه وذاك يسقيه إلى أن دخل أهل
البحرين الإسلام فبعثه النبي ﷺ مع المسلمين وذلك ليخفف وطأته على الصحابة في
المدينة ولعله يعمل بيديه هناك لذا تخلص منه ولو لفترة وجيزة، وسوف نوافيك بالمزيد
لاحقاً.

باب لو أن لابن آدم واديين

٢٩٧.... عن أنس قال قال رسول الله ﷺ لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب.

٢٩٨.... عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال لو كان لابن آدم واد من ذهب أحب أن له وادياً آخر ولن يملأ فاه إلا التراب والله يتوب على من تاب.

٢٩٩.... عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول لو أن لابن آدم ملء واد ملاً لأحب أن يكون إليه مثله ولا يملأ نفس ابن آدم إلا التراب والله يتوب على من تاب قال ابن عباس فلا أدري أمن القرآن هو أم لا وفي رواية زهير قال فلا أدري أمن القرآن لم يذكر ابن عباس.

٣٠٠.... عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبيه قال بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاث مائة رجل قد قرؤوا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتفسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وإنما كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أنني قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أنني حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة.

قال الأبى في شرحه إكمال إكمال المعلم: قوله (فأنسيتها غير أنني حفظت منها

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) يحتمل أنها إحدى السور المتلوة الآن أنسيها وبقي منها في حفظه الآية المنسوخة.

النسخ في القرآن على ثلاثة أقسام ما نسخ حكمه وبقي لفظه وهو أكثر المنسوخ وما نسخ لفظه وحكمه (كتلاث رضعات يحرمن) وما نسخ لفظه وبقي حكمه كالذي يذكر من آية الرجم وأنسى الله من ذلك ما شاء لحكمة أرادها وانقطع النسخ بموته ﷺ وتأمل فإن ما يذكره الصحابة مما نسخ من ذلك فإنما يأتون به على وجه المعنى وبعض اللفظ ويشهد لذلك أنه ليس على أسلوب القرآن الكريم وبلاغته^(١).

أقول:

إن أهل العامة قد أجازوا الرواية بالمعنى في الأحاديث الشريفة وهنا قد أجازوا قراءة القرآن بالمعنى أيضاً!
لاحظ قول الأشعري (إنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتهما)!

فعلى ضوء قوله يتبين أن ما قرأه كان ضمن سورة كاملة ولكنه نسيها ولم يتذكر إلا هذه الآيات فقط وكذلك يقول كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة وهل سورة براءة كانت أطول مما هو الموجود في مصاحفنا اليوم؟!

ولو كانت هذه السورة أطول مما هي عليه الآن فهل كانت أطول من سورة البقرة؟! ولو لم تكن كذلك فلماذا الأشعري لم يمثل السورة بسورة البقرة ومن يقول ويعتقد بكلام الأشعري وما جاء في الروايات التي نحن بصددنا فإنه يقول بالتحريف ويقر به! لأن القرآن قد وقع فيه النقص وذلك لأن الصحابة قد نسوا آياتها، وقد ذكرنا في كتابنا كشف المتواري بعض أقوال أهل العامة في التحريف وسنذكر منها الشيء اليسير:

جاء في صحيح البخاري:.... قال ابن عباس ؓ كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في الجاهلية فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت (ليس عليكم جناح أن

(١) ج ٣، ص ٥٣٠، ح ١٠٥٠.

تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج^(١).

قال ابن حجر في شرحه: ... (لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج)، قال: فحدثني عبید بن عمیر أنه كان يقرأها في المصحف! وروى الطبري بإسناد صحيح عن أيوب عن عكرمة أنه كان يقرأها كذلك^(٢)!
أقول:

إن أهل العامة اتهموا الشيعة بتحريف القرآن، هذا بالإضافة إلى قولهم أن عند فاطمة عليها السلام مصحفاً أو قرآناً يختلف عن مصحف المسلمين والذي بين أيدينا اليوم. فلنرجع إلى ما يقوله علماء الشيعة في ذلك ونحکم عقولنا، ونترك التعصب جانباً ونذعن لمن يأتي بالأدلة على أن القرآن الذي بين أيدينا هو القرآن المنزل على نبينا عليه السلام. يقول الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه:

اعتقادنا في القرآن أنه كلام الله ووحيه، وتنزيله، وقوله، وكتابه. وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه القصص الحق، وأنه قول فصل، وما هو بالهزل، وأن الله تعالى محدثه ومنزله، وحافظه، وربّه^(٣).
ويقول أيضاً:

اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد عليه السلام هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة... ومن نسب إلينا أننا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب^(٤).

إذن، فنحن نرد على من يقول بالتحريف وبقوة، فإن القرآن الذي بين أيدينا اليوم هو الذي نزل على نبينا الأكرم، فلا زيادة فيه ولا نقصان.
قال شيخ الطائفة في تفسيره التبيان في تفسير القرآن:

(١) كتاب الحج، باب التجارة أيام الموسم والبيع.

(٢) فتح الباري، ج ٣، ص ٧٢٦، ح ١٧٧.

(٣) الاعتقادات، باب الاعتقاد في القرآن، ص ٨٣-٨٤، ١٤١٣هـ، ط١، مطبعة مهر.

(٤) نفس المصدر السابق، ص ٨٤.

... وأما الكلام في زيادته ونقصانه، فمما لا يليق به أيضاً، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه، فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى رضوان الله عليه^(١).
هذا هو ما نعتقد به وهو خلاصة القول في ذلك.

في حين أننا نرى أهل العامة يقولون ويصرحون بالتحريف! وفي أمهات كتبهم، ومنها هذا الصحيح الذي نحن بصده وهو البخاري! فإنه يقول بالتحريف وما أكثر ما في صحيحه من آيات محرفة، لم ينزل الله بها على رسوله الكريم! نذكر بعضاً منها:

١... عن ابن عباس قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام فكأنهم تأثموا فيه فنزلت (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج)، قرأها ابن عباس^(٢).

لاحظ جملة في (مواسم الحج) فإنها لا توجد في القرآن الذي بين أيدينا اليوم!

٢. عن أنس بن مالك... قال: دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة، ثلاثين غداة، على رعل وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال أنس أنزل في الذين قتلوا ببئر معونة قرآناً قرأناه، ثم نسخ بعد: (بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه)^(٣)!

هذا هو التحريف بعينه. فنحن لا نؤمن بهذه الآيات، وهي ليست من القرآن لم تنزل ولم تُنسخ.

٣. عن ابن عباس قال: قال عمر... أقرؤنا أبي وأقضانا علي وإنا لندع من قول أبي وذلك أن أياً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد قال الله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾^(٤)!

(١) لمحمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠هـ، المجلد ١، ص ٣، فصل في ذكر جمل لابد من معرفتها، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا.

(٣) كتاب الجهاد والسير، باب ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله.

(٤) كتاب التفسير، باب قوله ما ننسخ من آية أو ننسأها.

يقول ابن حجر ما ننسخ من آية أو ننسأها أي نؤخرها، انتهى.

والصحيح «أَوْئُنِيهَا».

فماذا يقول أهل العامة هنا وفي هذه الرواية؟! فلا وجود للنسخ هنا^(١)!

(١) كشف المتواري في صحيح البخاري لمحمد جواد خليل، ج١، ص٣٢٧، كتاب الحج، باب التجارة أيام الموسم والبيع، ح٢٠٣، ط١/١٤٢٨هـ، مؤسسة البلاغ، بيروت.

باب إعطاء المؤلفات قلوبهم

٣٠١... عن أبي التياح قال سمعت أنس بن مالك قال لما فتحت مكة قسم الغنائم في قريش فقالت الأنصار إن هذا لهو العجب إن سيفونا تقطر من دمائهم وإن غنائمنا ترد عليهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجمعهم فقال ما الذي بلغني عنكم قالوا هو الذي بلغك وكانوا لا يكذبون قال أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا إلى بيوتهم وترجعون برسول الله إلى بيوتكم لو سلك الناس وادياً أو شعباً وسلكت الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار.

٣٠٢... عن هشام بن زيد بن أنس عن أنس بن مالك قال لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بذرايرهم ونعمهم ومع النبي ﷺ يومئذ عشرة آلاف معه الطلقاء فأدبروا عنه حتى بقي وحده قال فنأدى يومئذ ندائين لم يخلط بينهما شيئاً قال فالتفت عن يمينه فقال يا معشر الأنصار قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك قال ثم التفت عن يساره فقال يا معشر الأنصار قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك وهو على بغلة بيضاء فنزل فقال أنا عبد الله ورسوله فانهمز المشركون وأصاب رسول الله ﷺ غنائم كثيرة فقسم في المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً فقالت الأنصار إذا كانت الشدة فنحن ندعى وتعطى الغنائم غيرنا فبلعه ذلك فجمعهم في قبة فقال يا معشر الأنصار ما حديث بلغني عنكم فسكتوا فقال يا معشر الأنصار أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون بمحمد تحوزونه إلى بيوتكم قالوا بلى يا رسول الله رضينا قال فقال لو سلك

الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لأخذت شعب الأنصار قال هشام فقلت يا أبا حمزة أنت شاهد ذلك قال وأين أغيب عنه.

٣٠٣... عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس:

أُتْجَمَلُ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعَبِيدِ
بَيْنَ عَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
فَمَا كَانَ بَدْرٌ وَلَا حَابِسٌ
يَفُوقَانِ مَرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا
وَمَنْ تَخْفِضُ الْيَوْمَ لَا يَرْفَعُ

قال فأتى له رسول الله ﷺ مائة.

٣٠٤... عن عبدالله بن زيد أن رسول الله ﷺ لما فتح حنيناً قسم الغنائم فأعطى المؤلفه قلوبهم فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس فقام رسول الله ﷺ فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي ومتفرقين فجمعكم الله بي ويقولون الله ورسوله أمن فقال ألا تجيبوني فقالوا الله ورسوله أمن فقال أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا وكان من الأمر كذا وكذا لأشياء عددها زعم عمرو أن لا يحفظها فقال ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والإبل وتذهبون برسول الله إلى رحالكم الأنصار شعار والناس دثار ولولا الهجرة لكنت امرأة من الأنصار ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض.

٣٠٥... عن أبي وائل عن عبدالله قال لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة مثل ذلك وأعطى أناساً من أشرف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة فقال رجل والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله قال فقلت والله لأخبرن رسول الله ﷺ قال فأتيته فأخبرته بما قال قال فتغير

وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله قال ثم قال يرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر قال قلت لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً.

٣٠٦. عن شقيق عن عبد الله قال قسم رسول الله ﷺ قسماً فقال رجل إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله قال فأتيت النبي ﷺ فساررتة فغضب من ذلك غضباً شديداً واحمر وجهه حتى تمنيت أني لم أذكره له قال ثم قال قد أودى موسى بأكثر من هذا فصبر.
هذه الأحاديث جاء فيها ذكر توزيع غنائم حنين.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في فتح المنعم: إن رسول الله ﷺ أخرج تقسيم الغنائم وحبسها أربعين يوماً حتى عاد من حصار الطائف^(١).

ويقول: خرج رسول الله ﷺ بجيش لم يسبق للمسلمين، اثني عشر ألفاً من الرجال بخيل وإبل وسلاح يبعث على الغرور حتى قال رجل منهم لن نغلب اليوم عن قلة فكانت هزيمة المسلمين وفرارهم^(٢).

وقال القرطبي في شرحه المفهم: إنكم ستلقون بعدي أثرة... أي يستأثر عليكم فيفضل غيركم نفسه عليكم في الفياء^(٣).

يقول ابن كثير: قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿التوبة/ ٢٥-٢٧﴾.

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه أن خروج رسول الله ﷺ إلى هوازن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم خمس عشرة ليلة....

(١) ج ٤، ص ٤٣٣، ح ٢٢١٢٣ و ٢١٢٥ و ٢٢١١٣.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) ج ٣، ص ١٠٤، ح ٩٢٦.

وقال الواقدي: خرج رسول الله ﷺ إلى هوازن لست خلون من شوال فأنتهى إلى حنين في عاشره.

وقال أبو بكر الصديق: لن تغلب اليوم من قلة! فانهمزوا فكان أول من انهزم من بنو سليم ثم أهل مكة ثم بقية الناس^(١).

ويقول: قال ابن إسحاق ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة فكانوا اثنا عشر ألفاً.

قلت: وعلى قول عروة والزهري وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين الذين سار بهم إلى هوازن أربعة عشر ألفاً لأنه قدم بإثني عشر ألفاً إلى مكة على قولهم وأضيف إليهم ألفان من الطلقاء.

وذكر ابن إسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوال، قال: واستخلف على أهل مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموي.

قلت: وكان عمره إذ ذاك قريباً من عشرين سنة.

قال: ومضى رسول الله ﷺ يريد لقاء هوازن.

ويقول:... فخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله ﷺ إليها فأعدوا وتهيئوا في مضائق الوادي وأحنائه، وأقبل رسول الله وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد.

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين يقول أين أيها الناس هلموا إلي أنا رسول الله أنا رسول الله أنا محمد بن عبدالله.

قال: فلا شيء وركبت الإبل بعضها بعضاً فلما رأى رسول الله ﷺ أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته علي بن أبي طالب وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب والفضل بن العباس وقيل الفضل بن أبي سفيان وأيمن بن أم أيمن وأسامة بن زيد ومن الناس من يزيد فيهم قثم بن العباس ورهط من المهاجرين

(١) السيرة النبوية لإسماعيل بن كثير، ج ٣، ص ٦١٠، غزوة هوازن يوم حنين، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

منهم أبو بكر وعمر والعباس أخذ بحكمة بغلته البيضاء وهو عليها قد شجرها، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه إذا أدرك طعن برمحه وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه.

قال فبينما هو كذلك إذ هو له علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه قال فيأتي علي من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوق علي عجزه ووثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله.

قال: واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأساري مكتفين عند رسول الله ﷺ....

قال ابن إسحاق: والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وكان ممن صبر يومئذ وكان حسن الإسلام حين أسلم وهو أخذ بثفر بغلة رسول الله ﷺ فقال من هذا قال ابن أمك يا رسول الله.

قال ابن إسحاق ولما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة الأعراب بما في أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان صخر بن حرب - يعني وكان إسلامه بعد مدخولاً وكانت الأزمات بعد معه يومئذ - قال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر! وصرخ كلدة بن جبلة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعني لأمه - وهو مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ: ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن^(١).

ويقول الواقدي:.... عن الزهري قال افتتح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة مضت من رمضان وأنزل الله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قالوا وكان فتح مكة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان فأقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة يصلي ركعتين ثم غدا يوم السبت لست ليال خلون من شوال واستعمل على مكة عتاب بن أسيد يصلي بهم ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقه.

قالوا: وخرج رسول الله ﷺ في اثني عشر ألفاً من المسلمين عشرة آلاف من أهل

(١) نفس المصدر السابق، ص ٦١٩.

المدينة والفين من أهل مكة فلما فصل قال رجل من أصحابه لو لقينا بني شيبان ما
باليينا ولا يغلبنا اليوم أحد من قلة، فأنزل الله ﷻ في ذلك ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ التوبة/٢٥ الآية.

قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم عن موسى بن عقبة عن الزهري عن سعيد بن
المسيب قال قال أبو بكر الصديق ﷺ يا رسول الله لا تغلب اليوم من قلة فأنزل الله ﷻ
في ذلك ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ﴾ الآية^(١).

ويقول البيهقي: ... عن الربيع أن رجلاً قال يوم حنين لن تغلب اليوم من قلة فشق ذلك
على رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ قال الربيع
وكانوا اثني عشر ألفاً منهم ألفان من أهل مكة^(٢).

ويقول محمد بن عبد الوهاب:

غزوة حنين

قال ابن إسحاق: لما سمعت هوازن بالفتح - أي فتح مكة - جمعها مالك بن عوف
النصري مع هوازن ثقيف كلها، فلما أجمع مالك السير إلى رسول الله ﷺ ساق مع الناس
أموالهم ونساءهم وذرائعهم فلما نزل بأوطاس اجتمعوا إليه وفيهم دريد بن الصمة
الجشمي وهو شيخ كبير ليس فيه إلا رأيه وكان شجاعاً مجرباً فقال بأي واد أنتم قالوا
بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرر ولا سهل دهن مالي أسمع رغاء البعير
ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء؟ قالوا ساق مالك مع الناس أبناءهم ونساءهم
وأموالهم قال أين مالك فدعي له فقال إنك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم له ما
بعده من الأيام فلم فعلت هذا قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم
قال راعي ضأن والله وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه
ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا
لم يشهدا منهم أحد قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم يغيبوا ولوددت

(١) كتاب المغازي لمحمد بن عمر الواقدي، المتوفى ٢٠٧هـ، ج ٣، ص ٨٩٠، غزوة حنين، ط طهران.

(٢) دلائل النبوة لأحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨هـ، ج ٥، ص ١٢٤، باب غزوة حنين، ١/١٤٠٥هـ، دار الكتب

العلمية، بيروت.

أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب فمن شهدها قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر قال
ذاتك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة -
بيضة هوازن - إلى نحور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعليا قومهم ثم ألق
الصُّبَاء على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك وإن كانت عليك ألفاك ذاك
وقد أحرزت أهلك ومالك.

قال والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن
على هذا السيف حتى يخرج من ظهري وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأي.

قالوا: أطعناك فقال دريد هذا يوم لم أشهده ولم يفتني.

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع

ثم قال مالك إذ رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد ثم بعث
عينوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالها من الرعب والهلع فقال لهم ويلكم ما شأنكم
قالوا رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى فوالله ما رده ذلك
عن وجهه أن مضى على ما يريد ولما سمع بهم رسول الله ﷺ بعث إليهم عبدالله بن حدرد
الأسلمي، وأمره أن يداخلهم حتى يعلم علمهم فانطلق فداخلهم حتى علم ما هم عليه
فأتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر.

فلما أراد المسير ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً وهو يومئذ مشرك
فقال له يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً فقال أغصباً يا محمد قال بل
عارية مضمونة حتى نؤديها إليك فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح.

فخرج ﷺ ومعه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم
مكة فكانوا إثني عشر ألفاً واستعمل عتاب بن أسيد على مكة فلما استقبلوا وادي حنين
انحدروا في واد من أودية تهامة أجوف في عماية الصبح قال جابر وكانوا قد سبقونا إليه
فكمنوا في شعابه ومضايقه قد تهيئوا فوالله ما راعنا إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل
واحد فانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم
قال أيها الناس أنا رسول الله أنا محمد بن عبدالله وبقي معه نفر من المهاجرين وأهل بيته

فاجتلد الناس فوالله ما رجعت الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسرى عند رسول الله ﷺ.
وكانوا حين رأوا كثرتهم قالوا لن نغلب اليوم عن قلة فوقع بهم ما وقع ابتلاء من الله
لقولهم ذلك.

قال ابن إسحاق ولما وقعت الهزيمة تكلم رجال من جفاعة أهل مكة بما في أنفسهم
من الضغن فقال أبو سفيان لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وصرخ جبلة بن الحنبل ألا بطل
السحر اليوم فقال له أخوه صفوان بن أمية وكان بعد مشركاً - اسكت فض الله فاك فوالله
لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن.

وذكر ابن إسحاق عن شيبه بن عثمان الحجبي قال لما كان يوم الفتح قلت أسير مع
قريش إلى هوازن لعلي أصيب من محمد غرة فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها
وأقول لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا تبعه ما اتبعته أبداً.

فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته وأصلت السيف فدنوت أريد ما أريد
ورفعت سيفي حتى كدت أسورة فرفع لي شواط من نار كالبرق كاد أن يمحشني فوضعت
يدي على بصري خوفاً عليه فالتفت إلي رسول الله ﷺ فناداني يا شيب ادن مني فدنوت
منه فمسح صدري ثم قال اللهم أعذه من الشيطان فوالله لهو كان ساعتئذ أحب إلي من
سمعي وبصري ونفسي ثم قال ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي الله يعلم أنني أحب
أن أقيه بنفسي ولو لقيت تلك الساعة أبي لأوقعت به السيف فجعلت ألزمه فيمن ألزمه
حتى تراجع الناس وكروا كرة رجل واحد وقربت بغلة رسول الله ﷺ فاستوى عليها وخرج
رسول الله ﷺ في أثرهم حتى تفرقوا [في كل وجه] ورجع رسول الله ﷺ إلى معسكره
فدخل خبائه فدخلت عليه ما دخل عليه غيري حباً لرؤية وجهه وسروراً به فقال يا شيب
الذي أراد الله لك خير من الذي أردت لنفسك.

قال العباس: إني لعم رسول الله ﷺ - وكنت امرأةً جسيماً شديد الصوت - فقال
رسول الله ﷺ - حين رأى ما رأى من الناس - : إلي أيها الناس أنا النبي لا كذب أنا ابن
عبدالمطلب فلم أر الناس يلوون على شيء، فقال أي عباس اهتف بأصحاب السمرة
فناديت يا أصحاب السمرة! يا أصحاب سورة البقرة فكان الرجل يريد أن يرد بعيره فلا
يقدر فيأخذ سلاحه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت فاتوا من كل ناحية

ليبيك حتى إذا اجتمع إلى رسول الله ﷺ مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا فكانت الدعوة أولاً يا للأنصار يا للأنصار ثم خلصت الدعوة يا لبني الحارث بن الخزرج وكان صبراً عن الحرب.

وفي صحيح مسلم ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بها وجه القوم ثم قال انهزموا ورب محمد فما هو إلا أن رماهم فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مديراً.

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس وبعث رسول الله ﷺ في أثر من توجه نحو أوطاس أبا عامر الأشعري فأدرك بعضهم فناوشوه القتال فهزمهم الله تعالى وقتل أبو عامر فأخذ الراية أبو موسى الأشعري فلما بلغ الخبر رسول الله ﷺ قال اللهم اغفر لأبي عامر وأهله واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك.

وأمر رسول الله ﷺ بالسبي والغنائم أن تجمع وكان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألفاً والغنم أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة فاستأنى بهم رسول الله ﷺ.

وأمر رسول الله ﷺ أن يقدموا موالين مسلمين بضع عشرة ليلة ثم بدأ بالأموال فقسّمها وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس فأعطى أبا سفيان مائة من الإبل وأربعين أوقية وأعطى ابنه يزيد مثل ذلك وأعطى ابنه معاوية مثل ذلك وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه وذكر ابن إسحاق أصحاب المائة وأصحاب الخمسين.

ثم أمر زيد بن ثابت بإحصاء الغنائم والناس ثم فضها على الناس.

قال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لما أعطى رسول الله ﷺ من أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء وجدت الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم لقي والله رسول الله قومه فدخل عليه سعد بن عباد فذكر له ذلك فقال فأين أنت من ذلك يا سعد قال يا رسول الله ما أنا إلا من قومي قال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا أتاه سعد فأخبره فاتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال

يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي قالوا الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله والله ولرسوله المن والفضل.

قال أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتُم آتينا مُكذِّباً فصدقتك ومخذولاً فنصرناك وطريداً فأويناك وعائلاً فأسيناك أوجدتم علي يا معشر الأنصار! في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون أنتم برسول الله إلى رحالكم فولذي نفس محمد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك الناس شعباً ووادياً وسلكت الأنصار شعباً ووادياً سلكت شعب الأنصار ووادياً الأنصار شعار والناس دثار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار قال فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً ثم انصرف رسول الله صلى الله وسلم وتفرقوا.

وقدمت الشيماء بنت الحارث - أخت رسول الله ﷺ - من الرضاعة فقالت يا رسول الله أنا أختك فبسط لها رداءه وأجلسها عليه وقال إن أحببت فعندي مكرمة وإن أحببت أن امتنعك وترجعني إلى قومك فقالت بل تمتعني وتردني إلى قومي ففعل وأسلمت فأعطاه ثلاثاً أعبد وجارية ونعماً وشاء^(١).

ويقول أحمد دحلان في السيرة: وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولى الناس وبقيت معه في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ورسول الله ﷺ على بغلته لم يمش قدماً، وكان العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ أخذاً بلجام يكلها أن تتقدم في نحو العدو وجاء في رواية: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أخذاً باللجام فلعله كان يمسكه هو تارة والعباس تارة، وكان أبو سفيان بن الحرث وهو ابن عم النبي ﷺ ورضي عنه أخذاً بركابه رضي الله عنه.

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ لمحمد بن عبد الوهاب الهالك ١٢٠٦هـ، ١/١٤١٣هـ، مكتبة دار البيان.

قال عليه السلام لما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي ويدي السيف مصلتاً والله يعلم أني أريد الموت دونه عليه السلام وهو ينظر إلي فقال له العباس عليه السلام يا رسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه.

فقال عليه السلام غفر الله له كل عداوة عادانيتها قال ثم التفت إلي وقال يا أخي فقبلت رجله في الركاب وقال عليه السلام فيه: أبو سفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة وفي رواية سيد فتيان أهل الجنة وكان النبي عليه السلام يركض ناحية هوازن ويقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب وأخذ كفاً من تراب فرماه في وجوههم وقال شأهت الوجوه فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ الله عينيه من تلك القبضة.

وجاء في بعض الروايات أنه حين أراد تناول التراب حادت به بغلته ومال به السرج وكان ابن مسعود رضي الله عنه قريباً منه قال فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفاً من تراب فناولته فضرب به وجوههم فامتلات تراباً وقيل إنه نزل عن بغلته وأخذ التراب بيده.

وفي رواية قال للعباس ناولني من الحصباء فألهم الله البغلة فانخفضت به حتى كاد بطنها ليمس الأرض فتناول من البطحاء فحنا في وجوههم وقال شأهت الوجوه حم لا ينصرون، وعن مالك بن أوس قال حدثني عدة من قومي شهدوا ذلك اليوم يقولون لقد رمى رسول الله عليه السلام تلك الرمية من الحصى فما منا أحد إلا شكى القذى في عينيه ولقد كنا نجد في صدورنا خفقا كوقع الحصى في الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان.

وعن يزيد بن عامر السوائي وكان حضر ذلك اليوم فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيظن فيقول إنا كنا نجد في أجوافنا مثل هذا وعن أبي عبدالرحمن الفهري قال حدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا لم يبق منا أحد إلا امتلات عيناه وفمه تراباً وسمعنا صلصلة من السماء كإمرار الحديد على الطست وهذا الرمي وقع في هذه الغزوة وفي غزوة بدر وفي ذلك قال الله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله:

ورمى بالحصى فأقصد جيشاً ما العصا عنده وما الإلقاء

وعن عبدالرحمن بن مولى عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن

وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم ونحن في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء فإذا هو رسول الله ﷺ فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شأهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمتنا وركبوا أكتافنا ولما رأى رسول الله ﷺ ما رأى من الهزيمة صار يقول إلي أيها الناس إلي.

قال الراوي للحديث: فلم أر الناس يلوون على شيء فقال ﷺ لعمة العباس (رضي الله عنه) اصرخ يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة يعني الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان وفي رواية اصرخ يا للمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ويا للأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ وكان العباس (رضي الله عنه) رفيع الصوت حتى جاء أنه كان يسمع صوته من مسافة ثمانية أميال وفي رواية قال له ناد يا أصحاب البيعة يوم الحديبية يا أصحاب سورة البقرة.

وفي لفظ ناد يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بني الخزرج ولا تنافي بين الروايات لاحتمال تكرار قول النبي ﷺ له وتكرر ندائه وإنه نادى بكل تلك الألفاظ وفي رواية إنه ﷺ نادى بنفسه أيضاً بعد نداء العباس فالتفت عن يمينه فقال يا معشر الأنصار فقالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ثم التفت عن يساره فقال يا معشر الأنصار فقالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك وفي رواية فأجابوه لبيك لبيك نحن معك يا رسول الله وصار الرجل منهم إذا لم يطاوعه بغيره على الرجوع أي لم ينقد معه بسهولة انحدر عنه وتركه ورجع وسيفه وترسه معه يؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ قال بعض الرواة ما شبهت عطفة الأنصار على رسول الله ﷺ إلا عطفة الإبل وفي رواية لفظ عطفة البقر على أولادها وفي رواية قبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها^(١).

أقول:

معركة حنين كان السبب الرئيسي لهزيمة المسلمين فيها قول من قال (والله لن تغلب اليوم عن قلة) أو من قلة كما جاء في بعض الروايات وقوله ذلك كان غروراً عندما رأى كثرة جيش المسلمين فعاقب الله تعالى المسلمين بالهزيمة أول الأمر. ثم متى كانت الغلبة بالكثرة؟! أليس الله جل وعلا قال في كتابه الكريم: ﴿كَم مِّن

(١) السيرة النبوية لأحمد بن زيني دحلان، ج ٢، ص ٣١٣، غزوة حنين، ط ١٤٢١/٢هـ، دار الفكر بيروت.

فَكَتَمَ قَلِيلًا غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ يَا ذَنْنُ اللَّهِ وَاللَّهِ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿البقرة/ ٢٤٩﴾.

الم ينتصر المسلمون في معركة بدر على المشركين وكان عدد المشركين ثلاثة أضعاف المسلمين؟

ثم من هذا القائل (لن نغلب اليوم عن قلة) والذي بسببه عاقب الله تعالى المسلمين؟! اتفق المؤرخون على أن القائل هو أبو بكر فلماذا يحاول البعض أن يموهه على القارئ في قوله (قال رجل) ولماذا لم يصرح باسمه؟!

وزاد الطين بلة ابن عبدالوهاب حين قال (وكانوا حين رأوا كثرتهم قالوا (لن نغلب اليوم عن قلة))!!

نعم.. لقد أشرك هذا الناصبي المسلمين جميعاً مع أبي بكر في قوله وغروره! ألا تلاحظ أخي القارئ الكريم أن أهل العامة في خجل من قول أبي بكر لذا ترى البعض منهم لا يصرح باسمه وكأن أبا بكر قد أخطأ في قوله ذلك؟!

قال الطبري في تفسيره: وروي أن النبي ﷺ قال ذلك اليوم لن نغلب اليوم من قلة. وقيل قال رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ^(١).

لاحظ أخي الكريم لقد نسب الطبري هذا القول للنبي الأكرم وهو قول كما تعلم ينم عن العجب والتكبر وحاشا لرسولنا الأكرم أن يقول مثل ذلك وهل يعقل أن يصدر مثل هذا القول ممن كان متصلاً بالملا الأعلى وكان متكلاً على الله في جميع أموره وشئون حياته وكيف يصدر منه ذلك وهو الذي أدبنا وعلمنا أن نتوكل على الله في حلنا وترحالنا؟ قال تعالى ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ الأنفال/ ٦٥.

وقال تعالى ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ يَا ذَنْنُ اللَّهِ وَاللَّهِ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿ الأنفال/ ٦٦﴾، فعلى ضوء هذه الآيات محال أن يكون ذلك القول قد صدر من نبينا الأكرم!

ويقول الطبري (وقيل قال رجل) يريد أن يموهه على القارئ بإخفاء اسم أبي بكر.

قال الزمخشري في تفسيره: قال رجل من المسلمين (لن نغلب اليوم من قلة) فساءت

(١) جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري، ج ١٠، ص ١١٤، ط ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

رسول الله ﷺ وقيل قائلها رسول الله ﷺ وقيل أبو بكر^(١).

نرى أهل العامة تارة ينسبون القول إلى الرسول الأكرم وتارة ينسبون القول إلى أبي بكر وتارة أخرى ينسبون القول إلى رجل!

إذن.. الشبهات تحوم حول ابن أبي قحافة لا غيره، فنقول أن ابن أبي قحافة كان السبب الرئيسي في فرار الصحابة من أثر ذلك الغرور والعجب فجاء العقاب الإلهي الفوري بسبب ذلك كما ذكرنا.

جاء في صحيح البخاري: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله ما هن؟ قال الشرك بالله... والتولي يوم الزحف...^(٢).

قال القسطلاني في شرحه: التولي يوم الزحف، أي الإعراض والفرار يوم القتال في الجهاد^(٣).

وجاء في صحيح مسلم عن جابر قال كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فبايعناه وعمر أخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة وقال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت.

وفي رواية لم نبايع رسول الله على الموت إنما بايعناه على أن لا نفر^(٤).

أقول:

لقد تمت البيعة تحت الشجرة والتي سميت ببيعة الرضوان بين النبي الأكرم والصحابة الكرام على أن لا يفروا من ساحات الوغى وعند لقاء العدو وهذا هو شرط البيعة، نعم، وكانت هذه البيعة في السنة الثامنة من الهجرة، ونزلت الآية الكريمة في ذلك ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح/١٨.

اعلم أخي الكريم أن هذه الآية الكريمة نزلت قبل فتح مكة ونحن نعلم أن فتح مكة

(١) تفسير الكشاف لجار الله محمود الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ، ج ٢، ص ٢٥٩، سورة التوبة: ٢٥، ط البلاغة.

(٢) كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رمي المحصنات.

(٣) إرشاد الساري، ج ١٤، ص ٣١٥، ح ٦٨٥٧.

(٤) كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش.

كان قبل معركة حنين، فعندما فر الصحابة في حنين كانوا قد نقضوا شروط البيعة!!
إذن أقول إن الرضا عن الصحابة الألف والأربعمئة الذين بايعوا النبي الأكرم تحت
الشجرة كان رضاً آنياً وقتياً وليس أبدياً وإلى الممات!
فتأمل ذلك، وكذلك الرضا كان عن المؤمنين منهم فقط فليس كل من بايع كان
مؤمناً!

وفي البخاري كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد: يوم الحديبية أرسل أهل مكة
عروة بن مسعود نيابة عنهم ليشاور النبي الأكرم قبل كتابة الصلح فقال عروة (أي محمد
أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله قبلك وإن تكن
الأخرى فإني والله لأرى وجوها وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك فقال
له أبو بكر امصص ببظر اللات أنحن نفر عنه وندعه...")، الحديث.
أقول:

يتبين لنا أن عروة هذا ليس بالرجل أو الوسيط الهين وكانت قريش صائبة في اختيارها
لهذا الوسيط وكان عروة على علم ودراية تامة بالصحابة وكأن من عادتهم الفرار، لذا قال
عروة للنبي الأكرم إن هؤلاء سيخذلونك ويدعونك في ساحة القتال وحيداً فريداً وهذا ما
كان من الصحابة يوم حنين، وقد صدق عروة في قوله ذلك!!

باب ذكر الخوارج

٣٠٧... عن جابر بن عبدالله قال أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس فقال يا محمد اعدل قال ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعذل لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعذل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية.

٣٠٨... عن أبي سعيد الخدري قال بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله ﷺ فقسما رسول الله ﷺ بين أربعة نفر الأقرع بن حابس الحنظلي وعيينة بن بدر الفزاري وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نهان قال فغضبت قريش فقالوا أتعطي صنديد نجد وتدعنا فقال رسول الله ﷺ إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم فجاء رجل كثر اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين نائئ الجبين مخلوق الرأس فقال اتق الله يا محمد قال فقال رسول الله ﷺ فمن يطع الله إن عصيته أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني قال ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد بن الوليد فقال رسول الله ﷺ إن من ضئضى هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد.

٣٠٩... عبد الرحمن بن أبي نعم قال سمعت أبا سعيد الخدري يقول بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها قال فقسما بين أربعة نفر بين عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع إما علقمة بن علاثة وإما عامر بن الطفيل فقال رجل من أصحابه كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء قال فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً قال فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كثر اللحية مخلوق الرأس مشمر الإزار فقال يا رسول الله اتق الله فقال ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله قال ثم ولي الرجل فقال خالد بن الوليد يا رسول الله ألا أضرب عنقه فقال لا لعله أن يكون يصلي قال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله ﷺ إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم قال ثم نظر إليه وهو مقف فقال إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية قال أظنه قال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود.

٣١٠... حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع بهذا الإسناد قال وعلقمة بن علاثة ولم يذكر عامر بن الطفيل وقال نأتى الجبهة ولم يقل ناشز وزاد فقام إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا رسول الله ألا أضرب عنقه قال لا قال ثم أدبر فقام إليه خالد سيف الله فقال يا رسول الله ألا أضرب عنقه قال لا فقال إنه سيخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله ليناً رطباً وقال قال عمارة حسبته قال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود وحدثنا ابن نمير حدثنا ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع بهذا الإسناد وقال بين أربعة نفر زيد الخير والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل وقال ناشز الجبهة كرواية عبد الواحد وقال إنه سيخرج من ضئضئ هذا قوم ولم يذكر لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود.

٣١١... أبا سعيد الخدري قال بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل قال رسول الله ﷺ ويلك ومن يعدل إن لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أعدل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول

الله ائذن لي فيه أضرب عنقه قال رسول الله ﷺ دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر على رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه فلا يوجد فيه شيء وهو القدح ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تتدردر يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد فأشهد أنني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت.

باب التحريض على قتل الخوارج

٣١٢... عن سويد بن غفلة قال قال علي إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أحرَّ من السماء أحب إلي من أن أقول عليه ما لم يقل وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة سمعت رسول الله ﷺ يقول سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة.

٣١٣... أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب وزهير بن حرب قالوا حدثنا أبو معاوية كلاهما عن الأعمش بهذا الإسناد وليس في حديثهما يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

٣١٤... عن محمد بن عبيدة عن علي قال ذكر الخوارج فقال فيهم رجل مخدج اليد أو مودن اليد أو مثدون اليد لولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ قال قلت أنت سمعته من محمد ﷺ قال إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة.

٣١٥... سلمة بن كهيل حدثني زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي ﷺ الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي ﷺ أيها الناس إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا

صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تكلوا عن العمل وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرايكم وأموالكم والله إنني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس فسيروا على اسم الله قال سلمة بن كهيل فنزلني زيد بن وهب منزلاً حتى قال مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخارج يومئذ عبدالله بن وهب الراسبي فقال لهم ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أن ينشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم قال وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلاً فقال علي ﷺ التمسوا فيهم المخدج فالتمسوه فلم يجده فقام علي ﷺ بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض قال آخروهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبر ثم قال صدق الله وبلغ رسوله قال فقام إليه عبدة السلماني فقال يا أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ فقال إي والله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له.

قال الأبى في شرحه: قوله (لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل)... والمعنى خبت وخسرت أنت إن لم أعدل أنا لأنك تقتدي بي.

قوله (فقال عمر) وفي الآخر: ((إن الذي استأذنه في ذلك خالد)) وليس باختلاف، إذ قد يكون استأذناه واحداً بعد واحد....

قوله (لا يجاوز حناجرهم) أي لا تفهمه قلوبهم وإنما حظهم منه التلاوة فقط، والحنجرة الحلق إذ بها تقطع الحروف أو يكون المعنى لا يصعد لهم عمل.

قوله (كما يمرق السهم من الرمية) الرمية الصيد الذي يرمى... والمعنى يخرجون من الإسلام خروج السهم من الرمية إذا أدخل من جهة ونفذ من الأخرى.

قوله في الآخر (بعث علي وهو باليمن) قلت: اليمن فتح في زمنه ﷺ....

قوله (بذهبة) رويناه عن الجميع بفتح الذال، وعن ابن ماهان بضمها على التصغير.
قوله (كث اللحية) أي كثيرها، الوجنة لحم الخد... وناتئ هو بالهمز والجبين جانب
الجبهة ولكل إنسان جبينان يكتنفان الجبهة.

قوله (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان) قلت من عجيب أمرهم ما يأتي
أنهم خرجوا من الكوفة منابذين لعلي عليه السلام لقوا في طريقهم مسلماً وكافراً فقتلوا المسلم
وقالوا (احفظوا ذمة نبيكم في الذمي).

قوله (قتل عاد) أي قتلاً مستأصلاً، كما قال تعالى ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ الحاقة/8،
إذا خرج الخوارج أو غيرهم من أهل الأهواء وشقوا عصا المسلمين ونصبوا راية الخلاف
وجب قتالهم إجماعاً بعد الإعذار إليهم في الرجوع إلى الجماعة لقوله تعالى ﴿فَقَتَلُوا
الَّذِي تَبَعِي﴾ الحجرات/9، الآية، ولكن لا يجهز على جريحهم ولا يتبع منهزمهم ولا يقتل
أسراهم ولا تسبى أموالهم.

قال مالك إلا أن يخاف عودتهم فيفعل بهم ذلك، وما أصيب منهم في حين القتال
من نفس أو مال فالمال جبار والدم هدر.

واختلف هل ينتفع بدوابهم وسلاحهم في حين القتال؟ أباحه أبو حنيفة، ومنعه
غيره، وهذا كله على القول بعدم كفرهم، وأما على القول بكفرهم فيفعل بهم جميع
ذلك...⁹

ويقول: قوله (يخرج من ضئضئ هذا) قيل: بهذا اللفظ سماوا الخوارج، وقيل بل
بخروجهم عن الجماعة، وقيل بل خروجهم عليها ومعنى (رطب) سهل....
قوله (إلى نصله إلى رصافه) النصل حديدة السهم والرصاف بكسر الراء والصاد
المهملة مدخل السهم يقال منه سهم مرصوف.

قوله (فيتمارى في الفوقة) الفوق الحز الذي يدخل فيه الوتر والتماري في الفوقة فيه
معجزة لأنه إشارة إلى ما وقع فيهم من الخلاف بين الأمة في تكفيرهم وكادت مسألة
التكفير أن تكون أشكل مسائل علم الكلام.

(1) إكمال إكمال المعلم، ج 3، ص 563، ح 1164.

قوله (ثم ينظر إلى نضيه) وهو القدح، (ثم ينظر إلى قذذه) النصل حديدة السهم، والقدح عوده والقذذ ريشه والبصيرة طريقة الدم، والنضي بالنون وكسر الضاد قد فسره بالقدح والمعنى أن الرامي ينظر إلى هذه الأشياء من سهمه هل علق بها شيء من الدم فيستدل بها على إصابة الرمية.

قوله في الآخر (مثل البضعة تدردر) البضعة بفتح الباء القطعة من اللحم ومعنى تدردر تضطرب تذهب وتجيء.

قلت: يأتي أن علياً عليه السلام لما وجده ووجد إحدى عضديه كالبضعة كانت تلك البضعة تمد فتمتد إلى أن تحاذي كفه الآخر ثم تترك فترجع إلى منكبه.

قوله (على حين فرقة) يروى بفتح الخاء المعجمة وبالراء ويروى بكسر الحاء المهملة وبالنون وكلاهما صحيح. المعنى لأن خروجهم كان عند اختلاف علي ومعاوية وهو خير قرن وأفضله أو يكون خير فرقة علي وأصحابه لأن عليهم خرجوا حقيقة، وفيه إشارة لعدم كفرهم ولأهل السنة والجمهور أن علياً مصيب في قتاله لا سيما مع قوله عليه السلام (يقتلهم أولى الطائفتين بالحق) وعلي هو الذي قتلهم...^(١)

ويقول:

وفي رواية... (سيماهم التحالق) أي حلق الرأس، سيما العلامة وفيها القصر والمد. وفي رواية... (شر الخلق أو من أشر الخلق) إثبات الألف في الشر لغة قليلة. ويحتج بالحديث من يقول بكفرهم ويجب الآخر بحملهم على أنه لعلهم بانوا بديارهم ودعوا إلى بدعتهم وقتلهم إنما هو حد على بدعتهم، والقتل حداً ثبت في مواضع ويشهد لعدم كفرهم قوله في حديث خالد لعله أن يكون يصلي وتأول الجمهور قوله (شر الخلق) بأنهم شر المسلمين.

وفي رواية... (يكون في أمتي فرقتان فيخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاها بالحق) نص في أن علياً عليه السلام هو المصيب المحق وإن أصحاب معاوية بغاة وإن الطائفتين مؤمنون فلا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون، هذا مذهبا.

(١) نفس المصدر السابق، ص ٥٦٩.

قلت: كان الشيخ يقول: الصحبة حصنت علي ومعاوية يعني في وجوب التأويل عنه بأنه مجتهد!!

وذكر الغزالي عن بعضهم: أنه رأى في منامه القيامة قد قامت، وأحضر علي ومعاوية ثم بعد زمان انصرف علي وهو يقول حكم لي ورب الكعبة ثم انصرف بعده معاوية وهو يقول غفر لي ورب الكعبة!!

قلت: ولا بد من بيان خروج المارقة من بينهما إذ به تظهر وتتضح معجزته ﷺ في إخباره بمغيب وقع على نحو ما أخبر...^(١)

ويقول الأستاذ الدكتور لاشين: (وتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرايكم وأموالكم) كلام علي ﷺ لجيشه على طريق الاستفهام الإنكاري التوبيخي أي لا ينبغي ولا يصح أن يحصل ذلك يقصد المبادرة بقتالهم قبل قتال معاوية وأهل الشام^(٢).

قال القسطلاني في شرحه إرشاد الساري: الذين خرجوا عن الدين وعلى علي بن أبي طالب ﷺ وذلك لأنهم أنكروا عليه التحكيم الذي كان بينه وبين معاوية... وكانوا ثمانية آلاف وقيل أكثر من عشرة آلاف وفارقوه فأرسل إليهم أن يحضروا فامتنعوا حتى يشهد على نفسه بالكفر! لرضاه بالتحكيم وأجمعوا على أن من لا يعتقد معتقدهم يكفر ويباح دمه وماله وأهله! وانتقلوا إلى الفعل! فكانوا يقتلون من مر بهم من المسلمين! فقتلوا عبدالله بن الأرت! وبقروا بطن سريته! فخرج علي ﷺ عليهم فقتلهم بالنهروان فلم ينج منهم إلا دون العشرة ولم يُقتل ممن معه إلا دون العشرة.

ثم انضم إليهم من مال إلى رأيهم ولما ولي عبدالله بن الزبير الخلافة ظهروا بالعراق مع نافع بن الأزرق وباليمامة مع نجدة بن عامر، فزاد نجدة على مذهبهم أن من لم يخرج لمحاربة المسلمين فهو كافر! وتوسَّعوا حتى أبطلوا رجم المحصن! وقطعوا يد السارق من الإبط! وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال الحيض!! ومنهم من أنكر الصلوات الخمس وقال الواجب صلاة بالغداة وصلاة بالعشي! ومنهم من جَوَّزَ نكاح بنت الإبن

(١) نفس المصدر السابق، ص ٥٧١.

(٢) فتح المنعم، ج ٤، ص ٤٤٧، ح ٢١٤٧.

والأخت! ومنهم من أنكر سورة يوسف من القرآن!!

... وكان ابن عمر... يراهم أي الخوارج شرار خلق الله!

وعند البزار بسند حسن عن عائشة... قالت: ذكر رسول الله ﷺ الخوارج فقال هم شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي.

قال علي أي ابن أبي طالب... وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة... أوضح أن عنده في هذه القصة نصاً صريحاً خوف أن يظن به أن ذلك من باب التعريض والتورية.

إيمانهم حناجرهم... جمع حنجرة الحلقوم والبلعوم أي يؤمنون بالنطق لا بالقلب. يمرقون يخرجون من الدين... (كما يمرق) يخرج السهم من الرمية... الشيء الذي يرمى به يعني أن دخولهم في الإسلام ثم خروجهم منه ولم يتمسكوا منه بشيء كالسهم الذي دخل في الرمية ثم يخرج منها ولم يعلق به شيء منها.

فأيما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة.

ويقول القسطلاني:

قوم تحقرون... أي تستقلون صلاتكم مع صلاتهم... يصومون النهار ويقومون الليل. يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم فلا تَفَقَّهه قلوبهم ولا ينتفعون بما يَتَلَوْنَهُ منه.

فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله... وهو حديدة السهم.

إلى رصافه... العصب الذي يكون فوق مدخل النصل، أي ينظر إليه جملة وتفصيلاً.

فيتمارى... يشك.

في الفوقه... موضع الوتر من السهم.

هل علق... بها من الدم شيء، فكَذَلِكَ قرائتهم لا يحصل لهم منها شيء من الثواب لا أولاً ولا آخراً ولا وسطاً لأنهم تأولوا القرآن على غير الحق.

قال ابن بطال: ذهب جمهور العلماء إلى أن الخوارج غير خارجين من جملة

آيتهم، علامتهم.

رجل إحدى يديه... مثل ثدي المرأة... مثل البضعة... أي القطعة من اللحم.
تدردر... أي تتحرك وتجيء وتذهب.

ولمسلم... وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد ليس له ذراع على رأس عضده مثل
حلمة الثدي عليه شعرات بيض.

وقال أبو سعيد الخدري... وأشهد أن علياً عليه السلام قتلهم بالنهروان وأنا معه.

جيء بالرجل الذي قال عليه السلام فيه (إحدى يديه مثل ثدي المرأة) على النعت الذي نعته
النبي عليه السلام، أي على الوصف الذي وصفه.

وفي رواية أفلح فالتمسه علي فلم يجده ثم وجده بعد ذلك تحت جدار على هذا
النعت.

وعند الطبري... فقال علي اطلبوا ذا الثدية، فطلبوه فلم يجده فقال: ما كذبت وما
كذبت فطلبوه فوجدوه في وهدة من الأرض عليه ناس من القتلى فإذا رجل على يده مثل
سلات السنور فَكَبَّرَ عَلِيٌّ والناس.

قال... ابن كثير قال قتادة وذكر لنا أن رجلاً من أهل البادية... أتى نبي الله عليه السلام وهو
يقسم ذهباً وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت فقال نبي
الله عليه السلام ويملك فمن ذا يعدل عليك بعدي؟ ثم قال نبي الله عليه السلام احذروا هذا وأشباهه فإن في
أمتي أشباه هذا يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم فإذا خرجوا فاقتلوهم، ثم إذا خرجوا
فاقتلوهم، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم!!^(٢)

أقول:

في قصة هؤلاء الخوارج والحديث عنهم طويل، ولكن نأخذ ما قاله ابن عمر عنهم:
قال عبدالله بن عمر كما مر عليك في الصفحات السابقة من الشرح وما نحن بصده:

(١) إرشاد الساري، ج٤، ص٤٠٨، ح٦٦٩٣١، باب قتل الخوارج والملحد من كتاب استتابة المرتدين .

(٢) نفس المصدر السابق، ص٤١٢ .

هم شرار خلق الله!

وطالما أنهم شرار خلق الله والنبي ﷺ قد حَذَّرَ المسلمين منهم، وأنهم خارجون عن دائرة الإسلام، وأنهم شرار أمته يقتلهم خيار أمته، وقال فيهم النبي الأكرم أيضاً:
لأن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد، وفي رواية قتل ثمود.

كل ذلك وكل تلك الصفات السيئة فيهم وكل تلك البشارات لمن يقاتلهم، فكيف كان ابن عمر جليس بيته ولم يشارك في قتالهم في حين أن الإمام علياً عليه السلام وصحبه الكرام كانوا في قتال شديد مع هؤلاء الخارجين عن الدين.

ولا ننسى أيضاً ما قرأناه بأنه ذهب جمهور العلماء بأن الخوارج غير خارجين من جملة المسلمين!

أقول:

هم لم يُسَمَّوا بالخوارج إلا لأنهم خرجوا عن الدين ومن الدين! وقد قرأت ما قاله فيهم النبي الأكرم وكيف أنه يأمر بقتالهم وقتلهم في حين يقول جمهور العلماء بأنهم مسلمون!

فهل أباح النبي دم المسلم؟!!

لماذا أباح جمهور العلماء دماء المرتدين كما يدعي أهل العامة ذلك في زمن أبي بكر في حين أنهم كانوا يصلون ويصومون وأخرجوهم عن دائرة الإسلام والمسلمين؟! ومن جانب آخر نراهم هنا يُقَرُّون أن الخوارج من جملة المسلمين وهم غير خارجين عن هذه الدائرة!

جاء في المعجم الأوسط للطبراني أن عمار بن ياسر قال لسعد بن أبي وقاص ما لك لا تخرج مع علي أما سمعت رسول الله ﷺ قال يخرج قوم من أمتي يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلهم علي بن أبي طالب، قالها ثلاث مرار، قال إي والله لقد سمعته! ولكني أحببت العزلة! حتى أجد سيفاً يقطع الكافر وينبو عن المؤمن!^(١)

(١) ج ٤، ص ٦٩-٧٠، حديث ٣٦٣٤، من اسمه سهل، ط ١٤١٥هـ، دار الحرمين، القاهرة.

أقول:

إن عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه يعني بذلك إنك يا سعد قد سمعت كل ذلك فلماذا لا تخرج مع الإمام علي في حربه يوم الجمل - أو صفين - وذلك لإحدى الحسينيين إما لكسب الأجر ونصر دين الله ﷺ وإما للشهادة، ألا يحتمل أن يكون أهل الجمل هم الذين عناهم النبي بالخوارج؟!

ثم ألا يحتمل أن جيش معاوية في معركة صفين هم الذين عناهم النبي بالخوارج مثلاً؟!

ومن يقول النبي الأكرم فيهم أنه لو أدركهم لقاتلهم فمعنى ذلك أن الذين كانوا مع الإمام في قتالهم لهؤلاء الخوارج قد أخذوا الأجر الجزيل والثواب الكثير.. في حين نرى أن من الصحابة من لم يخرج لقتال هؤلاء مثل ابن عمر الذي كان جليس بيته حينئذ وقد حُرِّمَ من ذلك الأجر، وكذلك سعد بن أبي وقاص.

وحديث النبي وتوعدده إياهم - أي الخوارج - يدلنا على أن هؤلاء لا دين لهم وهم أصحاب باطل ومن أهل النار لا محالة.

وماذا يقول شيخ النواصب ابن تيمية عن الخوارج؟

إنه يمتدحهم ويقول فيهم في مناجاه: إن الخوارج كانوا عُباداً متورِّعين... فأين هؤلاء الرافضة من الخوارج^(١).

ويقول أيضاً: الخوارج كلهم يُكفِّرون علياً مع أنهم أعلم وأصدق وأدين من الرافضة^(٢).

فطالما أن الخوارج يكفرون الإمام علياً عليه السلام فأين الصدق في قولهم كما يدعي شيخ النواصب ذلك؟!!

ويقول: أن سيوفهم - أي الخوارج - أقوى من سيوف الشيعة ودينهم أصح وهم

(١) منهاج السنة النبوية: المجلد ٢، ج ٣، ص ٣٩، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٥٧.

صادقون لا يكذبون^(١).

أعيد وأقول: أين صدقهم في قولك أنهم لا يكذبون؟! ففي عقيدتهم وقولهم بأن علياً قد كفر (!) ما هو إلا دلالة على كذبهم فيما يدعون!!

طبعاً لا يخفى على القارئ الكريم أن اتهام صحابي جليل بالكفر لهو أشد من سبه!
وابن تيمية يأخذ على الشيعة سبهم للصحابة، فنحن نسأل ابن تيمية: ما حكم من يكفر الصحابة عندك؟! أو يقدر فيهم وينتقصهم!!؟

ويقول: الخوارج أعقل وأصدق وأتبع للحق!! من الراضة^(٢)!

ويقول في صفحة ١٢١ من الجزء الرابع: فهو أولى - أي علي عليه السلام - بمن قاتل عليها حتى غلب وسفكت الدماء بسبب المنازعة التي بينه وبين منازعه ولم يحصل بالقتال لا مصلحة الدين ولا مصلحة الدنيا ولا قوتل في خلافته كافر ولا فرح مسلم!!

وأقول:

إن النبي الأكرم يشير في الحديث إلى الخوارج وأنهم أهل باطل ويجب قتالهم وقتلهم وابن تيمية يمتدحهم بأوصاف وألقاب على عكس ما وصفهم به رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم.
نكتفي بهذا القدر خوفاً من الإطالة.

(١) نفس المصدر السابق: ص ٢٢٩.

(٢) نفس المصدر السابق: المجلد ٢، ج ٤، ص ٧٠.

باب الدعاء لمن أتى بصدقته

٣١٦... حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد وإسحاق بن إبراهيم قال يحيى أخبرنا وكيع عن شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن أبي أوفى وحدثنا عبيد الله بن معاذ واللفظ له حدثنا أبي عن شعبة عن عمرو وهو ابن مرة حدثنا عبد الله بن أبي أوفى قال كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صلي عليهم فأتاه أبي أبو أوفى بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى.

قال النووي في شرحه صحيح مسلم: قوله (كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فأتاه أبي أبو أوفى بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى) هذا الدعاء وهو الصلاة امتثال لقول الله ﷻ ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ومذهبنا المشهور ومذهب العلماء كافة أن الدعاء لدافع الزكاة سنة مستحبة ليس بواجب وقال أهل الظاهر هو واجب وبه قال بعض أصحابنا حكاه أبو عبد الله الحناطي بالحاء المهملة واعتمدوا الأمر في الآية قال الجمهور الأمر في حقنا للندب لأن النبي ﷺ بعث معاذاً وغيره لأخذ الزكاة ولم يأمرهم بالدعاء وقد يجيب الآخرون بأن وجوب الدعاء كان معلوماً لهم من الآية الكريمة وأجاب الجمهور أيضاً بأن دعاء النبي وصلاته سكن لهم بخلاف غيره واستحب الشافعي في صفة الدعاء أن يقول آجرك الله فيما أعطيت وجعله طهوراً لك وبارك لك فيما أبقيت وأما قول الساعي اللهم صل على فلان فكرهه جمهور أصحابنا وهو مذهب ابن عباس ومالك وابن عيينة وجماعة من السلف وقال جماعة من العلماء ويجوز ذلك بلا كراهة

لهذا الحديث قال أصحابنا لا يصلى على غير الأنبياء إلا تبعاً لأن الصلاة في لسان السلف مخصوصة بالأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم كما أن قولنا بِرَسُولِهِ مخصوص بالله سبحانه وتعالى فكما لا يقال محمد بِرَسُولِهِ وإن كان عزيزاً جليلاً لا يقال أبو بكر بِرَسُولِهِ وإن صح المعنى واختلف أصحابنا في النهي عن ذلك هل هو نهى تنزيه أم محرم أو مجرد أدب على ثلاثة أوجه الأصح الأشهر أنه مكروه كراهة تنزيه لأنه شعار لأهل البدع وقد نهينا عن شعارهم والمكروه هو ما ورد فيه نهى مقصود واتفقوا على أنه يجوز أن يجعل غير الأنبياء تبعاً لهم في ذلك فيقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته وأتباعه لأن السلف لم يمنعوا منه وقد أمرنا به في التشهد وغيره قال الشيخ أبو محمد الجويني من أئمة أصحابنا السلام في معنى الصلاة ولا يفرد به غير الأنبياء لأن الله تعالى قرن بينهما ولا يفرد به غائب ولا يقال قال فلان بِرَسُولِهِ وأما المخاطبة به لحي أو ميت فسنة فيقال السلام عليكم أو عليك أو سلام عليك أو عليكم^(١).

وقال الأستاذ الدكتور لاشين في فتح المنعم: اللهم صل على آل أبي أوفى... لما كان المطلوب الدعاء للمتصدق وليس الدعاء للآل قيل إن لفظ (آل) هنا زائد مقحم وقيل إن الآل قد يذكر ويرد ذات الشخص كما قيل ذلك في حديث أبي موسى الأشعري لقد أوتي مزاراً من مزامير آل داود فقد قيل إن المراد من آل داود، داود نفسه^(٢).

واعلم أخي الكريم بأن معنى الصلاة الدعاء، هذا باختصار.

ورد في صحيح البخاري:.... أخبرني أبو حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله ﷺ قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد^(٣).

قال القسطلاني في شرحه: (قولوا اللهم صل على محمد صلاة تليق به) (وأزواجه

(١) المجلد ٤، ج ٧، ص ١٩١، ح ١٠٧٨.

(٢) ج ٤، ص ٤٧٩، ح ٢١٧٠.

(٣) كتاب بدء الخلق، باب يرفون النسلان في المشي.

وذريته) نسله أولاد بنته فاطمة ﷺ الصلاة تليق بهم^(١).

قد يقول قائل إن الصلاة على محمد وآل محمد ليست من خصائص آل محمد فقد صلى النبي على آل أبي أوفى أيضاً فكان ابن أبي أوفى مشاركاً لآل النبي بهذه الفضيلة.
أقول:

إن النبي الأكرم لم يقل ولم يأمر الصحابة أن يصلوا على آل أبي أوفى بل اكتفى بنفسه الصلاة عليهم أي الدعاء لهم وكذلك لم يقل النبي ولم يأمر المسلمين إلى يومنا هذا بأن يجعلوا الصلاة على آل أبي أوفى في تشهدهم بالصلاة ولكنه جعل الصلاة على محمد وآل محمد في تشهد المسلمين في صلاتهم والتي تسمى الصلاة الإبراهيمية وهذه كتب أهل العامة بين أيدينا فلنر ماذا قال النبي في آل بيته، ومن هم أهل بيته الذين عناهم النبي في التشهد ولنذكر الشيء اليسير عما نحن بصده.

يقول ابن حجر الهيتمي في صواعقه المحرقة: إن رسول الله قال: ... لا تصلوا علي الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد^(٢).

ويقول في صفحة ١٤٨ الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَآءَ آلِ يَاسِينَ﴾ فقد نقل جماعة من المفسرين عن ابن عباس ﷺ أن المراد بذلك سلام على آل محمد.

ومن أعلام العامة الذين رووا أحاديث النهي عن الصلاة البتراء حمزة بن يوسف السهمي المتوفى سنة ٤٢٧هـ، يقول:

عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال: إن الله فرض على العالم الصلاة على رسول الله ﷺ وقرننا به، فمن صلى على رسول الله ﷺ ولم يصل علينا لقي الله تعالى وقد بتر الصلاة عليه وترك أوامره^(٣).

(١) إرشاد الساري، ج٧، ص٣٤٢، ح٣٣٦٩.

(٢) ص١٤٦، الفصل الأول في الآيات الواردة في أهل البيت، ط٣٨٥/٢هـ.

(٣) تاريخ جرجان لحمزة بن يوسف بن إبراهيم بن عبدالله بن هشام بن العاص بن وائل السهمي الجرجاني،

لاحظ قول السهمي في كيفية الصلاة على النبي والآل، في حين أنه ترك ذكر الآل!!
أخي الكريم لاحظ ما جاء في الحديث وكيفية الصلاة على النبي وآله عليهم السلام،
والزيادات التي فيها أي في هذه الصلاة فقد جاء فيه اللهم صل على محمد وأزواجه
وذريته... فأقول:

ما الداعي لذكر الزوجات طالما هنَّ من أهل البيت كما تدعي العامة؟
ولاحظ أيضاً أن الصلاة الإبراهيمية وكيفية الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم...
(كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم)، أما في الصلاة المحمدية (صل على محمد
وأزواجه وذريته... وبارك على محمد وأزواجه وذريته)، أليس في تلك الجمل خلل؟

أليس في ذلك تلاعب وبتر للحديث الصحيح؟
أليس الصحيح هو: (صل على محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد)
أليس ذلك أصوب؟

ألا يكون ذلك متناسقاً مع الصلاة الإبراهيمية.
وأيضاً نلاحظ في الحديث أن في هذه الصلاة التي أمرنا الرسول الأكرم بها لم
يأت ذكر الصحابة كما تفعله العامة في الوقت الحاضر، ومن عادة هؤلاء العامة أنهم
يصلون على النبي بطرق عديدة، فإذا جاؤوا بذكر الآل ألحقوهم بالصحابة كهذه الصلاة
(صلى الله على محمد وآله وأصحابه أجمعين) ومنهم من يصلي عليهم هكذا صلى الله على محمد وآله وأصحابه
(أصحابه).

يقول الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة:

كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم.

جاء في سنن الترمذي في كتاب التفسير عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه
قال: لما أنزل الله هذه الآية ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾

المتوفى ٢٧هـ، ص ١٨٩، ترجمة ٢٦٣، ط ٤٠٧/٤هـ، عالم الكتب، بيروت.

(١) ج ٥، ص ٥٤، حديث ٢٠٣٥.

الآية، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي^(١).

قال الألباني: صحيح الإسناد.

روى مسلم في صحيحه (عن زيد بن أرقم قال): قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمأً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومَن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حُرّم الصدقة بعده...^(٢).

انتبه أخي القارئ! فقول زيد نساؤه من أهل بيته، قاله متعجباً!! أي عليك أن تضع علامة تعجب (!) بعد قوله ذلك، نعم، هذا ما عناه زيد، وفي الحديث القادم ستضح لك الأمور بأن زوجاته لسن من أهل البيت.

وفيه أيضاً:

أنه قال: ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله ﷻ هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة، وفيه فقلنا من أهل بيته نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده^(٣).

نستفيد من هذه الأحاديث أن أهل البيت وآل محمد هم علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام، هذا بالإضافة إلى آية التطهير التي نزلت في شأنهم أيضاً، فالصلاة على الآل يجب أن تكون على النبي والآل من دون ذكر الزوجات والصحابة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رِسُولًا فَخَذُّوهُ﴾ وهذه الصلاة هي التي أمرنا بها رسول الله ﷺ، وكما أشرنا سابقاً بأن البخاري ومسلماً وأهل العامة عموماً إن وجدوا حديثاً في فضائل أهل البيت فإنهم

(١) لمحمد بن عيسى بن سورة ج ٥، ص ٢٢٥، حديث ٢٩٩٩، ط المكتبة الإسلامية.

(٢) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب.

(٣) نفس المصدر السابق.

يحاولون أن يبتروا الحديث أو يقوموا بإلغائه نهائياً، أو أن يجعلوا ويضعوا حديثاً إما مناقضاً له وإما مساوياً له.

فكما قرأت الحديثين السابقين من كتاب مسلم فإن البتر واضح وجلي!
فالنبي الأكرم يقول: وأنا تارك فيكم ثقلين، فذكر كتاب الله وحث ورغب فيه وبدلاً
من أن يسترسل الحديث لبيان الثقل الثاني (وعترتي أهل بيتي) إذ به يقول - أي: مسلم
في صحيحه -: أذكركم الله في أهل بيتي...!

فالجملّة التي ما بين القوسين قد حذفها مسلم من صحيحه، فبان الانكسار في
حديث رسول الله ﷺ، فالجملة ناقصة خالية من بيان الثقل الثاني!!

هل لاحظت أخي القارئ كيف أن البخاري ومسلماً يحاولان أن يتلاعبا بالألفاظ كي
يشوشا على القارئ المسلم ما كان يعنيه النبي الأكرم في حديثه، وهذا غييض من فيض
من تلكم المحاولات، فتأمل.

باب الشهر يكون تسعاً وعشرين

٣١٧. حدثنا عبد بن حميد أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أن النبي ﷺ أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهراً قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة ؓ قالت لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل علي رسول الله ﷺ قالت بدأ بي فقلت يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال إن الشهر تسع وعشرون.

٣١٨. حدثنا محمد بن رمح أخبرنا الليث وحدثنا قتيبة بن سعيد واللفظ له حدثنا ليث عن أبي الزبير عن جابر ؓ أنه قال كان رسول الله ﷺ اعتزل نساءه شهراً فخرج إلينا في تسع وعشرين فقلنا إنما اليوم تسع وعشرون فقال إنما الشهر وصفق بيديه ثلاث مرات وحبس إصبعاً واحدة في الآخرة.

٣١٩. حدثني هارون بن عبدالله وحجاج بن الشاعر قال حدثنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله ؓ يقول اعتزل النبي ﷺ نساءه شهراً فخرج إلينا صباح تسع وعشرين فقال بعض القوم يا رسول الله إنما أصبحنا لتسع

وعشرين فقال النبي ﷺ إن الشهر يكون تسعاً وعشرين ثم طبق النبي ﷺ بيديه ثلاثاً مرتين بأصابع يديه كلها والثالثة بتسع منها.

٣٢٠. حدثني هارون بن عبدالله حدثنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج أخبرني يحيى بن عبدالله بن محمد بن صيفي أن عكرمة بن عبدالرحمن بن الحارث أخبره أن أم سلمة رضي الله عنها أخبرته أن النبي ﷺ حلف أن لا يدخل على بعض أهله شهراً فلما مضى تسعة وعشرون يوماً غدا عليهم أو راح فقيل له حلفت يا نبي الله أن لا تدخل علينا شهراً قال إن الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً.

قال الطبري في تفسيره: ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ لِمُرْتَحِمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرَّضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ يا أيها النبي المحرم على نفسه ما أحل الله له يبتغي بذلك مرضاة أزواجه لم تحرم على نفسك الحلال الذي أحله الله لك تلتمس بتحريمك ذلك مرضاة أزواجك.

واختلف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جل ثناؤه أحله لرسول فحرمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه، فقال بعضهم: كان ذلك مارية مملوكة القبطية حرمها على نفسه بيمين أنه لا يقربها طالباً بذلك رضا حفصة بنت عمر زوجته لأنها كانت غارت بأن خلا بها رسول الله ﷺ في يومها وفي حجرتها.

... حدثني زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه قال فقالت أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي؟ فجعلها عليه حراماً فقالت يا رسول الله كيف تحرم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها، فأنزل الله بَرَزَانًا ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ لِمُرْتَحِمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرَّضَاتِ أَزْوَاجِكَ﴾ قال زيد فقوله أنت علي حرام لغو.

... قال مسروق إن النبي ﷺ حرم جاريته وآلى منها فجعل الحلال حراماً وقال في اليمين ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلَةَ أَيْمَانِكُمْ﴾.

... عن مسروق قال: آلى رسول الله ﷺ وحرم فعوتب في التحريم وأمر بالكفارة في اليمين.

... عن قتادة قوله ﴿يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ لِمُرْتَحِمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرَّضَاتِ أَزْوَاجِكَ﴾ قال كان الشعبي

يقول حرماً عليه وحلف لا يقربها فعوتب في التحريم وجاءت الكفارة في اليمين.

... عن قتادة وعامر الشعبي أن النبي ﷺ حرم جاريته قال الشعبي حلف بيمين مع التحريم فعاتبه الله في التحريم وجعل له كفارة اليمين.

... قال ابن زيد في قوله ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ لِرَحْمٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ قال إنه وجدت امرأة من نساء رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ مع جاريته في بيتها فقالت يا رسول الله أنى كان هذا الأمر وكنت أهونهن عليك؟ فقال لها رسول الله ﷺ: اسكتي لا تذكرى هذا لأحد، هي علي حرام إن قربتها بعد هذا أبداً، فقالت يا رسول الله وكيف تحرم عليك ما أحل الله لك حين تقول هي علي حرام أبداً؟ فقال والله لا آتيها أبداً فقال الله ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ لِرَحْمٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾... الآية، قد غفرت هذا لك وقولك والله ﴿قَدَفَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ لِكْرَ نَحْلَةٍ أَيْمَنِيكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَانَكُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ الْحَكِيمُ﴾.

... حدثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ لِرَحْمٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ كانت لرسول الله ﷺ فتاة فغشيها فبصرت به حفصة وكان اليوم يوم عائشة وكانت متظاهرتين فقال رسول الله ﷺ اكتمي علي ولا تذكرى لعائشة ما رأيت فذكرت حفصة لعائشة فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله ﷺ حتى حلف أن لا يقربها أبداً فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يكفر يمينه ويأتي جاريته.

... عن عامر في قول الله ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ لِرَحْمٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في جارية أتاها فأطلعت عليه حفصة فقال هي علي حرام فاكتمي ذلك ولا تخبري به أحداً فذكرت ذلك.

... عن ابن عباس قوله ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ لِرَحْمٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾... إلى قوله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ الْحَكِيمُ﴾ قال كانت حفصة وعائشة متحابتين وكانتا زوجتي النبي ﷺ فذهبت حفصة إلى أبيها فتحدثت عندها فأرسل النبي ﷺ إلى جاريته فطلت معه في بيت حفصة وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة فرجعت حفصة فوجدتهما في بيتها فجعلت تنتظر خروجها وغارت غيرة شديدة فأخرج رسول الله ﷺ جاريته ودخلت حفصة فقالت قد رأيت من كان عندك والله لقد سنتني فقال النبي ﷺ والله لأرضينك فإني مسر إليك سرأ فأحفظيه قالت ما هو قال إني أشهدك أن سؤيتي هذه علي حرام رضا لك وكانت حفصة وعائشة تظاهران على نساء النبي ﷺ فانطلقت حفصة إلى عائشة فأسرت إليها أن أبشري إن النبي ﷺ قد حرم عليه

فتاته فلما أخبرت بسر النبي ﷺ أظهر الله ﷻ النبي ﷺ فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه ﴿وَبَنَاتِيَّ النَّبِيَّ لِمَنْعُرْمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرَضَاتَ أَرْوَاجِكَ﴾ ... إلى قوله ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

... حدثنا معتمر عن أبيه قال أنبأنا أبو عثمان أن النبي ﷺ دخل بيت حفصة فإذا هي ليست ثم فجاءته فتاته وألقى عليها سترأ فجاءت حفصة فقعدت على الباب حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فقالت والله لقد سؤتني جامعتها في بيتي أو كما قالت قال وحرمها النبي ﷺ أو كما قال.

حدثنا سعيد بن يحيى قال حدثنا أبي قال حدثنا محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من المراتن قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في يومها فوجدته حفصة فقالت يا نبي الله لقد جئت إلي شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك بمثله في يومي وفي دوري وعلى فراشي قال ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها؟ قالت: بلى، فحرمها وقال لا تذكرني ذلك لأحد فذكرته لعائشة فأظهره الله ﷻ عليه فأنزل الله ﴿وَبَنَاتِيَّ النَّبِيَّ لِمَنْعُرْمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرَضَاتَ أَرْوَاجِكَ﴾ ... الآيات كلها، فبلغنا أن نبي الله ﷺ كفر يمينه وأصاب جاريته.

وقال آخرون كان ذلك شراباً يشربه كان يعجبه ذلك.

... عن ابن أبي مليكة قال نزلت في شراب.

والصواب من القول في ذلك أن يقال كان الذي حرمه النبي على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له وجائز أن يكون ذلك كان جاريته وجائز أن يكون شراباً من الأشربة وجائز أن يكون كان غير ذلك غير أنه أي ذلك كان فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله وبين له تحلة يمينه كان حلف بها مع تحريمه ما حرم على نفسه.

وقال الطبري أيضاً: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاجِهِ، حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ تَبْنِيَّ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ﴾ محمد ﷺ ﴿إِلَى بَعْضِ أَرْوَاجِهِ﴾ حفصة.

وقوله ﴿حَدِيثًا﴾ والحديث الذي أسر إليها في قول هؤلاء هو قوله لمن أسر إليه ذلك من أزواجه تحريم فتاته أو ما حرم على نفسه مما كان الله جل ثناؤه قد أحله له وحلّفه على ذلك وقوله (لا تذكرني ذلك لأحد).

وقوله ﴿فَلَمَّا بَنَاتَ بِهِ﴾ يقول تعالى ذكره فلما أخبرت بالحديث الذي أسر إليها رسول الله ﷺ صاحبته ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يقول وأظهر الله نبيه محمد ﷺ على أنها قد أنبات بذلك صاحبته.

وقوله ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾... عرف لحفصة بعض ذلك الفعل الذي فعلته من إفشائها سره وقد استكتمها إياه أي غضب من ذلك عليها رسول الله ﷺ وجازاها عليه من قول القائل لمن أساء إليه لأعرفن لك يا فلان ما فعلت بمعنى لأجازينك عليه قالوا وجازاها رسول الله ﷺ على ذلك من فعلها بأن طلقها.

وقوله (وأعرض عن بعض) يقول وترك أن يخبرها ببعض.

... قال ابن زيد في قوله ﴿وَإِذْ أَسْرَأْتِنِي إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ، حَدِيثًا﴾ قوله لها: لا تذكره، ﴿فَلَمَّا بَنَاتَ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ وكان كريماً ﷺ.

وقوله ﴿فَلَمَّا بَنَاهَا بِهِ﴾ يقول فلما خبر حفصة نبي الله ﷺ بما أظهره الله عليه من إفشائها سر رسول الله ﷺ إلى عائشة ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ يقول قالت حفصة لرسول الله من أنبأك هذا الخبر وأخبرك به ﴿قَالَ بَنَاتِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ يقول تعالى ذكره قال محمد نبي الله لحفصة خبرني به العليم بسرائر عبادته وضمانر قلوبهم الخبير بأموهم الذي لا يخفى عنه شيء وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

القول في تأويل قوله تعالى ﴿إِنْ نُوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

يقول تعالى ذكره: إن توبا إلى الله أيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله ﷺ من اجتنابه جاريته وتحريمها على نفسه أو تحريم ما كان له حلالاً مما حرّمه على نفسه بسبب حفصة.

... عن ابن عباس قوله ﴿إِنْ نُوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ يقول زاغت قلوبكم يقول قد

أثمت قلوبكما.

... عن قتادة ﴿فَقَدَّ صَعَتَ قُلُوبِكُمَا﴾ مالت.

حدثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سفيان ﴿صَعَتَ قُلُوبِكُمَا﴾ قال زاغت قلوبكما.
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال الله ﷻ ﴿إِنْ نُؤَبِّأُ إِلَى اللَّهِ فَقَدَّ صَعَتَ قُلُوبِكُمَا﴾ قال سرهما أن يجتنب رسول الله ﷺ جاريته وذلك لهما موافق ﴿صَعَتَ قُلُوبِكُمَا﴾ إلى أن سرهما ما كره رسول الله ﷺ.

وقوله ﴿وَإِنْ تَطَهَّرَ عَلَيْهِ﴾ يقول تعالى ذكره لتي أسر إليها رسول الله ﷺ حديثه والتي أفشت إليها حديثه وهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

... عن ابن عباس قال لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج رسول الله ﷺ اللتين قال الله جل ثناؤه ﴿إِنْ نُؤَبِّأُ إِلَى اللَّهِ فَقَدَّ صَعَتَ قُلُوبِكُمَا﴾ قال فحج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بإداوة ثم أتاني فسكبت على يديه وتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله لهما ﴿إِنْ نُؤَبِّأُ إِلَى اللَّهِ فَقَدَّ صَعَتَ قُلُوبِكُمَا﴾ قال عمر واعجباً لك يا ابن عباس، قال الزهري وكره والله ما سأله ولم يكتم قال هي حفصة وعائشة، قال: ثم أخذ يسوق الحديث، فقال: كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة، ثم ذكر الحديث بطوله.

... عن ابن عباس أنه سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن المتظاهرتين على رسول الله ﷺ فقال عائشة وحفصة.

... عن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس يقول مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المتظاهرتين فما أجد له موضعاً أسأله فيه حتى خرج حاجاً وصحبته حتى إذا كان بمر الظهران ذهب لحاجته وقال أدركني بإداوة من ماء فلما قضى حاجته ورجع أتيت به بالإداوة أصبها عليه، فرأيت موضعاً فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان المتظاهرتان على رسول الله ﷺ فما قضيت كلامي حتى قال عائشة وحفصة رضي الله عنهما.

... قال حدثني عبدالله بن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما اعتزل نبي الله ﷺ نساء دخلت عليه وأنا أرى في وجهه الغضب فقلت يا رسول الله ما شق عليك من

شأن النساء فلئن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبرائيل وميكائيل وأنا وأبو بكر معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله مصدق قولي فنزلت هذه الآية آية التخبير ﴿عَسَى رَبُّهُ، إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ، أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ ﴿وَإِنْ تَطَهَّرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، وكانت عائشة ابنة أبي بكر وحفصة تتظاهران على سائر نساء النبي ﷺ.

... ﴿وَإِنْ تَطَهَّرَ عَلَيْهِ﴾ يقول: على معصية النبي ﷺ وأذاه.

وقوله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: فإن الله هو وليه وناصره وصالح المؤمنين وخيار المؤمنين أيضاً ومولاه وناصره.

... حدثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: خيار المؤمنين.

... قال ابن زيد في قوله ﴿وَإِنْ تَطَهَّرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: وبدأ بصالح المؤمنين ها هنا قبل الملائكة قال ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

ويقول - والحديث لا زال للطبري -: ﴿عَسَى رَبُّهُ، إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ، أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسَلِّمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ فَيُنْتِجَ تَبْنَاتٍ عِدَدَاتٍ سَخَّحَتْ ثِيَابَهُنَّ وَأَتَّكَّرْنَ﴾.

يقول تعالى ذكره: عسى رب محمد إن طلقكن يا معشر أزواج محمد ﷺ أن يبدها منكن أزواجاً خيراً منكن.

وقيل: إن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ تحذيراً من الله نساءه لما اجتمعن عليه في الغيرة.

... قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه إن طلقهن أن يبدها أزواجاً خيراً منكن، قال فنزل كذلك.

حدثنا يعقوب قال حدثنا ابن عليه عن حميد عن أنس عن عمر قال بلغني عن بعض أمهاتنا أمهات المؤمنين شدة على رسول الله ﷺ أذهان إياه فاستقرتتهن امرأة امرأة أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله ﷺ وأقول إن أبيتن أبدله الله خيراً منكن حتى أتيت حسبت أنه قال على زينب فقالت يا ابن الخطاب أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن

انت؟ فأمسكت، فأنزل الله ﴿عَمَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُدْبِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ﴾^(١).

ويقول القرطبي في تفسيره: قوله تعالى ﴿وَإِذَا أَسْرَأْتِنِي إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ أي واذكر إذ أسر النبي على حفصة حديثاً يعني تحريم مارية على نفسه واستكتامه إياها ذلك.

... عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَسْرَأْتِنِي إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ قال اطلعت حفصة على النبي ﷺ مع أم إبراهيم فقال (لا تخبري عائشة) ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ أي أخبرت به عائشة لمصافاة كانت بينهما وكانتا متظاهرتين على نساء النبي ﷺ ﴿وَأَظْهَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي أطلعه الله على أنها قد نابت به.

... عرف حفصة بعض ما أوحى من أنها أخبرت عائشة بما نهاها عن أن تخبرها وأعرض عن بعض تكراً.

... وجازاها النبي ﷺ بأن طلقها طليقة واحدة فقال عمر لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله ﷺ طلقك، فأمره جبريل بمراجعتها وشفع فيها.

واعترز النبي ﷺ نساءه شهراً وقعد في مشربة مارية أم إبراهيم حتى نزلت آية التحريم.

... وقيل: هم بطلاقها...

﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ أي أخبر حفصة بما أظهره الله عليه ﴿قَالَتْ مَن أَبْنَاكَ هَذَا﴾ يا رسول الله عني فظنت أن عائشة أخبرته فقال ﷺ ﴿بِنَأْيِ الْعَلِيمِ الْخَيْرِ﴾ أي الذي لا يخفى عليه شيء.

ويقول: قوله تعالى ﴿إِنْ نُؤَبَّأُ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلٌ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

قوله تعالى ﴿إِنْ نُؤَبَّأُ إِلَى اللَّهِ﴾ يعني حفصة وعائشة حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل إلى خلاف محبة رسول الله ﷺ ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي زاغت ومالت عن الحق وهو أنهما أحبتا ما كره النبي ﷺ من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان ﷺ يحب العسل والنساء.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري، ج ٢٨، ص ١٨٣، سورة التحريم.

قال ابن زيد: مالت قلوبهما بأن سرهما أن يحتبس عن أم ولده فسرهما ما كرهه رسول الله ﷺ.

قوله تعالى ﴿وَأِنْ تَطَهَّرْتَ عَلَيْهِ﴾ أي تتظاهرا وتتعاوننا على النبي ﷺ بالمعصية والإيذاء.

قوله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ أي وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما.

﴿وَجَبْرِئِلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾... وقيل: صالح المؤمنين علي (عليه السلام)، وقيل خيار المؤمنين.

عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه قال دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه - وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب - فقال عمر: فقلت لأعلمن ذلك اليوم قال فدخلت على عائشة فقلت يا ابنة أبي بكر أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ! فقالت ما لي ومالك يا ابن الخطاب عليك بعبيتك! قال فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها يا حفصة أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك ولولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ فبكت أشد البكاء فقلت لها أين رسول الله ﷺ؟ قالت هو في خزانته في المشربة فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ قاعداً على أسكفة المشربة مدلاً رجله على نقيب من خشب وهو جذع يرقى عليه رسول الله ﷺ وينحدر فناديت يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلي فلم يقل شيئاً ثم قلت يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلي فلم يقل شيئاً ثم رفعت صوتي فقلت يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ فإني أظن أن رسول الله ﷺ ظن أنني جئت من أجل حفصة والله لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها، ورفعت صوتي فأومأ إلي أن ارقه، فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرصاً في ناحية الغرفة وإذا أفيق معلق قال فابتدرت عينايا قال ما يبكيك يا ابن الخطاب قلت يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله ﷺ وصفوته

وهذه خزانتك فقال يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا قلت بلى قال ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت - وأحمد الله - بكلام إلا رجوت أن يكون الله بِرَّكَانَ يصدق قولي [الذي أقول] ونزلت هذه الآية آية التخيير ﴿عَسَىٰ رَبُّهُٖٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُٗٓ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ ۖ وَإِن تَطَهَّرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرًا ۗ﴾ وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله إنني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى يقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه أفأنزل فأخبرهم إنك لم تطلقهن قال نعم إن شئت فلم أزل أحده حتى تحسر الغضب عن وجهه وحتى كشر فضحك وكان من أحسن الناس ثغرا ثم نزل نبي الله ﷺ ونزلت فنزلت أتشبهت بالجذع ونزل رسول الله ﷺ كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده فقلت يا رسول الله إنما كنت في الغرفة تسعاً وعشرين قال (إن الشهر يكون تسعاً وعشرين) فقامت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه.

... وقيل كان التظاهر منهما في التحكم على النبي ﷺ في النفقة ولهذا آلى منهن شهراً واعتزلهن.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً - قال - فقال لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ فقال يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقامت إليها فوجأت عنقها فضحك رسول الله ﷺ وقال هن حولي كما ترى يسألني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر على حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده! فقلن والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ - حتى بلغ - ﴿لِّمَحْسِنَاتٍ مِّنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

ويقول - والحديث لا زال للقرطبي -: قوله ﴿عَسَىٰ رَبُّهُٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُٗٓ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَتٍ مُّؤْمِنَةٍ قَانِتَةٍ تَبَيَّنَتِ عَيْدَاتٍ سَخِيحَتِ نَيْبَتِ وَأَبْكَارًا﴾.

قوله تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّهُٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾... ﴿أَن يُبَدِّلَهُٗٓ أَرْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ﴾ لأنك لو كنتن خيراً ممنهن ما طلقكن رسول الله ﷺ... وقيل: هذا وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ لو طلقهن في الدنيا أن يزوجه في الدنيا نساء خيراً ممنهن.

قوله تعالى ﴿مُسْلِمَتٍ﴾ يعني مخلصات... مسلمات لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ مصدقات بما أمرن به ونهين عنه ﴿قَانِتَةٍ﴾ مطيعات، والقنوت الطاعة... ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ أي من ذنوبهن... ﴿عَيْدَاتٍ﴾ أي كثرات العبادة لله تعالى... ﴿سَخِيحَتِ﴾ صائمات... ﴿نَيْبَتِ وَأَبْكَارًا﴾ أي ممنهن ثيب وممنهن بكر^(١).

أقول: هؤلاء زوجات النبي وخاتم الأنبياء وحبيب رب العالمين.

هذه الزوجات يدخلنه في أمور جانبية، ويشغلنه عن أداء رسالته، ويتظاهرن عليه فينشغل معهن ويترك معاشرتهن شهراً كاملاً!

ولماذا لم تصدر مثل هذه المؤامرات من أم سلمة مثلاً؟

ولماذا هاتان المرأتان فقط اللتان يصدر منهما هذه الأمور المريبة؟

ولماذا لم تكونا مطيعتين لرسول الله ﷺ؟ كما يقول القرطبي (قائلات: مطيعات).

إذن عائشة وحفصة لم يكونا مطيعتين! لماذا؟!

ولماذا أفشت حفصة سر رسول الله؟ وهل كان يستحق أن يفشى سره؟

خوفاً من الإطالة أكتفي بهذا القدر.

والسبب الثاني لنزول الآيات أو الرأي الآخر فقد ورد في البخاري:... عن عائشة ؓ

قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها فواطيت أنا وحفصة على أَيْتَنَّا دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير. قال لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تُخبري

(١) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، ج١، ص٦٦٧٣، سورة التحريم، ط دار الشعب.

بذلك أحداً^(١).

قال ابن حجر: واختلف في المراد بتحريمه ففي حديث عائشة... أن ذلك بسبب شربه ﷺ العسل عند زينب بنت جحش.

ووقع عند سعيد بن منصور بإسناد صحيح إلى مسروق قال: حلف رسول الله ﷺ لحفصة لا يقرب أمتة.

وقال هي علي حرام. فنزلت الكفارة ليمينه وأمر أن لا يُحَرِّمَ ما أحلَّ الله!

ويقول ابن حجر: عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لحفصة لا تُخْبِرِي أَحَدًا أَنْ أَمَّ إِبْرَاهِيمَ عَلِي حَرَامٌ! قال: فلم يَقْرَبِهَا حَتَّى أَخْبَرْتُ عَائِشَةَ!

وأخرج الطبراني... عن أبي هريرة قال: دخل رسول الله ﷺ بمارية ببيت حفصة فجاءت فوجدتها معه فقالت: يا رسول الله في بيتي تفعل هذا معي دون نساءك^(٢)!

أقول:

إن عائشة وحفصة كانتا قد شكَّلتا حزياً واحداً وأتَّفقتا على المؤامرة على رسول الله ﷺ!

وإن عائشة وحفصة كذبتا عندما قالتا إنهما يشمان رائحة المغافير، وذلك بغية التفريق بينه وبين زوجته، وكان هذا كما نعلم بدافع الغيرة والبغض! نعم! وقد يرد هنا سؤال: لعل بعض المعالم قد طَمَسَتْهَا عَائِشَةُ بِدَافِعِ الْبَغْضِ وَالغِيْرَةِ وَالْحَسَدِ مِنْ أَشْخَاصٍ أُخْرٍ مِثْلَ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

وأخيراً قول النبي الأكرم لحفصة (لا تخبري بذلك أحداً) فقد خالفت قول النبي وأخبرت صاحبها بالأمر! أي أن حفصة تأمرت مع امرأة عادية على رسول الله وخير البشر الذي له اتصال بالملا الأعلى! ألم تعلم حفصة أن جبريل سوف يخبر النبي إذا أفشت السر؟! ألم تكن تعتقد بنبوة محمد ﷺ؟! ألم يكن اتصاله بالله تعالى وعن طريق الوحي حاجزاً عن إفشاء سر رسول الله ﷺ لعائشة؟!

(١) كتاب التفسير، باب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾.

(٢) فتح الباري، ج ٨، ص ٨٠٨، ح ٤٩١١.

باب بيان وقت انقضاء الصوم

٣٢١. وحدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا هشيم عن أبي إسحاق الشيباني عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر في شهر رمضان فلما غابت الشمس قال يا فلان انزل فاجدح لنا قال يا رسول الله إن عليك نهراً قال انزل فاجدح لنا قال فنزل فجدح فأتاه به فشرب النبي ﷺ ثم قال بيده إذا غابت الشمس من ها هنا وجاء الليل من ها هنا فقد أفطر الصائم.

٣٢٢. حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر وعباد بن العوام عن الشيباني عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فلما غابت الشمس قال لرجل انزل فاجدح لنا فقال يا رسول الله لو أمسيت قال انزل فاجدح لنا قال إن علينا نهراً فنزل فجدح له فشرب ثم قال إذا رأيتم الليل قد أقبل من ها هنا وأشار بيده نحو المشرق فقد أفطر الصائم.

قال الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم: وفي هذه الأحاديث يبين ﷺ مراد الله من الليل الذي جعل غاية ونهاية لنهار الصائم ﴿ثُمَّ آتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ فقد يخفى على البعض أن بدايته غروب الشمس ويتوهم كما توهم بلال في هذه الأحاديث أن المراد به الظلمة فأراد ﷺ أن يحدد لهم مراد الشرع بالقول والفعل والإشارة حين كان صائماً في سفر ومعه عدد كبير من صحابته لم يجتمع معه في سفر مثلهم من قبل كانوا نحو عشرة آلاف يتوجهون لفتح مكة فلما غربت الشمس قال لبلال هات لنا الشراب قال بلال ما زال

النهار قائماً والضوء منتشرأ قال له هات شرابنا قال بلال لو انتظرت بعض الوقت يا رسول الله حتى يدخل المساء؟ قال له هات شرابنا قال بلال أرجو الانتظار حتى تدخل قليلاً في المساء قال له هات شرابنا فقام بلال فأحضر الشراب وناوله رسول الله ﷺ فشرب أمام أصحابه ثم قال لهم إذا أقبل الليل من ههنا - وأشار إلى جهة المشرق - وأدبر النهار من ههنا - وأشار إلى جهة المغرب - وغربت الشمس واختفى قرصها كله حل الفطر للصائم وتعجيل الفطر شريعتنا ولا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر^(١).

يقول القسطلاني في شرحه للحديث: كنا في سفر مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في غزوة الفتح.

فلما غربت الشمس قال ﷺ لرجل هو بلال، انزل فاجدح لي... أي حَرَكَ السَّوِيقَ بالماء أو اللين.

قال: (يا رسول الله لو أمسيت) لابن عساكر (إن عليك نهاراً) كأنه رأى كثرة الضوء من زيادة الصحو فظن عدم غروب الشمس... ثم قال عليه الصلاة والسلام انزل فاجدح... فنزل فجدح له في الثالثة فشرب رسول الله ﷺ (ثم أوماً) أشار بيده الشريفة إلى جهة المشرق فقال إذا

رأيتم الليل أي ظلامه قد أقبل من ههنا فقد أفطر الصائم أي دخل وقت فطره فصار مفطراً حكماً وإن لم يفطر حساً^(٢).

أقول:

نحن نعلم أن بلالاً هذا هو مؤذن الرسول الأكرم، أي ترى طيلة هذه السنوات وهو لا يعرف بأن وقت الإفطار أو الأذان قد دخل أو لا!!

أليس المؤذن أعلم من غيره بدخول وقت الصلاة؟!؟

أنا لا أعني أن بلالاً أعلم من النبي ﷺ بوقت الصلاة ولكنه يجب أن يكون حافظاً لوقت الصلاة! ثم أليس من المحتمل أن بلالاً كان طيلة هذه السنين يؤذن بعد اشتباك

(١) ج٤، ص٥٣٠، ح٢٢٢٢٩.

(٢) إرشاد الساري، ج١٢، ص٨٢-٨٣، ح٥٢٩٧.

وقول بلال للنبي إن عليك نهاراً يدلنا على أنه كان يؤذن بعد اشتباك النجوم! وذلك لأنه كان متأكداً من جوابه للنبي الأكرم وأن الليل لم يدخل بعد.

جاء في فقه العبادات لبدر المتولي عبدالباسط في مبحث أوقات الصلاة، وقت المغرب:

وأوله عقيب غروب الشمس وهذا مجمع عليه، ويرى... أبو حنيفة... أنه عقيب مغيب الشفق الأبيض، وذلك أنه بعد مغيب الشمس يعترى الأفق الغربي ثلاث حالات: الاحمرار، وهذا يسمى الشفق الأحمر، ثم البياض، وهذا يسمى الشفق الأبيض، والسواد، وهذا يسمى العتمة.

فجمهور العلماء يرون أن وقت المغرب يخرج بمغيب الشفق الأحمر، وأبو حنيفة يرى أنه يخرج بمغيب الشفق الأبيض.

ولهذا يحسن بك أيها المسلم أن تصلي المغرب عقيب الغروب ولا تؤجله وتسوف في أدائه فإن وقته أضيق الأوقات^(١).

وفي سنن أبي داود: عن مرثد بن عبدالله قال: لما قدم علينا أبو أيوب غازياً وعقبه بن عامر يومئذ على مصر فأخَّرَ المغرب فقام إليه أبو أيوب فقال له ما هذه الصلاة يا عقبه؟ فقال: شغلنا، قال: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تزال أمتي بخير، أو قال على الفطرة، ما لم يؤخروا المغرب إلى أن تشتبك النجوم؟^(٢)

قال ابن حزم الأندلسي في المحلى:

لا تزال أمتي بخير ما لم يؤخروا الصلاة إلى اشتباك النجوم، فإنه لا يصح لأنه مرسل ولم يسند إلا من طريق الصلت بن بهرام^(٣).

(١) ص ١١٦، ط ١٩٩٥م، بيت التمويل الكويتي.

(٢) (المجلد ١، ج ١، ص ١١٤، حديث ٤١٨، كتاب الصلاة، باب وقت المغرب، ط دار إحياء السنة النبوية.

(٣) الصلت بن بهرام ثقة، ولكن ليس له ذكر فيما رأيت من أسانيد هذا الحديث، المجلد ٢، ج ٣، ص ١٨٧، ما ورد في تأخير صلاة العصر حتى تصفر الشمس، ط بيروت.

قال السيد محمد الصدر في كتابه ما وراء الفقه في معنى الغروب والمغرب:

يتضائل في الأفق الغربي ضوء قرص الشمس وتعلوه حمرة وهو على شفير الأفق، ثم يبدأ بالدخول تحت الأفق حتى يختفي تماماً، وعندئذ يكون الغروب وهو دخول آخر جزء من قرص الشمس تحت أول جزء من الأفق أو قُل تحت الأفق. وخلال نزول القرص في الأفق يبدأ من جهة الأفق الشرقي حدوث حمرة خفيفة تشتد بالتدرج كلما تزايدت زرقة السماء نتيجة الظلام. وبعد أن يتم الغروب تكون الحمرة المشرقية قد اكتملت ثم تبدأ هذه الحمرة بالتصاعد إلى وسط السماء حتى تسامت الرؤوس... كلما نزل قرص الشمس تحت الأفق تصاعدت الحمرة من هذه الجهة فكأنه يَجْرُها وراءه مع انخفاض مسافة مُعَيَّنَةٍ بينهما.

وبعد فترة تمشي الحمرة من فوق الرؤوس إلى جانب الغرب ويسود وسط السماء زرقة المغرب وتتركز الحمرة إلى جانب الغرب تماماً وتكون حمرة قاتمة نسبياً لمدى الظلام النسبي الذي يكون عندئذ....

ووقت المغرب هو أول وقت وجوب فريضة المغرب، فمتى يتحقق هذا الوقت؟ من الناحية النظرية عدة احتمالات:

١. إن الغروب أو ما يسمى سقوط القرص يعني دخوله تحت الأفق كاف في وجوب الصلاة.

٢. إن الصلاة تجب بذهاب الحمرة المشرقية من جهة الشرق.

٣. زوال الحمرة المشرقية.

ويقول:

ما هو فرق الزمن بين الغروب والمغرب؟ المشهور على الألسن أن الفرق عشر دقائق تماماً.

ويقول السيد الصدر مستنداً بروايات أهل البيت عليهم السلام:

منها رواية داود بن فرقد قال: سمعت أبي يسأل أبا عبد الله عليه السلام متى يدخل وقت المغرب؟ قال: إذا غاب كرسبها، قلت: وما كرسبها؟ قال: قرصها، قلت: متى يغيب

قرصها؟ قال: إذا نظرت إليه فلم تره.

منها رواية محمد بن علي قال: صحبت الرضا عليه السلام في السفر فرأيتَه يصلي المغرب إذا أقبلت الفحمة من المشرق، يعني السواد.

ويقول: يكون ذلك بذهب الحمرة من هناك.

ومعتبرة عبدالله بن وضاح قال: كتبت إلى العبد الصالح عليه السلام: يتوارى القرص ويُقْبِل الليل ثم يزداد الليل ارتفاعاً وتستتر عنا الشمس وترتفع فوق الجبل حمرة ويؤذن عندنا المؤذنون، أفأصلي حينئذ وأفطر إن كنت صائماً أو أنتظر حتى تذهب الحمرة التي فوق الجبل؟ فكتب إلي: أرى لك أن تنتظر حتى تذهب الحمرة وتأخذ الحائط لدينك.

... عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا غابت الحمرة من هذا الجانب يعني المشرق فقد غابت الشمس من شرق الأرض وغربها.

ويقول السيد الصدر: إن وقت وجوب صلاة المغرب هو وقت وجوب الإفطار، فلا يجوز قبله،

فإن أخرناها احتياطاً أخرنا الإفطار احتياطاً أيضاً، ولا يحتمل تقدم موعد الإفطار عن موعد الصلاة بإجماع علماء الإسلام.

إن هناك وقتاً لا تجب فيها أي صلاة... لأنه بالتأكيد ينتهي وقت الظهرين عند سقوط القرص.

إذن، فهذه الإثنتا عشرة دقيقة أو نحوها الفاصلة بين الغروب والمغرب لا تجوز فيها صلاة الظهرين ولا صلاة العشاءين^(١).

كان لي صديق وكان مُلمّاً باللغة العربية إماماً تاماً بالإضافة إلى أنه كان حافظاً لكتاب الله عز وجل عارفاً بأحكام التجويد وما في القرآن من أحكام، وفي يوم من الأيام سألته: ما الفرق بين المغرب والليل؟

فأطرق رأسه قليلاً ثم قال: المغرب مع نزول الشمس وبداية غروبها مع وجود الحمرة، وأما الليل فبعد غياب الحمرة.

(١) ج ١، ص ٢٤٩ و ٢٥٢، وقت صلاة المغرب، ط ١٤١٣هـ، دار الأضواء، بيروت.

ويعنى آخر: نستطيع أن نقول بأن بداية الليل بعد المغرب بعشر دقائق أو قريب من ذلك.

فقلت له: أحسنت وأكتفي بهذا، فاستغرب من كلامي فقلت له: إذن نحن على الصواب في صلاتنا وصيامنا! فقال: وكيف ذلك؟ قلت: أنت تُصَلِّي مع أذان المغرب؟ قال: نعم. قلت: وفي شهر رمضان تأكل وتفطر مع الأذان أيضاً؟ قال: نعم، فقرأت عليه الآية الكريمة ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْإِيلِ﴾ البقرة: ١٨٧.

فعلى ضوء هذه الآية يجب الصلاة والإفطار في نفس الوقت وهو الليل، وأنت قد اعترفت وذكرت بأن الفرق بين المغرب والليل عشر دقائق أو قريب من ذلك، فأقول: نحن نُؤَدِّن للصلاة في مساجدنا بعد أذانكم بربع ساعة تقريباً سواء في شهر رمضان أو في غيره من الشهور، ونحن مع الأذان نأكل ونفطر في شهر رمضان لأن الليل قد دخل كما اعترفت أنت بذلك.

باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة

٣٢٣... عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل إحدى نساءه وهو صائم ثم تضحك.

٣٢٤... حدثني علي بن حجر السعدي وابن أبي عمر قالا حدثنا سفيان قال قلت لعبدالرحمن بن القاسم أسمعت أباك يحدث عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها وهو صائم فسكت ساعة ثم قال نعم.

٣٢٥... عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلني وهو صائم وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك إربه.

٣٢٦... عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم ولكنه أملككم لإربه.

٣٢٧... عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم وكان أملككم لإربه.

٣٢٨... عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يباشر وهو صائم.

٣٢٩... عن إبراهيم عن الأسود قال انطلقت أنا ومسروق إلى عائشة رضي الله عنها فقلنا لها أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر وهو صائم قالت نعم ولكنه كان أملككم لإربه أو من أملككم لإربه شك أبو عاصم.

٣٣٠... عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة أن عمر بن عبدالعزيز أخبره أن عروة بن

الزبير أخبره أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبلها وهو صائم.
٣٣١... عن زياد بن علاقة عن عمرو بن ميمون عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبل في شهر الصوم.

٣٣٢... حدثنا زياد بن علاقة عن عمرو بن ميمون عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبل في رمضان وهو صائم.

٣٣٣... عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم.

٣٣٤... عن حفصة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهو صائم.

قال النووي في شرح صحيح مسلم: قال الشافعي والأصحاب: القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته لكن الأولى له تركها ولا يقال أنها مكروهة له وإنما قالوا أنها خلاف الأولى في حقه مع ثبوت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعلها لأنه كان يؤمن في حقه مجاوزة حد القبلة ويخاف على غيره مجاوزتها كما قالت عائشة كان أملككم لإربه وأما من حركت شهوته فهي حرام في حقه على الأصح عند أصحابنا وقيل مكروهة كراهة تنزيه قال القاضي قد قال بإباحتها للصائم مطلقاً جماعة من الصحابة والتابعين وأحمد وإسحاق وداود وكرهها على الإطلاق مالك وقال ابن عباس وأبو حنيفة والثوري والأوزاعي والشافعي تكره للشاب دون الشيخ الكبير وهي رواية عن مالك وروى ابن وهب عن مالك رضي الله عنه إباحتها في صوم النفل دون الفرض ولا خلاف أنها لا تبطل الصوم إلا أن ينزل المنى بالقبلة واحتجوا له بالحديث المشهور في السنن وهو قوله صلى الله عليه وسلم أرأيت لو تمضمضت ومعنى الحديث أن المضمضة مقدمة الشرب وقد علمتم أنها لا تفطر وكذا القبلة مقدمة للجماعة فلا تفسر.

وحكى الخطابي وغيره عن ابن مسعود وسعيد بن المسيب أن من قبل قضى يوماً
مكان يوم القبلة.

قوله (عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل إحدى نساءه وهو صائم ثم تضحك)
قال القاضي قيل يحتمل ضحكها التعجب ممن خالف في هذا وقيل التعجب من نفسها
حيث جاءت بمثل هذا الحديث الذي يستحي من ذكره لا سيما حديث المرأة به عن

نفسها للرجال لكنها اضطرت إلى ذكره لتبليغ الحديث والعلم فتتعجب من ضرورة الحال المضطرة لها إلى ذلك وقيل ضحكت سرور ذكر منها من النبي ﷺ وحالها معه وملاطفته لها قال القاضي ويحتمل أنها ضحكت تنبيهاً على أنها صاحبة القصة ليكون أبلغ في الثقة بحديثها.

قوله (فسكت ساعة) أي ليتذكر قولها.

وأياكم يملك إربه كما كان رسول الله ﷺ يملك إربه... وهو حاجة النفس ووطرها... والأرب أيضاً العضو.

قال العلماء معنى كلام عائشة ؓ أنه ينبغي لكم الاحتراز عن القبلة ولا تتوهموا من أنفسكم أنكم مثل النبي ﷺ في استباحتها لأنه يملك نفسه ويأمن الوقوع في قبلة يتولد منها إنزال أو شهوة أو هيجان نفس ونحو ذلك وأنتم لا تأمنون ذلك فطريقكم الانكفاف عنها.

وفيه جواز الإخبار عن مثل هذا مما يجري بين الزوجين على الجملة للضرورة وأما في غير حال الضرورة فمنهي عنه.

قولها (كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم) معنى المباشرة هنا اللمس باليد وهو من التقاء البشريتين^(١).

أقول:

أولاً: النبي الأكرم لا يقيم وزناً لصيام شهر رمضان.

ثانياً: هل كان يقبل رأس أو جبين عائشة مثلاً، طبعاً كلا وألف كلا فالقبلة كانت على الفم كما في زماننا هذا وهذه القبلة هي التي تحرك الشهوة وإليك الدليل المفحم: عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقبلها وهو صائم ويمص لسانها^(٢).

هل قرأت أخي الكريم؟! واعلم بأن القبلة مع مص اللسان محرمة للشهوة وبقوة.

(١) المجلد ٤، ج ٧، ص ٢٢٦، ح ٦٢-٧٣.

(٢) سنن أبي داود، المجلد ١، ج ٢، ص ٣١١، ح ٢٣٨٦، كتاب الصوم، باب الصائم يبلع الريق، ط دار إحياء السنة النبوية.

وهل كان النبي الأكرم بعد مص اللسان يمج رطوبة لسان عائشة كي لا يفطر ذلك اليوم!!؟
وتقول عائشة وتدعي أن رسول الله يملك إربه!! فنحن نرد هذا القول المزعوم
وسنذكر لك الدليل!

ورد في صحيح البخاري:.... عن سليمان بن يسار قال: سألت عائشة عن المني يصيب الثوب، فقالت: كنت أغسله من ثوب رسول الله ﷺ فيخرج إلى الصلاة وأثر الغسل في ثوبه بقع الماء^(١).

يقول البغوي في كتابه شرح السنة وفي الجزء الثاني منه: اختلف أهل العلم في طهارة مني الأدمي، فذهب قوم إلى طهارته، يُروى ذلك عن ابن عباس وسعد، قال ابن عباس المني بمنزلة المخاط!

وذهب قوم إلى أنه نجس يجب غسله... وقال أصحاب الرأي: هو نجس يُغسل رطبه ويُفرك يابسه.

واتفقوا على نجاسة المذي والودي كالدّم، ويجب غسله عند عامة أهل العلم^(٢).
يقول ابن تيمية في كتابه الفتاوى الكبرى: ومني الأدمي طاهر وهو ظاهر مذهب أحمد والشافعي... ولا يجب غسل الثوب والبدن من المذي^(٣).

أقول:

هذا المني الذي كان على ثوب رسول الله ﷺ مصدره من ثلاث:
إما أن يكون عن احتلام، أو يكون عن جماع، أو أن يكون عن مداعبته لعائشة من دون جماع.

فلو كان مصدره الاحتلام وهو بعيد ولا يعتقد به المسلم، وذلك لأنه من الشيطان، والشيطان لا سبيل له على النبي، وهو منزّه عن ذلك وهذا لا يختلف فيه اثنان.

(١) كتاب الوضوء، باب غسل المني وفركه.

(٢) ص ٩٠، ط ١٤٠٣/٢هـ، المكتب الإسلامي.

(٣) ج ٤، ص ٣٩٩، باب إزالة النجاسة.

وإن قلنا إن ذلك المنى كان عن جماع فنقول: أن النبي لا يقيم وزناً للنجاسة والنظافة
بينما يأنف المسلم البسيط من ذلك! فكيف بنبينا الأكرم!!

وإن قلنا عن مداعبة فنقول: إنه لا صبر له عن النساء مع العلم أن له من الزوجات
تسعاً، فنكون قد فتحنا باباً على أنفسنا لأعداء الإسلام كقولهم بأن نبينا كان مزواجاً ولا
صبر له عن النساء وما أشبه هذا.

إذن.. كان مصدر ذلك المنى المداعبة! نعم! هذا ما نستنتجه من الرواية، فتكون
عائشة قد ناقضت ما روته في روايات عديدة منها ما نحن بصدددها.

وأقول:

إن كان مصدر ذلك المنى من هذه المباشرة فإنه لم يملك إربه كما أدعت عائشة.
ثم ألم يكن من الأفضل أن من يسأل عائشة عن هذه المسألة أن تكون الإجابة
مجملة، وعلى قدر السؤال تكون الإجابة من دون ذكر القصص والتفاصيل، وأنها كانت
مع النبي الأكرم ﷺ تعمل وتفعل كذا وكذا!

باب صحة صوم من طلع عليه الفجر

٣٣٥... عبد الملك بن أبي بكر بن عبدالرحمن عن أبي بكر قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقص يقول في قصصه من أدركه الفجر جنباً فلا يصم فذكرت ذلك لعبدالرحمن بن الحارث لأبيه فأنكر ذلك فانطلق عبدالرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما فسألتهما عبدالرحمن عن ذلك قال فكلتاها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم قال فانطلقنا حتى دخلنا على مروان فذكر ذلك له عبدالرحمن فقال مروان عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول قال فجننا أبا هريرة وأبو بكر حاضر ذلك كله قال فذكر له عبدالرحمن فقال أبو هريرة أهما قالتا لك قال نعم قال هما أعلم ثم رد أبو هريرة ما كان يقول في ذلك على الفضل بن العباس فقال أبو هريرة سمعت ذلك من الفضل ولم أسمع من النبي صلى الله عليه وسلم قال فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك قلت لعبد الملك أقالتا في رمضان قال كذلك كان يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم.

٣٣٦... عن عروة بن الزبير وأبي بكر بن عبدالرحمن أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدركه الفجر في رمضان وهو جنب من غير حلم فيغتسل ويصوم.

٣٣٧... عن عبدالله بن كعب الحميري أن أبا بكر حدثه أن مروان أرسله إلى أم سلمة رضي الله عنها يسأل عن الرجل يصبح جنباً أيصوم فقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من جماع لا من حلم ثم لا يفطر ولا يقضي.

٣٣٨... عن عائشة وأم سلمة زوجي النبي ﷺ أنهما قالتا إن كان رسول الله ﷺ ليصبح جنباً من جماع غير احتلام في رمضان ثم يصوم.
أقول:

لقد أوهم أبو هريرة المسلمين بأنه سمع الحديث من النبي الأكرم وذلك لأنه لم يذكر ولم يصرح باسم القائل وقد استشهد بالفضل بن العباس وكان قد توفي أي أن أبا هريرة استشهد بميت وذلك لعلمه أن الصحابة لن يتركوه وشأنه لذا استشهد بالفضل بن العباس.

ثم ما دام أن أبا هريرة يقر بأن زوجات النبي أعلم منه فلماذا لم يتأكد من الحكم قبل أن يفتي به وكم من صحابي وتابعي عمل بفتوى هذا الدوسي طيلة سنوات عمره وكم من الصحابة أو التابعين الذين أخذوا منه هذه الفتوى ورجعوا إلى ديارهم بعد موسم الحج مثلاً وأذاعوا فتوى هذا الدوسي.

ثم لاحظ أن مروان هذا الذي لعنه النبي وهو في صلب أبيه والذي لا نقيم نحن المسلمين له وزناً في دينه فضلاً عن إسلامه لا يعتقد بفتوى هذا الدوسي، فكم يا ترى من فتاوى وروايات وأحاديث قد روجها هذا الدوسي معتقداً صحة ما يروي بين المسلمين؟!؟

ثم لاحظ أخي القارئ كيف أن هذا الدوسي تملص من المأزق الحرج في قوله سمعت ذلك من الفضل ولم أسمع من النبي وكأنه يريد قول ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْهُمُونِي لِوَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ إبراهيم/٢٢!

يقول السيد عبدالحسين شرف الدين أعلى الله مقامه: من المعلوم أن الفضل بن العباس قد توفي على عهد أبي بكر وهذه القضية إنما كانت على عهد معاوية وبهذا تسنى لأبي هريرة أن يقول سمعت ذلك من الفضل ولم أسمع من رسول الله ﷺ ولو كان الفضل حياً ما اجترأ عليه^(١).

راجع الحديث القادم.

(١) أبو هريرة، ص ١٥٣، ط ٤، دار التعارف، بيروت.

٣٣٩.... عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيه وهي تسمع من وراء الباب فقال يا رسول الله تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم فقال لست مثلنا يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال والله إنني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي.

٣٤٠.... عن سليمان بن يسار أنه سأل أم سلمة رضي الله عنها عن الرجل يصبح جنباً أيصوم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من غير احتلام ثم يصوم.
راجع ما قبله.

باب صوم يوم عاشوراء

٣٤١... عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه.

٣٤٢. وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالوا حدثنا ابن نمير عن هشام بهذا الإسناد ولم يذكر في أول الحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه وقال في آخر الحديث وترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه ولم يجعله من قول النبي صلى الله عليه وسلم كرواية جرير.

٣٤٣... يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصيامه قبل أن يفرض رمضان فلما فرض رمضان كان من شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء أفرط.

٣٤٤... عن يزيد بن أبي حبيب أن عراقاً أخبره أن عروة أخبره أن عائشة أخبرته أن قريشاً كانت تصوم عاشوراء في الجاهلية ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء فليصمه ومن شاء فليفطره.

٣٤٥... عبيدالله عن نافع أخبرني عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صامه والمسلمون قبل أن يفترض رمضان فلما افترض رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عاشوراء يوم من أيام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه.

٣٤٦... عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ذكر عند رسول الله ﷺ يوم عاشوراء فقال رسول الله ﷺ كان يوماً يصومه أهل الجاهلية فمن أحب منكم أن يصومه فليصمه ومن كرهه فليدعه.

٣٤٧... عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال ذكر عند رسول الله ﷺ يوم عاشوراء فقال ذاك يوم كان يصومه أهل الجاهلية فمن شاء صامه ومن شاء تركه.

٣٤٨... عن عبدالرحمن بن يزيد قال دخل الأشعث بن قيس على عبدالله وهو يتغدى فقال يا أبا محمد ادن إلي الغداء فقال أوليس اليوم يوم عاشوراء قال وهل تدري ما يوم عاشوراء قال وما هو قال إنما هو يوم كان رسول الله ﷺ يصومه قبل أن ينزل شهر رمضان فلا نزل شهر رمضان ترك وقال أبو كريب تركه وحدثنا زهير بن حرب وعثمان بن أبي شيبة قالوا حدثنا جرير عن الأعمش بهذا الإسناد وقالوا فلما نزل رمضان تركه.

٣٤٩... يونس عن ابن شهاب أخبرني حميد بن عبدالرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان خطيباً بالمدينة يعني في قدمة قدمها خطبهم يوم عاشوراء فقال أين علماءؤكم يا أهل المدينة سمعت رسول الله ﷺ يقول لهذا اليوم هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه وأنا صائم فمن أحب منكم أن يصوم فليصم ومن أحب أن يفطر فليفطر.

٣٥٠... عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم رسول الله ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فاستلوا عن ذلك فقالوا هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى وبنو إسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيماً له فقال النبي ﷺ نحن أولى بموسى منكم، فأمر بصومه.

٣٥١... عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله ﷺ ما هذا اليوم الذي تصومونه فقالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً فنحن نصومه فقال رسول الله ﷺ فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه.

٣٥٢... عن أبي موسى رضي الله عنه قال كان يوم عاشوراء يوماً تعظمه اليهود وتتخذة عيداً فقال رسول الله ﷺ صوموه أنتم.

٣٥٣... عن أبي موسى رضي الله عنه قال كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيداً ويلبسون نسائهم فيه حليهم وشارتهم فقال رسول الله ﷺ فصوموه أنتم.

- لقد اختلف أهل العامة في زمن هذا الصيام ومتى كانوا يصومونه وأين؟
١. قالوا كانت قريش تصومه في الجاهلية وكان النبي الأكرم يصومه.
 ٢. كان النبي يأمر بصيام يوم عاشوراء قبل أن يفرض صيام شهر رمضان.
 ٣. بعد دخول النبي الأكرم المدينة في هجرته الشريفة رأى اليهود يصومون هذا اليوم فقال نحن أولى بموسى منهم فأمر بصومه.
 ٤. كان أهل خيبر يصومون هذا اليوم وكانوا يتخذونه عيداً فأمر المسلمين بصيامه.
 ٥. معاوية بن أبي سفيان قال إنه سمع النبي يقول ويأمر بصيام هذا اليوم.
- جاء في فتح الباري لابن حجر: وقد اختلف السلف هل فرض على الناس صيام قبل رمضان أولاً؟ فالجمهور وهو المشهور عند الشافعية أنه لم يجب قط صوم قبل صوم رمضان^(١).

ويقول ابن حجر أيضاً: إن ابن دُرَيْد قال أنه - أي يوم عاشوراء - اسم إسلامي وأنه لا يُعرف في الجاهلية!

ويقول (أحمد بن حنبل عن ابن عباس):... فلما فُتحت مكة، واشتهر أمر الإسلام، أحب مخالفة أهل الكتاب أيضاً كما ثبت في الصحيح... فوافقهم أولاً وقال: نحن أحق بموسى منكم، ثم أحب مخالفتهم فأمر بأن يضاف إليه يوم قبله! ويوم بعده! خلافاً لهم^(٢).

ويقول ابن حجر أيضاً: وفي صحيح مسلم: لئن بقيت إلى قابل لأصومنَّ التاسع! يحتمل أمرين: أحدهما أنه أراد نقل العاشر إلى التاسع! والثاني أراد أن يضيفه إليه في الصوم! فلما توفي ﷺ قبل بيان ذلك كان الاحتياط صوم اليومين!

وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاثة مراتب:

أدناها أن يصام وحده، وفوقه أن يصام التاسع معه، وفوقه أن يصام التاسع والحادي

(١) كتاب الصوم باب وجوب صوم رمضان، ج ٤، ص ١٢٨، ح ١١٨٩٣.

(٢) فتح الباري، ج ٤، ص ٢٩٧، ح ٦٩، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء.

فنحن نسأل أهل العامة:

هل كان الرسول الأكرم جاهلاً بما في التوراة؟! حتى يقول فأنأ أولى بموسى وأحق بصيامه!

فإن اليهود كانوا في المدينة والنبى الأكرم كان قد رأى من عقائدهم وسلوكياتهم الكثير وقد اطلع على جميع أمورهم ولم يخف عليه شيء من أمرهم كما ذكرنا. وكما مر عليك ما ذكره ابن حجر عن ابن دريد قال: اسم عاشوراء اسم إسلامي، وأنه لا يعرف بالجاهلية.

ونلاحظ في أيامنا هذه مع وجود هذه القنوات الفضائية واتصالنا بالعالم الخارجي، فإننا لم نشاهد بأن اليهود يصومون هذا اليوم! فهل نُسخ هذا الصوم عندهم!؟

وقول النبى الأكرم من شاء صامه ومن شاء تركه نستنتج من قوله إن هذا اليوم مساو لبقية أيام السنة فلا فرق من حيث الفضيلة والخصوصية. وحاصل القول:

أن بني أمية في هذا اليوم تزينوا ولبسوا الجديد، وأقاموا الولائم بعد مقتل سيد الشهداء عليه السلام في حين ترى شيعة أهل البيت عليهم السلام ينوحون على سيد الشهداء ومن استشهد معه في يوم عاشوراء، وقد أراد بنو أمية أن يُخفوا تلك الجرائم التي ارتكبوها، في احتفالاتهم هذا اليوم فجعلوه يوم عيد وفرح. الحاصل: ماذا يقول أتباع أهل البيت عليهم السلام? ورد في وسائل الشيعة:

... عن محمد بن سنان عن أبان عن عبد الملك قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صوم تاسوعاء وعاشوراء من شهر المحرم؟ فقال تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام بكربلاء واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه وفرح ابن مرجانة

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢٩٨.

وعمر بن سعد بنوافل الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين عليه السلام وأصحابه كرم الله وجوههم وابقنوا أن لا يأتي الحسين عليه السلام ناصر ولا يمدده أهل العراق بأبي المستضعف الغريب ثم قال وأما يوم عاشوراء فيوم أصيب فيه الحسين عليه السلام صريعاً بين أصحابه وأصحابه صرعى حوله أفصوم يكون في ذلك اليوم؟!

كلا ورب البيت الحرام، ما هو يوم صوم وما هو إلا يوم حزن ومصيبة دخلت على أهل السماء وأهل الأرض وجميع المؤمنين ويوم فرح وسرور لابن مرجانة وآل زياد وأهل الشام غضب الله عليهم وعلى ذرياتهم وذلك يوم بكت عليه جميع بقاع الأرض خلا بقعة الشام فمن صامه أو تبرك له حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب مسخوط عليه ومن ادخر إلى منزله فيه ذخيرة أعقبه الله تعالى نفاقاً في قلبه إلى يوم يلقاه وانتزع البركة عنه وعن أهل بيته وولده وشاركه الشيطان في جميع ذلك.

... عن جعفر بن عيسى أخيه قال سألت الرضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه فقال عن صوم ابن مرجانة تسألني؟ ذلك يوم صامه الأعداء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام وهو يوم يتشاءم به آل محمد ويتشاءم به أهل الإسلام واليوم الذي يتشاءم به أهل الإسلام لا يصام ولا يتبرك به ويوم الإثنين يوم نحس قبض الله فيه نبيه عليه السلام وما أصيب آل محمد إلا في يوم الإثنين فتشاءمنا به وتبرك به عدونا ويوم عاشوراء قتل الحسين عليه السلام وتبرك به ابن مرجانة وتشاءم به آل محمد عليه السلام فمن صامهما أو تبرك بهما لقي الله تبارك وتعالى ممسوخ القلب وكان محشره مع الذين سنوا صومهما والتبرك بهما.

... عن زيد النرسي قال سمعت عبيد بن زرارة يسأل أبا عبدالله عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء فقال من صامه كان حظه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد قال قلت وما كان حظه من ذلك اليوم قال النار أعادنا الله من النار ومن عمل يقرب من النار.

وعنه عن محمد بن موسى عن يعقوب بن يزيد عن الحسن بن علي الوشاء قال حدثني نجية بن الحارث العطار قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء فقال صوم متروك بنزول شهر رمضان، والمتروك بدعة، قال نجية فسألت أبا عبدالله عليه السلام من بعد أبيه عليه السلام عن ذلك فأجابني بمثل جواب أبيه ثم قال أما إنه صوم يوم ما نزل به كتاب ولا جرت به سنة إلا سنة آل زياد بقتل الحسين بن علي عليه السلام.

... عن زرارة عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قال لا تصم في يوم عاشوراء ولا عرفة بمكة ولا في المدينة ولا في وطنك ولا في مصر من الأمصار.

... عن الحسين بن أبي غندر عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال سألته عن صوم يوم عرفة؟ فقال عيد من أعياد المسلمين ويوم دعاء ومسألة قلت فصوم عاشوراء؟ قال ذلك يوم قتل فيه الحسين عليه السلام فإن كنت شامتاً فصم ثم قال إن آل أمية نذروا نذراً إن قتل الحسين عليه السلام أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً لهم يصومون فيه شكراً ويفرحون أولادهم فصارت في آل أبي سفيان سنة إلى اليوم فلذلك يصومونه ويدخلون على عيالاتهم وأهاليهم الفرح ذلك اليوم ثم قال إن الصوم لا يكون للمصيبة ولا يكون إلا شكراً للسلامة وإن الحسين عليه السلام أصيب يوم عاشوراء فإن كنت فيمن أصيب به فلا تصم وإن كنت شامتاً ممن سره سلامة بني أمية فصم...^(١).

يقول صاحب الطيوريات... المنصوري يقول سمعت الفتح بن شخرف يقول كنت أفت للنمل الخبز كل يوم فلما كان يوم عاشوراء لم يأكلوه، إسناده صحيح^(٢).

وأخيراً يقول الباحث الدكتور صالح العجيري والفلكي الكويتي المعروف في مقال نشرته له صحيفة الوطن الكويتية يوم السبت بتاريخ ٢٠٠٥/٤/١٦م: إن هجرة المصطفى صلى الله عليه وآله كانت يوم الإثنين ٨ ربيع الأول سنة ١ هجرية المصادف ٢٠ سبتمبر ٦٢٢ ميلادية وأن ذلك اليوم يوافق تشري سنة ٤٣٨٣ عبرية وهو يوم صوم الكيبور (عاشوراء اليهود) العاشر من الشهر الأول من السنة عندهم.

وذكر العجيري أنه توصل إلى أن المسلمين زمن الهجرة صاموا عاشوراء اليهود، ثم خالفوهم وتركوا صيام اليوم العاشر من أول شهر في سنة اليهود ونقلوه إلى اليوم العاشر من الشهر الأول لسنة المسلمين. انتهى.

(١) وسائل الشيعة، للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى ١١٠٤هـ، ج ١٠، ص ٤٦٣، كتاب الصوم، باب عدم جواز صوم التاسع والعاشر من المحرم على وجه التبرك بهما، ح ١٣١٣٨٥٢، ط ١/١٤١٣هـ، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت.

(٢) الطيوريات لأحمد بن محمد السلفي الطيوري، ج ٢، ص ٦٥٨، ح ٥٩٨، ط ١/١٤٢٥هـ، الرياض.

أقول:

مع أننا نختلف مع الدكتور العجيري في أصل مشروعية الصيام في العاشر ولكن نسأل العجيري:

هل خالف المسلمون اليهود وتركوا صيام العاشر من شهر اليهود وصاموا العاشر من المحرم زمن النبي؟! أو في زمن الصحابة؟! أو بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام؟!!

فلو حصلت تلك المخالفة زمن النبي ﷺ وبأمر منه فأين النص.

جاء في سنن الترمذي من كتاب الأدب، باب ما جاء في النظافة:

إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة... فنظفوا أنفسكم (ولا تشبهوا باليهود)، وغير ذلك كثير.

وذلك لأن اليهود كانوا لا يهتمون بنظافة أنفسهم، فكيف به يتشبه بهم بصيام هذا اليوم.

وكذلك لو أن المسلمين خالفوا اليهود زمن الصحابة فهذا اجتهاد مقابل النص ولا يعتد به.

باب أي يوم يصام في عاشوراء

٣٥٤... عن الحكم بن الأعرج قال انتهيت إلى ابن عباس رضي الله عنه وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له أخبرني عن صوم عاشوراء فقال إذا رأيت هلال المحرم فاعدد وأصبح يوم التاسع صائماً قلت هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصومه قال نعم.

٣٥٥... عبدالله بن عباس رضي الله عنه يقول حين صام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وآله.
راجع ما قبله.

باب النهي عن صوم الدهر

٣٥٦... يونس عن ابن شهاب أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبدالرحمن أن عبدالله بن عمرو بن العاص قال أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول لأقومن الليل ولأصومن النهار ما عشت فقال رسول الله ﷺ أنت تقول ذلك فقلت له قد قلت يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر ونم وقم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر قال قلت فإني أطيق أفضل من ذلك قال صم يوماً وأفطر يومين قال قلت فإني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله قال صم يوماً وأفطر يوماً وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام قال قلت فإني أطيق أفضل من ذلك قال رسول الله ﷺ لا أفضل من ذلك قال عبدالله بن عمرو رضي الله عنه لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إلي من أهلي ومالي.

٣٥٧... يحيى قال انطلقت أنا وعبدالله بن يزيد حتى نأتى أبا سلمة فأرسلنا إليه رسولاً فخرج علينا وإذا عند باب داره مسجد قال فكنا في المسجد حتى خرج إلينا فقال إن تشاءوا أن تدخلوا وإن تشاءوا أن تقعدوا ها هنا قال فقلنا لا بل نقعد ها هنا فحدثنا قال حدثني عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال كنت أصوم الدهر وأقر القرآن كل ليلة قال فإما ذكرت للنبي ﷺ وإما أرسل إلي فأتيته فقال لي ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة فقلت بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك إلا الخير قال فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فإن لزوجك عليك

حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً قال فصم صوم داود نبي الله ﷺ فإنه كان أعبد الناس قال قلت يا نبي الله وما صوم داود قال كان يصوم يوماً ويفطر يوماً قال واقرأ القرآن في كل شهر قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقراه في كل عشرين قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقراه في كل عشر قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقراه في كل سبع ولا تزدد على ذلك فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً قال فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ قال وقال لي النبي ﷺ إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر قال فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ فلما كبرت وددت أنني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ وحدثني زهير بن حرب حدثنا روح بن عبادة حدثنا حسين المعلم عن يحيى بن أبي كثير بهذا الإسناد وزاد فيه بعد قوله من كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فذلك الدهر كله وقال في الحديث قلت وما صوم نبي الله داود قال نصف الدهر ولم يذكر في الحديث من قراءة القرآن شيئاً ولم يقل وإن لزورك عليك حقاً ولكن قال وإن لولدك عليك حقاً.

٣٥٨... عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ اقرأ القرآن، في كل شهر قال قلت إني أجد قوة قال فاقراه في عشرين ليلة قال قلت إني أجد قوة قال فاقراه في سبع ولا تزدد على ذلك.

٣٥٩... عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ يا عبدالله بن عمرو إنك لتصوم الدهر وتقوم الليل وإنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين ونهكت لا صام من صام الأبد صوم ثلاثة أيام من الشهر صوم الشهر كله قلت فإني أطيق أكثر من ذلك قال فصم صوم داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى.

٣٦٠... عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ ألم أُخْبِرَ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ قُلْتَ إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ قَالَ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمْتَ عَيْنَكَ وَنَفَهْتَ نَفْسَكَ لِعَيْنِكَ حَقٌّ وَلِنَفْسِكَ حَقٌّ وَأَلْهَكَ حَقٌّ وَمَنْ وَصِمَ وَأَفْطَرَ.

قال الأبى في شرحه: قوله (فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر ونم وقم) علم من حاله أنه لا يطيق ذلك، وفيه ما كان عليه ﷺ من تحبيب الإيمان لأُمَّته وأمرهم بالرفق فيه خوف العجز عن الفرائض أو عما هو أكد من النوافل، ألا ترى أن ابن عمرو كيف قال

حين عجز وددت إني قبلت رخصة رسول الله ﷺ بأهلي ومالي.

قوله (صم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنه بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر) وإنما كان كصيام الدهر لما ذكر من أن الحسنه بعشر أمثالها.

قوله (لأن أكون قبلت الثلاثة أيام) قال ذلك حين كبر وعجز عن المحافظة عما التزم ووظفه على نفسه عند رسول الله ﷺ فشق عليه فعله ولا أمكنه تركه لأنه ﷺ قال له يا عبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه.

قوله (بحسبك) أي يكفيك.

قوله (فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً) حق الزوجه في الوطء ليلاً ونهاراً وحق الزور هو الضيف في خدمته وتأنيسه بالحديث وحق النفس عدم الإضرار بها حتى تقعد عن القيام بهذه الحقوق، وقد ذم الله سبحانه قوماً أكثروا العبادة ثم تركوها بقوله سبحانه ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الحديد/ ٢٧ إلى قوله تعالى ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا﴾ الحديد/ ٢٧.

قوله (واقراً القرآن في كل شهر إلى آخر ما ذكر) هذا من نحو ما تقدم من الإرشاد إلى القصد في العبادة وتدبر القرآن وللسلف في ختمه عادات مختلفة فبعضهم كان يختم في كل شهر وبعضهم في كل عشرين وبعضهم في كل عشرة وأكثرهم في سبعة وكثير منهم في ثلاث وبعضهم في كل يوم وليلة وبعضهم في كل ليلة وبعضهم في كل يوم وليلة ثلاث ختمات وبعضهم ثمان ختمات وهو أكثر ما بلغنا والمختار أن يستكثر منه ما يغلب على الظن الدوام عليه في نشاط نفسه. قلت: في الصفوة عن أبي العباس بن عطاء قال لي في كل يوم ختمه ولي في رمضان كل يوم وليلة ثلاث ختمات

ولي منذ أربع عشرة سنة في ختمه ما بلغت النصف منها يريد الفهم منها. وفيها عن منصور بن زاد أنه كان يختم بين المغرب والعشاء ختمتين ويبلغ في الثالثة إلى الطواسين. قال الجوزي مؤلف الصفوة هذه الرواية ليست بمحققة عنه، وإنما الذي عنه إنه كان يختم بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء.

قوله (فشددت فشدد علي) قلت تشديده على نفسه هو في أنه لم يأخذ بالرخصة في

الاكتفاء بصوم يوم وفطر يوم مع كونه لا أفضل منه ولا بالاقتصار على الختم في سبع.
والتشديد عليه هو ما فهم من قوله ﷺ يا عبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه لأن ظاهره أنه أقره على عدم الأخذ بالرخصة وإنما لم يأخذ بالرخصة فيما أرشده إليه لأنه فهم أنه أرشده لذلك لتقع المحافظة على الدوام وعلم هو من نفسه الدوام.

قوله (وإن لولدك عليك حقاً) أي في الكسب عليهم والقيام بنفقتهم وذلك يضعف عن القيام بذلك. فيه أنه يجب على الأب والولي تأديب الولد وتعليمه ما يجب عليه من وظائف الدين وهو الذي نص عليه الشافعي وأصحابه.

قال الشافعي: فإن لم يكن الأب فذلك على الأم لأنه باب التربية ولها مدخل فيها وأجرة التعليم من مال الولد لم يكن له فعلى من تلزمه نفقته.

قوله (ولا يفر إذا لاقى) أي لم يضعفه ذلك عن لقاء عدوه لأنه يستعين بيوم فطره على يوم صومه، ولذلك قال وكان أعبد الناس وقال عبدالله من لي بهذه أي بعدم الفرار عند اللقاء^(١).

يقول الأستاذ الدكتور لاشين: كان عبدالله بن عمرو بن العاص واحداً من نفر الصحابة رغبوا أن يبالبغوا في العبادة فقرر أن يصوم الدهر ويقوم الليل ويقرأ القرآن كله في كل ليلة... كان يقول لأقومن الليل ولأصومن النهار ما عشت ونفذ قراره كما يقول... كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة وكما يقول... بلغ النبي ﷺ أنني أسرد الصوم - أي أتابعه - وفي رواية للبخاري يقول: أخبر رسول الله ﷺ أنني أقول والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت.

وفي رواية البخاري في كتاب فضائل القرآن ولفظها: عن عبدالله بن عمرو قال أنكحني أبي (أي زوجني أبي) امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته (بفتح الكاف وتشديد النون أي زوجة ابنه) فيسألها عن بعلها فتقول نعم الرجل من رجل لم يظأ لنا فراشاً (أي لم يضاجعنا حتى يظأ فراشنا) ولم يفتش لنا كنفاً (أي لم يكشف لنا ستراً ولم يرفع لنا ثوباً) وتأنى عمرو بن العاص لعل ابنه يرعى حق زوجه وهو يعلم ما عليه ابنه من الصيام

(١) إكمال إكمال المعلم، ج ٤، ص ١١٣، ح ١١٥٩.

والقيام فلما لم يقم ابنه بواجبه نحو زوجه أقبل عليه يلومه - كما جاء في بعض الروايات - (يقول له أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلتها وفعلت... وفعلت) فلما طال ذلك (أي فلما تمادى عبدالله على حاله خشي عمرو بن العاص أن يلحقه إثم بتضييع حق زوجة ابنه فشكاه) ذكر ذلك للنبي ﷺ (لأنه ﷺ الوحيد الذي إليه المرجع في الصيام والقيام).

والقصة تتعلق بثلاث من العبادات: الصوم والتهجد وقراءة القرآن^(١).

أقول:

لقد قرأت أخي الكريم ما ذكره عبدالله بن عمرو بن العاص عن كيفية عبادته من صلاة وصيام وقراءة القرآن، وسيدور بحثنا حول كتاب الله ﷻ، وسوف نثبت لك أخي القارئ بأن القرآن الكريم كان مجموعاً في زمن النبي الأكرم لا كما يدعي أهل العامة بأن ابن أبي قحافة قد جمع القرآن!!

فهناك موضوع حسّاس ومهم، يدور النقاش حوله بين الناس، ويتلخص في معرفة إجابة الأسئلة التالية:

متى جمع القرآن الكريم؟ وهل كان مجموعاً في أيام رسول الله ﷺ، أم أنه جُمع بعد وفاته؟

الجواب:

إن النتيجة التي نتوصل إليها من مجموع كلام المفسرين والمؤرخين، ومن قراءة كتب وموسوعات الأحاديث هو: أن القرآن الكريم كان مجموعاً في أيام رسول الله ﷺ، وكان بعض المسلمين يقرؤونه من أوله إلى آخره.

وإليك الآن.. بعض النقاط التي تدلّ على أن القرآن كان مجموعاً منذ أيام النبي الكريم:

النقطة الأولى:

روي أنه لما نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ

(١) فتح المنعم، ج ٥، ص ٣٥-٣٦، ح ٢٢٢٨٦.

فِيهِ إِلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾^(١) قال جبرئيل للنبي: ضعها في رأس الثمانين والمائتين من (سورة البقرة).

وقال القرطبي في تفسيره:

إن رسول الله ﷺ قال: اجعلوها بين آية الربا وآية الدين^(٢).

وقال المرجع الديني السيد محمد الحسيني الشيرازي قَدْ رَوَى عَنْهُ بعد نقله لكلام جبرئيل في تعيين موضع الآية: فإنه صريح في أن الله تعالى أمر نبيه بجمع القرآن وترتيبه ترتيباً دقيقاً، حتى في مثل ترقيم الآيات. وقد فعل النبي ذلك في حياته كما أمره الله تعالى، ولم يكن ﷺ ليترك القرآن متفرقاً حتى يُجمع بعده^(٣).

وقال أيضاً:

إذن.. فهذا القرآن الذي هو بأيدينا على ترتيبه وجمعه، وترقيم آياته، وترتيب سُورَه وأجزائه، هو بعينه القرآن الذي رَبَّه رسول الله ﷺ وجمعه للمسلمين في حياته، وذلك بأمر من الله تعالى، لم يَطْرَأ عليه أي تغيير وتحريف، أو تبديل وتعديل، أو زيادة ونقصان^(٤).

جاء في صحيح البخاري عن عبدالعزيز بن رفيع قال:

دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس رضي الله عنه فقال له شداد بن معقل: أترك النبي ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين^(٥).

قال ابن حجر: لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين - أي ما في المصحف^(٦).

(١) البقرة / ٢٨١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن للفضل بن الحسن الطبرسي، عند تفسير الآية / ٢٨١ من سورة البقرة.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، عند تفسير الآية المذكورة.

(٤) متى جمع القرآن، ص ١٢، ط ١٤٢٠هـ، بيروت.

(٥) نفس المصدر السابق، ص ١٥.

(٦) كتاب فضائل القرآن، باب «من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين».

(٧) فتح الباري لابن حجر، ج ٩، ص ٦٥، كتاب فضائل القرآن، باب «من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين».

يقول السيوطي: جُمع القرآن ثلاث مرات، إحداهما بحضرة النبي ﷺ^(١).
ويقول أيضاً: قال الحارث المحاسبي في كتاب فهم السنن: كتابة القرآن ليست
بمحدثة، فإنه ﷺ كان يأمر بكتابتها^(٢).

النقطة الثانية:

الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ

- لقد جاء في الكتب والمصادر المعتمدة عند الشيعة والعامّة قائمة بأسماء جمع من
الصحابة الذين جمعوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ وهم كالآتي:
١. الإمام علي بن أبي طالب ﷺ.
 ٢. أبي بن كعب.
 ٣. معاذ بن جبل.
 ٤. زيد بن ثابت.
 ٥. أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير الأنصاري.
 ٦. عبدالله بن عمرو.
 ٧. عبدالله بن مسعود.

وإليك الآن الوثائق التاريخية التي تدل على أن هؤلاء السبعة هم من الذين جمعوا
القرآن في أيام الرسول الأكرم.

روي عن الإمام جعفر الصادق ﷺ أنه قال:

إن رسول الله ﷺ قال لعلي: يا علي! القرآن خلف فراشي في الصحف والحريز
والقراطيس فخذوه واجمعوه، ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة.

فانطلق علي ﷺ فجمعه في ثوب أصفر، ثم ختم عليه في بيته، وقال: لا أرتدي
حتى أجمعه، فإنه كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه^(٣).

(١) الإتيان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، ج ١، ص ١٢٦، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٣) تفسير القمي، لعلي بن ابراهيم القمي، ج ٢، ص ٤٥١، ط النجف ١٣٨٧هـ.

وقال اليعقوبي في تاريخه:

أن علي بن أبي طالب كان جمعه لما قُبض رسول الله وأتى به يحمله على جمل
فقال: هذا القرآن قد جمعته^(١).

وجاء في كتاب السنن الكبرى للبيهقي:

... عن قتادة قال: سمعت أنساً يقول: جَمَعَ القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة: أبي
بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

قال: قلت لأنس: من أبو زيد؟

قال: أحد عمومتي^(٢).

وروى البخاري في صحيحه: ... عن أنس رضي الله عنه جَمَعَ القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة
كلهم من الأنصار: أبي، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت.

قلت لأنس: من أبو زيد قال أحد عمومتي^(٣).

وفي كتاب السنن الكبرى للنسائي:

... عن عبدالله بن عمرو قال: جمعت القرآن فقرأت به

في كل ليلة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي: اقرأ به في كل شهر...^(٤).

وفي صحيح البخاري أيضاً:

أن رسول الله ﷺ سأل من عبدالله بن عمرو كيف تختم القرآن؟ فقال عبدالله كل ليلة،
فقال له النبي اقرأ القرآن في كل شهر...^(٥).

(١) ج ٢، ص ١٣٥، ط دار صادر، بيروت.

(٢) ج ٩، ص ٢٤٥، حديث ١٢٤٣٧، ط ١٤١٦/١هـ، بيروت.

(٣) كتاب المناقب، باب مناقب زيد بن ثابت.

(٤) ج ٥، ص ٢٤، كتاب فضائل القرآن، حديث ٨٠٦٤، ط ١٤١١/١هـ، بيروت.

(٥) كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن، وقد نقلنا مضمون الحديث وليس نصه، وسوف ننقل نصه الكامل في
النقطة الخامسة من هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

النقطة الثالثة:

لقد وردت أحاديث نبوية شريفة متعددة.. تذكر ثواب من ختم القرآن الكريم، ومنها الحديث الذي يذكر ثواب تلاوة القرآن في شهر رمضان ويقول: (من تلا فيه آية من القرآن.. كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور)^١.

وهذا يدل على أن القرآن كان مجموعاً، وعلى هذا الأساس ذُكر ثواب ختمه. ولو لم يكن مجموعاً لكان للمسلمين أن يسألوا النبي ﷺ: كيف يُمكن لنا ختم القرآن وهو مبعثر غير مجموع؟!

النقطة الرابعة:

لقد ذُكر في كتب اللغة أن معنى كلمة (خَتَمَ فلان القرآن) أي: قرأه من أوله إلى آخره.

أي إننا لا نقول لمن قرأ نصف القرآن أو بعض السور القرآنية بأنه ختم القرآن، بل لا بد من قراءته كاملاً.

وبناءً على هذا فكل ما ورد في كتب التاريخ والحديث والتفسير من كلمة (خَتَمَ القرآن) يدل على أن القرآن كان مجموعاً، إذ لولا ذلك لما أمكن ختمه.

وإليك الآن هذا التفصيل:

١. يقول ابن منظور في كتابه (لسان العرب): وَخَتَمَ فلان القرآن: إذا قرأه إلى آخره.
٢. وجاء في كتاب (الصحاح) للجوهري: خَتَمَت القرآن: بلغت آخره.
٣. وجاء في (المعجم الوسيط): خَتَمَ الكتاب ونحوه: أتمّه وبلغ آخره، وفرغ منه.
٤. ويقول الشرتوني في كتابه (أقرب الموارد): خَتَمَ الكتاب: قرأه كله وأتمه.
٥. وجاء في (المنجد في اللغة): خَتَمَ الكتاب: قرأه كله.

النقطة الخامسة:

لقد وردت في كتب التاريخ والحديث والتفسير روايات تذكر أسماء بعض الصحابة

(١) أمالي الصدوق، ص ٨٤، المجلس العشرون، ط مؤسسة الاعلمي، ١٤٠٠هـ، بيروت.

الذين ختموا القرآن في حياة رسول الله صلوات الله عليه وآله وإليك بعض تلك الروايات وذلك لإتمام الفائدة وسوف نكرر ما ذكرناه في أول البحث ولكن بأسلوب أيسر وشرح ميسر:

ففي كتاب السنن الكبرى للنسائي:

... عن عبدالله بن عمرو قال: جمعت القرآن فقرأت به في كل ليلة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي: اقرأ به في كل شهر.

فقلت: أي رسول الله، دعني أستمع من قوتي وشبابي. قال: اقرأ به في كل عشرين.

قلت: أي رسول الله دعني أستمع من قوتي وشبابي.

فقال: اقرأ به في كل عشر. قلت: أي رسول الله دعني أستمع من قوتي وشبابي.

قال: اقرأ به في كل سبع.

قلت: أي رسول الله دعني أستمع من قوتي وشبابي. فأبى^(١).

وفي صحيح البخاري أيضاً:

عن عبدالله بن عمرو قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كَنَّتَه^(٢) فيسألها

عن بَعْلِهَا فتقول: نعم الرجل من رجل، لم يَطأ

لنا فراشاً، ولم يُفْتَسْ لنا كَنَفاً مذ أتيناها.

فلما طال ذلك عليه، ذكر للنبي ﷺ فقال: ألقني به، فلقيته بعد.

فقال (له النبي) كيف تصوم؟ قال: كل يوم.

قال: وكيف تختم؟ قال كل ليلة.

قال: صم في كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر.

قال: قلت أطيع أكثر من ذلك.

(١) هـ، ص ٢٤، كتاب فضائل القرآن، حديث ٨٠٦٤، ط١/١٤١١هـ بيروت.

(٢) كَنَّتَه: زوجة ابنه.

قال: صم ثلاثة أيام في الجمعة^(١).

قلت: أطيق أكثر من ذلك.

قال: أفطر يومين وصم يوماً.

قال: قلت أطيق أكثر من ذلك.

قال: صم أفضل الصوم، صوم داود: صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة.

فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذلك أني كبرت وضعفت...^(٢).

النقطة السادسة:

لقد رُوي في أكثر كتب الشيعة والسنة أن رسول الله ﷺ قال: إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض^(٣).

وأهل العامة يروون الحديث هكذا: كتاب الله وسنتي! على أن المروري كما في الموطأ (وسنة نبيه) وليس (وسنتي)!

إذن فالشيعة والسنة متفقون على الثقل الأول وهو كتاب الله.

فالكتاب الذي يخلفه النبي الأكرم لابد أن يكون كتاباً مجموعاً ومرتباً، وإلا فكيف يتمسك المسلمون بكتاب يتألف من أوراق مبعثرة هنا وهناك؟!!

مع الانتباه إلى أن (الكتاب) لا يُطلق على النصوص المبعثرة!

النقطة السابعة:

جاء في صحيح مسلم:

... عن عبادة بن الصامت يبلغ به النبي ﷺ لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب^(٤).

(١) أي في الأسبوع.

(٢) كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن.

(٣) مسند احمد بن حنبل، ج ٣، ص ١٤، مسند أبي سعيد الخدري، ط دار الفكر العربي، بيروت.

(٤) كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة.

لاحظ أخي القارئ أن النبي الأكرم يقول (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)، فيما إن هذه السورة قد وُضعت في أول وبداية كتاب الله (بَرَكَاتُ) فهذا سميت بفاتحة الكتاب. أي إن القرآن الكريم كان مجموعاً ومرتباً أيضاً.

فتأمل جيداً حتى تستفيد من مجموع هذه النقاط السبعة التي ذكرناها لك حول أن القرآن الكريم كان مجموعاً في حياة رسول الله ﷺ، فلا اعتبار بما يتصوره البعض من أن القرآن لم يكن مجموعاً إلى أيام أبي بكر. وجاء في البخاري أيضاً:

... طلحة قال: سألت عبدالله بن أبي أوفى أوصى النبي ﷺ؟ فقال لا، فقلت كيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوص؟! قال: أوصى بكتاب الله^(١).

لاحظ أن النبي الأكرم أوصى بكتاب الله ﷺ!

فهل نقول: أوصى بكتاب الله.. غير المجموع؟!

أو نقول: أوصى بكتاب الله.. غير المحفوظ؟!

ولو كان محفوظاً.. فهو محفوظ في صدور رجال مُتَّهَمِينَ كما ستقرؤه لاحقاً!

كلام الشيخ الطبرسي حول الموضوع

يقول الشيخ في تفسيره:

... إن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن... وإن جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرهما، ختموا القرآن على النبي ﷺ عدّة ختمات، وكل ذلك يدلُّ بآدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبيثوث^(٢).

بعد أن ذكرنا هذه المعلومات المهمة من خلال النقاط السبعة، وعرفنا - بكل تأكيد - أن القرآن الكريم كان مجموعاً منذ حياة رسول الله ﷺ، نضع أمامك الآن بعض

(١) كتاب فضائل القرآن، باب الوصاة بكتاب الله ﷺ.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، المجلد ١، ص ٣٦، مقدمة الكتاب، الفن الخامس، ط دار مكتبة الحياة، بيروت.

الأقوال التاريخية - غير الصحيحة - لتعرف أن هناك تزويراً وتحريفًا، وكذباً وتمويهًا..
تسرّب إلى بعض الكتب المعتبرة عند العامة. وقبل هذا نبين لك مقدمة تمهيدية:
إن هناك أيدي خائنة حاولت العبث بالتاريخ لتشويش موضوع جمع القرآن،
ولصياغة قصص خيالية كاذبة لأهداف مشبوهة! وإدخالها في كتب التاريخ والحديث
والتفسير.

ولم يكن يهّم أصحاب هذه الأيدي غير الأمانة.. أن يطعنوا في بعض الحقائق الثابتة،
مثل: كون القرآن مجموعاً منذ أيام رسول الله ﷺ.
فمرة كان هدفهم وضع فضيلة لأبي بكر!
وأخرى كان هدفهم نسج فضيلة لعمر!
وثالثة كان هدفهم اختلاق فضيلة لعثمان!
والآن إليك هذا المثال لموضوعنا الذي نقدم دراسة مفصلة حوله:

أبو بكر يجمع القرآن!

جاء في صحيح البخاري:

... عن الزهري قال: أخبرني ابن السباق أن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وكان ممن
يكتب الوحي قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر إن عمر
أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقرآن
في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن.
قال أبو بكر: قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟
فقال عمر: هو والله خير.

فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر.
قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل
ولا تتهمك! كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فأجمعه.

- قال زيد - فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي ﷺ؟!

فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر.

فممت فتتبع القرآن أجمعه من الرُّقاع والأكتاف والعُسب^(١) وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ إلى آخرهما، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر^(٢).

كلام المؤرخ اليعقوبي

يقول اليعقوبي في تاريخه:

وقال عمر بن الخطاب لأبي بكر: يا خليفة رسول الله إن حملة القرآن قد قتل أكثرهم يوم اليمامة فلو جمعت القرآن فإني أخاف عليه أن يذهب حملته فقال أبو بكر أفعل ما لم يفعله رسول الله فلم يزل به عمر حتى جمعه وكتبه في صحف وكان مفترقاً في الجريد وغيرها...^(٣).

تعليقنا على رواية البخاري

إن صريح رواية البخاري هو: أن عمر قد أشار على أبي بكر بجمع القرآن، وما كان من أبي بكر إلا أن قام بتنفيذ رأي عمر، وذلك حينما قال - أبو بكر - لزيد بن ثابت: (إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن

(١) جمع عسيب: جريدة من النخل وهي السعفة مما لا ينبت عليه الخوص كما في كتاب لسان العرب لابن منظور.

(٢) كتاب التفسير، سورة براءة.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣٥، دار صادر، بيروت.

فاجمعه).

فإن هنا أكثر من سؤال يتبادر إلى الذهن ويُطالب بالإجابة، ومن جملة الأسئلة هي:

١. هل إن القرآن الكريم لم يكن مجموعاً قبل وفاة رسول الله؟!

ألم تكن نسخة كاملة من القرآن موجودة عند أبي بكر أو عمر؟!

وهل إنهما طوال حياتهما وصحبتهما لرسول الله لم يختما القرآن ولا مرة واحدة؟!

٢. إذا كان القرآن محفوظاً عندهما في الصدور، ولم يكن مكتوباً، فلماذا لم يقرأ أبو

بكر القرآن بنفسه ويمليه على زيد بن ثابت بأكمله ليكتبه ويدونه؟!

٣. لماذا تم اختيار زيد دون سائر الصحابة لجمع القرآن؟!

٤. لماذا قيل له (نحن لا نتهمك)؟!

٥. ما دام زيد بن ثابت كان من الذين يثق بهم أبو بكر وكان من الذين قد جمعوا القرآن

في أيام رسول الله - كما قرأنا ذلك في الحديث الذي مرّ علينا - فلماذا لم يأخذ أبو

بكر القرآن الذي كان قد جمعه زيد سابقاً منه مباشرة؟!

٦. لقد ذكرنا في النقطة الثانية رواية عن صحيح البخاري: بأنه (جمع القرآن على عهد

النبي أربعة ...).

فلماذا لم يأخذ أبو بكر من الثلاثة الآخرين، بل... لماذا لم يُشركهم في مهمة جمع

القرآن على حد زعمه؟!

هذه أسئلة لا جواب لها سوى أن نقول:

إن كل كلام يُفهم منه عدم جمع القرآن في أيام حياة رسول الله... يلزم علينا أن نضع

عليه علائم الاستفهام، ونجعله تحت مجهر الجمارك! ونعلّق على رواية البخاري

بالملاحظات التالية:

أولاً: إننا حينما نتدبّر في رواية البخاري نتوصل إلى: أن القرآن الكريم لم يكن

مجموعاً وم محفوظاً عند أبي بكر وعمر، ولم يكونا أيضاً حافظين لكتاب الله ﷻ عن

ظهر قلب!

ثانياً: لماذا قال أبو بكر لزيد (لا نتهمك)؟! وهل أبو بكر يتهم بقية الصحابة؟!

وهل يعقل أن يرحل النبي الأكرم إلى جوار ربه، ويترك القرآن محفوظاً في صدور
أناس متهمين؟! كما صرح أبو بكر بذلك!

وبما أنه - أي أبا بكر - كان يتهم الغير! فلماذا لم يقرأ على زيد وهذا الأخير يدوّن
ما يُعلمه عليه أبو بكر؟!!

ولماذا لم يأمر أبو بكر عمر كي يقرأ على زيد، وزيد يدوّن ذلك؟!
إذن، أقول:

إن أبا بكر لم يكن حافظاً لكتاب الله ﷻ، هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن جامعاً له
أيضاً.

وعمر أيضاً لم يكن حافظاً للقرآن ولا جامعاً له.

قال الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد:

وقال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد^(١).
وجاء في المعجم الكبير للطبراني:

عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: اقرأ، قال: قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك
أنزل؟! قال: نعم.

فقرأت سورة النساء حتى انتهيت إلى هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾^(١١) قال: حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان^(٢).

لاحظ أخي العزيز أن النبي الكريم يحب أن يسمع القرآن من عبدالله بن مسعود،
فلماذا لم يطلب أبو بكر مصحف عبدالله بن مسعود؟!!

ولماذا لم يشركه في جمع القرآن؟

فهل أن تلك المصاحف التي جمعها زيد وبأمر من أبي بكر كانت تختلف عن
مصحف ابن مسعود؟

(١) ج١، ص١٤٧، عبدالله بن مسعود، طالمكتبة السلفية، المدينة المنورة.

(٢) ج٩، ص٨٠، حديث ٨٤٦٠.

وإن كانت تختلف فأياها أصح وأضببط؟!

وهل كان في مصحف ابن مسعود شيء غير مرغوب فيه للسلطة لذا تراهم قد همّشوه؟

ثالثاً: إن الحديث الذي صرّح بعدم وجود آيتين من القرآن إلا عند خزيمة الأنصاري، يدلُّ على أن أبا بكر وعمر لم تكن عندهما هاتان الآيتان!
وبناءً على هذا الكلام.. يجب علينا أن نقول:

إن الغالبية العظمى من الصحابة والمسلمين لم يكونوا حافظين للقرآن، ولم يختموا القرآن في حياتهم ولا مرة واحدة! لأن تلك الآيتين لم تكونا مع أحد غير الصحابي المذكور (خزيمة بن ثابت الأنصاري).

ومن الواضح أن هذا الكلام باطل لا يوافق عليه أحد.

وهل جمع القرآن بهذه الطريقة لا يُخدش فيه؟!

يقول زيد بن ثابت أنه وجد آيتين من القرآن عند خزيمة الأنصاري فقط ولم يجدهما عند أحد غيره!! فيندرج هذا القول ضمن أخبار الأحاد فلا يثبت!!

فالقرآن الكريم أعز علينا من هؤلاء الأشخاص، ولا نعتد بهم ولا برواياتهم في كيفية الجمع هذه!

والأمر من ذلك ما ذكره الواقدي في طبقاته بأسانيد صحيحة عن محمد بن سيرين

قال: مات أبو بكر ولم يجمع القرآن^(١)!

وفيه أيضاً: محمد بن سيرين قال: قُتل عمر ولم يجمع القرآن^(٢)!

إذن.. إن فضيلة جمع القرآن بتمامه قد سُلِبَت من الشيخين!!

ماذا عن جمع عثمان للقرآن الكريم؟!

إن التشويش العجيب والمُتعمّد الذي حصل في روايات وأقوال جمع القرآن جعلنا لا نعرف بالضبط ما هو معنى جمع عثمان للقرآن، وقد اختلفت الآراء حول هذا الموضوع،

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الواقدي، ج ٣، ص ٢١١، ذكر وصية أبي بكر، ط ١٣٧٧هـ، دار صادر، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٢٩٤، ذكر استخلاف عمر.

لكننا لا نشقق بها بسبب تضاربيها بعضها مع بعض، إلا أننا نضع أمام القارئ بعض تلك الأقوال، لعله يستطيع بذكائه أن يكتشف الواقع في وسط زحمة هذه الأقوال المتضاربة.

كلام المؤرخ اليعقوبي حول جمع عثمان

يقول في تاريخه:

وجمع عثمان القرآن وألفه، وصيّر الطوال مع الطوال والقصار مع القصار من السور، وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جُمعت، ثم سلقها بالماء الحار والخل، وقيل: أحرقتها! فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك.. خلا مصحف ابن مسعود.

وكان ابن مسعود بالكوفة، فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبدالله بن عامر - الذي كان والياً على الكوفة من قبل عثمان - وكتب إليه عثمان أن أشخصه^(١) إنه لم يكن هذا الدين خيالاً وهذه الأمة فساداً.

ف (لما وصل ابن مسعود إلى المدينة)... دخل المسجد وعثمان يخطب، فقال عثمان: إنه قد قدمت عليكم دابة سوء، فكلمته ابن مسعود بكلام غليظ، فأمر به عثمان.. فحجراً برجله حتى كُسِر له ضلعان، فتكلمت عائشة وقالت قولاً كثيراً^(٢).

ويقول اليعقوبي أيضاً:

(وبعث عثمان بعد نسخ المصاحف إلى الأمصار)... بعث بمصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى البصرة، ومصحف إلى المدينة، ومصحف إلى مكة، ومصحف إلى مصر، ومصحف إلى الشام، ومصحف إلى البحرين، ومصحف إلى اليمن، ومصحف إلى الجزيرة، وأمر الناس أن يقرأوا على نسخة واحدة^(٣).

يقول البخاري:

... أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية

(١) أشخصه: أي ابغته إليّ.

(٢) أي استنكرت فعل عثمان بالصحابي عبدالله بن مسعود.

(٣) ج ٢، ص ١٧٠، دار صادر، بيروت.

وآذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق^(١).

رأي محمود أبورية في جمع عثمان

يقول أبو رية: لبثت الصحف التي كتبت في عهد أبي بكر عنده إلى أن قضى نحبه عليه السلام، ثم حُفظت عند عمر مدة ولايته، وقبل موته دفع بها إلى ابنته حفصة، وظلّت عندها حتى طلبها عثمان ليراجعوا عليها المصحف الذي كُتب في عهده^(٢).

تعليقنا الأخير على أكذوبة عدم جمع القرآن

لقد جاء في كتب الصحاح والمسانيد والسنن:

أن في آخر يوم من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح النبي عينه، فرأى الحجره مزدحمة بالصحابة فقال: هلّم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله^(٣).

وفي رواية (هجر رسول الله!)^(٤).

وزاد الغزالي:

(١) كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن .

(٢) أضواء، على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، ص ٢٤٩، ط ٥ مؤسسة الأعلمي، بيروت.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف، بتصرف .

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفاء .

... إيتوني بدواة وقرطاس لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً، فقال عمر بن الخطاب:

(دعوا الرجل فإنه ليهجر) - أي يهذي ويهذر - !!^٣.

أقول:

أولاً: تُعتبر كلمة (دعوا الرجل) - هنا - استصغاراً للنبي وإهانة له، حيث لم يُعبر عنه برسول الله أو النبي.

ثانياً: إن كلمة (هجر رسول الله)! تناقض قول الله تعالى حيث يقول: ﴿وَمَا يَطَّقُ عَنِ الْهُوِيِّ﴾^(٤).

ثالثاً: قال عمر: (وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله!).

أي كتاب يقصده عمر، والقرآن لا يزال غير مجموع حتى ذلك الوقت؟! هل يقصد بذلك: الكتاب غير المجموع؟! وغير المحفوظ في صدور كثير من الصحابة؟!!

ثم إن القلم ليعجز من أن يمرّ على هذه الحادثة، والمصيبة العظيمة على الأمة الإسلامية دون إشارة.

لماذا لم يمهلوا النبي حتى يكتب ذلك الكتاب الذي كان أماناً من تفرقة وتمزيق المسلمين؟!!

فهل يا ترى أن أولئك الصحابة كانوا عالمين بما سيكتبه النبي الأكرم؟ لذا قيل (حسبنا كتاب الله)؟

فليتهم تركوه ليكتب ذلك الكتاب الذي (لن يضل المسلمون بعده أبداً).

ألم يكن هذا القول أماناً للأمة؟!!

فطالما قال النبي الكريم (لن تضلوا بعده) فلهذه الجملة فقط كان على المسلمين أن يكتبوا ما يمليه النبي عليهم.

(١) سر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي، ص ٢٣، باب في ترتيب الخلافة.

أعود لصلب الموضوع..

فبعد أن قال عمر (حسبنا كتاب الله)، أقول: لقد مات محمد! وأهمل ما كان واجباً عليه، وجعل القرآن مبعثراً هنا وهناك! وترك الأمة الإسلامية على تلك الحال، وقد ذهبت سنوات الدعوة إلى الله هباءً منثوراً، وذهب دستور المسلمين معه!
ولكن أبا بكر وعمر أنقذا الأمة الإسلامية ودستورها لأنهما حفظا ذلك الدستور وهو القرآن بجمعه!!

أبو رية يعترف ويتأسف ويقول:

(غريبة توجب الحيرة)!

من أغرب الأمور ومما يدعو إلى الحيرة أنهم لم يذكروا اسم علي (عليه السلام) فيمن عهد إليهم بجمع القرآن وكتابته! لا في عهد أبي بكر ولا في عهد عثمان. ويذكرون غيره ممن هم أقل منه درجة في العلم والفقہ!

فهل كان علي لا يُحسن شيئاً من هذا الأمر؟!

أو كان من غير الموثوق بهم؟!

أو ممن لا يصح استشارتهم أو إشراكهم في هذا الأمر؟!

اللهم إن العقل والمنطق ليقضيان بأن يكون علي أول من يُعهد إليه بهذا الأمر، وأعظم من يُشارك فيه، وذلك بما أُتيح له من صفات ومزايا لم تنهياً لغيره من بين الصحابة جميعاً.

فقد ربّاه النبي ﷺ على عينه، وعاش زمناً طويلاً تحت كنفه، وشهد الوحي من أول نزوله.. إلى يوم انقطاعه، بحيث لم يُنَدَّ عنه آية من آياته!

فإذا لم يُدعَ إلى هذا الأمر الخطير، فإلى أي شيء يُدعى؟!

وإذا كانوا قد انتحلوا معاذير لئسوغوا بها تخطيهم إياه في أمر خلافة أبي بكر.. فلم يسألوه عنها ولم يستشيروه فيها، فبأي شيء يعتذرون من عدم دعوته لأمر كتابة القرآن؟!

فبماذا نعلل ذلك؟ وبماذا يحكم القاضي العادل فيه؟ حقاً إن الأمر لعجيب! وما علينا

إلا أن نقول كلمة لا نملك غيرها وهي:

لك الله يا علي! ما أنصفوك في شيء^(١)!

الخلاصة

ما فائدة جمع أبي بكر القرآن؟

فطالما أنه جمعه ودسه في ظلمات داره فإن المسلمين لم يستفيدوا من جمعه ذلك طيلة حكمه الذي ناهز السنتين، وكان هذا القرآن النور.. لم يرَ النور! وعندما توفي أبو بكر كان هذا المصحف المجموع عند عمر بن الخطاب لم يرَ هذا القرآن النور.. النور أيضاً!

فقد ظل في الظلمات في دار عمر إلى أن توفي بعد عشر سنين من حكمه. ثم كان هذا المصحف عند حفصة بنت عمر، فاستأذن عثمان وطلب منها المصحف كي يقوم بنسخه ومن ثم بإعادته عليها. فأعطته ذلك فقام بنسخه وتوزيعه على الأمصار. إذن.. بقي هذا المصحف الذي جمعه أبو بكر في الظلمات طيلة ثلاث عشرة سنة! ولم يستفد المسلمون منه! فأقول وأعيد وأكرر: ما فائدة جمع أبي بكر لهذا المصحف؟! وقبل الختام:

يقول محمد أبو زهرة في كتابه المعجزة الكبرى - القرآن - :

منذ ابتداء نزول القرآن الكريم على الرسول الأمين، والنبى ﷺ يحفظه، ويأمر من حوله ممن يحسنون الكتابة أن يكتبوه، وقد سمي أولئك الذين كتبوا القرآن بكتّاب الوحي، ومنهم عبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وغيرهم كثير...^(٢). ويقول أيضاً:

وإن النبى ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد جمع القرآن....

(١) أضواء على السنة المحمدية، ص ٢٤٩.

(٢) ص ٢٧، ط دار الفكر العربي.

و يقول:

أن القرآن كله كان مكتوباً عند الصحابة^(١).

وأخيراً أقول:

فرواية جمع القرآن، وأن أبا بكر جمعه..

إما أن نكذبها وننفيها..

وإما أن نقر ونعترف بجهل الشيخين - أبي بكر وعمر - وأنهما لم تكن لهما علاقة وطيدة بكتاب الله ﷻ كما ذكرنا، لذا نراهما لم يحفظا القرآن، ولم يجمعا، ولم يختماه طيلة حياتهما!

والأمر الأول هو الأقرب، وذلك كي لا نتهم الرسول بالإهمال والتقصير، مما يؤدي ذلك إلى القدح فيه على حساب إدعاء فضيلة للشيخين.

وكذلك كي لا ننسب الجهل للشيخين ولكي نخرجهما من المأزق الذي هما في غنى عنه.

أما نحن فنقول والله الحمد بأن القرآن كان مجموعاً زمن النبي الأكرم كما عرضنا ذلك في بحثنا هذا وليس كما تدعي العامة ذلك.

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢٨.

باب فضل ليلة القدر

٣٦١.... عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر التي في وسط الشهر فإذا كان من حين تمضي عشرون ليلة ويستقبل إحدى وعشرين يرجع إلى مسكنه ورجع من كان يجاور معه ثم إنه أقام في شهر جاور فيه تلك الليلة التي كان يرجع فيها فخطب الناس فأمرهم بما شاء ثم قال إني كنت أجاور هذه العشر ثم بدا لي أن أجاور هذه العشر الأواخر فمن كان اعتكف معي فليبت في معتكفه وقد رأيت هذه الليلة فأنسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر في كل وتر وقد رأيتني أسجد في ماء وطين قال أبو سعيد الخدري مطرنا ليلة إحدى وعشرين فوكف المسجد في مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت إليه وقد انصرف من صلاة الصبح ووجهه مبتل طيناً وماء.

٣٦٢.... عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال كان رسول الله ﷺ يجاور في رمضان العشر التي في وسط الشهر وساق الحديث بمثله غير أنه قال فليثبت في معتكفه وقال وجبينه ممتلئاً طيناً وماء.

٣٦٣.... عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية على سدها حصير قال فأخذ الحصير بيده فنحاه في ناحية القبة ثم أطلع رأسه فكلم الناس فدنوا منه فقال إني اعتكفت العشر الأول التمس هذه الليلة ثم اعتكفت العشر الأوسط ثم أتيت فقيل لي إنها في العشر

الأواخر فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف فاعتكف الناس معه قال وإنني أربيتها ليلة وتر وإنني أسجد صبيحتها في طين وماء فأصبح من ليلة إحدى وعشرين وقد قام إلى الصبح فمطرت السماء فوكف المسجد فأبصرت الطين والماء فخرج حين فرغ من صلاة الصبح وجبينه وروثة أنفه فيهما الطين والماء وإذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر.

٣٦٤... أخبرنا أبو المغيرة حدثنا الأوزاعي كلاهما عن يحيى بن أبي كثير بهذا الإسناد نحوه وفي حديثهما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف وعلى جبهته وأرنبته أثر الطين.

٣٦٥... عن عبدالله بن أنيس أن رسول الله ﷺ قال أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني صبحها أسجد في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاثة وعشرين فصلى بنا رسول الله ﷺ فانصرف وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه.

هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مسجد النبي ﷺ لم يكن مفروشاً بشيء! هذا في زمن النبي الأكرم وأما في زمن عمر بن الخطاب فإنه أمر بفرش المسجد بالحصى.

جاء في المصنف لابن أبي شيبة: أول من ألقى الحصى في مسجد النبي ﷺ عمر بن الخطاب كان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم فأمر بالحصى فجاء به من العقيق فبسط في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم^(١).

نعم.. لقد فرشوا المسجد بما يجوز السجود عليه ولم يفرشوه بالسجاد مثلاً!

يقول ابن تيمية: ولا نزاع بين أهل العلم في جواز الصلاة والسجود على المفارش إذا كانت من جنس الأرض كالخمرة والحصير ونحوه^(٢).

راجع كتاب الصلاة، باب الصلاة في ثوب واحد من كتابنا هذا.

(١) المصنف في الأحاديث والآثار لعبدالله بن محمد بن أبي شيبة، ج ٧، ص ٢٦٢، ح ٣٥٨٩٧.

(٢) الفتاوى الكبرى، ج ٢، ص ٣٩، المسألة السابعة، ط دار المعرفة، بيروت.

باب بيان وجوه الإحرام

٣٦٦... عطاء قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه في ناس معي قال أهللنا أصحاب محمد ﷺ بالحج خالصاً وحده قال عطاء قال جابر فقدم النبي ﷺ صبح رابعة مضت من ذي الحجة فأمرنا أن نحل قال عطاء قال حلوا وأصيبوا النساء قال عطاء ولم يعزم عليهم ولكن أحلهم لهم فقلنا لما لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس أمرنا أن نقضي إلى نسائنا فنأتي عرفة تقطر مذاكيرنا المنى قال يقول جابر بيده أني أنظر إلى قوله بيده يحركها قال فقام النبي ﷺ فينا فقال قد علمتم أني أتقاكم الله وأصدقكم وأبركم ولولا هديي لحللت كما تحلون ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي فحلوا فحللنا وسمعنا وأطعنا قال عطاء قال جابر فقدم علي من سعائته فقال بم أهللت قال بما أهل به النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ فأهد وامكث حراماً قال وأهدى له علي هدياً فقال سراقه بن مالك بن جعشم يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبد فقال لأبد.

يقول العثماني في شرحه: قوله (فأمرنا أن نحل)، قال عطاء قال حلوا وأصيبوا النساء، قال عطاء: ولم يعزم عليهم ولكن أحلهم لهم) معناه لم يعزم عليهم في وطء النساء بل

أباحه ولم يوجبه وإما الإحلال فعزم فيه على من لم يكن معه هدي.

قوله (فأتيت عرفة تقطر مذاكيرنا المنى) هو إشارة إلى قرب العهد بوطء النساء.

قوله (فقدم علي من سعائته فقال بم أهلت؟ قال بما أهل به النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ فأهد وامكث حراماً قال وأهدى له علي ﷺ هدياً... قال القاضي عياض: قوله من سعائته أي من عمله في السعي في الصدقات....

قوله (فقدم علي ﷺ من سعائته فقال بم أهلت قال بما أهل به النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ فأهد وامكث حراماً قال وأهدى له علي هدياً... وكان مع النبي ﷺ الهدي فشاركه علي في أن معه الهدي فهذا أمره بالبقاء على إحرامه كما بقي النبي ﷺ على إحرامه بسبب الهدي وكان قارناً وصار علي ﷺ قارناً^١).

إتماماً للفائدة سنذكر أنواع الحج الثلاث وكيفياتها فقد جاء في الموسوعة الفقهية في
كيفية الحج:

يؤدى الحج على ثلاث كيفية وهي:

أ. الأفراد: وهو أن يهل الحاج أي ينوي الحج فقط عند إحرامه ثم يأتي بأعمال الحج وحده.

ب. القران: وهو أن يهل بالعمرة والحج جميعاً فيأتي بهما في نسك واحد.

ت. وقال الجمهور: إنهما يتداخلان فيطوف طوافاً واحداً ويسعى سعياً واحداً ويجزئه ذلك عن الحج والعمرة.

وقال الحنفية: يطوف القارن طوافين ويسعى سبعين طواف وسعي للعمرة ثم طواف الزيارة والسعي للحج، ويجب على القارن أن ينحر هدياً بالإجماع.

ث. التمتع: وهو أن يهل بالعمرة فقط في أشهر الحج ويأتي مكة فيؤدي مناسك العمرة ويتحلل ويمكث بمكة حلالاً ثم يحرم بالحج ويأتي بأعماله ويجب عليه أن ينحر هدياً بالإجماع.

(١) موسوعة فتح الملهم لشبير أحمد العثماني، ج٦، ص٣٤٥، ح٢٩٣٥.

مشروعية كيفيات الحج:

اتفق الفقهاء على مشروعية كل كيفيات الحج التي ذكرناها، ويستدل لذلك بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ وقوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وقوله ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحِجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾.

وأما السنة فمنها حديث عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من أهل بعمره ومنا من أهل بحجة وعمره ومنا من أهل بالحج، وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج. فأما من أهل بالحج أو جمع الحج والعمرة فلم يحلوا حتى كان يوم النحر.

وأما الإجماع فقد تواتر عمل الصحابة ومن بعدهم على التخيير بين هذه الأوجه كما نص على ذلك الأئمة ومن ذلك:

١. تصريح الإمام الشافعي الذي نقلنا سابقاً وقوله (ثم ما لا أعلم فيه خلافاً).
٢. قال القاضي حسين من الشافعية: (وكلها جائزة بالإجماع).
٣. قال الإمام النووي: (وقد انعقد الإجماع بعد هذا - أي بعد الخلاف الذي نقل عن بعض الصحابة - على جواز الأفراد والتمتع والقران من غير كراهة).
٤. قال الخطابي: (لم تختلف الأمة في أن الأفراد والقران والتمتع بالعمرة إلى الحج كلها جائزة)^(١).

يقول الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه الفقه على المذاهب الخمسة:

اتفقوا على أن أنواع الحج ثلاثة: تمتع وقران وإفراد.

وأيضاً اتفقوا على أن معنى التمتع أن يأتي أولاً بأعمال العمرة في أشهر الحج وبعد الفراغ منها يأتي بالحج.

واتفقوا على أن حج الأفراد أن يحج أولاً وبعد الفراغ من أعمال الحج يحرم بالعمرة ويأتي بأعمالها.

(١) الموسوعة الفقهية، ج ١٧، ص ٤٢-٤٣، باب (حج)، ط ١٠/٢٤١هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

واتفق الأربعة على أن معنى القران أن يحرم بالحج والعمرة معاً بحيث يقول الناسك لبيك اللهم بحج وعمرة.

وقال الإمامية: إن القران والإفراد شيء واحد لا يفترقان إلا في حال واحدة وهي أن القارن يسوق الهدي عند إحرامه فيلزمه أن يهتدي ما ساقه إما من حج حجة الإفراد فليس عليه هدي أصلاً. وبكلمة: إن الإمامية لا يجيزون التداخل بين إحرامين ولا إتيان الحج والعمرة بنية واحدة في حال من الحالات وأجازه غيرهم في حجة القران وقالوا إنه سمي بذلك لما فيه من الجمع بين الحج والعمرة.

وقال الإمامية بل لأنه أضيف سياق الهدي إلى الإحرام.

وقال الأربعة: يجوز لأي كان مكياً أو غير مكّي أن يختار أي نوع شاء من أنواع الحج الثلاثة التمتع والقران والإفراد دون كراهة إلا أن أبا حنيفة قال يكره للمكّي حج التمتع والقران.

ثم اختلف الأربعة فيما بينهم في الأفضل من هذه الثلاثة:

قال الشافعية: الأفراد والتمتع أفضل من القران.

وقال الحنفية: القران أفضل من أخويه.

وقال المالكية: بل الأفراد أفضل.

وقال الحنابلة والإمامية: التمتع أفضل.

وقال الإمامية: إن التمتع فرض من نأى عن مكة ٤٨ ميلاً لا يجوز له غيره إلا مع الضرورة أما القران والإفراد فهما فرض أهل مكة ومن كان بينه وبينها دون ٤٨ ميلاً لا يجوز له غيره إلا مع الضرورة أما القران والإفراد فهما فرض أهل مكة ومن كان بينه وبينها دون ٤٨ ميلاً ولا يجوز لهما غير هذين النوعين.

واستدلوا بقوله تعالى ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَعْيًا إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْكُمْ ذَلِكَ لِأَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ البقرة/١٩٦.

وقال الإمامية أيضاً: لا يجوز لمن وظيفته التمتع أن يعدل إلى غيره إلا لضيق وقت أو حيض فيجوز العدول حينئذ إلى القران أو الأفراد على أن يأتي بالعمرة بعد الحج، وحد

الضيق أن لا يتمكن من الوقوف في عرفة عند الزوال.

ولا يجوز العدول لمن فرضه القران أو الأفراد كأهل مكة وضواحيها أن يعدل إلى التمتع إلى مع الاضطرار كخوف الحيض المتوقع وبعد أن نقل هذا صاحب الجواهر قال بلا خلاف أجده.

واتفقوا جميعاً على أن من حج حجة الأفراد لا يلزمه هدي وإن تطوع به فخير^(١).

لاحظ ما جاء في الرواية أن متعة الحج هي للأبد وذلك بعد أن سأل سراقه النبي ﷺ: ألعامنا هذا أم لأبد؟ فأجابه النبي: لأبد، وسنوافيك بالمزيد فابق معنا.

(١) ص ٢٠٧، أنواع الحج، ط ١٩٧٩/٦م، دار العلم للملايين، بيروت.

باب في المتعة بالحج والعمرة

٣٦٧... عن أبي نضرة قال كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها قال فذكرت ذلك لجابر بن عبدالله فقال على يدي دار الحديث تمتعنا مع رسول الله ﷺ فلما قام عمر قال إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء وإن القرآن قد نزل منزله ف ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ كما أمركم الله وأبْتُوا نكاح هذه النساء فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة.

قال النووي في شرحه: قوله (كان ابن عباس يأمرنا بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها قال فذكرت ذلك لجابر بن عبدالله فقال على يدي دار الحديث تمتعنا مع رسول الله ﷺ فلما قام عمر قال إن الله يحل لرسوله ما شاء بما شاء وإن القرآن قد نزل منزله فأتوا الحج والعمرة كما أمركم الله وأبْتُوا نكاح هذه النساء فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة) وفي رواية... عن عمر رضي الله عنه فافصلوا حجكم من عمرتكم فإنه أتم لحجكم وأتم لعمرتكم....

وفي رواية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه كان يفتي بالمتعة ويحتج بأمر النبي ﷺ له بذلك وقول عمر رضي الله عنه أن نأخذ بكتاب الله فإن الله تعالى أمر بالإتمام وذكر عن عثمان أنه كان ينهى عن المتعة أو العمرة وأن علياً خالفه في ذلك وأهل بهما جميعاً وذكر قول أبي ذر رضي الله عنه كانت المتعة في الحج لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وفي رواية رخصة وذكر قول عمران بن حصين أن النبي ﷺ أمر طائفة من أهله في العشر فلم تنزل آية تفسخ ذلك وفي رواية

جمع بين حج وعمرة ثم لم ينزل فيها كتاب ولم ينه قال المازري اختلف في المتعة التي نهى عنها عمر في الحج فقليل هي فسخ الحج إلى العمرة وقيل هي العمرة في أشهر الحج ثم الحج من عامه وعلى هذا إنما نهى عنها ترغيباً في الأفراد الذي هو أفضل لا أنه يعتقد بطلانها أو تحريمها وقال القاضي عياض ظاهر حديث جابر وعمران وأبي موسى أن المتعة التي اختلفوا فيها إنما هي فسخ الحج إلى العمرة قال ولهذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الناس عليها ولا يضربهم على مجرد التمتع في أشهر الحج وإنما ضربهم على ما اعتقده هو وسائر الصحابة أن فسخ الحج إلى العمرة كان مخصوصاً في تلك السنة للحكمة التي قدمنا ذكرها.

قال ابن عبد البر: لا خلاف بين العلماء أن التمتع المراد بقول الله تعالى ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ هو الاعتمار في أشهر الحج قبل الحج قال ومن التمتع أيضاً القرآن لأنه تمتع بسقوط سفره للنسك الآخر من بلده قال ومن التمتع أيضاً فسخ الحج إلى العمرة.

هذا كلام القاضي قلت والمختار أن عمر وعثمان وغيرهما إنما نهوا عن المتعة التي هي الاعتمار في أشهر الحج ثم الحج من عامه ومرادهم نهى أولوية للترغيب في الأفراد لكونه أفضل وقد انعقد الإجماع بعد هذا على جواز الأفراد والتمتع والقران من غير كراهة وإنما اختلفوا في الأفضل منها....

وأما قوله فيمتعة النكاح وهي نكاح المرأة إلى أجل فكان مباحاً ثم نسخ يوم خيبر ثم أبح يوم الفتح ثم نسخ في أيام الفتح واستمر تحريمه إلى الآن وإلى يوم القيامة وقد كان فيه خلاف في العصر الأول ثم ارتفع وأجمعوا على تحريمه^(١).

وقال الأبي: قوله (كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها) قلت: تقدم أن أداء الحج يكون إفراداً وتمتعاً وقراناً. وتقدمت حقيقة كل واحد من الثلاثة ولم يختلف في جواز أدائه على كل منها، وأما الفسخ فأن ينوي الحج فقط ثم يفسخه في عمرة يتحلل منه فيطوف ويسعى ويحلق ويحل فيحل له كل شيء منعه الحاج.

(١) المجلد ٤، ج ٨، ص ٤١٩، ح ١٢١٧.

واختلف في المتعة التي اختلفا فيها فقبل هي التمتع والنهي عنه للترغيب في الأفضل الذي هو الأفراد وليكثر تردد الناس إلى البيت وقيل هي الفسخ وهو ظاهر حديث جابر وحديث عمران بن حصين وحديث أبي موسى وما كان عمر لينهي عن التمتع وإنما كان ينهي ويضرب على الفسخ لاعتقاد هو وغيره أن الفسخ خاص بالصحابة في تلك الحجة خاصة للعلة التي تقدمت. ويقول: (إن الله تعالى يحل لرسوله ما شاء بما شاء وإن القرآن نزل منزله) فإن أخذ بكتاب الله فالله أمر بإتمام كل من النسكين فقال تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ﴾ الآية، وفي بعض الطرق (فافصلوا حجكم عن عمرتكم) والمختار أن المتعة التي كان عمر ينهي عنها إنما هي الاعتمار في أشهر الحج والنهي عن ذلك ترغيب في الأفضل الذي هو الأفراد وليكثر تردد الناس....

قوله (وأبتوا نكاح هذه النساء) نكاح المتعة كان مباحاً أولاً ووقع فيه خلاف في الصدر الأول ثم انعقد الإجماع على منعه^(١).

يقول الأبى في شرحه: ووقع فيه خلاف في الصدر الأول ثم انعقد الإجماع على منعه! أقول: أي إجماع هذا الذي يعنيه الأبى؟! ففي الرواية ان ابن عباس كان يأمر بالمتعة وابن الزبير كان ينهى عنها، فأى إجماع عناه هذا الشارح؟! قال الرازي: (إن عمر بن الخطاب قال) متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا أنهى

عنهما وأعاقب عليهما^(٢).

وقال ابن حزم الأندلسي: قال عمر بن الخطاب متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهى عنهما وأضرب عليهما وفي رواية أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج^(٣).

وقال السيوطي: إن عمر بن الخطاب أول من حرم المتعة^(٤).

وقال البخاري: عن عمران ؓ قال تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ فنزل القرآن قال

(١) إكمال إكمال المعلم، ج ٤، ص ٣٤٢، ح ١٢١٧.

(٢) التفسير الكبير، ج ١٠، ص ٥٠، قوله ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِوَيْمُتِنَ﴾ ط ٣.

(٣) المحلى لأحمد بن حزم الأندلسي المتوفى ٤٥٦هـ، ج ٧، ص ١٠٧، الكلام على متعة الحج، ط بيروت.

(٤) تاريخ الخلفاء، ص ١٣٧، أوليات عمر، ط ١٣٧١هـ، مطبعة السعادة، مصر.

رجل برأيه ما شاء^(١).

وقال ابن حجر في فتح الباري: عن مطرف (فلم تنزل آية تنسخ ذلك ولم تنه عنه حتى مضى لوجهه).

وعن همام (تمتعنا مع رسول الله ﷺ ونزل فيه القرآن ولم ينهنا رسول الله ﷺ ولم ينسخها شيء).

وعن عمران بلفظ (أنزلت آية المتعة في كتاب ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمه فلم ينه عنها حتى مات قال رجل برأيه ما شاء) قال البخاري يقال إنه عمر أي الرجل الذي عناه عمران.

عن مطرف... رجل برأيه ما شاء يعني عمر^(٢).

الخلاصة: إن عمر بن الخطاب هو الذي حرم متعة الحج وهدد بالعقاب كما جاء في الروايات ولكن الصحابة ضربوا مقالة عمر عرض الجدار فعلى سبيل المثال نذكر منهم الإمام علي عليه السلام.

... عن مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعلياً... وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما فلما رأى علي أهل بهما لبيك بعمره وحجة قال ما كنت لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد^(٣).

يقول ابن حجر في شرحه: (وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما) أي بين الحج والعمرة. فلبى علي وأصحابه بالعمرة فلم ينههم عثمان فقال له علي ألم تسمع رسول الله ﷺ تمتع قال بلى... زاد مسلم عن عثمان قال أجل ولكننا كنا خائفين، زاد النسائي فقال عثمان تراني أنهى الناس وأنت تفعله فقال ما كنت أدع، ويقول ابن حجر أن عثمان لم يخف عليه أن التمتع والقران جائزان إنما نهى عنهما ليعمل بالأفضل كما وقع لعمر لكن خشى علي أن يحمل غيره النهي على التحريم فأشاع جواز ذلك وكل منهما مجتهد مأجور!

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب التمتع على عهد رسول الله ﷺ.

(٢) ج ٣، ص ٥٢٨، ح ١٥٧١

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب التمتع والإقران والإفراد بالحج.

ويقول:.... أن المجتهد لا يلزم مجتهداً آخر بتقليده لعدم إنكار عثمان على علي ذلك مع كون عثمان الإمام إذا ذاك^١.

أقول:

يقول ابن حجر أن المجتهد لا يلزم مجتهداً آخر بتقليده!! هذا القول لا يصرح به عاقل وذلك لأن كلمة المجتهد طالما ذكرها ابن حجر إذن نقول بأن عمر اجتهد مقابل النص القرآني والحديث النبوي.

وكيف لا يلزم المجتهد مجتهداً آخر بتقليده!!؟

فقد ذكر أهل الحديث وفي موارد متعددة أن عمر بن الخطاب كان يهدد ويتوعد بالعقاب لكل من جاء بالمتعة وما كان تهديده وتوعيده إلا أن يعمل المسلمون برأيه لزمًا وجبراً.

ونسأل ابن حجر هل يجوز الاجتهاد مقابل النص؟! وما هي مؤهلات ومواصفات المجتهد؟! فهل كل من هب ودب عليه أن يجتهد؟!؟

فمعاوية بن أبي سفيان أيضاً اجتهد وشتان ما بين عمر بن الخطاب وبين معاوية فهل يتساوى هذا المجتهد مع ذاك؟!؟

وعبدالرحمن بن عديس البلوي أيضاً هل اجتهد في الثورة على عثمان بن عفان؟! وهل اجتهد بتأليب الناس على عثمان بن عفان حتى قتل الأخير في عقر داره؟!؟

وهل اجتهد محمد بن أبي بكر في قوله لعثمان إنك خرجت عن دائرة الإسلام والمسلمين أثناء حكمك؟!؟

ثم من الذي أصاب في اجتهاده من هؤلاء فأين المصيب وأين المخطئ ومن الذي له أجر واحد ومن الذي له أجران؟!؟

ولو أردت المزيد فيما نحن بصدد (متعة الحج) فراجع بعض مصادر العامة منها:

١. سنن النسائي لأحمد بن شعيب النسائي، ج ٥، ص ١٥٧ و ١٧٩، باب القران والتمتع وإباحة فسخ العمرة.

(١) فتح الباري، ج ٣، ص ٥١٨، ح ١٥٦٣.

٢. مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٥٢.

٣. بداية المجتهد ونهاية المقتصد لمحمد بن أحمد القرطبي، ج١، ص٢٨٤، ط مصر.

٤. المغني لابن قدامة، ج٣، ص٢٦٤، مسألة ٢٢٨٩ وص ٢٧٢، مسألة ٢٣٠٥، باب فإن أراد التمتع وهو اختيار أبي عبد الله.

٥. موطأ مالك لمالك بن أنس، كتاب الحج، باب ما جاء في التمتع، ص٢٣٥، ح ٧٦٧، ط دار الفرائس.

٦. تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة، ج٢، ص٧٢٠، ذكر من استمتع قبل تحريم عمر.

باب حجة النبي (ص)

٣٦٨... عن جعفر بن محمد عن أبيه قال دخلنا على جابر بن عبد الله فسأل عن القوم حتى انتهى إلي فقلت أنا محمد بن علي بن حسين فأهوى بيده إلى رأسه فنزع زري الأعلى ثم نزع زري الأسفل ثم وضع كفه بين ثديي وأنا يومئذ غلام شاب فقال مرحباً بك يا ابن أخي سل عما شئت فسألته وهو أعمى وحضر وقت الصلاة فقام في نساجه ملتحفاً بها كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها إليه من صغرها ورداؤه إلى جنبه على المشجب فصلى بنا فقلت أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ فقال بيده فعقد تسعاً فقال إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتيهم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع قال اغتسلي واستنصري بثوب وأحرمي فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ثم ركب القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به فأهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وأهل الناس بهذا الذي يهلون به فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئاً منه ولزم رسول الله ﷺ تلبيته قال جابر رضي الله عنه لسا

ننوي إلا الحج لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثاً
ومشى أربعاً ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ ﴿وَأَخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ فجعَلَ
المقام بينه وبين البيت فكان أبي يقول ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي صلى الله عليه وآله كان يقرأ في
الركعتين قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج
من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أبداً بما بدأ
الله به فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا
إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا
الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا
ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا
صعدت مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى إذا كان
آخر طوافه على المروة فقال لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدى
وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقه بن
مالك بن جعشم فقال يا رسول الله ألعامننا هذا أم لأبد فشبك رسول الله صلى الله عليه وآله أصابعه
واحدة في الأخرى وقال دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لأبد أبد وقدم علي من
اليمن ببدن النبي صلى الله عليه وآله فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حل ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت فأنكر
ذلك عليها فقالت إن أبي أمرني بهذا قال فكان علي يقول بالعراق فذهب إلى رسول
الله صلى الله عليه وآله محرشاً على فاطمة للذي صنعت مستفتياً لرسول الله صلى الله عليه وآله فيما ذكرت عنه فأخبرته
أنني أنكرت ذلك عليها فقال صدقت صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج قال قلت
اللهم إني أهل بما أهل به رسولك قال فإن معي الهدى فلا تحل قال فكان جماعة
الهدى الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به النبي صلى الله عليه وآله مائة قال فحل الناس كلهم
وقصروا إلا النبي صلى الله عليه وآله ومن كان معه هدي فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا
بالحج وركب رسول الله صلى الله عليه وآله فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم
مكث قليلاً حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة فسار رسول الله صلى الله عليه وآله
ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية
فأجاز رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا

زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال إن دماءكم
 وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا كل شيء
 من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من
 دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مستعرضاً في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية
 موضوع وأول رباً أضع ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب فإنه موضوع كله فاتقوا الله في
 النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا
 يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن عليكم
 رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب
 الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلوا قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال
 بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث
 مرات ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً ثم ركب
 رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حبل
 المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً
 حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه ودفع رسول الله ﷺ وقد شئق للقصواء الزمام
 حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى أيها الناس السكينة السكينة كلما
 أتى حبلًا من الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب
 والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى
 طلع الفجر وصلى الفجر حين تبين له الصبح بإذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى
 المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله وحده فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً
 فدفع قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل بن عباس وكان رجلاً حسن الشعر أبيض
 وسيماً فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن يجري فطلق الفضل ينظر إليهن فوضع
 رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول
 رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر
 حتى أتى بطن محسر فحرك قليلاً ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة
 الكبرى حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة

منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادي ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بيده ثم أعطى علياً فنحر ما غير وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبدالمطلب يسقون على زمزم فقال انزعوا بني عبدالمطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلواً فشرّب منه.

قال النووي في شرحه: (فقام في نساجه)... ثوب كالطيلسان.

(وردأؤه إلى جنبه على المشجب)... اسم لأعواد يوضع عليها الثياب ومتاع البيت. (اغتسلي واستغفري بثوب واحرمي)... الاستغفار وهو أن تشد في وسطها شيئاً وتأخذ حرقه عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها في ذلك المشدود في وسطها وهو شبيه بئفّر الدابة وفيه صحة إحرام النفساء وهو مجمع عليه^(١).
جاء في الرواية الطويلة قول النبي الأكرم (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله) وقد عرض مسلم بقية الرواية أو الثقل الثاني على مقص البتر وقام فعلاً بقطع الثقل الآخر وهو وعترتي أهل بيتي وقد رواه مسلم في موضع آخر وبصيغة أخرى، فبعد أن ذكر الثقل الأول قال أذكركم الله في أهل بيتي ثلاث مرات ولا بأس أن نذكر حديث الثقلين ولو باختصار وذلك لما فيه من فوائد.

جاء في صحيح سنن الترمذي: حدثنا نصر بن عبدالرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحسن - هو الأنماطي - عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبدالله قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول (يا أيها الناس إنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي)^(٢).
وقد صححه الألباني والجملة الأخيرة أي الثقل الثاني هي التي بترها مسلم في صحيحه.

(١) المجلد ٤، ج ٨، ص ٤٢٣، ح ١٢١٨.

(٢) صحيح سنن الترمذي للألباني، ج ٣، ص ٥٤٣، ح ٣٧٨٦، كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، ط ١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

وفيه أيضاً: حدثن علي بن المنذر كوفي: حدثنا محمد بن فضيل حدثنا الأعمش عن عطية عن أبي سعيد والأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما^(١).

وجاء في سنن النسائي: عن زيد بن أرقم قال لما رجع رسول الله ﷺ عن حجة الوداع ونزل غدیر خم أمر بدوحات فقممن ثم قال كأنني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ثم قال إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ثم أخذ بيد علي فقال من كنت وليه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه^(٢).

وقال الألباني في حديث العترة وبعض طرقه: (يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي).

أخرجه الترمذي (٣٠٨/٢) والطبراني (٢٦٨٠) عن زيد بن الحسن الأنماطي عن جعفر عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: (رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول) فذكره وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم.

قلت: قال أبو حاتم: منكر الحديث وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحافظ: ضعيف.

قلت: لكن الحديث صحيح، فإن له شاهداً من حديث زيد بن أرقم قال قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمأ بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ

(١) نفس المصدر السابق، ص ٥٤٤، ح ٣٧٨٨.

(٢) لأحمد بن شعيب النسائي، ج ٥، ص ١٣٠، ح ٨٤٦٤، كتاب الخصائص، باب قول النبي ﷺ من كنت وليه فعلي وليه، ط ١٤١١/١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

وذكر ثم قال:

أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور [من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل] فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به - فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: - وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي.

أخرجه مسلم (١٢٣/٧) والطحاوي في مشكل الآثار (٣٦٨/٤) وأحمد (٣٦٧/٤) وابن أبي عاصم في السنة (١٥٥١ و١٥٥٠) والطبراني (٥٠٢٦) من طريق يزيد بن حيان التميمي عنه. ثم أخرج أحمد (٣٧١/٤) والطبراني (٥٠٤٠) والطحاوي من طريق علي بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده فقلت له أسمعت رسول الله ﷺ يقول إني تارك فيكم الثقلين [كتاب الله وعترتي]؟ قال: نعم. وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح.

وله طرق أخرى عند الطبراني (٤٤٩٧١ و٤٤٩٨٢ و٥٠٤٠) وبعضها عند الحاكم (١٠٩/٣) و١٤٨ و٥٣٣) وصحح هو والذهبي بعضها.

وشاهد آخر من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: [إني أو شك أن أدعى فأجيب و] إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض.

أخرجه أحمد (١٤/٣ و١٧ و٢٦ و٥٩) وابن أبي عاصم (١٥٥٣ و١٥٥٥) والطبراني (٢٢٦٧٩) والديلمي (٤٥/٢).

وهو إسناده حسن في الشواهد.

وله شواهد أخرى من حديث أبي هريرة عند الدارقطني (ص ٥٢٩) والحاكم (٩٣/١) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/٥٦).

وابن عباس عند الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وعمر بن عوف عند ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٤/٢، ١١٠) وهي وإن كانت مفرداتها لا تخلو من ضعف فبعضها يقوي بعضاً وخيرها حديث ابن عباس. ثم وجدت له شاهداً قوياً من حديث علي مرفوعاً به.

أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٣٠٧/٢) من طريق أبي عامر العقدي: حدثنا يزيد بن كثير عن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن علي مرفوعاً بلفظ: (... كتاب الله بأيديكم وأهل بيتي).

ورجاله ثقات غير يزيد بن كثير فلم أعرفه، وغالب الظن أنه محرف على الطابع أو الناسخ والله أعلم.

ثم خطر في البال أنه لعله انقلب على أحدهم وأن الصواب كثير بن زيد ثم تأكدت من ذلك بعد أن رجعت إلى كتب الرجال فوجدتهم ذكروه في شيوخ عامر العقدي وفي الرواة عن محمد بن عمر بن علي فالحمد لله على توفيقه.

ثم ازددت تأكيداً حين رأيت على الصواب عند ابن أبي عاصم (١٥٥٨).

وشاهد آخر يرويه شريك عن الركين بن الربيع عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت مرفوعاً به.

أخرجه أحمد (١٨٩/٥) وابن أبي عاصم (١١٥٤٩) والطبراني في الكبير (٤٤٩٢٣) وهذا إسناد حسن في الشواهد والمتابعات.

وقال الهيثمي في المجمع (١٧٠/١): الطبراني في الكبير رجاله ثقات.

وقال في موضع آخر (١٦٣/٩): رواه أحمد وإسناده جيد.

بعد تخريج هذا الحديث بزمن بعيد كتب علي أن أهاجر من دمشق إلى عمان ثم أن أسافر منها إلى الإمارات العربية، أوائل سنة ١٤٠٢هـ هجرية فلقيت في قطر بعض الأساتذة والدكاترة الطبيين فأهدى إلي أحدهم رسالة له مطبوعة في تضعيف هذا الحديث فلما قرأتها تبين لي أنه حديث عهد بهذه الصناعة وذلك من ناحيتين ذكرتهما له:

الأولى: أنه اقتصر في تخريجه على بعض المصادر المطبوعة المتداولة ولذلك قصر تقصيراً فاحشاً في تحقيق الكلام عليه وفاته كثير من الطرق والأسانيد التي هي بذاتها

صحيحة أو حسنة فضلاً عن الشواهد والمتابعات كما يبدو لكل ناظر يقابل تخريجه بما خرجته هنا.

الثانية: أنه لم يلتفت إلى أقوال المصححين للحديث من العلماء، ولا إلى قاعدتهم التي ذكروها في مصطلح الحديث أن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة الطرق فوق في هذا الخطأ الفادح من تضعيف الحديث الصحيح.

وكان قد نما إلي قبل الالتقاء به واطلاعي على رسالته أن أحد الدكاترة في الكويت يضعف هذا الحديث وتأكدت من ذلك حين جاءني خطاب من أحد الأخوة هناك يستدرك علي إيراد الحديث في صحيح الجامع الصغير بالأرقام (٢٤٥٣ و ٢٤٥٤ و ٢٧٤٥ و ٢٧٥٤) لأن الدكتور المشار إليه قد ضعفه وأن هذا قد استغرب مني تصحيحه! ويرجو الأخ المشار إليه أن أعيد النظر في تحقيق الحديث وقد فعلت ذلك احتياطاً فلعله يجد فيه ما يدل على خطأ الدكتور وخطئه هو في استرواحه واعتماده عليه وعدم تنبهه للفرق بين ناشئ في هذا العلم و متمكن فيه وهي غفلة أصابت كثيراً من الناس الذين يتبعون كل من كتب في هذا المجال وليس له قدم راسخة فيه والله المستعان^(١).

قال ابن الأثير الجزري: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) سماها ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل ويقال لكل خطير نفيس ثقل فسماهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لسانهما^(٢).

وجاء في المستدرك على الصحيحين: عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدِير خم أمر بدوحات فقممن فقال كَأَنِّي قَدْ دَعَيْتُ فَأَجَبْتِ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَعِترتي فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا فَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ بِعَزَائِكُمْ وَأَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ رضي الله عنه فَقَالَ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهِ

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، ج ٤، ص ٣٥٩، ح ١٧٦١، ط ١٤١٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المتوفى ٦٠٦هـ، ج ١، ص ٢١٦، باب التاء مع القاف، ط المكتبة الإسلامية.

وعاد من عاداه وذكر الحديث بطوله. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله حدثناه أبو بكر بن اسحاق ودعلج بن احمد السجزي قالاً أنبأنا محمد بن أيوب حدثنا الأزرق بن علي حدثنا حسان بن إبراهيم الكرمانى حدثنا محمد بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الطفيل عن ابن وائلة أنه سمع زيد بن أرقم رضي الله عنه يقول نزل رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام فكنس الناس ما تحت الشجرات ثم راح رسول الله ﷺ عشية فصلى ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول ثم قال أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا ان اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي ثم قال أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثلاث مرات قالوا نعم فقال رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه. وحديث بريدة الأسلمي صحيح على شرط الشيخين^(١).

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله ﷻ حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، رواه أحمد وإسناده جيد وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إني خلفت فيكم اثنين لن تضلوا بعدهما أبداً كتاب الله ونسبي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

وعن زيد بن أرقم قال نزل رسول الله ﷺ الجحفة ثم أقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إني لا أجد لنبي إلا نصف عمر الذي قبله وإني أوشك أن أدعى فأجيب فما أنتم قائلوا قالوا نصحت قال أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق قالوا نشهد قال فرفع يده فوضعها على صدره ثم قال أنا أشهد معكم ثم قال ألا تسمعون قالوا نعم قال فإني فرط على الحوض وأنتم واردون على الحوض وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقيلين فنادى مناد وما الثقلان يا رسول الله قال كتاب الله طرف بيد الله ﷻ وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر عشيرتي وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن

(١) المستدرک للحاکم النیسابوری، ج ٣، ص ١١٠، کتاب معرفة الصحابة، باب ومن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب، ط بيروت.

يتفرقا حتى يردا على الحوض فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا
عنهما فتهلكوا ولا تعلموهما فهم أعلم منكم ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال من كنت أولى
به من نفسه فعلي وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...^(١)

وذكره الطبراني في معجمه الكبير: وحدنا أبو حصين القاضي حدثنا يحيى الحماني
قالوا حدثنا شريك عن الركين بن الربيع عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال إني قد تركت فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا
علي الحوض.

حدثنا عبيد بن غنام حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه حدثنا شريك عن الركين بن الربيع
عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت يرفعه قال إني قد تركت فيكم الخليفتين كتاب الله
وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

حدثنا عبيد بن غنام حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه حدثنا عمر بن سعد أبو داود الحفري
حدثنا شريك عن الركين بن الربيع عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم الثقلين من بعدي كتاب الله بقرآن وعترتي أهل بيتي وإنهما لن
يتفرقا حتى يردا علي الحوض.^(٢)

وفي مسند أحمد بن حنبل: ... عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم
خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض
وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

قال شعيب الأرنؤوط حديث صحيح بشواهده^(٣).

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى ٨٠٧هـ، ج ٩، ص ١٦٤، باب في فضل أهل البيت عليهم السلام،
ط ١٤٠٢/٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) المعجم الكبير لسليمان بن أحمد الطبراني المتوفى ٣٦٠هـ، ج ٥، ص ١٥٤، ح ٤٤٩٢٣، ط ١٤٠٥/٢هـ، راجع أيضاً ص ١٦٧،
ح ٤٤٦٧١، وص ١٧٢، ح ٤٤٩٨٤، من كتاب المعجم الكبير.

(٣) الموسوعة الحديثية، مسند أحمد بن حنبل، ج ٣٥، ص ٤٥٦، ح ٢١٥٧٨، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ١٤٢٠هـ،
مؤسسة الرسالة، بيروت، وكذلك في ج ٣٢، ص ٦٤، ح ١٩٣١٣، ويقول شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. وكذلك
ج ١٧، ص ١٧٠، ح ١١١٠٤، ويقول المحقق الأرنؤوط: حديث صحيح بشواهده. وص ٢١١، ح ١١١٣١، ويقول المحقق
الأرنؤوط: حديث صحيح بشواهده أيضاً. وأخيراً ص ٣٠٩، ح ١١٢١١، أيضاً حديث صحيح بشواهده.

الحاصل أن مسلم النيسابوري صاحب الصحيح قد بتر الرواية كما ذكرنا ولكنه في موضع آخر يقول: (زيد بن أرقم يقول) قام رسول الله ﷺ يوماً فإنا خطيباً بماء يدعى خمأ بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي...^(١)

نعم لقد ذكر مسلم هنا أهل البيت ولكن بصيغة أخرى فالحديث لا زال مبتوراً ومموهاً والمسلم لن يشفى غليله ما دام الحديث غامضاً نوعاً ما ولكن بقية الرواية تبين من هم أهل البيت للقارئ الفطن.

قال مسلم في صحيحه فقال حصين ومن أهل بيته يا زيد ليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده...^(٢)

أيضاً الرواية على ما هي عليه غامضة أيضاً وكأن زيدا يقول مجيباً السائل نعم نساؤه من أهل بيته ولكن يجب عليك أخي القارئ أن تضع علامة تعجب بعد كلمة بيته هكذا ومن أهل بيته يا زيد ليس نساؤه من أهل بيته؟ قال نساؤه من أهل بيته! قالها زيد متعجباً من السائل واعتقاده ويؤيد قولنا ما جاء في حديث آخر وهو (أن زيد بن الأرقم قال)... ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله ﷻ هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفيه فقلنا من أهل بيته نساؤه قال لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده...^(٣)

بعد التمعن في الأحاديث التي ذكرناها والتي يدور محورها على الثقلين وهما كتاب الله وعترة النبي الأكرم نستنتج أن الثقل الثاني يمثله الأئمة الأطهار عليهم السلام وعلى رأسهم البطل الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام ومهما حاول أهل العامة التملص من تأويل

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.

الأحاديث وتحريف الكلم عن مواضعه فإن النبي الأكرم قد نسف كل تلك المحاولات يوم غدير خم عندما توج علياً عليه السلام إماماً وخليفة من بعده.

وقد حاول أهل العامة إدخال نساء النبي في دائرة (وعترتي) ومنهم الألباني هذا الشيخ الناصبي الذي تشم من كلامه رائحة النصب، فعندما أُلزم بالحجج اعترف بصحة أحاديث (كتاب الله وعترتي)، فماذا قال في محاولاته اليائسة بعد ذلك وكيف زيف ووجه الحديث؟ ومن هم أهل البيت عند الألباني؟

قال الألباني: واعلم أيها القارئ الكريم أن المعروف أن الحديث مما يحتج به الشيعة ويلهجون بذلك كثيراً حتى يتوهم بعض أهل السنة أنهم مصيبون في ذلك وهم جميعاً واهمون في ذلك وبيانه من وجهين:

الأول أن المراد من الحديث في قوله ﷺ (عترتي) أكثر مما يريد الشيعة ولا يرده أهل السنة بل هم مستمسكون به ألا وهو أن العترة فيه هم أهل بيته ﷺ وقد جاء ذلك موضحاً في بعض طرقه كحديث الترجمة (وعترتي أهل بيتي) وأهل بيته في الأصل هم نساؤه ﷺ وفيهن الصديقة عائشة رضي الله عنها كما هو صريح قوله تعالى في الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ * بدليل الآية التي قبلها والتي بعدها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الرِّجْسَ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ فِي بَيْنِهِمْ إِنَّهُم مُّضِلٌّ لِّلْطَرِيقِ الْمَسْجُودِ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ * ﴿٢٣﴾ وَقَرَنَ فِي بَيُوتِكُمْ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ * ﴿٢٤﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا بُدِّلَ فِي بَيُوتِكُمْ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ * ﴿٢٥﴾ * وتخصيص الشيعة (أهل البيت) في الآية بعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم دون نساته ﷺ من تحريفهم لآيات الله تعالى انتصاراً لأهوائهم كما هو مشروح في موضعه وحديث الكساء وما في معناه غاية ما فيه توسيع دلالة الآية ودخول علي وأهله فيها كما بينه الحافظ ابن كثير وغيره وكذلك حديث العترة قد بين النبي ﷺ أن المقصود أهل بيته ﷺ بالمعنى الشامل لزوجاته وعلي وأهله...: عترة الرجل: أهل بيته الأذنون ولاستعمالهم العترة على أنحاء كثيرة بينها رسول الله ﷺ بقوله (أهل بيتي) ليعلم أنه أراد بذلك نسله وعصابته الأذنين وأزواجه.

والوجه الآخر: أن المقصود من (أهل البيت) إنما هم العلماء الصالحون منهم والمتمسكون بالكتاب والسنة قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: العترة هم أهل بيته ﷺ الذين هم على دينه وعلى التمسك بأمره.

وذكر نحوه الشيخ علي القاري في الموضوع المشار إليه آنفاً ثم استظهر أن الوجه في تخصيص أهل البيت بالذكر ما أفاده بقوله: إن أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله فالمراد بهم أهل العلم منهم المطلعون على سيرته الواقفون على طريقته العارفون بحكمه وحكمته.

وبهذا يصلح أن يكون مقابلاً لكتاب الله سبحانه كما قال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

قلت: ومثله قوله تعالى في خطاب أزواجه ﷺ في آية التطهير المتقدمة ﴿وَأَذَكَّرَكَ مَا تَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.

فتبين أن المراد بـ (أهل البيت) المتمسكين منهم بسنته صلى الله عليه وسلم فتكون هي المقصود بالذات في الحديث ولذلك جعلها أحد الثقلين في حديث زيد بن أرقم المقابل للثقل الأول وهو القرآن وهو ما يشير إليه قول ابن الأثير في النهاية:

سماها (ثقلين، لأن الآخذ بهما - يعني الكتاب والسنة - والعمل بهما ثقيل، ويقال لكل خطير نفيس ثقل، فسامها ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لسانهما.

قلت: والحاصل أن ذكر أهل البيت في مقابل القرآن في هذا الحديث كذكر سنة الخلفاء الراشدين مع سنته ﷺ في قوله (فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين...).... فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي بالإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم إياها.

إذا عرفت ما تقدم فالحديث شاهد قوي لحديث الموطأ بلفظ: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكنتم بهما كتاب الله وسنة رسوله....

وقد خفي وجه هذا الشاهد على بعض من سود صفحات من إخواننا الناشئين اليوم

في تضعيف حديث الموطأ...^(١).

لاحظ أخي القارئ فإن الألباني عندما يذكر أهل البيت ويقحم نساء النبي الأكرم في تلك الدائرة فإنه لا يذكر سوى عائشة فقط وكأنها الزوجة الوحيدة للنبي نعم ولماذا لا تذكر غيرها وهل للسياسة الأموية دخل في ذلك وهل خروج عائشة على الإمام علي عليه السلام يوم الجمل وسقوط آلاف القتلى دخل في ذلك أيضاً فهل أراد بنو أمية جعل عائشة الثقل الثاني من الحديث فتكون النتيجة إعطاءها شرعية قتالها إمام زمانها فتكون حجة على المسلمين فيما قامت وعملت به ولكن واقع الأمر يخالف ويكذب الألباني وإليك الروايات الصحيحة التي عينت أهل البيت ومن هم.

قال الحاكم في مستدركه... عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت في بيتي نزلت هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قالت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي قالت أم سلمة يا رسول الله ما أنا من أهل البيت قال إنك (علي) خير وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهلي أحق، هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

... الأوزاعي يقول حدثني أبو عمارة قال حدثني وائلة بن الأسقع رضي الله عنه قال جئت أريد علياً رضي الله عنه فلم أجده فقالت فاطمة رضي الله عنها انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فأجلس فجاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل ودخلت معهما قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حسناً وحسيناً فأجلس كل واحد منهما على فخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ثم لف عليهم ثوبه وأنا شاهد فقال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً اللهم هؤلاء أهل بيتي، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه^(٢).

وقال أيضاً... عن أم سلمة قالت في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قالت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي وفاطمة والحسن فقال هؤلاء أهل بيتي، هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

... وائلة بن الأسقع قال أتيت علياً فلم أجده فقالت لي فاطمة انطلق إلى رسول

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٤، ص ٣٦١، ط ١٤١٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري، ج ٢، ص ١٠٤، كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، ط بيروت.

الله ﷺ يدعو فجاء مع رسول الله ﷺ فدخلوا ودخلت معهما فدعا رسول الله ﷺ الحسن والحسين فأقعد كل منهما على فخذه وأدى فاطمة من حجره وزوجها ثم لف عليهم ثوباً وقال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ثم قال هؤلاء أهل بيتي اللهم أهل بيتي أحق هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

... عن صفية بنت شيبة قالت حدثتني أم المؤمنين عائشة ؓ قالت خرج النبي ﷺ غداً وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها معهما ثم جاء علي فأدخله معهم ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

كتب إلي أبو إسماعيل محمد بن النحوي يذكر أن الحسن بن عرفة حدثهم قال حدثني علي بن ثابت الجزري حدثنا بكير بن مسمار مولى عامر بن سعد سمعت عامر بن سعد يقول قال سعد نزل على رسول الله ﷺ الوحي فأدخل علياً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال اللهم هؤلاء أهلي وأهل بيتي^(١).

وقال الحاكم أيضاً: ... عن أبي سعيد الخدري ؓ قال قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد لأدخله الله النار، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال: ... عن عامر بن سعد عن أبيه قال لما نزلت هذه الآية ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَ كُرَ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ؓ فقال اللهم هؤلاء أهلي، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(٢).

وجاء في مسند أحمد بن حنبل: ... الأوزاعي عن شداد أبي عمار قال دخلت على وائلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً فلما قاموا قال لي ألا أخبرك بما رأيت من رسول

(١) نفس المصدر السابق، ج ٣، ص ١٤٧، كتاب معرفة الصحابة، باب ومن مناقب أهل بيت رسول الله ﷺ.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٥٠.

الله ﷺ قلت بلى قال أتيت فاطمة عليها السلام أسألها عن علي قالت توجه إلى رسول الله ﷺ فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين رضي الله تعالى عنهم أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساء ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿٣٣﴾ وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق^(١).

وفيه أيضاً:... عن عطاء بن أبي رباح قال حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها فأنته فاطمة ببرمة فيها خزيرة^(٢) فدخلت بها عليه فقال لها ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي والحسين والحسن فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيري قالت وأنا أصلي في الحجرة فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿٣٣﴾ قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالت فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله قال إنك إلى خير إنك إلى خير^(٣).

وفيه:... أبي المعدل عطية الطفاوي عن أبيه أن أم سلمة حدثته قالت بينما رسول الله ﷺ في بيتي يوماً إذ قالت الخادم أن علياً وفاطمة بالسدة قالت فقال لي قومي فتنحي لي عن أهل بيتي قالت فقمتم فتنحيت في البيت قريباً فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما قال واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى فقبل فاطمة وقبل علياً فأغدف عليهم خميصة سوداء فقال اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي قالت فقلت وأنا يا رسول الله

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ١٠٧، حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، ط دار الفكر العربي.

(٢) البرمة: القدر من الحجر كما ورد في أقرب الموارد للشرطوني، والخزيرة: شبه عصيدة بلحم وبلا لحم، وقيل مرقة (أو حساء) الشرطوني.

(٣) نفس المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٩٢، حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ.

فقال وأنت^(١).

وفي سنن الترمذي: حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله؟! قال إنك إلى خير^(٢).
وقد صححه الألباني.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب. وذكر الطبري في تفسيره وبطرق كثيرة ومتعددة... عن قتادة قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿٣٣﴾ فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه.

... قال ابن زيد في قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿٣٣﴾ قال الرجس ههنا الشيطان، وسوى ذلك من الرجس: الشرك. اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ فقال بعضهم عنى به رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم.

... عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي ؑ وحسن ؑ وحسين ؑ وفاطمة ؑ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿٣٣﴾.

... عن صفية بنت شيبة قالت قالت عائشة خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فادخله معه ثم قال إنما يريد الله ليجعل الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً.

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢٩٦ وفي مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي، ج ٩، ص ١٦٦، باب في فضل أهل البيت ؑ وبنفس اللفظ.

(٢) صحيح سنن الترمذي للألباني، ج ٣، ص ٥٧٠، ح ٣٨٧١، كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة بنت محمد ﷺ، ط ١٤٢٠/١هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

... عن أنس أن النبي ﷺ كان يمر بببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة فيقول الصلاة أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً.

... عن أم سلمة قالت كان النبي ﷺ عندي وعلي فاطمة والحسن والحسين فجعلت لهم خزيرة فأكلوا وناموا وغطى عليهم عباءة أو قطيفة ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

... أبو داود عن أبي الحمراء قال رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبي ﷺ قال رأيت النبي ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة فقال الصلاة الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿٢٣﴾.

... عن أبي عمار قال إني لجالس عند وائلة بن الأسقع إذ ذكروا علياً ﷺ فشموه فلما قاموا قال اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا إني عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين فألقى عليهم كساء له ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قلت يا رسول الله وأنا؟ قال وأنت، قال: والله إنها لأوثق عملي عندي.

... شداد أبو عمار قال سمعت وائلة بن الأسقع يحدث قال سألت عن علي بن أبي طالب في منزله فقالت فاطمة قد ذهب يأتي برسول الله ﷺ إذ جاء فدخل رسول الله ﷺ ودخلت فجلس رسول الله ﷺ على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه وعلياً عن يساره وحسناً وحسيناً بين يديه فلفع عليهم بثوبه وقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿٢٣﴾ اللهم هؤلاء أهلي اللهم أهلي أحق. قال وائلة فقلت من ناحية البيت وأنا يا رسول الله من أهلك؟ قال وأنت من أهلي قال وائلة إنها لمن أرجى ما أرجى.

... عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿٢٣﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجعل عليهم كساء خبيرياً فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت أم سلمة ألسنت منهم؟ قال أنت إلى خير.

... عن أبي هريرة، عن أم سلمة قالت جاءت فاطمة إلى رسول الله ﷺ ببرمة لها قد

صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق فوضعت بين يديه فقال أين ابن عمك وابناك فقالت في البيت فقال ادعهم فجاءت إلى علي فقالت أجب النبي ﷺ أنت وابناك قالت أم سلمة فلما رأهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة فمده وبسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤوسهم وأوماً بيده اليمنى إلى ربه فقال هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

... عن أبي سعيد عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن هذه الآية نزلت في بيتها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قالت وأنا جالسة على باب البيت فقلت أنا يا رسول الله أأنت من أهل البيت؟ قال إنك إلى خير أنت من أزواج النبي ﷺ قالت وفي البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ﴿٣٣﴾.

... عن عبدالله بن وهب بن زمعة قال أخبرني أم سلمة أن رسول الله ﷺ جمع علياً والحسين ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأ إلى الله ثم قال هؤلاء أهل بيتي فقالت أم سلمة يا رسول الله أدخلني معهم قال إنك من أهلي.

... عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة قال نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وهو في بيت أم سلمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فأجلسهم بين يديه ودعا علياً فأجلسهم خلفه فتجلل هو وهم بالكساء ثم قال هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالت أم سلمة أنا معهم قال [مكانك وأنت على خير].

... قال علي بن الحسين لرجل من أهل الشام أما قرأت في الأحزاب ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قال ولأنتم هم؟ قال: نعم.

... قال سعد قال رسول الله ﷺ حين نزل عليه الوحي فأخذ علياً وابنيه وفاطمة وأدخلهم تحت ثوبه ثم قال رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي.

... عن الأعمش عن حكيم بن سعد قال ذكرنا علي بن أبي طالب ؑ عند أم سلمة قالت فيه نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ﴿٣٣﴾ قالت أم سلمة جاء النبي ﷺ إلى بيتي فقال لا تأذني لأحد فجاءت فاطمة فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ثم جاء الحسن فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه وجاء

الحسين فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعوا حول النبي ﷺ على بساط فجللهم نبي الله بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت فقلت يا رسول الله وأنا قالت فوالله ما أنعم وقال إنك إلى خير^(١).

وقال مسلم في صحيحه... عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة: خرج النبي ﷺ غداً وعليه مرط من رجل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢).

نكتفي بهذا القدر من المصادر خوفاً من الإطالة على القارئ فأقول للألباني: ما قولك الآن بعد ذكر هذه المصادر ومن هم أهل بيت النبي ﷺ.

ويقول الألباني أن ذكر أهل البيت في مقابل القرآن في هذا الحديث - أي كتاب الله وعترتي - كذكر سنة الخلفاء الراشدين مع سنته ﷺ.

ويقول: فالحديث شاهد قوي لحديث الموطأ بلفظ (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتن بهما كتاب الله وسنة رسوله).

لاحظ سذاجة الألباني! ألا يعلم أن هذا الحديث الموضوع المختلق وضع قبال كتاب الله وعترتي؟

وطالما أن النبي أوصى بكتاب الله المنزل من عند الله وهو دستور المسلمين والبشر عموماً وأوصى كذلك بالعترة فلا ريب ولا شك أن العترة هم المفسرون لهذا الكتاب وهذا الدستور ومن يشرح ويفسر كتاب الله فمن الأولى أن يكون عالماً بالسنة وشارحاً لها أيضاً فلا داعي أن يذكر النبي ويقول كتاب الله وسنتي، فالعترة هم المفسرون للقرآن وهم الشارحون والمبينون لسنته وهم أولى من غيرهم في ذلك.

ثم اعلم أن ما جاء في موطأ مالك وما ذكره واستشهد به الألباني ما هو إلا حديث

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن لمحمد بن جرير الطبري، ج ٢٢، ص ١٠-١٣، سورة الأحزاب/٣٣، وذكره السيوطي أيضاً في الدر المنثور، ج ٥، ص ١٩٩، ط دار المعرفة، بيروت.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ.

ضعيف (عن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه)^(١) وقد رواه كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني، فماذا قالوا في ترجمة المذكور فاقراً ما نقله لك أخي الكريم:

قال فيه ابن حبان: منكر الحديث جداً يروي عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه إلا على وجه التعجب وكان الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول كثير بن عبدالله المزني ركن من أركان الكذب!!

يحيى بن معين يقول: كثير بن عبدالله لجده صحبة وكثير ضعيف الحديث، (وقال في موضع آخر): ليس بشيء^(٢).

وقال الذهبي: كذاب^(٣).

وقال ابن الجوزي في كتابه الضعفاء والمتروكين: قال أحمد لا يحدث عنه، وقال مرة: منكر الحديث ليس بشيء، وقال مرة: لا يساوي شيئاً، وضرب على حديثه في المسند ولم يحدث به.

وقال يحيى: ليس حديثه بشيء ولا يكتب.

وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث.

وقال أبو زرعة: واهي الحديث.

وقال الشافعي: هذا ركن من أركان الكذب^(٤).

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: قال الشافعي وأبو داود: ركن من أركان الكذب.

وقال النسائي: ليس بثقة وقال مطرف بن عبدالله المزني: رأيتُه وكان كثير الخصومة لم يكن أحد من أصحابنا يأخذ عنه.

(١) موطأ مالك، ص ٦٤٨، ح ١٦١٩، النهي عن القول بالقدر، رواية مكي بن يحيى الليثي، ط ١٣٩٧/٢هـ، دار النفائس، راجع التمهيد لابن عبدالبر القرطبي، ج ٢٤، ص ٣٣١، حديث ثان وثلاثون من البلاغات، ط ١٤١١هـ، وكذلك ج ١٩، ص ٢١، حديث رابع وأربعون.

(٢) كتاب المجروحين لمحمد بن حبان بن أبي حاتم التميمي البستي، ج ٢، ص ٢٢٢، ط ١٤١٢هـ، دار المعرفة، بيروت.

(٣) الكاشف، ج ٣، ص ٥، ترجمة ٤٧٠٨، ط ١٤٠٣/١هـ، بيروت.

(٤) ج ٣، ص ٢٣-٢٤، ترجمة ٢٧٩٠.

ويقول الذهبي: وأما الترمذي فروى من حديثه الصلح جائز بين المسلمين وصححه
 فلهذا لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذي^(١).
 وقال فيه النسائي: متروك الحديث^(٢).
 وذكره أيضاً الدارقطني في كتابه الضعفاء والمتروكون^(٣).
 وكذلك ضعفه العقيلي في كتابه الضعفاء ومن نسب إلى الكذب^(٤).
 وابن عدي أيضاً ضعفه في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال^(٥).
 وضعفه ابن حجر العسقلاني في كتابه الجرح والتعديل^(٦).
 والرازي أيضاً ضعفه في كتابه الجرح والتعديل^(٧).
 ويقول المزي في كتابه تهذيب الكمال في أسماء الرجال: وقال النسائي في موضع
 آخر ليس بثقة^(٨).

وقال ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب: قال أبو طالب عن أحمد: منكر
 الحديث ليس بشيء وقال عبدالله بن أحمد ضرب أبي علي حديث كثير بن عبدالله
 المسند ولم يحدثنا عنه وقال أبو خيثمة قال لي أحمد لا تحدث عنه شيئاً وقال الدوري
 عن ابن معين لجده صحبة وهو ضعيف الحديث وقال مرة ليس بشيء وقال الدارمي عن
 ابن معين أيضاً ليس بشيء وقال الآجري سئل أبو داود عنه فقال كان أحد الكذابين سمعت
 محمد بن الوزير المصري يقول سمعت الشافعي وذكر كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف

(١) ج ٣، ص ٤٠٧، ترجمة ٦٩٤٣.

(٢) الضعفاء والمتروكين، ص ٢٠٥، ترجمة ٥٢٩.

(٣) لعلي بن عمر الدارقطني المتوفى ٣٨٥هـ، ترجمة ٤٤٦، ط ١/١٤٠٥هـ، دار القلم، بيروت.

(٤) لمحمد بن عمرو بن موسى العقيلي، المتوفى ٣٢٢هـ، ج ٤، ص ١١٧٦، ترجمة ١٥٥٨.

(٥) لأحمد بن عبدالله بن عدي الجرجاني، المتوفى ٣٦٥هـ، ج ٦، ص ٥٧، ترجمة ١٥٩٩.

(٦) ج ٣، ص ١٩٣، ترجمة ٥٦١٧.

(٧) لعبد الرحمن بن أبي حاتم بن المنذر التميمي الحنظلي، المتوفى ٣٢٧هـ، ج ٧، ص ١٥٤، ترجمة ٨٥٨، ط ١/١٣٦١هـ،

بيروت.

(٨) ج ٢٤، ص ١٣٩، ترجمة ٤٩٤٨.

فقال ذلك أحد الكذابين أو أحد أركان الكذب وقال ابن أبي حاتم سألت أبا زرعة عنه فقال واهي الحديث ليس بقوي، قلت له بهز بن حكيم وعبدالمهيمن وكثير أيهم أحب إليك؟ قال: بهز وعبدالمهيمن أحب إلي منه.

وقال أبو حاتم: ليس بالمتين وقال الترمذي قلت لمحمد في حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة كيف هو قال هو حديث حسن إلا أن أحمد كان يحمل على كثير يضعفه وقد روى يحيى بن سعيد الأنصاري عنه وقال النسائي والدارقطني متروك الحديث وقال النسائي في موضع آخر ليس بثقة وقال ابن حبان روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكره في الكتب ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب وقال ابن عدي عامة ما يرويه لا يتابع عليه وقال إبراهيم بن المنذر عن مطر رأيته وكان كثير الخصومة ولم يكن أحد من أصحابنا يأخذ عنه قال له ابن عمران القاضي يا كثير أنت رجل بطل تخاصم فيما لا تعرف وتدعي ما ليس لك وليس عندك ما يطلب.

قلت وقال أبو نعيم ضعفه علي بن المديني وقال ابن سعد كان قليل الحديث يستضعف وقال ابن السكن يروي عن أبيه عن جده أحاديث فيها نظر.

وقال الحاكم حدث عن أبيه عن جده نسخة فيها مناكير وضعفه الساجي ويعقوب بن سفيان وابن البرقي وقال ابن عبد البر مجمع على ضعفه^(١).

الحاصل أن أهل العامة متفقون على ضعف كثير بن عبد الله والجميع قد طرحوه وأسقطوه وقالوا لا تجوز الرواية عنه وكذبوه أيضاً فلماذا لا يطرح هذا الحديث المختلق الموضوع ولماذا مالك بن أنس أبهم اسمه في الرواية وقال أنه بلغه ومن دون أن يذكر السند؟ وكان هذا الساقط الضعيف المطروح الكذاب قد روى ما يهوى أهل العامة قوله لذا رواوا عنه وأخفوا اسمه!

ويقول الألباني: أهل بيته في الأصل هم نساؤه وفيهن عائشة كما هو صريح قوله تعالى في الأحزاب ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

(١) ج ٨، ص ٣٦٧، ترجمة ٥٨٣٨.

﴿٣٣﴾ ﴿بَدِيلِ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا وَالتِّي بَعْدَهَا﴾ ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ ﴿الآية﴾.

قال الطبري في تفسيره الذي مر عليك في الصفحات السابقة إن الله جل وعلا قد طهر أهل البيت من السوء وخصهم برحمة منه.

وقال أيضاً أن الرجس يعني الشيطان.

أقول:

كيف تكون الآية قد نزلت في نساء النبي في حين أن عائشة قد خرجت يوم الجمل ضد الإمام علي عليه السلام وأشعلت نار الفتنة وكان عدد القتلى ما يناهز الخمسة عشر ألف قتيل - على اختلاف في ذلك - وكانت هي السبب الرئيسي في قتلى الطرفين؟!!

ويقول الألباني: لا نشك أن خروج أم المؤمنين كان خطأ من أصله ولكنها اجتهدت وتأولت فأخطأت وخطؤها من الخطأ المغفور بل المأجور عليه أيضاً^(١). فكيف تكون مطهرة ومخصوصة برحمة الله ومحفوظة من رجس الشيطان وقد صدر منها جميع ما ذكرنا؟!!

ثم إن الله تعالى أمرها في الآية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ولكنها لم تطبق هذه الآية أيضاً فكيف تشملها آية التطهير؟!!

وفي الآية أيضاً إن الله تعالى يقول ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ فأين تقوى عائشة حين خرجت بذلك الجيش الجرار للبصرة لملاقاة جيش الحق وهو جيش الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؟

وأقول:

إن القرآن الكريم معجزة النبي الأكرم، فمن بلاغة القرآن أنه يخاطب أحد الأشخاص مثلاً وفجأة يتحول الخطاب إلى آخر وبنفس الآية كما في آية التطهير التي نحن بصدها وسنذكر لك مثلاً آخر:

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، المجلد ٨، القسم الثاني، ص ٨٥٤، ح ٤٧٤، ط ١٤١٥هـ، الرياض.

زليخا زوجة عزيز مصر بعد أن غلقت الأبواب على النبي يوسف عليه السلام وأرادت منه ما أرادت والقصة معروفة ومشهورة كما جاءت في كتاب الله تعالى وبعدما أراد النبي يوسف عليه السلام الهروب منها ورأت زليخا زوجها بالباب فقالت فوراً لزوجها ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ يوسف/٢٥، وأرادت من قولها ذلك أن تبرئ ساحتها وتبعد شكوك زوجها فاتهمت النبي يوسف عليه السلام إلى أن شهد الشاهد فعلم عزيز مصر خيانة زوجته زليخا فقال ليوسف كما في الآية ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ يوسف/٢٩.

لاحظ كيف أن عزيز مصر يخاطب النبي يوسف عليه السلام وذلك في قوله ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ وفجأة يتحول الخطاب إلى زليخا في قوله ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ وكل ذلك في آية واحدة فقط!

فقول الألباني واستشهاده بأن آية التطهير تخص نساء النبي الأكرم كونها وقعت في وسط الآيات التي في سورة الأحزاب مردود.

الحاصل: إن ادعاء الألباني ومن على شاكلته وأمام هذا الكم الكبير من الروايات وبطرقها المتعددة وبأنها نزلت في أهل البيت وهم النبي الأكرم وفاطمة وعلي والحسين عليهم السلام ما هو إلا محاولة تزييف للحقائق والواقع.

نكتفي بهذا القدر فقد أطلنا على القارئ فنرجو المعذرة.

باب جواز التمتع

٣٦٩.... قال عبدالله بن شقيق كان عثمان ينهى عن المتعة وكان علي يأمر بها فقال عثمان لعلي كلمة ثم قال علي لقد علمت أنا قد تمتعنا مع رسول الله ﷺ فقال أجل ولكننا كنا خائفين.

٣٧٠.... عن سعيد بن المسيب قال اجتمع علي وعثمان رضي الله عنهما بعسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال علي ما تريد إلى أمر فعله رسول الله ﷺ تنهى عنه فقال عثمان دعنا منك فقال إني لا أستطيع أن أدعك فلما أن رأى علي ذلك أهل بهما جميعاً.

٣٧١.... عن غنيم بن قيس قال سألت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن المتعة فقال فعلناها وهذا يومئذ كافر بالغرُش يعني بيوت مكة.

٣٧٢.... عن مطرف قال قال لي عمران بن حصين إني لأحدثك بالحديث اليوم ينفعك الله به بعد اليوم واعلم أن رسول الله ﷺ قد أمر طائفة من أهله في العشر فلم تنزل آية تنسخ ذلك ولم ينه عنه حتى مضى لوجهه ارتأى كل امرئ بعد ما شاء أن يرتني وحدثناه إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن حاتم كلاهما عن وكيع حدثنا سفيان عن الجريري في هذا الإسناد وقال ابن حاتم في روايته ارتأى رجل برأيه ما شاء يعني عمر.

٣٧٣.... عن مطرف قال بعث إلي عمران بن حصين في مرضه الذي توفي فيه فقال إني كنت محدثك بأحاديث لعل الله أن ينفعك بها بعدي فإن عشت فاكتبم عني وإن مت فحدث بها إن شئت إنه قد سلم علي واعلم أن نبي الله ﷺ قد جمع بين حج وعمرة ثم

لم ينزل فيها كتاب الله ولم ينه عنها نبي الله ﷺ قال رجل فيها برأيه ما شاء.
٣٧٤... عن عمران بن الحصين ؓ قال اعلم أن رسول الله ﷺ جمع بين حج وعمرة ثم
لم ينزل فيها كتاب ولم ينهنا عنهما رسول الله ﷺ قال فيها رجل برأيه ما شاء.

٣٧٥... عن عمران بن حصين ؓ قال تمتعنا مع رسول الله ﷺ ولم ينزل فيه القرآن قال
رجل برأيه ما شاء وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا عبيدالله بن عبدالمجيد حدثنا
إسماعيل بن مسلم حدثني محمد بن واسع عن مطرف بن عبدالله بن الشخير عن عمران
بن حصين ؓ بهذا الحديث قال تمتع نبي الله ﷺ و تمتعنا معه.

٣٧٦... عن أبي رجاء قال قال عمران بن حصين نزلت آية المتعة في كتاب الله يعني متعة
الحج وأمرنا بها رسول الله ﷺ ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج ولم ينه عنها رسول
الله ﷺ حتى مات قال رجل برأيه بعد ما شاء.

قال النووي في شرحه:... المتعة التي نهى فيها عثمان هي التمتع المعروف في الحج
وكان عمر وعثمان ينهيان عنها...^(١).

يقول الأستاذ الدكتور لاشين: وهذا يومئذ كافر بالعرش... سميت بيوت مكة عرشاً
لأنها عيدان تنصب وتظلل.

وأما قوله (وهذا يومئذ كافر بالعرش) فالإشارة بهذا إلى معاوية بن أبي سفيان... المراد
أنا تمتعنا ومعاوية يومئذ كافر على دين الجاهلية مقيم بمكة... وهو الصحيح المختار^(٢).
راجع الصفحات السابقة من كتابنا هذا كتاب الحج، باب بيان وجوب الإحرام وباب
في المتعة بالحج والعمرة.

(١) المجلد ٤، ج ٨، ص ٤٥١، ح ١٢٢٣.

(٢) فتح المنعم، ج ٥، ص ٢٢٥، ح ٢٦٠٨.

باب في متعة الحج

٣٧٧... عن مسلم القرني قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن متعة الحج فرخص فيها وكان ابن الزبير ينهى عنها فقال هذه أم ابن الزبير تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها فادخلوا عليها فاسألوها قال فدخلنا عليها فإذا امرأة ضخمة عمياء فقالت قد رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها.

٣٧٨. وحدثناه ابن المثنى حدثنا عبدالرحمن وحدثناه ابن بشار حدثنا محمد يعني ابن جعفر جميعاً عن شعبة بهذا الإسناد فأما عبدالرحمن ففي حديثه المتعة ولم يقل متعة الحج وأما ابن جعفر فقال قال شعبة قال مسلم لا أدري متعة الحج أو متعة النساء. راجع ما قبله فالمصادر قد ذكرناها هناك.

باب جواز العمرة في أشهر الحج.

٣٧٩... عن ابن عباس رضي الله عنه قال كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض ويجعلون المحرم صفرأ ويقولون إذا برأ الدبر وعفا الأثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر فقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة فتعاضم ذلك عندهم فقالوا يا رسول الله أي الحل قال الحل كله.

٣٨٠... عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها فمن لم يكن عنده الهدى فليحل الحل كله فإن العمرة قد دخلت في الحج إلى يوم القيامة.

٣٨١... أبا جمرة الضبيعي قال تمتعت فنهاني ناس عن ذلك فأتيت ابن عباس فسألته عن ذلك فأمرني بها قال ثم انطلقت إلى البيت فنمت فأتاني آت في منامي فقال عمرة متقبلة وحج مبرور قال فأتيت ابن عباس فأخبرته بالذي رأيت فقال الله أكبر الله أكبر سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم.

راجع ما قبله.

باب التقصير في العمرة

٣٨٢... عن أبي نضرة قال كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال إن ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين فقال جابر فعلناهما مع رسول الله ﷺ ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما.
راجع ما قبله.

باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف

٣٨٣... عن سالم أن أباه حدثه قال قيل عمر بن الخطاب الحجر ثم قال والله لقد علمت أنك حجر ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك زاد هارون في روايته قال عمرو وحدثني بمثلها زيد بن أسلم عن أبيه أسلم.

٣٨٤... عن ابن عمر أن عمر قبل الحجر وقال إني لأقبلك وإني لأعلم أنك حجر ولكني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك.

٣٨٥... عن عبدالله بن سرجس قال رأيت الأصلع يعني عمر بن الخطاب يقبل الحجر ويقول والله إني لأقبلك وإني أعلم أنك حجر وأنك لا تضر ولا تنفع ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك وفي رواية المقدمي وأبي كامل رأيت الأصيلع.

جاء في سنن الترمذي: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم. حديث حسن صحيح^(١).

وفيه أيضاً: عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ في الحجر والله لبيعثه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق. حديث حسن^(٢).

(١) ج ٣، ص ٢٢٦، ح ٨٧٧، كتاب الحج، باب ما جاء في فضل الحجر الأسود وفيض التقدير للمناوي، ج ٤، ص ٥٤٦، ح ٦٢١١، حرف الكاف، ومسنند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٣٠٧ و ٣٧٣، مسند عبدالله بن عباس.

(٢) سنن الترمذي، ص ٢٩٤، ح ٩٦١، باب ما جاء في الحجر الأسود، وسنن ابن ماجه، ج ٢، ص ٨٩٢، ح ٢٩٤٤، والمستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري، ج ١، ص ٤٥٧، كتاب المناسك.

وفي تاريخ بغداد عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصفح بها عباده^(١).

وجاء في سنن ابن ماجه: عن ابن عمر قال استقبل رسول الله ﷺ الحجر ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكي فقال يا عمر ههنا تسكب العبرات^(٢).

وقال الحاكم في المستدرک: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حججنا مع عمر بن الخطاب فلما دخل الطواف استقبل الحجر فقال إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك ثم قبله فقال له علي بن أبي طالب بلى يا أمير المؤمنين إنه يضر وينفع قال بم قال بكتاب الله تبارك وتعالى قال وأين ذلك من كتاب الله قال قال الله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ﴾ خلق الله آدم ومسح على ظهره فقررهم بأنه الرب وأنهم العبيد وأخذ عهودهم وموائيقهم وكتب ذلك في رق وكان لهذا الحجر عينان ولسان فقال له افتح فاك قال ففتح فاه فألقمه ذلك الرق وقال اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة وإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق يشهد لمن يستلمه بالتوحيد فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع فقال عمر أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن^(٣).

وفي الدر المنثور للسيوطي: أخرج عبدالرزاق في المصنف وأبو الشيخ عن فاطمة بنت حسين قالت لما أخذ الله الميثاق من بني آدم جعله في الركن فمن الوفاء بعهد الله استلام الحجر.

وخرج أبو الشيخ عن جعفر بن محمد قال كنت مع أبي محمد بن علي فقال له رجل يا أبا جعفر ما بدء خلق هذا الركن فقال إن الله لما خلق الخلق قال لبني آدم ألسنت بربكم

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج ٦، ص ٣٢٨، ترجمة ٣٣٧.

(٢) ج ٢، ص ٨٩٢، ح ٢٩٤٥.

(٣) ج ١، ص ٤٥٧، كتاب المناسك، والدر المنثور للسيوطي، ج ٣، ص ١٤٤، سورة الأعراف، آية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾.

قالوا بلى فأقروا وأجرى نهراً أحلى من العسل وألين من الزبد ثم أمر القلم فاستمد من ذلك النهر فكتب إقرارهم وما هو كائن إلى يوم القيامة ثم أقم ذلك الكتاب هذا الحجر فهذا الاستلام الذي ترى إنما هو بيعه على إقرارهم الذي كانوا أقروا به^(١).

على ضوء ما قرأنا في الروايات التي ذكرناها فإن للحجر الأسود لساناً وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة ويستحب أيضاً أن يقول الحاج عند استلامه أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة وكذلك يثاب الحاج على امتثاله لأمر وعمل النبي الأكرم باستلامه ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الحشر/٧.

نعم، ليس عيباً من لا يعلم بأمر ما أن يقول لا أعلم أو لا أعرف أو أجهل هذا الأمر وعمر بن الخطاب رأى النبي الأكرم يستلم الحجر الأسود ويقبله ولكنه لم يسأل عن سر هذا الاستلام والتقبيل فظل على جهله لهذا الأمر كما أنه لم يكن عالماً بكيفية التيمم أيضاً كما جاء في الروايات الصحيحة إلى أن وضع له عمار ذلك^(٢).

وكذلك عندما أمر الناس أن لا يغالوا في المهور فردت عليه امرأة من القوم وأفحمته فقال عمر كل أحد أعلم من عمر^(٣).

وأيضاً لم يكن يعرف معنى الأب ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًا﴾^(٤) وغيرها كثير.

فهنا أيضاً وما نحن بصدده لم يكن يعلم ماهية هذا الحجر وما جاء فيه من الروايات لذا قال قوله (والله لقد علمت أنك حجر ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك).

(١) الدر المنثور لجلال الدين السيوطي، ج ٣، ص ١٤٤، سورة الأعراف، آية ﴿وَلِذَلِكَ أَخَذَرَبُّكَ مِن بَيْتِكَ مَا دَمٌ﴾.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب التيمم.

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري، ج ١، ص ٤٩١، ط ١٤١٥هـ.

(٤) المستدرک للحاکم، ج ٢، ص ٥١٤، کتاب التفسیر، سورة عبس.

باب بيان أن السنة يوم النحر

٣٨٦... عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قال للحلاق خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير وأبو كريب قالوا أخبرنا حفص بن غياث عن هشام بهذا الإسناد أما أبو بكر فقال في روايته للحلاق ها وأشار بيده إلى الجانب الأيمن هكذا فقسم شعره بين من يليه قال ثم أشار إلى الحلاق وإلى الجانب الأيسر فحلقة فأعطاه أم سليم وأما في رواية أبي كريب قال فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالأيسر فصنع به مثل ذلك ثم قال ها هنا أبو طلحة فدفعه إلى أبي طلحة.

٣٨٧... عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ رمى جمرة العقبة ثم انصرف إلى البدن فنحراها والحجاء جالس وقال بيده عن رأسه فحلقت شقه الأيمن فقسمه فيمن يليه ثم قال احلق الشق الآخر فقال أين أبو طلحة فأعطاه إياه.

٣٨٨... عن أنس بن مالك قال لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة ونحر نسكه وحلق ناول الحائق شقه الأيمن فحلقة ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه ثم ناوله الشق الأيسر فقال احلق فحلقة فأعطاه أبا طلحة فقال اقسمه بين الناس.

قال النووي في شرحه: قال جماهير العلماء ومنها التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه

للتبرك^(١).

وقال الأبى في إكمال إكمال المعلم أنه أعطى شعر الشقتين لأبى طلحة على أن يعطيه أبو طلحة أم سليم لتفرقه على النساء وأم سليم هي امرأة أبى طلحة وذكر الشعرة والشعرتين يدل على كثرة الحاضرين وفيه التبرك بأثار الصالحين^(٢).

نعم هذا الشعر الذي قام النبي الأكرم بتفريقه على الصحابة كان بعضاً منه من نصيب معاوية بن أبى سفيان بطريقة أو بأخرى وكان معاوية قد خباه لليوم الأسود وهو يوم وفاته، فماذا أوصى ابنه يزيد قبل موته؟ قال القرطبي: قال: يا بني إني صحبت رسول الله ﷺ فخرج لحاجة فاتبعته بإداوة فكساني أحد ثوبيه الذي كان على جلده فخبأته لهذا اليوم وأخذ رسول الله ﷺ من أظفاره وشعره ذات يوم فأخذته وخبأته لهذا اليوم، فإذا أنا مت فاجعل ذلك القميص دون كفني مما يلي جلدي وخذ ذلك الشعر والأظفار فاجعله في فمي وعلى عيني ومواضع السجود مني فإن نفع شيء فذاك، وإلا فإن الله غفور رحيم^(٣).

روى الأصفهاني في كتابه في ترجمة الحسن بن علي: ودس معاوية إليه حين أراد أن يعهد إلى يزيد بعده وإلى سعد بن أبى وقاص سمأ فماتا منه في أيام متقاربة. وروى أيضاً: وكان الذي تولى ذلك من الحسن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس لمال بذله لها معاوية^(٤).

وروى أيضاً: أرسل معاوية إلى ابنة الأشعث إني مزوجك بيزيد ابني على أن تسمي الحسن بن علي وبعث إليها بمائة ألف درهم فقبلت وسمت الحسن فسوغها المال ولم يزوجه منها...^(٥).

(١) المجلد ٥، ج ٩، ص ٦٠، ح ١٣٠٥.

(٢) ج ٤، ص ٣٦٨، ح ١٣٠٥.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣، ص ٤٧٣، ترجمة ٢٤٦٤.

(٤) مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهاني علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي المتوفى ٣٥٦هـ، ص ٦٠،

ط ١٤٠٨/٢هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

(٥) نفس المصدر السابق، ص ٨٠.

وقال المزي في تهذيب الكمال: كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه أن يسقيه سماً^(١).
وروى ابن عساكر: إن جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم فاشتكى منه
شكاة فكان يوضع تحته طست وترفع أخرى...^(٢).

قال ابن قتيبة الدينوري: كتب معاوية إلى عامل المدينة: إن استطعت ألا يمضي يوم
يمر بي إلا يأتيني فيه خبره فافعل - أي خبر الإمام الحسن عليه السلام - فلم يزل يكتب إليه
بحاله حتى توفي فكتب إليه بذلك فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد
من كان معه...^(٣).

أحاول أن أختصر: لقد ذكرنا في بداية البحث جواز التبرك بشعر رسول الله واقتنائه وقال
الشراح أيضاً التبرك بآثار الصالحين ومعاوية بن أبي سفيان أوصى أن يجعل شعر النبي في
فمه بعد موته، فأقول:

إن من آثار الصالحين ذريتهم ومن آثار النبي الأكرم ذريته الطيبة الطاهرة ومن ذريته
ابنته فاطمة عليها السلام ومن ذريته حفيده الحسن عليه السلام فهل أقام معاوية وزناً لهؤلاء ومنهم
الحسن عليه السلام حفيد وسبط النبي عليه السلام؟

فكيف بمعاوية يتبرك بآثار (شعر) النبي الأكرم ويقتل آثار (الحسن) سبط
النبي عليه السلام !!؟
أفيدونا في ذلك.

(١) ج٦، ص٢٥٢، ترجمة ١٢٤٨، ورواه أيضاً ابن عساكر في ترجمة السبط الأكبر الإمام الحسن من تاريخ دمشق،
ص٢١٠، ط١/١٤٠٠هـ، بيروت.

(٢) ترجمة السبط الأكبر الإمام الحسن عليه السلام من تاريخ دمشق لعلي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي المعروف بابن
عساكر المتوفى ٥٧١هـ، ص٢١٠، حديث قتادة وأم بكر بنت المسور وعبدالله بن الحسن وأم موسى في استشهاد
الإمام الحسن بالسم، ط١/١٤٠٠هـ، مؤسسة المحمودي، بيروت.

(٣) الإمامة والسياسة، ج١، ص١٥٠، موت الحسن بن علي عليهما السلام، ط١/١٤٠٥هـ، دار المنتظر، بيروت.

باب نقض الكعبة وبنائها

٣٨٩... عن عائشة قالت قال لي رسول الله ﷺ لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم فإن قريشاً حين بنت البيت استقصرت ولجعلت لها خلفاً.

٣٩٠... عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ألم ترى أن قومك حين بنو الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم قالت فقلت يا رسول الله أفلا تردها على قواعد إبراهيم فقال رسول الله ﷺ لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت فقال عبدالله بن عمر لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركني الذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم.

٣٩١... عن عطاء قال لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام فكان من أمره ما كان تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد أن يجرتهم أو يحربهم على أهل الشام فلما صدر الناس قال يا أيها الناس أشيروا علي في الكعبة أنقضها ثم أبني بنائها أو أصلح ما وهى منها قال ابن عباس فإني قد فرق لي رأي فيها أرى أن تصلح ما وهى منها وتدع بيتاً أسلم الناس عليه وأحجاراً أسلم الناس عليها وبعث عليها النبي ﷺ فقال ابن الزبير لو كان أحدكم احترق بيته ما رضي حتى يجده فكيف بيت ربكم إني مستخير ربي ثلاثاً ثم عازم على أمري فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها فتحاماه الناس أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء حتى

صعدته رجل فألقى منه حجارة فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الأرض فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه وقال ابن الزبير إنني سمعت عائشة تقول إن النبي ﷺ قال لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوي على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمس أذرع ولجعلت لها باباً يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه قال فأنا اليوم أجد ما أنفق ولست أخاف الناس قال فزاد فيه خمس أذرع من الحجر حتى أبدى أسأً نظر الناس إليه فبنى عليه البناء وكان طول الكعبة ثمانين عشرة ذراعاً فلما زاد فيه استقصره فزاد في طوله عشر أذرع وجعل له بابين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبدالملك بن مروان يخبره بذلك ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة فكتب إليه عبدالملك إنا لسنا من تلميح ابن الزبير في شيء أما ما زاد في طوله فأقره وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه وسد الباب الذي فتحه فنقضه وأعادته إلى بنائه.

٣٩٢... عن أبي قزعة أن عبدالملك بن مروان بينما هو يطوف بالبيت إذ قال قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين يقول سمعتها تقول قال رسول الله ﷺ يا عائشة لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت حتى أزيد فيه من الحجر فإن قومك قصرُوا في البناء فقال الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة لا تقل هذا يا أمير المؤمنين فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا قال لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير.

باب جدر الكعبة

٣٩٣... عن عائشة قالت سألت رسول الله ﷺ عن الجدر أمن البيت هو قال نعم فقلت فلم لم يدخلوه في البيت قال إن قومك قصرت بهم النفقة قلت فما شأن بابه مرتفعاً قال فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ولولا أن قومك حديث عهدهم في الجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم لنظرت أن أدخل الجدر في البيت وأن ألزق بابه بالأرض وحدثناه أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا عبيد الله يعني ابن موسى حدثنا شيبان عن أشعب بن أبي الشعثاء عن الأسود بن يزيد عن عائشة قالت سألت رسول الله ﷺ عن الحجر وساق الحديث بمعنى حديث أبي الأحوص وقال فيه فقلت فما شأن بابه مرتفعاً لا يصعد إليه إلا بسلم وقال مخافة أن تنفر قلوبهم.

قال النووي في شرحه: وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام منها إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريباً وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيماً فتركها ﷺ ومنها فكر ولي الأمر في مصالح رعيته واجتنابه ما يخالف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا إلا الأمور الشرعية كأخذ الزكاة وإقامة الحدود ونحو ذلك ومنها تألف قلوب الرعية وحسن حياتهم وأن لا ينفروا ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك

أمر شرعي... قال العلماء بني البيت خمس مرات بنته الملائكة ثم إبراهيم ﷺ ثم قريش في الجاهلية وحضر النبي ﷺ هذا البناء وله خمس وثلاثون سنة وقيل خمس وعشرون وفيه سقط على الأرض حين وقع إزاره ثم بناه ابن الزبير ثم الحجاج بن يوسف واستمر إلى الآن على بناء الحجاج وقيل بني مرتين آخرين أو ثلاثاً... قال العلماء ولا يغير عن هذا البناء وقد ذكروا أن هارون الرشيد سأل مالك بن أنس عن هدمها وردّها إلى بناء ابن الزبير للأحاديث المذكورة في الباب فقال مالك ناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تجعل هذا البيت لعبة للملوك لا يشاء أحد إلا نقضه وبناه فتذهب هيئته من صدور الناس....

قوله ﷺ (ولجعلت له خلفاً)... المراد به باب من خلفها... وفي صحيح البخاري قال هشام: خلفاً يعني بابها.

قوله ﷺ (لولا حدثان قومك)... أي قرب عهدهم بالكفر....

وفي رواية قالت عائشة سألت رسول الله ﷺ عن الجدار أمن البيت هو قال نعم وفي رواية لولا أن قومك حديث عهدهم في الجاهلية فأخاف أن تنكره قلوبهم لنظرت أن أدخل الجدر في البيت قال أصحابنا ست أذرع من الحجر مما يلي البيت محسوبة من البيت بلا خلاف وفي الزائد خلاف فإن طاف في الحجر وبينه وبين البيت أكثر من ستة أذرع ففيه وجهان لأصحابنا أحدهما يجوز لظواهر هذه الأحاديث وهذا هو الذي رجحه جماعات من أصحابنا الخراسانيين والثاني لا يصح طوفه في شيء من الحجر ولا على جداره ولا يصح حتى يطوف خارجاً من جميع الحجر وهذا هو الصحيح وهو الذي نص عليه الشافعي وقطع به جماهير أصحابنا العراقيين ورجحه جمهور الأصحاب وبه قال جميع علماء المسلمين سوى أبي حنيفة فإنه قال إن طاف في الحجر وبقي في مكة أعاده وإن رجع من مكة بلا إعادة أراق دماً وأجزأه طوافه واحتج الجمهور بأن النبي ﷺ طاف من وراء الحجر وقال لتأخذوا مناسككم ثم أطبق المسلمون عليه من زمنه ﷺ إلى الآن وسواء كان كله من البيت أم بعضه فالطواف يكون من ورائه كما فعل النبي ﷺ والله أعلم.

ووقع في رواية ستة أذرع بالهاء وفي رواية خمس وفي رواية قريباً من سبع بحذف الهاء وكلاهما صحيح ففي الذراع لغتان مشهورتان التأنيث والتذكير والتأنيث أفصح.

قوله (لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاه أهل الشام تركه ابن الزبير

حتى قدم الناس الموسم يريد أن يجرتهم أو يحربهم على أهل الشام)... يجرتهم... من الجرة أي يشجعهم على قتالهم بإظهار قبح فعالهم هذا هو المشهور في ضبطه... يحربهم... ومعناه يغيظهم بما يرونه قد فعل بالبيت من قولهم حربت الأسد إذا أغضبته. قال القاضي وقد يكون معناه يحملهم على الحرب ويحرضهم عليها ويؤكد عزائمهم....

قوله (يا أيها الناس أشيروا علي في الكعبة) فيه دليل لاستحباب مشاورة الإمام أهل الفضل والمعرفة في الأمور المهمة.

قوله (قال ابن عباس فإني قد فرق لي فيها رأي)... أي كشف وبين قال الله تعالى ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ أي فصلناه وبيناه، هذا هو الصواب في ضبط هذه اللفظة ومعناها.

قوله (فقال ابن الزبير لو كان أحدكم احترق بيته ما رضي حتى يجده) هكذا هو في أكثر النسخ يجده بضم الياء وبدال واحدة وفي كثير منها يجدد بدالين وهما بمعنى.

قوله (فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه) المقصود بهذه الأعمال والستور أن يستقبلها المصلون في تلك الأيام ويعرفوا موضع الكعبة ولم تزل تلك الستور حتى ارتفع البناء وصار مشاهداً للناس فأزلها لحصول المقصود بالبناء المرتفع من الكعبة... كان ابن عباس أشار على ابن الزبير... وقال له إن كنت هادمها فلا تدع الناس بلا قبلة فقال له جابر صلوا إلى موضعها فهي القبلة....

قوله (إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء) يريد بذلك سبه وعيب فعله، يقال لطيخته أي رميته بأمر قبيح^(١).

أقول:

نبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورئيس الدولة الإسلامية وقائدها يخاف من الصحابة بالدرجة الأولى في نقض الكعبة وبنائها على قواعد النبي إبراهيم عليه السلام وهؤلاء الصحابة تحت قيادته ورهن إشارته فما الذي يمنعه من إعادة بنائها؟! فالمسلمون كلهم مطيعون له وعلى رأسهم الصحابة العدول!!

فهل كان النبي يخاف من الصحابة وأن لا يسمعوا له ولا يطيعوه ويخالفوا أمره!؟

(١) المجلد ٥، ج ٩، ص ٩٦-١٠٢، ح ١٣٣٣.

وهل علم النبي الأكرم بأن الرواسب الجاهلية لا زالت عالقة في قلوبهم؟!

وهل استعمل النبي الأكرم التقية مع الصحابة!!؟

وفي الرواية أن الكعبة المشرفة احترقت أيام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان حين غزاها أهل الشام وبأمر من يزيد وكان عبدالله بن الزبير قد احتمى بالبيت العتيق ولا بأس بذكر الشيء اليسير عن هذه الحادثة المروعة:

قال ابن الوردي: (ثم دخلت سنة اثنتين وستين وثلاث وستين): فيها اتفق أهل المدينة على خلع يزيد وأخرجوا نائبه عثمان بن محمد بن أبي سفيان منها، فجهز يزيد جيشاً مع مسلم بن عقبة وأمره بقتال أهل المدينة فإذا ظفر بها أباحها للجند ثلاثة أيام يسفكون فيها الدماء ويأخذون الأموال وأن يبايعهم على أنهم خول^(١) وعبيد ليزيد وإذا فرغ يسير إلى مكة.

فسار مسلم ونزل المدينة من جهة الحرة في عشرة آلاف فارس من أهل الشام وأصر هل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم على قتاله وعملوا خندقاً واقتتلوا فقتل الفضل بن العباس وربيعه بن الحارث بن عبدالمطلب وجماعة من الأشراف والأنصار ثم انهزم أهل المدينة واستباح مسلم المدينة حسب وصية يزيد.

وعن الزهري أن قتلى الحرة كانوا سبعمائة من وجوه الناس من قريش والمهاجرين والأنصار وعشرة آلاف من وجوه الموالي ممن لا يعرف.

وكانت الواقعة لثلاث بقين من ذي الحجة منها ثم بايع من بقي من الناس على أنهم خول وعبيد ليزيد.

وسار إلى مكة وكان مريضاً فمات قبل وصوله واستتاب في الجيش الحصين بن نمير السكوني في المحرم سنة أربع وستين فقدم الحصين مكة وحاصر عبدالله بن الزبير أربعين يوماً حتى جائهم الخبر بموت يزيد بعد رمي البيت الحرام بالمنجنيق وإحراقه بالنار.

(١) خول: خدم وعبيد ونحوه كما جاء في الرائد لجبران مسعود.

ولما علم الحصين بموت يزيد قال لابن الزبير: من الرأي أن ندع دماء القتلى بيننا...^(١).
وقال ابن أعثم الكوفي: وسار القوم يريدون مكة وعبدالله بن الزبير يومئذ في جمع
كثيف وقد بلغه ما قد فعل بأهل المدينة فعزم على حربهم. قال: وبلغ ذلك رجل من أهل
البصرة فخرجوا إلى عبدالله بن الزبير لمعاونته وجعل عبدالله بن الزبير يحارب القوم قال
والحصين بن نمير قد أمر بالمجانيق فنصبت فجعل يرمي أهل مكة رمياً متداركاً لا يفتري
من الرمي، فجعل رجل من أهل مكة يقول في ذلك:

ابن نمير بئس ما تولى قد
أحرق المقام والمصلى
وبيت ذي العرش العلي
الأعلى قبلة من حج له وصلى

قال: وإذا بصاعقة قد نزلت فأحرقت منجنيقاً كان لهم.

قال: فلم يزل القوم يرمون المسجد الحرام والبيت بالنيران والحجارة فلما رأى عبدالله
بن الزبير ذلك خرج إليهم فيمن كان عنده من الجيش فحاربهم حرباً شديداً فقتل منهم
جماعة، وجعل المختار بن أبي عبيد يقاتل بين يدي عبدالله بن الزبير أشد القتال وهو
يقول:

أنا ابن الكوار

لست من بني الفرار

ثم حمل فقاتل حتى ضج أهل الشام من قتاله فأقام القوم على ذلك أياماً لا يفترون
عن القتال ليلاً ونهاراً حتى قتل من أهل الشام خلق كثير وكذلك من أصحاب عبدالله بن
الزبير.

قال: فبينما الحصين كذلك إذا برجل من أهل الشام قد قدم عليه فسلم ثم جلس
عنده فقال أيها الشيخ الضال أنت حائم على بيت الله الحرام ترميه بالحجارة والنيران
ويزيد بن معاوية قد مات ومضى إلى سبيله، فقال الحصين ويملك ما تقول فقال أقول ما

(١) تاريخ ابن الوردي لمعمرو بن مظفر المشهور بابن الوردي المتوفى ٧٤٩هـ، ج ١، ص ١٦٥، أخبار يزيد بن معاوية،

ط ١٤١٧/١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

تسمع فقال له وما كان سبب ذلك فقال إنه شرب من الليل شرباً كثيراً ثم أصبح مخموراً فذرعه القيء ثم لم يزل كذلك إلى أن مات حتى قذف عشرين طشتاً من ذهب فهذه قصته. قال الحصين ويحك لمن بايع الناس بعده فقال بايعوا ابنه معاوية بن يزيد غير أنه خلع نفسه من الخلافة فقال ولم ذلك فقال إذا أخبرك أنه ملك أربعين يوماً فلما كان بعد ذلك صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب وقال في خطبته أيها الناس إنما أنا لحم ودم واللحم والدم لا يصبران على نار جهنم وأنا خالع هذا الأمر فقلدوا أموركم من أحببتم فناداه الناس من كل مكان فقالوا يا أمير المؤمنين فاعهد عهدك إلى من أحببت فإننا له سامعون مطيعون فقال ما أنا بأمر المؤمنين ولا أعهد إلى أحد فإن نال خيراً فقد نال منه آل أبي سفيان وإن كان شراً فلا أحب أن أوردهم الدنيا وأمضي في الآخرة ثم نزل عن المنبر فصار إلى منزله فعاش ثلاثة أيام ومات والناس في الشام في أمر عظيم من الاختلاف^(١).

وقال المكي: وسبب بناء ابن الزبير لها حريق أصابها من خيمة في المسجد أيام حصره الحصين بن نمير السكوني لمعاندته يزيد بن معاوية وما أصابها من حجر المنجنيق الذي كان يرمي به الحصين ابن الزبير في حال حصره فإنه كان يصيب الكعبة وذلك في أوائل سنة أربع وستين من الهجرة^(٢).

(١) كتاب الفتوح لابن أعمش الكوفي، المتوفى ٩٢٦هـ، ج ٥، ص ١٦٥، ذكر حرة واقم وما قتل فيها من المسلمين، ١/١٤١١هـ، دار الأضواء، بيروت.

(٢) الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة لمحمد بن أحمد الفاسي المكي المتوفى ٨٣٢هـ، ص ٢٦، ١/١٤١٧هـ، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت.

وروى حادثة حرق الكعبة خليفة بن خياط الليثي العصفري المتوفى ٢٤٠هـ في تاريخه ص ١٥٧، تسمية من قتل يوم الحرة، ١/١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، والطبري في تاريخه ج ٥، ص ٢٥٣، ثم دخلت سنة خمس وستين، ١/١٤٠٧هـ، مؤسسة عز الدين، بيروت، وذكره ابن الجوزي في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ٣٠، هدم ابن الزبير الكعبة، ط دار الكتب العلمية، بيروت، وأوردته ابن كثير في البداية والنهاية، ج ٦، ص ٨٢١، ذكر هدم الكعبة وبنائها، وتاريخ الإسلام للذهبي، حوادث ٦١-٨٠، ص ٣٣-٣٥، حوادث سنة أربع وستين، وذكره أيضاً ابن قتيبة الدينوري في الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٩-١٠، حرب ابن الزبير، بزيادة - وفرض على أصحابه عشرة آلاف سخرة في كل يوم يرمونها بها - .

قال المسعودي في مروه:.... ولما نزل بأهل الكوفة ما وصفنا من القتل والنهب والرق والسبي وغير ذلك مما عنه عرضنا من مسرف وخرج عنها يريد مكة في جيوشه من أهل الشام ليوقع بابن الزبير وأهل مكة بأمر يزيد وذلك في سنة أربع وستين، فلما انتهى إلى موضع المعروف بقديد مات مسرف لعنه الله واستخلف على الجيش الحصين بن نمير فسار الحصين حتى أتى مكة وأحاط بها وعاز ابن الزبير بالبيت الحرام وكان قد سمى نفسه العائذ بالبيت وشهر بهذا حتى ذكرته الشعراء في أشعارها...

فإن تتبعوه عائذ البيت تصبحوا

كعاد تعمت عن هداها فضلت

ونصب الحصين فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفجاج وابن الزبير في المسجد ومعه المختار بن أبي عبيد الثقفي داخلاً في جملته منضافاً إلى بيعته منقاداً إلى إمامته على شرائط شرطها عليه لا يخالف له رأياً ولا يعصي له أمراً فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت ورمى مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات وانهدمت الكعبة واحتقرت البنية ووقعت صاعقة فأحرقت من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلاً وقيل أكثر من ذلك [وذلك] يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الأول من السنة المذكور قبل وفاة يزيد بأحد عشر يوماً، واشتد الأمر على أهل مكة وابن الزبير واتصل الأذى بالأحجار والنار والسيف ففي ذلك يقول أبو وجزة المدني:

ابن نمير بنس ما تولى

قد أحرق المقام والمصلى

وليزيد وغيره أخبار عجيبة ومثالب كثيرة من شرب الخمر وقتل ابن بنت الرسول ولعن الوصي وهدم البيت وإحراقه وسفك الدماء والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسله...^(١)

وقال ابن الأثير الجزري في تاريخه: فلما فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهبها

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلبي بن الحسين المسعودي المتوفى ٣٤٦هـ، ج ٣، ص ٨٠-٨١، رمي الكعبة، ط ١٣٨٤/٤هـ، مطبعة السعادة، القاهرة.

شخص بمن معه نحو مكة يريد ابن الزبير ومن معه واستخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامي وقيل استخلف عمرو بن مخزومة الأشجعي فلما انتهى إلى المشلل نزل به الموت وقيل مات بثنية هرشى فلما حضره الموت أحضر الحصين بن النمير وقال له يا ابن بردعة الحمار لو كان الأمر إلي ما وليتك هذا الجند ولكن أمير المؤمنين ولاك بعدي، خذ عني اربعاً أسرع السير وعجل المناجزة [وعم الأخبار] ولا تمكن قريشاً من أذنك ثم قال اللهم إني لم أعمل قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله عملاً أحب إلي من قتلي أهل المدينة ولا أرجى عندي في الآخرة فلما مات سار الحصين بالناس فقدم مكة لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين وقد بايع أهلها وأهل الحجاز عبدالله بن الزبير واجتمعوا عليه ولحق به المنهزمون من أهل المدينة وقدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في الناس من الخوارج يمنعون البيت وخرج ابن الزبير إلى لقاء أهل الشام ومعه أخوه المنذر فبارز المنذر رجلاً من أهل الشام فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة مات منها ثم حمل أهل الشام عليهم حملة انكشف منها أصحاب عبدالله وعثرت بغلة عبدالله فقال تعساً ثم نزل فصاح بأصحابه [إلي] فأقبل إليه المسور بن مخزومة ومصعب بن عبدالرحمن بن عوف فقاتلا حتى قتلا جميعاً وضاربهم ابن الزبير إلى الليل ثم انصرفوا عنه هذا في الحصر الأول ثم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين رموا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خطارة مثل الفنيق المزبد

نرمي بها أعواد هذا المسجد

وقيل: إن الكعبة احترقت من نار كان يوقدها أصحاب عبدالله حول الكعبة وأقبلت شرارة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت والأول أصح لأن البخاري قد ذكر في صحيحه أن ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة يحرضهم على أهل الشام وأقام أهل الشام يحاصرون ابن الزبير حتى بلغهم نعي يزيد بن معاوية

قال الذهبي: [فيها] كانت وقعة الحرة وذلك أن أهل المدينة خرجوا على يزيد لقلة دينه فجهز لحربهم جيشاً عليهم مسلم بن عقبة فالتقوا بظاهر المدينة لثلاث بقين من ذي الحجة فقتل من أولاد المهاجرين والأنصار ثلاث مئة وست أنفس.

وقتل من الصحابة معقل بن سنان الأشجعي وعبدالله بن حنظلة الغسيل الأنصاري وعبدالله بن زيد بن عاصم المازني الذي حكى وضوء النبي ﷺ.

وممن قتل يومئذ: محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن أبي جهم بن حذيفة ومحمد بن أبي بن كعب ومعاذ بن الحارث أبو حليلة الأنصاري الذي أقامه عمر يصلي التراويح بالناس وواسع بن حبان الأنصاري ويعقوب ولد طلحة بن عبيدالله التيمي وكثير بن أفلح أحد كتاب المصاحف التي أرسلها عثمان وأبو أفلح مولى أبي أيوب.

وفيها توفي مسروق بن الأجدع الهمداني الفقيه العابد صاحب ابن مسعود وكان يصلي حتى تورم قدماه وحج فما نام إلا ساجداً.

وعن الشعبي قال ما رأيت أطلب لنعلم منه، كان أعلم بالفتوى من شريح.

وقال أيضاً: في أولها هلك مسلم بن عقبة الذي استباح المدينة وعمل القبائح وما أمهله الله، والمليح أنه شهد الوقعة وهو مريض في محفة نسأل الله العفو.

وكذلك لم يمهل يزيد بن معاوية ومات بعد بضع وسبعين يوماً من الحرة وذلك في نصف ربيع الأول وله ثمان وثلاثون سنة، وكان شديد الأدمة كثير الشعر ضخماً عظيم الهامة في وجهه أثر الجدري، كنيته أبو خالد واستخلف بعهد من أبيه معاوية فكانت مدته ثلاث سنين وثمانية أشهر.

وعهد بالأمر بعده إلى ابنه معاوية بن يزيد فبقي في الخلافة شهرين أو أقل ومات وكان شاباً مليحاً أبيض فيه خير وصلاح وعاش إحدى وعشرين سنة ولما احتضر قالوا له

(١) الكامل في التاريخ لعلي بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الجزري ن المتوفى ٦٣٠هـ، ج ٣، ص ٣١٦، ذكر

مسير مسلم لحصار ابن الزبير وموته سنة أربع وستين، ط ٤/١٤٠٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

الا تستخلف فامتنع وقال لم أصيب من حلاوتها ما أتحمّل به مرارتها.

وأما عبدالله بن الزبير فإنه كان قد أوى إلى مكة ولم يبائع يزيد، فحاصره أصحاب يزيد ونصبوا المنجنيق على الكعبة ورموها بالنار واحترق فيها مما احترق قرنا كبش إسماعيل وقتل في الحصار بحجر المنجنيق المسور بن مخزوم بن نوفل الزهري له صحبة ورواية وشرف فبلع ابن الزبير وفاة يزيد فترحل عنه عسكر يزيد وبإيعاه أهل الحرمين بالخلافة ثم أهل العراق واليمن وغير ذلك حتى كاد تجتمع الأمة عليه^(١).

وقال اليعقوبي: وقدم الحصين بن نمير مكة فناوش ابن الزبير الحرب في الحرم ورماه بالنيران حتى أحرق الكعبة وكان عبدالله بن عمير الليثي قاضي ابن الزبير إذا توافق الفريقان قام على الكعبة فنادى بأعلى صوته يا أهل الشام هذا حرم الله الذي كان مأمناً في الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد فاتقوا الله يا أهل الشام فيصيح الشاميون الطاعة الطاعة الكرة الكرة الرواح قبل المساء فلم يزل على ذلك حتى أحترقت الكعبة فقال أصحاب ابن الزبير نطفئ النار فمنعهم وأراد أن يغضب الناس للكعبة فقال بعض أهل الشام إن الحرمة والطاعة اجتمعتا فغلبت الطاعة الحرمة وكان حريق الكعبة في سنة ٦٣هـ^(٢).

لقد ذكرنا بعض مصادر أهل العامة فيما جاء في حصار ورمي الكعبة وأخيراً ماذا يقول ابن كثير:.... إن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والقمار والصيد واتخاذ الغلمان والفتيان والكلاب والنطاح بين الكباش والذباب والقروود وما من يوم إلا يصبح فيه مخموراً وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به ويلبس القرد قلانس الذهب وكذلك الغلمان وكان يسابق بين الخيل وكان إذا مات القرد حزن عليه.

وقيل إن سبب موته إنه حمل قرودة وجعل ينغزها فعضته وذكروا عنه غير ذلك^(٣).

نعم.. لقد حكم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثلاث سنوات فقتل الإمام الحسين سبط رسول الله ﷺ في السنة الأولى من حكمه وأغار على المدينة المنورة - يوم الحرة

(١) العبر في خبر من غير، ج١، ص٥٠-٥١، سنة ثلاث وستين، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) تاريخ اليعقوبي لأحمد بن يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي، المتوفى ٢٨٤هـ، ج٢، ص٢٥٢، مقتل الحسين بن علي، ط دار صادر، بيروت.

(٣) البداية والنهاية، ج٦، ص٢٦٩، ترجمة يزيد بن معاوية.

- وأباحها لجنده ثلاثة أيام يقتلون وينهبون ويهتكون الأعراس ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج! وقال هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد الحرة من غير زوج^(١)، وأخيراً قام بهدم الكعبة بالمنجنيق وحرقتها!!

جاء في الأخبار الموفقيات: إن أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد وأجمعوا على الخلاف عليه فكتب إليه عثمان بن محمد بن أبي سفيان بذلك فأجابهم يزيد: أما بعد، فإني قد حملتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على صدري، والله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل منها عددكم وأترككم أحاديث تنسخ مع أحاديث عاد وثمود! ثم تمثل هذا الشعر:

أظن الحلم دل على قومي
وقد يستجهل الرجل الحلیم
ومارست الرجال ومارسوني
فمعوغ علي ومستقيم
ولكنني ألقني منكرات
فأنكرها وما أنا بالظالم^(٢)

ويقول: إن يزيد بن معاوية لم يمهل بعد وقعة الحرة وقتل الحسين إلا يسيراً حتى قصمه الله الذي قصم الجابرة قبله وبعده إنه كان عليماً قديراً^(٣).

ثم يناقض ابن كثير نفسه بنفسه في قوله: يزيد بن معاوية أكثر ما نقم عليه في عمله شرب الخمر وإتيان بعض الفواحش!! فأما قتل الحسين فإنه كما قال جده أبو سفيان يوم أحد لم يأمر بذلك ولم يسؤه...^(٤)، ويعني بذلك أن أبا سفيان لم يأمر ولم ينه عن التمثيل بقتلى شهداء أحد ومنهم حمزة بن عبدالمطلب ﷺ.

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢٥٤، ثم دخلت سنة ثلاث وستين، بتصرف.

(٢) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار، المتوفى ٢٥٦هـ، ص ١٩٨، ط ١٤١٦هـ، أمير، قم.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٤) نفس المصدر السابق، ص ٢٦٥.

وشهد شاهد من أهلها فلا أنت يا ابن كثير بذلك الناقل المنصف ولا من استشهدت
بقوله!

ويقول ابن كثير: أكثر ما نقم عليه في عمله شرب الخمر وإتيان بعض الفواحش!!
فأنت بنفسك قد عريت صاحبك من بعض الفواحش كما ادعيت ذلك، فشربه الخمر
ورميه الكعبة قبله المسلمین بالمنجنیق وحرقتها وهدم جزء منها والهجوم على مدينة
الرسول الأكرم ونهب الأموال وهتك الحرمات وقتل الصحابة واللعب بالقروود والفهود
ولبس الذهب واشتهاره بالغناء والمعازف وعلى رأس هذه المنكرات قتله سبط رسول
الله ﷺ، كل تلك الجرائم والمنكرات وابن كثير يقول (بعض الفواحش)!!

باب الحج عن العاجز

٣٩٤... عن عبدالله بن عباس أنه قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر قالت يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع.

قال الأبي في شرحه إكمال إكمال المعلم: قوله (فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه)... كان الفضل أبيض وسيماً.

قوله (فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر) فيه ما يلزم الأئمة من تغيير ما يخشى فتنته ومنعهم ما ينكر في الدين وفيه حرمة النظر إلى الأجنبية وتغيير المنكر باليد لمن قدر عليه... الأظهر في صرفه نظر الفضل ليس أنه لوقوع في محرم... وإنما هو لخوف الوقوع^(١).

وقال القسطلاني في شرحه: وفي الحديث غض البصر خشية الفتنة ومقتضاه أنه إذا أمنت الفتنة لم يمتنع لأنه لم يحول وجه الفضل حتى أدمن النظر إليها لإعجابه بها فخشى عليه الفتنة^(٢).

(١) ج ٤، ص ٤٢١، ح ١٣٣٤.

(٢) إرشاد الساري، ج ١٣، ص ٢٧٢، ح ٦٢٢٨، كتاب الاستئذان، باب قوله الله تعالى ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا

أقول:

قال تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُلُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾
النور/٣٠.

جاء في سنن أبي داود عن جرير سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال اصرف
بصرك.

وجاء فيه أيضاً: قال رسول الله ﷺ لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى
وليست لك الآخرة^(١).

جاء في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي
تمعس منيئة لها فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال إن المرأة تقبل في صورة
شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في
نفسه.

وفي رواية ومن نفس المصدر المذكور... إذا أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد
إلى امرأته فليواقعها^(٢). وخوفاً من التباس الأمر عليك أخي الكريم فإليك شرح النووي،
فماذا يقول هذا الشارح؟

معنى الحديث أنه يستحب لمن رأى امرأة فتحركت شهوته أن يأتي امرأته أو جاريتها
إن كانت له فليواقعها ليدفع شهوته وتسكن نفسه ويجمع قلبه على ما هو بصدده^(٣).

فالسؤال هنا هل أن النبي الأكرم يقول ما لا يفعل؟ وهل كانت نظرتة للمرأة الأجنبية
نظرة خاطفة أم طويلة إلى درجة أنه استوعب هيئتها وجمالها حتى دخلت قلبه؟

وهل واقع أهله بشهوة تلك المرأة الأجنبية؟!

وكيف نفسر قول النبي للصحابة وأنه أخبرهم بأنه واقع أهله بعد أن رأى المرأة التي

بُوتًا

(١) المجلد ١، ج ٢، ص ٢٤٦، ح ٢٢١٤٩، باب ما يؤمر به من غض البصر من كتاب النكاح.

(٢) كتاب النكاح، باب نذب من رأى امرأة فوقعت في نفسه.

(٣) المجلد ٥، ج ٩، ص ١٨٧، ح ١٤٠٣.

أعجبتته وأين حياء النبي الأكرم الذي قيل فيه أنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها!!^(١)
ويقول أبو هريرة... إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا
العين النظر... الحديث^(٢).

فهل أخذ النبي نصيبه وحظه العاثر من زنا العين؟! وكيف نوفق بين هذه الروايات.

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج.

باب فرض الحج مرة في العمر

٣٩٥... عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه.

قال النووي في شرحه: هذا الرجل السائل هو الأقرع بن حابس.
قوله (ذروني ما تركتكم) دليل على أن الأصل عدم الوجوب وأنه لا حكم قبل ورود الشرع.

قوله (إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم)... يدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام كالصلاة بأنواعها فإذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل غسل الممكن....

قوله (وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه) فهو على إطلاقه فإن وجد عذر يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة أو شرب الخمر عن الإكراه أو التلفظ بكلمة الكفر إذا أكره ونحو ذلك فهذا ليس منهيّاً عنه في هذا الحال.

وأجمعت الأمة على أن الحج لا يجب في العمر إلا مرة واحدة بأصل الشرع^(١).

وقال الأبى في شرحه: فلا تكثروا في الاستقصاء خوف أن يكثر الجواب... كما اتفق لبني إسرائيل في البقرة إذ قيل لهم «اذبحوا بقرة» فلو بادروا وذبحوا بقرة صدق اللفظ وعدوا ممتثلين ولكن لما أكثروا السؤال كثر الجواب وشددوا فشدد عليهم وذبوا على ذلك فخاف ﷺ على أمته مثل ذلك ولذلك قال إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم^(٢).
قال الزمخشري في تفسيره: أنت الأنصار رسول الله ﷺ بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وأنت ابن أختنا وتعروك نوابه وحقوق ومالك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت^(٣).

وقال القرطبي في تفسيره: قال ابن عباس لما قدم النبي ﷺ المدينة كانت تنوبه نوابه وحقوق لا يسعها ما في يديه فقالت الأنصار إن هذا الرجل هداكم الله به وهو ابن أخيكم وتنوبه نوابه وحقوق لا يسعها ما في يديه فنجمع له ففعلوا ثم أتوه بها فنزلت^(٤).

قال الطبري في تفسيره عن ابن عباس قال قالت الأنصار فعلنا وفعلنا فكأنهم فخرنا فقال ابن عباس أو العباس شك (الراوي) لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأثام في مجالسهم فقال يا معشر الأنصار ألم تكونوا أدلة فأعزكم الله بي؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي؟ قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبوني؟ قالوا ما نقول يا رسول الله؟ قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فأويناك أولم يكذبوك فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله قال فنزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٥).

(١) المجلد ٥، ج ٩، ص ١٠٩، ح ١٣٣٧.

(٢) إكمال إكمال المعلم، ج ٤، ص ٤٢٨، ح ١٣٣٧.

(٣) الكشاف لجار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٢٨هـ، ج ٤، ص ٢٢١، سورة الشورى/٢٣، ط منشورات البلاغة.

(٤) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٥٨٤٤، سورة الشورى/٢٣، ط دار الشعب، القاهرة.

(٥) جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري، ج ٢٥، ص ٣٢، سورة الشورى/٢٣. وفي الدر المنثور للسيوطي، ج ٧، ص ٣٤٧، وذكره ابن كثير في تفسيره، ج ٤، ص ١١٢، وكذلك تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسن بن محمد النيسابوري المتوفى ٧٢٨هـ، ج ٦، ص ٧٤، وذكره أحمد الثعلبي المتوفى ٤٢٧هـ، في تفسيره الكشف والبيان،

وقال الواحدي: بسم الله الرحمن الرحيم، قوله تعالى ﴿قُلْ لَا آسَئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال ابن عباس لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانت تنوبه نوابه وحقوق وليس في يده لذلك سعة، فقال الأنصار إن هذا الرجل قد هداكم الله تعالى به وهو ابن أختكم وتنوبه نوابه وحقوق وليس في يده لذلك سعة فأجمعوا له من أموالكم مالا يضركم فأتوه به ليعينه على ما ينوبه ففعلوا ثم أتوا به فقالوا يا رسول الله إنك ابن أختنا وقد هدانا الله تعالى على يدك وتنوبك نوابه وحقوق وليست لك عندنا سعة فرأينا أن نجمع لك من أموالنا فنأتيك بها فتستعين على ما ينوبك وهو هذا فنزلت هذه الآية^(١).

وقال الحسكاني في شواهد التنزيل: عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ لَا آسَئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا يا رسول الله التي افترض الله علينا مودتهم قال علي وفاطمة ولدها، يرددها.

عن ابن عباس قال لما نزلت ﴿قُلْ لَا آسَئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا يا رسول الله ومن هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم؟ قال: علي وفاطمة ولدهما.

وقال أحمد بن عمار [في حديثه]: من قرابتك الذي افترض الله علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة ولدهما، ثلاث مرات يقولها^(٢).

وقال الرازي في تفسيره: نقل صاحب الكشاف عن النبي ﷺ أنه قال: من مات على حب آل محمد مات شهيداً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت

ج ٨، ص ٣١٠، ومحمد علي الشوكاني في تفسيره فتح القدير، ج ٤، ص ٥٣٧، وذكره المرغيبي أيضاً في تفسيره، ج ٢٥، ص ٣٩، والفخر الرازي في تفسيره الكبير، ج ٢٧، ص ١٦٥، بل لقد أجمع أهل التفسير على ذلك إلا ما شذ منهم وهم قليل.

(١) أسباب النزول لعلي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المتوفى ٤٦٨هـ، ص ٢١٣، سورة حمعسق، ط ١٤١٠هـ، بيروت.
(٢) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل لعبدالله بن عبدالله المعروف بالحاكم الحسكاني النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، ج ٢، ص ١٩٢، من سورة حمعسق، ط ١٤١١/١هـ، طهران.

زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة، هذا هو الذي رواه صاحب الكشاف وأنا أقول آل محمد ﷺ هم الذين يؤول أمرهم إليه فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشد التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل وأيضاً اختلف الناس في الآل فقيل هم الأقارب وقيل هم أمته فإن حملناه على القرابة فهم الآل وإن حملناه على الأمة الذي قبلوا دعوته فهم أيضاً آل فثبت أن على جميع التقديرات هم الآل وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه، وروى صاحب الكشاف أنه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذي وجبت علينا مودتهم؟ فقال علي وفاطمة وابناهما فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي ﷺ وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدل عليه وجوه:

الأول قوله تعالى ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ووجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني: لاشك أن النبي ﷺ كان يحب فاطمة عليها السلام قال ﷺ فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله ﷺ أنه كان يحب علياً والحسن والحسين وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله لقوله ﴿وَأَتَّبِعُوهُ لَمَّا كَلَّمَكُم تَهْتَدُونَ﴾ ولقوله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ ولقوله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ولقوله سبحانه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

الثالث أن الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمد وآل محمد وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب وقال الشافعي رحمته:

يا راكباً قف بالمحصب من منى
 واهتف بساكن خيفها والناهض
 سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى
 فيضاً كما نظم الفرات الفائض
 إن كان رفضاً حب آل محمد
 فليشهد الثقلان أني رافضي^(١)

ومما يؤيد أن قريبي آل محمد هم أهل البيت عليه السلام (علي وفاطمة وذريتهما) لما جيء بعلي السجاد عليه السلام أسيراً إلى الشام وأقيم على درج دمشق قام إليه رجل فقال الحمد لله الذي قتلكم وقطع قريبي الفتنة فقال له الإمام السجاد عليه السلام أقرأت القرآن يا شيخ قال نعم قال أقرأت آل حم قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال ما قرأت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال وإنكم لأنتم هم قال نعم^(٢).

قال ابن كثير في تفسيره القرآن العظيم: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: فاطمة وولدها عليه السلام^(٣).

لاحظ أن ابن كثير قد أسقط اسم علي بن أبي طالب عليه السلام من النص الذي اتفق عليه الجمهور وهو من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم قال فاطمة وولدها وهذا هو دأب هذا الناصبي الذي يتبع نهج شيخه ابن تيمية في النصب.

ويقول: ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة والواضحة الجليلة كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته عليه السلام أجمعين.

(١) ج ٢٧، ص ١٦٦.

(٢) ذكره الطبري في تفسيره، ج ٢٥، ص ٣٢، والسيوطي في الدر المنثور ج ٧، ص ٣٤٨، والتعليبي في تفسيره الكشف والبيان، ج ٨، ص ٣١١، وابن كثير في تفسيره ج ٤، ص ١١٢.

(٣) ج ٤، ص ١١٢، سورة الشورى، ٢٣، ط دار المعرفة، بيروت.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض... عن العباس بن عبدالمطلب ؓ قال قلت يا رسول الله إن قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها، قال فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً وقال والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله.

... عن عبدالمطلب بن ربيعة قال دخل العباس ؓ على رسول الله ﷺ فقال إنا لنخرج فنرى قريشاً تحدث فإذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله ﷺ ودر عرق بين عينه ثم قال ﷺ والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى يحبكم الله ولقرايتي.

... عن ابن عمر ؓ عن أبي بكر... قال ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته.

... يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن ميسرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم ؓ فلما جلسنا إليه قال حصين لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه لقد رأيت يا زيد خيراً كثيراً حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخي لقد كبر سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوه وما لا فلا تكلفوني. ثم قال ﷺ قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً فينا بماء يدعى خمأً بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال ﷺ أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه وقال ﷺ وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس ؓ، قال أكل هؤلاء حرم عليه الصدقة؟ قال نعم.

... عن زيد بن أرقم ؓ قال قال رسول الله ﷺ إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض والآخر عترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

... عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول: يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ^(١).

وفي الطبراني لما نزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا يا رسول الله ومن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ^(٢).

الحاصل أن النبي الأكرم جعل أجر رسالته المودة في القربى وذلك بعد إلحاح الصحابة عليه بأخذ الأموال التي دفعوها إليه لتعينه على أداء رسالته وما ينوبه كأجر للرسالة مما عاناه النبي من مصاعب وشدائد.

أقول:

هل الصحابة نفذوا وصية النبي في قرياه؟

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدِّلَ لَكُمْ تَسْوُؤُكُمْ﴾ المائدة/١٠١.

فكما قرأنا في الروايات التي ذكرناها أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من قربي النبي الذين أمرنا الله بمودتهم، فهل الصحابة كانوا يودون علياً عليه السلام؟! ولنذكر الشيء اليسير ونحاول أن لا نطيل على القارئ:

جاء في مسند أحمد بن حنبل عن أم سلمة تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق ^(٣).

وفي الترمذي: ... عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب فمضى في السرية فأصاب جارية فأنكروا عليه وتعاهد أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إذا لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه بما صنع علي وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدأوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رجالهم فلما قدمت السرية سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم فقام أحد الأربعة فقال يا رسول الله! ألم تر إلى علي بن أبي

(١) نفس المصدر السابق، ص ١١٣.

(٢) المعجم الكبير، ج ٣، ص ٤٧، ح ٢٦٤١، وج ١١، ح ١٢٢٥٩.

(٣) ج ٦، ص ٢٩٢، حديث أم سلمة والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، ح ٣٧٣٦.

طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم قام الثاني فقال مثل مقالته فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا فأقبل رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه فقال ما تريدون من علي ما تريدون من علي ما تريدون من علي إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي^(١).

وقد صححه الألباني وفي رواية البخاري قال النبي الأكرم لبريدة بعدما شكاً علياً للنبي: يا بريدة أنتبغض علياً فقلت نعم قال لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر^(٢).

وفي الترمذي أيضاً:.... عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟! قال أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي وخلفه في بعض مغازيه فقال له علي يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان فقال رسول الله ﷺ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي وسمعتة يقول يوم خيبر... لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فتناولنا لها فقال ادعوا لي علياً فاتاه وبه رمد فبصق في عينه فدفع الراية إليه ففتح الله عليه وأنزلت هذه الآية ﴿لَنُدْعِي أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ الآية، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلي^(٣).

وقد صححه الألباني.

يقول الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم شرح صحيح مسلم: ويحاول النووي تبرئة معاوية من هذا السوء فيقول: قال العلماء الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي يجب تأويلها قالوا ولا يقع في روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعداً بسبه وإنما سأله عن السبب المانع له من

(١) كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب ؑ، ح ٣٧١٢، وذكره البخاري في كتاب المغازي، باب بعث علي بن

أبي طالب ؑ وخالد بن الوليد إلى اليمن.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب ؑ وخالد بن الوليد إلى اليمن.

(٣) كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب ؑ، ح ٣٧٢٤ وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل

علي بن أبي طالب ؑ.

السب كأنه يقول هل امتنعت تورعاً أو خوفاً أو غير ذلك فإن كان تورعاً وإجلالاً له عن السب فأنت مصيب محسن وإن كان غير ذلك فله جواب آخر ولعل سعداً كان في طائفة يسبون فلم يسب معهم وعجز عن الإنكار عليهم فسأله هذا السؤال قالوا ويحتمل تأويلاً آخر أن معناه ما منعك أن تخطئه في رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ.

ويقول الأستاذ الدكتور لاشين معقباً على قول النووي: وهذا تأويل واضح التعسف والبعد والثابت أن معاوية كان يأمر بسب علي وهو غير معصوم فهو يخطئ ولكننا يجب أن نمسك عن انتقاص أي من أصحاب رسول الله ﷺ وسب علي في عهد معاوية صريح في الرواية القادمة^(١).

عن سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم علياً قال فأبى سهل فقال له أما إذا أبيت فقل لعن الله أبا التراب... الحديث^(٢).

هذه بعض النماذج من الصحابة الذين كانوا يبغضون الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكانوا يسبون علياً وعلى المنابر مجاهرين بذلك السب واللعن وأمام الملأ وعلى مسمع من الصحابة.

فطالما أن الصحابة لم يكونوا على قدر المسؤولية فلماذا الإلحاح على النبي الأكرم في قولهم له يا رسول الله بماذا نكافئك على ما عانيت من الشدائد والمصاعب والويلات في أداء رسالتك؟ وبعد أن أوصاهم النبي بالعترة والقريبى لم يقبلوا بتلك الوصية ولم ينفذوا ما أوصى به النبي، فكما قال الله تعالى ﴿يَكْفُرُ بِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَآءِ إِن بَدَّلْ لَكُمْ تَسْوِكُمْ﴾ وآية المودة ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قد أساء بعض الصحابة فعلاً وقد تفاجئوا بالآية الكريمة التي توصي بمودة القريبى ولم يكونوا متوقعين من النبي تلك الوصية ثم أقول للنووي الذي حاول تبرئة ساحة معاوية بن أبي سفيان فبدل من أن يمنع معاوية السب ويعاقب عليه وذلك لأنه الحاكم المتسلط الذي يخشاه

(١) ج ٥، ص ٣٣٢، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، ح ٥٤١٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام.

الجميع نراه يستفسر من سعد ولماذا لا يسب الإمام، نستنتج من ذلك أن السب كان قد ألف عليه الصحابة ومن على المنابر وكان شائعاً فاستفسار معاوية لم يكن كما صرح النووي بالتماسه العذر لمعاوية، ولكن قول الأستاذ لاشين هو الأقرب إلى روح عبارة معاوية بأنه كان يأمر بالسب واللعن.

باب لا يحج البيت مشرك

٣٩٦... عن أبي هريرة قال بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال ابن شهاب فكان حميد بن عبدالرحمن يقول يوم النحر يوم الحج الأكبر من أجل حديث أبي هريرة.

قال النووي في شرحه: معنى قول حميد بن عبدالرحمن إن الله تعالى قال ﴿ وَأَذِّنْ لِلنَّاسِ أَنَّ يُحْجُوا إِلَيَّ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ التوبة/٣، ففعل أبو بكر وعلي وأبو هريرة وغيرهم من الصحابة هذا الأذان يوم النحر^(١).

لاحظ أن اسم الإمام علي عليه السلام لا وجود له في الرواية ولكن في الشرح جاء اسمه مهمشاً أيضاً والصحيح ما سنذكره لك أخي الكريم.

وقبل الخوض في الحديث يجب أن تعلم أخي الكريم أن الرواية جاءت عن طريق حميد بن عبدالرحمن بن عوف الزهري وهذا كان منحرفاً عن خط الإمام علي عليه السلام.

وكان كاتباً لمروان بن الحكم ويزيد بن معاوية من بعده (وأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت عثمان بن عفان لأمه) وأصبح... على ديوان المدينة زمان معاوية^(٢).

(١) المجلد ٥، ج ٩، ص ١٢٤، ح ١٣٤٧.

(٢) العقد الفريد لابن عبدبره الأندلسي، ج ٤، ص ١٦٤ و١٦٩، كتاب بني أمية، ط ١٤٠٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

ومن يكون منحرفاً عن سيد الأوصياء ويكون بنفس الوقت عثمانياً حتى النخاع فلا
غرابة أن يروي مثل ذلك!

قال النسائي:.... إن رسول الله ﷺ بعث ببراءة إلى أهل مكة مع أبي بكر ثم أتبعه بعلي
فقال له خذ الكتاب فامض به إلى أهل مكة قال فلحقته وأخذت الكتاب منه فانصرف أبو
بكر وهو كتيب فقال يا رسول الله أنزل الله في شيء؟ قال لا إلا أنني أمرت أن أبلغه أنا أو
رجل من أهل بيتي^(١).

قال الرازي في تفسيره سورة براءة: روي أن فتح مكة كان سنة ثمان وكان الأمير فيها
عتاب بن أسيد ونزول هذه السورة سنة تسع وأمر رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه سنة تسع أن
يكون على الموسم فلما نزلت هذه السورة أمر علياً أن يذهب إلى أهل الموسم ليقرأها
عليهم، فقبل له لو

بعثت بها إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عني إلا رجل مني فلما دنا على سمع أبو بكر
الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله ﷺ فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور ثم
ساروا فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر
عند جمره العقبة فقال يا أيها الناس إني رسول الله إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم
ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب هذا
البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة
وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد
وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن بالرماح وضرب بالسيوف واختلفوا في
السبب الذي لأجله أمر علياً بقراءة هذه السورة عليهم وتبليغ هذه الرسالة إليهم فقالوا
السبب فيه أن عادة العرب أن لا يتولى تقرير العهد ونقضه إلا رجل من الأقارب فلو
تولاه أبو بكر لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا من نقض العهود فربما لم يقبلوا
فأزيحت علتهم بتولية ذلك علياً رضي الله عنه وقيل لما خص أبا بكر رضي الله عنه بتوليته أمير الموسم
خص علياً بهذا التبليغ تطيباً للقلوب ورعاية للجوانب وقيل قرر أبا بكر على الموسم

(١) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأحمد بن شعيب النسائي، ص ١٤٧، ح ٧٦، ط/١٤٠٣هـ، تحقيق الشيخ
المحمودي.

وبعث علياً خلفه لتبليغ هذه الرسالة حتى يصل علي خلف أبي بكر ويكون ذلك جارياً
مجري التنبيه على إمامة أبي بكر....

وقرر الجاحظ هذا المعنى فقال إن النبي ﷺ بعث أبا بكر أميراً على الحاج وولاه
الموسم وبعث علياً يقرأ على الناس آيات من سورة براءة فكان أبو بكر الإمام وعلي
المؤتم وكان أبو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان أبو بكر الرافع بالموسم والسابق لهم
والأمر لهم ولم يكن ذلك لعلي ﷺ.

وأما قوله عليه الصلاة والسلام لا يبلغ عني إلا رجل مني فهذا لا يدل على تفضيل
علي على أبي بكر ولكنه عامل العرب بما يتعارفونه فيما بينهم وكان السيد الكبير منهم
إذا عقد لقوم حلفاً أو عاهد عهداً لم يحل ذلك العهد والعقد إلا هو أو رجل من أقاربه
القريبين منه كأخ أو عم، فهذا المعنى قال النبي ﷺ ذلك القول^(١).

وقال الطبري في تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن:.... عن أبي جعفر محمد
بن علي بن حسين بن علي قال لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ وقد كان بعث أبا بكر
الصديق ﷺ ليقيم الحج للناس قيل له يا رسول الله لو بعثت إلى أبي بكر فقال لا يؤدي
عني إلا رجل من أهل بيتي ثم دعا علي بن أبي طالب ﷺ فقال اخرج بهذه القصة من
صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج
بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو إلى مدته
فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ العشاء حتى أدرك أبا بكر
الصديق بالطريق فلما رآه أبو بكر قال أمير أو مأمور؟ قال مأمور ثم مضيا ﷺ فأقام أبو
بكر للناس الحج والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها
في الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب ﷺ فأذن في الناس بالذي
أمره رسول الله ﷺ فقال يا أيها الناس لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ولا يحج بعد العام
مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عهد رسول الله ﷺ فهو له إلى مدته فلم يحج
بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ثم قدما على رسول الله ﷺ وكان هذا من
براءة فمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى.

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي، ج ١٥، ص ٢١٩، سورة التوبة/١-٢.

حدثني محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن المفضل قال حدثنا أسباط عن السدي قال لما نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية بعث بهن رسول الله ﷺ مع أبي بكر وأمره على الحج فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة أتبعه بعلي فأخذها منه فرجع أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأنني شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت مع في الغار وأنك صاحبي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر على الحاج وعلي يؤذن ببراءة فقام يوم الأضحى فقال لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فله عهده إلى مدته وإن هذه أيام أكل وشرب وإن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً فقالوا نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب فرجع المشركون فلام بعضهم بعضاً وقالوا ما تصنعون وقد أسلمت قريش؟ فأسلموا^(١).

وفي شواهد التنزيل للحسكاني: عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ حين رجع من عمرة جمراته بعث أبا بكر على الحج فأقبلنا معه حتى إذا كنا بالعرج ثوى بالصبح فلما استوى ليكبر [إذ] سمع الرغوة خلف ظهره [ف] وقف عند التكبير فقال هذه رغوة ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء لقد بدا رسول الله في الحج فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فصلني معه فإذا علي عليها فقال له أبو بكر أمير أم رسول فقال لا بل رسول أرسلني رسول الله ببراءة أقرأها على الناس في مواقف الحج [قال:]: فقدمنا مكة فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم حتى إذا فرغ قام علي عليه السلام فقرأ على الناس براءة حتى ختمها وكذلك يوم عرفة ويوم النحر ويوم النفر الأول.

... عن ابن عباس قال وجه رسول الله ﷺ بالآيات من أول سورة براءة مع أبي بكر وأمره أن يقرأها على الناس فنزل عليه جبرئيل فقال إنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو علي فبعث علياً في أثره فسمع أبو بكر رغاء الناقة فقال ما وراؤك يا علي؟ أنزل في شيء؟ قال لا ولكن رسول الله قال لا يؤدي عني إلا أنا أو علي فدفع [أبو بكر] إليه الآيات وقرأها

(١) ج ١٠، ص ٧٦-٧٧، سورة براءة/١-٢، والقرطبي في تفسيره، ج ٤، ص ٢٢٩٧، وابن كثير في تاريخه البداية والنهاية، المجلد ٤، ج ٧، ص ٣٥٨، ط ١/١٩٦٦م، بيروت.

علي على الناس^(١).

الحاصل لقد أجمع المفسرون واتفقوا على أنه لما نزلت آيات سورة براءة أمر بها أبا بكر لقراءتها على المشركين ثم بعث خلفه الإمام علي بن أبي طالب ليأخذها منه ويقراها على أهل مكة والناس أجمعين وكما قرأنا في الروايات أن أبا بكر رجع وقال للنبي الأكرم أنزل في شيء فقال النبي لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني فالسؤال الأول:

النبي الأكرم هذا الحكيم في جميع حركاته وسكناته كان يعرف عادات العرب عموماً فلماذا بعث أبا بكر ثم ألحقه بعلي ولماذا لم يرسل ويعث علياً في بادئ الأمر طالما العرف عند العرب (تقرير ونقض العهد) لا يكون ولا يتم إلا منه أو رجل من أهل بيته.

فعلى ضوء هذا فإن النبي لم يرسل علياً ليقراً الآيات فقط كما ادعى أهل العامة ذلك وعلى رأسهم الجاحظ الذي قرر ذلك سلفاً ولكن بعثه أميراً على الحج أيضاً وذلك لأن النبي طالما أرسل أبا بكر ليقراً الآيات على أهل مكة فيتبين لنا من خلال ذلك أن قراءة ونقض وتقرير العهد جائز ويصح ومتعارف عليه من غير أهل بيت المتعاقد (النبي الأكرم) فتأمل!

ويتبين لنا أيضاً أن النبي الأكرم لم يعث علياً من تلقاء نفسه وإنما بأمر من الله ﷻ وكذلك لم يعثه لقراءة الآيات فقط وإنما بعثه أميراً على الحج كما ذكرنا.

ومن محاورات الشيخ الصدوق مع ركن الدولة (لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك) فأمر أمير المؤمنين ﷺ أن يبلغ إلى أبي بكر ويأخذ الأمانة - يعني السورة - فذهب ﷺ على أثره فأخذها وبلغها إلى أهل مكة في الموسم، فيقول الشيخ ﷺ: ومن الواضح أن أبا بكر إذا لم يكن من النبي ﷺ بمقتضى الخبر فليس تابعاً له أيضاً! لقوله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْنِي فَاِنَّهُ مِنِّي﴾ إبراهيم/٣٦، ومن لم يكن تابعاً فلا يكون محباً له ﷺ لقوله تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ آل عمران/٣٧، ومن لم يكن محباً فهو مبغض له وحب النبي ﷺ معناه الإيمان وبغضه الكفر بما أتى به فدل الخبر أن علي بن أبي طالب ﷺ منه ﷺ^(٢).

(١) ج ١، ص ٣١٧.

(٢) محاورات الشيخ الصدوق مع ركن الدولة، ص ٢٤-٢٥، اعداد السيد محمود الغريفي، ط ١/٤٢٨هـ، دمشق.

باب تحريم مكة وصيدها

٣٩٧... عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا وقال يوم الفتح فتح مكة إن هذا البلد حرمة الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من

نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط إلا من عرفها ولا يختلى خلاها فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال إلا الإذخر.

٣٩٨... عن يحيى أخبرني أبو سلمة أنه سمع أبا هريرة يقول إن خزاعة قتلوا رجلاً من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فركب راحته فخطب فقال إن الله ﷻ حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي ألا وإنها أحلت لي ساعة من النهار ألا وإنها ساعتى هذه حرام لا يخبط شوكتها ولا يعضد شجرها ولا يلتقط ساقطتها إلا منشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يعطى يعني الدية وإما أن يقاد أهل القتل قال فجاء رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال اكتب لي يا رسول الله فقال اكتبوا لأبي شاه فقال رجل من قريش إلا الإذخر فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا فقال رسول الله ﷺ إلا الإذخر.

قال الاستاذ الدكتور لاشين في شرحه: شرع الله تعالى حرم مكة بأن شرع فيه من وسائل الأمن ما لم يشرع في غيره من بقاع الأرض منذ خلق السماوات والأرض وتكريماً لإبراهيم عليه السلام بإجابة دعوته حين قال ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ إبراهيم/٣٥ وامتن الله على قريش بقوله ﴿أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا﴾ القصص/٥٧، ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (٢) ﴿الَّذِي أَطْمَعَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ قريش/٣-٤، وبقوله ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنْخِطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ العنكبوت/٦٧.

ولم يقتصر هذا الأمن على الإنسان بل تعداه إلى الحيوان والطيور والشجر حتى الشوك لا يسفك فيه دم ولا ينفر صيده ولا يصاد ولا يقتل حيوانه اللهم إلا الفواسق الخمس العقرب والحدأة والفأرة والغراب والكلب العقور.

ولقد فتح رسول الله ﷺ مكة عام ثمانية من الهجرة ودخل بجيوشه حاملين أسلحتهم بإذن ربهم أذن الله له لنشر دينه وإعلاء كلمته وأحل له هذا الحرم جزءاً من نهار من طلوع الشمس إلى صلاة العصر ثم أعلن للناس عودة حرمة إلى ما كانت عليه وحذر من أن يأتي أحد بعده يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل وقتل في مكة فالقتل والقتال فيها مباحان حذر من ذلك كل التحذير ونبه أنها لم تحل لأحد قبله ولا تحل لأحد بعده وإنما أحلت له ﷺ ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كما كانت وكان رسول الله ﷺ كان يشير بذلك إلى ما سيحدث بعده وما حدث على يد الحجاج بن يوسف الثقفي حين غزا مكة لقتال عبدالله بن الزبير وضرب الكعبة نفسها بالمنجنيق حتى تهدمت^(١).

وقال الأبى في شرحه إكمال إكمال المعلم: (لا يعضد شوكه) العضد القطع... منع عضد الشجر التي لا تستنبت.

(ولا ينفر صيده)... تنفيره أي يخرج من الظل إلى الشمس.

(ولا يلتقط إلا من عرفها)... معنى الحديث أنه لا يحل التقاطها إلا بنية التعريف بها.

(ولا يختلى خلاها) معنى يختلى يؤخذ عشبها الرطب واليابس.

(١) فتح المنعم، ج ٥، ص ٤٢٣، ح ٢٢٩٢٢.

(الإذخر) نبت معلوم طيب الرائحة^(١).

ولا بأس من ذكر بعض ما جرى في فتح مكة وذلك إتماماً للفائدة.

قال ابن كثير في البداية والنهاية في فتح مكة:.... وقال العباس حين نزل رسول الله ﷺ مر الظهران قلت وا صباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

قال فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك فقلت لعلي أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة. قال فوالله إنني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً! قال يقول بديل هذه والله خزاعة حمشتها الحرب قال يقول أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها قال فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبو الفضل قال قلت نعم قال مالك فدى لك أبي وأمي قال قلت ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله ﷺ في الناس وا صباح قريش والله قال فما الحيلة فذاك أبي وأمي قال قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك قال فركب خلفي ورجع صاحبه وقال عروة بل ذهبنا إلى النبي ﷺ فأسلما وجعل يستخبرهما عن أهل مكة وقال الزهري وموسى بن عقبة بل دخلوا مع العباس على رسول الله ﷺ قال ابن إسحاق قال فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا عم رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد وزعم عروة ابن الزبير أن عمر وجأ في رقبة أبي سفيان وأراد قتله فمنعه منه العباس.

وهكذا ذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن عيون رسول الله ﷺ أخذوهم بأزمة جمالهم فقالوا من أنتم قالوا وفد رسول الله ﷺ فلقبهم العباس فدخل بهم على رسول

(١) ج ٤، ص ٤٥٨، ح ١١٥٣.

الله فحادثهم عامة الليل ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فشهدوا وأن محمداً رسول الله فشهد حكيم وبديل وقال أبو سفيان ما أعلم ذلك، ثم أسلم بعد الصبح ثم سأله أن يؤمن قريشاً فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن وكانت بأعلى مكة ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن وكانت بأسفل مكة ومن أغلق بابه فهو آمن.

قال العباس ثم خرج عمر يشد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء قال فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلاضرب عنقه قال قلت يا رسول الله إني قد أجرته ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت والله لا ينجيه الليلة دوني رجل فلما أكثر عمر في شأنه قال قلت مهلاً يا عمر فوالله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبدمناف.

فقال مهلاً يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم وما بي إلا أنني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله ﷺ اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به قال فذهبت به إلى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغني عني شيئاً بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً فقال له العباس ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك قال فشهد شهادة الحق فأسلم.

قال العباس فقلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن زاد عروة ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهري ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم

الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها.

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أن أبا سفيان وبديلاً وحكيم بن حزام كانوا وقوفاً مع العباس عند خطم الجبل وذكر أن سعداً لما قال لأبي سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فشكى أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فعزله عن راية الأنصار وأعطاهما الزبير بن العوام فدخل بها من أعلى مكة وعرزها بالحجون^(١) ودخل خالد من أسفل مكة فلقبه بنو بكر وهذيل فقتل من بني بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة وأربعة وانهزموا فقتلوا بالحزورة^(٢) حتى بلغ قتلهم باب المسجد.

قال العباس فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه قال ومرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال يا عباس من هؤلاء فأقول سليم فيقول مالي ولسليم ثم تمر به القبيلة فيقول يا عباس من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة حتى نفذت القبائل ما تمر به قبيلة إلا سألتني عنها فإذا أخبرته قال مالي ولبني فلان حتى مر رسول الله ﷺ في كتبته الخضراء وفيها المهاجرين والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد فقال سبحان الله يا عباس من هؤلاء قال قلت هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار قال ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا لفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً قال قلت يا أبا سفيان إنها النبوة قال فنعم إذن قال قلت النجاء^(٣) إلى قومك حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جائكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت اقتلوا الحميت الدسم الأحمس^(٤) قبح من طليعة قوم فقال أبو سفيان ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا قاتلك الله وما تغني عنا دارك قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ففرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

(١) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .

(٢) الحزورة : سوق مكة، وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه .

(٣) النجاء : السرعة .

(٤) الحميت : زق السمن، والدسم : الكثير الودك، والأحمس : الذي لا خير فيه .

وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لما مر بأبي سفيان قال له إني لأرى وجوهاً كثيراً لا أعرفها لقد كثرت هذه الوجوه عليه فقال له رسول الله ﷺ أنت فعلت هذا وقومك إن هؤلاء صدقوني إذ كذبتُموني ونصروني إذ أخرجتُموني ثم شكى إليه قول سعد بن عبادة حين مر عليه فقال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فقال رسول الله ﷺ كذب سعد بل هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة.

وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ورأى الناس يحششون^(١) للصلاة وينتشرون في استعمال الطهارة خاف وقال للعباس ما بالهم قال إنهم سمعوا النداء فهم ينتشرون

للصلاة فلما حضرت الصلاة ورأهم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه قال نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه.

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أنه لما توضع رسول الله ﷺ جعلوا يتكفون فقال يا عباس ما رأيت كالليلة ولا ملك كسرى وقيصر^(٢).

ويقول ابن كثير في صفة دخوله ﷺ مكة:.... وذكر ابن أبي نجیح في حديثه أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة في بعض الناس وكان خالد على المجنبة اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبال من قبال العرب وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله ﷺ ودخل رسول الله ﷺ من أواخر حتى نزل بأعلى مكة فضربت له هنالك قبة.

قال وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يا بني عبدالرحمن وشعار الخزرج يا بني عبدالله وشعار الأوس يا بني عبيد الله.

عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام وإنه لا يحل لأحد قبلي وإنما حل لي ساعة من نهار ثم عاد كما كان فقيل له هذا خالد بن الوليد يقتل فقال قم يا فلان

(١) الحششة: الحركة والنهوض.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، ج ٣، ص ٤٨٦، فصل في إسلام العباس بن عبدالمطلب عم النبي وأبي سفيان بن العارث.

فأت خالد بن الوليد فقل له فليرفع يديه من القتل فاتاه الرجل فقال إن النبي ﷺ يقول اقتل من قدرت عليه فقتل سبعين إنساناً فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فأرسل إلى خالد فقال ألم أنكه عن القتل فقال جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه فأرسل إليه ألم أمرك قال أردت أمراً وأراد الله أمراً فكن أمر الله فوق أمرك وما استطعت إلا الذي كان فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم فما رد عليه شيئاً.

قال ابن اسحاق وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم غير أنه أهدر دم نفر سماهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتد فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقد أهدر دمه فر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله ﷺ طويلاً ثم قال نعم فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأيته فقتله فقالوا يا رسول الله هلا أومأت إلينا فقال إن النبي لا يقتل بالإشارة وفي رواية إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين.

قال ابن هشام وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان.

قال ابن إسحاق: وعبدالله بن خطل رجل من بني تميم بن غالب قلت ويقال إن اسمه عبدالعزى بن خطل ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم سمي عبدالله ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصداقاً وبعث معه رجلاً من الأنصار وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله ثم ارتد مشركاً وكان له قينتان فرتني وصاحبتهما فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين فلهذا أهدر دمه ودم قينتيه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة اشترك في قتله أبو برزة الأسلمي وسعيد بن حريث المخزومي وقتلت إحدى قينتيه واستؤمن للأخرى قال والحويرث بن نقيذ ابن وهب بن عبد بن قصي وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ بمكة ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يلحقهما برسول الله ﷺ أول الهجرة نخس بهما الحويرث هذا الجمل الذي هما عليه فسقطتا إلى الأرض فلما أهدر دمه قتله علي بن أبي طالب قال ومقيس بن صبابه لأنه قتل قاتل أخيه خطأ بعدما أخذ الدية ثم ارتد مشركاً فقتله رجل من قومه يقال له نميلة بن عبدالله قال وسارة مولاة لبني عبدالمطلب ولعكرمة بن أبي جهل لأنها كانت تؤذي رسول الله ﷺ وهي بمكة.

قلت: وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحملت الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة وكانها عفي عنها أو هربت ثم أهدر دهما والله أعلم فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله ﷺ فأمنها فعاشت إلى زمن عمر فأوطأها رجل فرساً فماتت وذكر السهيلي أن فرتني أسلمت أيضاً.

قال ابن إسحاق وأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام وأستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه فذهب في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم.

... عن مصعب بن سعد عن أبيه قال لما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين وقال اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة وهم عكرمة بن أبي جهل وعبدالله بن خطل ومقيس بن صبابه وعبدالله بن سعد بن أبي سرح فأما عبدالله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً وكان أشب الرجلين فقتله وأما مقيس فأدركه الناس في السوق فقتلوه وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف فقال أهل السفينة لأهل السفينة أخلصوا فإن ألهتكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا فقال عكرمة والله لئن لم ينج في البحر إلا الإخلاص فإنه لا ينجي في البر غيره اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلاجدنه عفواً كريماً، فجاء فأسلم وأما عبدالله بن سعد بن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال يا رسول الله بايع عبدالله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال أما كان فيكم رجل رشيد يقوم على هذا حين رأني كفت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أو مات إلينا بعينك؟ فقال إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين ورواه أبو داود والنسائي من حديث أحمد بن المفضل به نحوه.

وقال البيهقي... عن أنس بن مالك قال آمن رسول الله ﷺ الناس يوم فتح مكة إلا أربعة عبدالمعزى بن خطل ومقيس بن صبابه وعبدالله بن سعد بن أبي سرح وأم سارة فأما عبدالمعزى بن خطل فإنه قتل وهو متعلق بأستار الكعبة قال ونذر رجل من الأنصار أن

يقتل عبدالله بن سعد بن أبي سرح إذا رآه وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة فأتى به رسول الله ﷺ ليشفع له فلما بصر به الأنصاري اشتغل على السيف ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله ﷺ فجعل يتردد ويكره أن يقدم عليه فبسط النبي ﷺ يديه فبايعه ثم قال للأنصاري قد انتظرتك أن توفي بنذرك قال يا رسول الله هبتك أفلا أومضت إلي قال إنه ليس للنبي أن يومض وأما مقيس بن صبابه فذكر قصته في قتله رجلاً مسلماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعد ذلك قال وأما أم سارة فكانت مولاة لقريش فأتت النبي ﷺ فشكت إليه الحاجة فأعطاها شيئاً ثم بعث معها رجل بكتاب إلى أهل مكة فذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة.

وروى محمد بن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن مقيس بن صبابه قتل أخوه هشام يوم بني المصطلق قتله رجل من المسلمين وهو يظنه مشركاً فقدم مقيس مظهراً للإسلام ليطلب دية أخيه فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ورجع إلى مكة مشركاً فلما أهدر رسول الله ﷺ دمه قتل وهو بين الصفا والمروة^(١).

ويقول الواقدي في مغازيه: ثم أمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام أن يدخل من كدى^(٢) وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من الليط^(٣) وأمر سعد بن عبادة أن يدخل من كداء والراية مع ابنه قيس ومضى رسول الله ﷺ فدخل من أذاخر ونهى رسول الله ﷺ عن القتال وأمر بقتل ستة نفر وأربعة نسوة عكرمة بن أبي جهل وهبار بن الأسود وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ومقيس بن صبابه الليثي والحويرث بن نقيذ وعبدالله بن هلال بن خطل الأدرمي وهند بنت عتبة بن ربيعة وسارة مولاة عمرو بن هاشم وقينتين لأبي خطل قرينا وقريبة ويقال فرتنا وأرنبة فكل الجنود دخل فلم يلق جمعاً فلما دخل خالد بن الوليد وجد جمعاً من قريش وأحابيشها قد جمعوا له فيهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فمنعوه الدخول وشهروا السلاح ورموا بالنبل وقالوا لا تدخلها عنوة أبداً فصاح

(١) نفس المصدر السابق، ص ٤٩٥، وكذلك مجمع الزوائد للهيتمي، ج ٦، ص ١٧٨، باب غزوة الفتح، وتفسير القرطبي،

ج ٩، ص ٦٦٠٨٣، سورة الفتح.

(٢) جبل قريب من كداء.

(٣) موضع بأسفل مكة.

خالد بن الوليد في أصحابه وقاتلهم فقتل منهم أربعة وعشرين رجلاً من قريش وأربعة من هذيل وانهمزوا أقبح الانهزام حتى قتلوا بالحزورة وهم مولون في كل وجه وانطلقت طائفة منهم فوق رؤوس الجبال واتبعهم المسلمون فجعل أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام يصيحان يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم من دخل داره فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن فجعل الناس يقتحمون الدور ويغلقون عليهم ويطرحون السلاح في الطرق حتى يأخذها المسلمون ولما ظهر رسول الله ﷺ على ثنية أذاخر نظر إلى البارقة فقال ما هذه البارقة ألم أنه عن القتال قيل يا رسول الله خالد بن الوليد قوتل ولو لم يقاتل ما قاتل فقال رسول الله ﷺ قضى الله خيراً قال وجعل يتمثل بهذه الأبيات وهو يقاتل خارجة بن خوليد الكعبي أنشدنيها [١] عن أبيه:

إذا ما رسول الله فينا رأيتنا
كلجة بحر نال فيها سريرها
إذا ما ارتدينا الفارسية فوقها
ردينية يهدي الأصم خريرها^(٢)
وإن محمداً لها ناصر
عززت وعزز نصيرها

وأقبل ابن خطل جائياً من مكة مدججاً في الحديد على فرس ذنوب بيده قناة وبنات سعيد بن العاص قد ذكر لهن أن رسول الله ﷺ قد دخل فخرجن قد نشرن رؤوسهن يضربن بخمرهن وجوه الخيل فضربهن ابن خطل جائياً من أعلى مكة فقال لهن أما والله لا يدخلها حتى ترين ضرباً كأفواه المزداد^(٣) ثم خرج حتى انتهى إلى الخندمة فرأى خيل المسلمين ورأى القتال ودخله الرعب حتى ما يستمسك من الرعدة حتى انتهى إلى الكعبة فنزل عن فرسه وطرح سلاحه فأتى البيت فدخل بين أستاره.

(١) كلمة غامضة رسمها في الأصل (حرايد).

(٢) بياض في الأصل.

(٣) المزداد : جمع المزادة، وهي الرواية.

... وحدثني حزام بن هشام عن أبيه قال أخذ رجل من بني كعب درعه وصففه^(١) ومغفره وبيضته وسيفه وأدرك فرسه غائراً فأدركه فاستوى عليه ولحق النبي صلى الله عليه وسلم بالحجون قالوا وأقبل حماس بن خالد منهزماً حتى أتى بيته فدقه ففتحت له امرأته فدخل وقد ذهبت روحه فقالت أين الخادم الذي وعدتني ما زلت منتظرك منذ اليوم تسخر به قال دعني عنك أغلقتي بابي فإنه من أغلق بابه فهو آمن قالت ويحك ألم أنهك عن قتال محمد وقلت لك ما رأيته يقاتلكم من مرة إلا ظهر عليكم وما بابنا قال إنه لا يفتح على أحد بابه ثم قال أنشدنيها ابن أبي الزناد:

وأنت لو شهدتنا بالخندمه
 إذ فر صفوان وفر عكرمه
 وأبو يزيد كالمجوز المؤتمه
 لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه
 وضربتنا بالسيف المسلمه
 لهم زئيراً خلفنا وغمغمه

... وأقبل الزبير بن العوام بمن معه من المسلمين حتى انتهى بهم إلى الحجون فغرز الراية عند منزل رسول الله ﷺ ولم يقتل من المسلمين أحد إلا رجلان من أصحابه أخطأ طريقه فسلكا غيرها فقتلا كرز بن جابر الفهري فقام عليه خالد الأشقر وهو جد حزام بن خالد حتى قتل وكان الذي قتل خالداً ابن أبي الجذع الجمحي.

... عن جابر بن عبد الله قال كنت ممن لزم رسول الله ﷺ فدخلت معه يوم الفتح من أواخر فلما أشرف على أواخر نظر إلى بيوت مكة ووقف عليها فحمد الله وأثنى عليه ونظر إلى موضع قبته فقال هذا منزلنا يا جابر حيث تقاسمت علينا قريش في كفرها قال جابر فذكرت حديثاً كنت أسمعه منه ﷺ قبل ذلك بالمدينة منزلنا غداً إن شاء الله إذا فتح الله علينا مكة في الخيف حين تقاسموا علي الكفر وكنا بالأبطح ووجه شعب أبي طالب حيث حصر رسول الله ﷺ وبنو هاشم ثلاث سنين.

... كان أبو رافع قد ضرب لرسول الله ﷺ قبة بالحجون من آدم فأقبل رسول الله ﷺ

(١) الصف: ما يلبس تحت الدرع .

حتى انتهى إلى القبة ومعها أم سلمة وميمونة.

... وكانت أم هانئ بنت أبي طالب تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي فلما كان يوم الفتح دخل عليها حموان لها عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي والحارث بن هشام فاستجارا بها وقالوا نحن في جوارك فقالت نعم أنتما في جوارى قالت أم هانئ فهما عندي إذ دخل علي فارساً مدججاً في الحديد ولا أعرفه فقلت له أنا بنت عم رسول الله ﷺ قالت فكف عني وأسفر عن وجهه فإذا علي عَلَيْهَا فقلت أخي فاعتنقته وسلمت عليه ونظر إليهما فشهر السيف عليهما فقلت أخي من بين الناس يصنع بي هذا قالت وألقيت عليهما ثوباً وقال تجيرين المشركين وحلت دونهما فقلت والله لتبدأن بي قبلهما قالت فخرج ولم يكد فأغلقت عليهما بيتاً وقلت لا تخافا.

عن أم هانئ قالت فذهبت إلى خباء رسول الله ﷺ بالبطحاء فلم أجده ووجدت فيه فاطمة فقلت ماذا لقيت من ابن أمي علي أجرت حموين لي من المشركين فتفلفت عليهما ليقتلها قالت فكانت أشد علي من زوجها وقالت تجيرين المشركين قالت إلى أن طلع رسول الله ﷺ وعليه رهجة الغبار فقال مرحباً بفاختة أم هانئ وعليه ثوب واحد فقلت ماذا لقيت من ابن أمي علي ما كدت أنفلت منه أجرت حموين لي من المشركين فتفلفت عليهما ليقتلها فقال رسول الله ﷺ ما كان ذلك قد أمتنا من أمنت وأجرنا من أجرت ثم أمر فاطمة فسكبت له غسلأ فاعتسل ثم صلى ثمان ركعات في ثوب واحد ملتحفاً به وذلك ضحى في فتح مكة.

... قالت فرجعت إليهما فأخبرتهما وقلت لهما إن شئتما فأقيما وإن شئتما فارجعا إلى منازلكما قالت فأقاما عندي يومين في منزلي ثم انصرفا إلى منازلهما قالت فكنت أكون مع النبي ﷺ في خبائه بالأبطح حتى خرج إلى حنين قالت فأتى آت إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله الحارث بن هشام وابن أبي ربيعة جالسان في ناديهما متفضلان في الملاء المزعفر فقال رسول الله ﷺ لا سبيل إليهما قد أمناهما قال ومكث رسول الله ﷺ في منزله ساعة من النهار واطمأن واغتسل ثم دعا بإرحلته القصواء فأذنبت إلى باب قبته ودعا للبس السلاح والمغفر على رأسه وقد صف له الناس فركب بإرحلته والخيال تمعج بين الخندمة إلى الحجون ومر رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنهما إلى جنبه يسير يحادثه فمر

بنات أبي أحичة بالبطحاء حذاء منزل أبي أحичة وقد نشرن رؤوسهن يلطنن وجوه الخيل بالخمير فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فتبسم وذكر بيت حسان بن ثابت فأنشدته أبو بكر رضي الله عنه :

نظـل جـيادنا مـتمـطـرات يـلـطـمـهن بـالـخـمـر بـالنـسـاء

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فرآها ومعه المسلمون تقدم على راحتله فاستلم الركن بمحجنه وكبر فكبر المسلمون لتكبيره فرجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيراً حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إليهم اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت على راحلته أخذ بزمامها محمد بن مسلمة وحول الكعبة ثلاثمائة صنم وستون صنماً مرصصة بالرصاص وكان هبل أعظمها وهو وُجاة الكعبة على بابها وإساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون الذبائح فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مر بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء/٨١، فيقع الصنم لوجهه.

قال حدثني ابن أبي سبرة عن حسين بن عبدالله عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال ما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشير بالقضيب إلى الصنم فيقع لوجهه فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعاً على راحلته يستلم الركن الأسود بمحجنه في كل طواف لما فرغ من سبعة نزل عن راحلته وجاء معمر بن عبدالله بن نضلة فأخرج راحلته ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقام وهو يومئذ لاصق بالكعبة والدرع عليه والمغفر وعمامته بين كتفيه فصلى ركعتين ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها وقال لولا أن يغلب بنو عبدالمطلب لنزعت منها دلواً فنزع له العباس بن عبدالمطلب دلواً فشرب منه ويقال الذي نزع الدلو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وأمر بهبل فكسر وهو واقف عليه فقال الزبير بن العوام لأبي سفيان بن حرب يا أبا سفيان قد كسر هبل أما إنك قد كنت منه يوم أحد في غرور حين تزعم أنه قد أنعم...^(١).

وسنوافيك بالمزيد في الحديث القادم.

(١) كتاب المغازي لمحمد بن عمر الواقدي، المتوفى ٢٠٧هـ، ج ٢، ص ٨٣٢، ط ١٩٦٥م، دار المعارف، القاهرة.

باب جواز دخول مكة بغير إحرام

٣٩٩... قرأت على مالك بن أنس وأما قتيبة فقال حدثنا مالك وقال يحيى واللفظ له قلت لمالك أَحَدْتُكَ ابن شهاب عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه مغفر فلما نزعه جاءه رجل فقال ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه فقال مالك نعم.

قال النووي في شرحه صحيح مسلم: قال العلماء إنما قتله لأنه كان قد ارتد عن الإسلام وقتل مسلماً كان يخدمه وكان يهجو النبي ﷺ ويسبه وكانت له قينتان تغنيان بهجاء النبي ﷺ والمسلمين فإن قيل ففي الحديث الآخر من دخل المسجد فهو آمن فكيف قتله وهو متعلق بالأستار فالجواب أنه لم يدخل في الأمان بل استثناه هو وابن أبي سرح والقينتين وإن وجد متعلقاً بأستار الكعبة^(١).

نعم لقد أحلت مكة للنبي الأكرم ساعة من النهار ولن تحل لأحد من بعده أبداً هذا ما قاله النبي وما صرح به أمام الصحابة والمسلمين عموماً وسمعه جميع الناس ولكن الملك عقيم فماذا فعل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وعبدالله بن الزبير بن العوام في مكة، وفي بيت الله الحرام!؟

قال البلاذري:.... نزل الموت بمسلم فقال حين احتضر اللهم إنك تعلم أنني لم أشاق

(١) المجلد ٥، ج ٩، ص ١٤٠، ح ١٣٥٧.

خليفة ولم أفارق جماعة ولم أغش إماماً سراً ولا علانية ولم أعمل بعد الإيمان بالله ورسوله عملاً أحب إلي ولا أرجى عندي من قتل أهل الحرة فأغفر لي ذنوبي وبارك لي فيما أقدم عليه ثم قال ما أغلقت عليه فلانة امرأتي بابها فهو لها وداري بحوران صدقة على مهاجرة بني مرة ثم دعا حصين بن نمير وحبيش بن دلجة القيني وعبدالله بن مسعدة الفزاري فقال إن أمير المؤمنين عهد لي في أن أولي أمركم حصين بن نمير وأكره خلافه عند الموت ثم قال لحصين إن حبيش بن دلجة أولى بما وليتك منك ولكنه أمر أمير المؤمنين فاحفظ عني ما أقول لك لا تطيلن المقام بمكة فإنها أرض جردية لا تحتمل الدواب ولا تمنع أهل الشام من الحملة ولا تمكن قريشاً من أذنك فإنهم قوم خدع وليكن أمرك الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف أفهمت يا حصين؟ قال نعم قال واعلم أنك تقدم على قوم لا منعة لهم ولا عدة ولا سلاح ولهم جبال مشرفة عليهم فانصب عليهم المجانيق فإن عاذوا بالبيت فارمه فما أقدرك على بناءه وأقام حصين بمر الظهران ثلاثة أيام.

وقال الواقدي دخل الحصين مكة لثلاث بقين من المحرم سنة أربع وستين.

قالوا: وخطب ابن الزبير الناس وحرضهم على قتال أهل الشام ودعاهم إلى بيعته فبايعه أهل مكة على القتال وأتاه فلُ أهل الحرة فصار في بشر كثير وقدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في ناس من الخوارج وفيهم حسان بن بحدج الحنفي ليمنعوا البيت من أهل الشام فقال عبدالله بن الزبير لأخيه المنذر بن الزبير ما يريد هؤلاء يعني أهل الشام إلا أنا وأنت قال أبو مخنف وكان المنذر شهد الحرة ثم لحق بأخيه وقال غيره لم يشهدا فناهضهم المنذر ساعة ثم دعاه رجل من أهل الشام إلى البراز فاختلفا ضربتين فسقط المنذر والشامي قتيلين....

وقال المدائني أقبل الحصين فنزل معسكره من الحجون إلى بئر ميمون فخرج إليه عبد الله بن صفوان فوعظه حصين وخوفه ثقل وطأة أهل الشام فأغلظ لحصين فقال إنما أباح حرم الله من قاد الخيل إليه قبل وميمون هو ابن شعبة الحضرمي أبو عمار.

وقال أبو مخنف: جثا ابن لعبدالله بن الزبير وقال لأصحابه قاتلوا فقاتلوا إلى المساء فقتل المسور بن مخرمة ويقال أصابه حجر فمات يوم أتاهم نعي يزيد وقاتل أهل الشام

إلى أن انسلك صفر فلما مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين نصبوا على البيت المجانيق فدقوه بها وأخذوا يرتجزون ويقولون:
خطارة مثل الفنيق المزبد
نرمي بها عواذ هذا المسجد

وكان صاحب الرمي الزبير بن خزينة الخثعمي من أهل فلسطين وهو أول من ارتجز يهذين البيتين قالوا وجعلوا يقولون: كيف ترى صنيع أم فروه تأخذهم بين الصفا والمروه وقال:.... نصب حصين منجنيقاً في الجبل الأحمر الذي يلي دار الندوة قال وكان المسور قد أعان ابن الزبير بمواليه وسلاح كثير فاقتتلوا وكان أول قتالهم يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر فقتل في أول يوم ثلاثة من أصحاب حصين وأربعة من أصحاب ابن الزبير وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي قال لابن الزبير انهض إلى القوم وكان قد مكث أياماً لا يقاتل وقال له المختار أيضاً إن الله يقول ﴿وَلَا تَقْنَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُفْتَلُوهُمْ فِيهِ فَاِن فَتَلَوْكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ البقرة/١٩١، فنهض ابن الزبير ومعه عمير بن ضبيعة في سبعين من الخوارج فقتل له أنقاتل بهذه المارقة فقال لو أعانتني الشياطين على أهل الشام لقاتلتهم بهم وقال ما أبالي إذا قاتل معي المختار من لقيت فياني لم أر أشجع منه قط وأبلى غلام لابن الزبير يقال له سليم أو سليمان فأعتقه وقال بعض الشعراء:

وشد أبو بكر لدى الباب شدة
أبى لحصين أن يحيا ويكرما
هنالك لا أخشى حصين بن نائل
ولا جلد أير العير نعمان خثعما

ونعما قائد من قواد أهل الشام.

الشعبي قال نصب ابن نمير المنجنيق على الكعبة فارتفعت سحابة فاستدارت على أبي قبيس ثم رعدت وأصعقت فأحرقت المنجنيق ومن تحتها فلم يعيدوا الرمي فقال أعشى همدان:

ورمى البيت بالحجارة حتى

أحرق الله منجنيق الزبير

يعني الزبير بن خزينة الخثعمي وكان صاحب الرمي مع حصين بن نمير وكان ابن الزبير يهزمهم فيتبعهم وحده وهو يقول:

إننا إذا عض الثقا

ف برأس صعدتنا أبينا

ف قيل لابن نمير ألا ترى أن رجلاً واحداً يتبعنا على رجليه فلا يعطف عليه أحد فقال:

كل امرئ يحاذر البليه

بخاف أن تدركه المنيه

من يتعرض لأسد يحامي بجد وشجاعة عن مُلك يحاوله وأرسل ابن الزبير إلى حصين يدعوه إلى مبارزته فقال والله ما بي جبن ولكني أخاف أن أفعل فإن قتلني كنت قد ضيعت أصحابي وإن قتلتك فأنا على خطأ في التدبير وإضاعة للحزم وقال المختار يا بني الكرارين يا حماة الحقائق قاتلوا فقتلوا من أهل الشام بشر كثير فقال بعض الشعراء:

لقد ضرب المختار ضربة حازم

أزالته يزيد عن حشاياه ضارطا

وقتل مصعب بن عبدالرحمن بن عوف عدة، وأجهزت عليهم امرأة من الخوارج يقال لها سلمى فقال رجل من الشاميين:

إنني لم أنس إلا ريث أذكره

أيام تطردنا سلمى وتنفيينا

وحكم ابن بحدج وأصحابه فقتلوا جماعة من أهل الشام فقال رجل من قضاة:

يا صاحبي ارتحلا وأملسا لا

تحسبا لدى حصين محبسا

إن لدى الأركان بأساً أبأسا

ويارقات يختلسن الأنفسا

إن الفتى حكم ثم كبسا

وجرح عبدالله بن مسعدة الفزاري فلم يقاتل حتى جاءت وفاة يزيد وكان الذي جرحه مصعب بن عبدالرحمن.

المدائني قال قال عبدالله في بعض أيامه للمنذر احمل عليهم فقال إني عليك لهجين تعرضني لأنباط الشام فحمل وهو على بغلة له ورد فنفرت من قعقة السلاح وتوقلت في الجبل فقال عبدالله انج أبا عثمان ولحقه أهل الشام فقتلوه فقال ابن مُفَرَّغ:

لابن الزبير غداة يذمر منذراً
أولى بنفاية كل يوم دفاع
وأحق بالصبر الجميل من
امرئ كز أنامله قصير الباع

وقال المدائني قتل المنذر بن الزبير وأبو بكر بن الزبير وحذافة بن عبدالرحمن بن العوام والمقداد بن الأسود بن العوام ومصعب بن عبدالرحمن بن عوف بعد أن قتل خمسة من أهل الشام وانحنى سيفه فقال:

سنورد بيضاً ثم نعقب حمرة
وفيها انحناء بين بعد تقويم

وقاتل مصعب بن عبدالرحمن يوماً حتى يبست يده فدعا ابن الزبير بشاة فحلبت على يده حتى لانت وقال ابن الزبير ما كنت أبالي إذا كان المختار معي من فارقتي فما رأيت قط أشد قتالاً منه.

قالوا ووضع أهل مكة مجانيق أو خشباً حول الكعبة وجللوا بالجلود لترد عن الكعبة.

عن هشام بن عروة أرسل النجاشي جماعة من الحبش للدفع عن الكعبة وأعان ابن الزبير بهم فضمهم إلى أخيه مصعب بن الزبير فكانوا يقاتلون معه فانكشفوا ذات يوم فاعتذروا وقالوا نحن أصحاب مزاريق نرمي بها من انكشف.

وقال أبو مخنف في روايته مكث أهل الشام يقاتلون ابن الزبير حتى إذا مضى من شهر ربيع الأول أربعة عشر يوماً مات يزيد فمكثوا أربعين يوماً لا يعلمون بموته وبلغ ابن الزبير موته قبل أن يبلغ الحصين وقد ضيقوا على ابن الزبير مكة وحصروه حصاراً شديداً

فقال يا أهل الشام لماذا تقاتلون وقد هلك طاغيتكم فجعلوا لا يصدقون حتى قدم عليهم ثابت بن المنقع النخعي واسم المنقع قيس وهو من أهل الكوفة وكان صديقاً للحصين فأخبره بهلاك يزيد^(١).

ويقول البلاذري: قال الواقدي: وصعد حجر المنجنيق الحجر الأسود فضببه ابن الزبير بفضة.

قال: واحترقت الكعبة قبل أن يأتي خبر موت يزيد بسبعة وعشرين يوماً وكان إحراقها بعد الصاعقة التي أصابت المنجنيق وكان سبب احتراقها أن رجلاً من أصحاب ابن الزبير يقال له مسلم أخذ ناراً في ليفة على رأسه رمح في يوم ريح فطارت شررة فتعلقت بأستار الكعبة فأحرقتها وكانت لهم حول الكعبة بيوت من خصف ورفوف.

قال: ويقال إن جرذاً جر فتيلة فيها نار فسقطت في متاع بعض من حول الكعبة فاحترق وهاجت ريح حملت الشرر إلى الأستار.

قال: فلما ارتحل ابن نمير هدم ابن الزبير ما حول الكعبة حتى بدت وأمر بالمسجد فكس من فيه من الحجارة وإذا الكعبة ترتج وإذا الركن قد اسود من النار فشاور في هدمها فأشار عليه جابر بن عبدالله الأنصاري وعبدالله بن عمر بهدمها وكره ذلك ابن عباس وقال أخاف أن يأتي من بعدك فيهدمها فجمع ابن الزبير الفعلة فهدمها إلى الأرض ثم بناها وقال ابن عباس ما زلنا نعلم أن الحجر من البيت فبنيت وأدخل الحجر فيها وجعل لها بابين بالأرض باباً يدخل منه وباباً يخرج منه وجعل الحجر الأسود في سرقة حرير في تابوت وجعل ما كان في البيت من شيء في تابوت وكان الناس يطوفون من وراء أساس البيت ويصلون إلى أساسه حتى بني ثم ستر الركن بثوب ورد الحجر ووضع هو وولده فغضب الحجة من ذلك ويقال أنه تولى وضعه هو وولده حمزة وقوم من الحجة وكان ابن الزبير روى عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال لولا حدائث عهد قومك بالشرك لأعدت فيها ما ترك منها فعمل ابن الزبير على ذلك فلما فرغ من بنائها رد إليها جميع ما كان فيها وسترها بالديباج فلما هدمها الحجاج ردها إلى ما كانت عليه حين هدمها ابن

(١) أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٣٤٤، حصار ابن الزبير بمكة في أيام يزيد بن معاوية.

الزبير وأخرج الحجر منها ورفع بابها^(١).

ولنختم البحث بشهادة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان على أبيه يزيد: قال ابن حجر:... ومن صلاحه الظاهر أنه لما ولي صعد المنبر فقال إن هذه الخلافة حيل الله وإن جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه علي بن أبي طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه ثم قلد أبي الأمر وكان غير أهل له ونازع ابن بنت رسول الله ﷺ فقصف عمره وانبتت عقبه وصار في قبره رهيناً بذنوبه ثم بكى وقال إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه وقد قتل عترة رسول الله ﷺ وأباح الخمر وخرب الكعبة ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أتقلد مرارتها فشأنكم أمركم والله لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظاً ولئن كانت شراً فكفى ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها، ثم تغيب في منزله حتى مات بعد أربعين يوماً على ما مر فﷺ أنصف من أبيه وعرف الأمر لأهله^(٢).

(١) نفس المصدر السابق، ص ٣٤٩.

(٢) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة لأحمد بن حجر الهيتمي، ص ٢٢٤، الخاتمة في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة.

باب فضل المدينة

٤٠٠.... عن عباد بن تميم عن عمه عبدالله بن زيد بن عاصم أن رسول الله ﷺ قال إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة.

٤٠١.... عن رافع بن خديج قال قال رسول الله ﷺ إن إبراهيم حرم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها يريد المدينة.

٤٠٢.... عن نافع بن جبير أن مروان بن الحكم خطب الناس فذكر مكة وأهلها وحرمتها ولم يذكر المدينة وأهلها وحرمتها فناده رافع بن خديج فقال ما لي أسمعك ذكرت مكة وأهلها وحرمتها ولم تذكر المدينة وأهلها وحرمتها وقد حرم رسول الله ﷺ ما بين لابتيها وذلك عندنا في أديم خولاني إن شئت أقرأنك قال فسكت مروان ثم قال قد سمعت بعض ذلك.

٤٠٣.... عن جابر قال قال النبي ﷺ إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يقطع عضاها ولا يصاد صيدها.

٤٠٤.... عن عامر بن سعد عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاها أو يقتل صيدها وقال المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيحاً أو شهيداً يوم القيامة.

٤٠٥.... عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال ثم ذكر مثل حديث ابن نمير وزاد في الحديث ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء.

٤٠٦.... عاصم قال قلت لأنس بن مالك أحرّم رسول الله ﷺ المدينة قال نعم ما بين كذا إلى كذا فمن أحدث فيها حدثاً قال ثم قال لي هذه شديدة من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً قال فقال ابن أنس أو آوى محدثاً.

٤٠٧.... عاصم الأحول قال سألت أنساً أحرّم رسول الله ﷺ المدينة قال نعم هي حرام لا يختلى خلاها فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

٤٠٨.... عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال خطبنا علي بن أبي طالب فقال من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة قال وصحيفة معلقة في قراب سيفه فقد كذب فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات وفيها قال النبي ﷺ المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً وانتهى حديث أبي بكر وزهير عند قوله يسعى بها أدناهم ولم يذكر ما بعده وليس في حديثهما معلقة في قراب سيفه.

٤٠٩.... عن أبي معاوية إلى آخره وزاد في الحديث فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يُقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل وليس في حديثهما من ادعى إلى غير أبيه وليس في رواية وكيع ذكر يوم القيامة.

٤١٠.... عن الأعمش بهذا الإسناد نحو حديث ابن مسهر ووكيع إلا قوله من تولى غير مواليه وذكر اللعنة له.

٤١١.... عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف.

٤١٢... عن سفيان عن الأعمش بهذا الإسناد مثله ولم يقل يوم القيامة وزاد وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف.

٤١٣... عن أبي هريرة أنه كان يقول لو رأيت الظباء ترتع بالمدينة ما ذعرتها قال رسول الله ﷺ ما بين لابتها حرام.

٤١٤... عن أبي هريرة قال حرم رسول الله ﷺ ما بين لابتي المدينة قال أبو هريرة فلو وجدت الظباء ما بين لابتها ما ذعرتها وجعل اثني عشر ميلاً حول المدينة حمى.

باب من أراد أهل المدينة بسوء

٤١٥... عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن يحيى بن عماره أنه سمع القراظ وكان من أصحاب أبي هريرة يزعم أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ من أراد أهلها بسوء يريد المدينة أذابه الله كما يذوب الملح في الماء قال ابن حاتم في حديث ابن يُحَنَس بدل قوله بسوء شراً.

٤١٦... عن عمر بن نبيه أخبرني دينار القراظ قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول قال رسول الله ﷺ من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء.

٤١٧... عن أبي عبدالله القراظ قال سمعته يقول سمعت أبا هريرة وسعداً يقولان قال رسول الله ﷺ اللهم بارك لأهل المدينة في مدهم وساق الحديث وفيه من أراد أهلها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء.

قال الأستاذ الدكتور لاشين: فضل الله تعالى بعض الأماكن على بعض ﴿إِنَّ أَوْلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ فِيهِ ءَايَةٌ لِّبَنَاتِكَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ آل عمران/٩٦-٩٧.

كان البيت في مكة قبل إبراهيم ﷺ فاندثر وضاعت معالمه وآثاره وبوأ الله لإبراهيم مكان البيت فأعاد بناءه وطلب من ربه تجديد قدسيته وميزاته ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ إبراهيم/٣٥، آمناً لبني آدم وآمناً لكل ذي روح واستجاب الله دعاء إبراهيم فحرم جل شأنه صيد الحرم وسفك الدم فيه وحرم قطع شجره.

ولئن كانت مكة أحب البلاد إلى رسول الله ﷺ باعتبارها مولده ونشأته ووطنه الأوطى إلا أن المدينة آوته ونصرته ونشرت دينه وكان فيها ومنها ربيع الإسلام رجع إليها ﷺ بخنان وورغبة صادقة وحب أكيد بعد فتح مكة وكانت مكافأة لهذه البلدة الكريمة أن دعا ربه لها أن يجعلها حراماً كمكة فقال ﷺ اللهم إن إبراهيم عبدك و خليلك و نبيك و إنني عبدك و نبيك و إنه دعاك لمكة و إنني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة و مثله معه اللهم بارك لأهل المدينة في مدينتهم و مكيالهم و موازينهم و مقاييسهم و جميع مقاديرهم بركة مع بركة فأجاب الله دعاءه فأخبر أمته فقال ﷺ إنني حرمت المدينة بأمر الله كما حرم إبراهيم مكة حرمتها بحدودها المعروفة ما بين جبلتها حرمتها و ما يقرب من اثني عشر ميلاً حولها لا يقطع شجرها و لا ينفر صيدها و لا يسفك فيها دم من أحدث فيها حدثاً أو أتى فيها بظلم أو آوى ظالماً فهو مطرود من رحمة الله و عليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين لا يقبل الله منه عملاً صالحاً و ذمة المسلمين واحدة يجبر أدناهم كما يجبر أعلاهم لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

وقال لقد دعوت الله أن يحبب إلينا المدينة وأن يصحح أهلها من الأوبئة و على سكانها الصبر على شدتها لأكون شفيعاً و شهيداً لهم يوم القيامة.

لقد دعوت الله تعالى أن يحرسها فلن يدخلها الطاعون و لا الدجال و ستنتفى خبيثها و تخرج الفجرة من سكانها فحافظوا على البقاء فيها فمن خرج منها غير راغب فيها عوضها الله بخير منه إنها طيبة و من أرادها بسوء قصمه الله و أهلكه و أذابه كما يذوب الملح في الماء^(١).

قال النووي في شرحه: إن إبراهيم حرم مكة و إنني أحرم ما بين لابتيها يريد المدينة... الحرتان... و هي الأرض الملبسة حجارة سوداء و للمدينة لابتان شرقية و غربية^(٢).

(من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين).

قال الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه: معناه من أتى فيها إثماً أو آوى من أتاه و ضمه إليه و حماه.

(١) فتح المنعم، ج٥، ص٤٤٥، ح٢٢٩٨١.

(٢) المجلد٥، ج٩، ص١٤٤، ح١١٣٦٢.

ومعنى فعلية لعنة الله... أن الله تعالى يلعنه... والملائكة والناس أجمعون، فاللعن في اللغة هو الطرد والإبعاد.

(لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً)... لا يقبل منه يوم القيامة... فريضة والعدل النافلة.

من ادعى إلى غير أبيه... أي انتسب إلى غير أبيه تشرفاً... فعلية لعنة الله.
فمن أخفر مسلماً معناه من نقض أمان مسلم وعهده^(١).

في هذه الروايات التي ذكرناها عدة ملاحظات يجب التنبيه عليها وسنذكر أمرين فقط من تلك الأمور حتى لا نطيل على القارئ:

١. أن النبي الأكرم حرم المدينة كما حرم النبي إبراهيم عليه السلام مكة وتوعد أيضاً من يحدث فيها وأن ذلك من الكبائر وأن اللعنة سوف تشمل من أراد بأهلها سوءاً.
٢. تحريم ادعاء الإنسان إلى غير أبيه.

وسنذكر ما يخص هذين الأمرين باختصار شديد.

قال ابن الجوزي: ولما دخلت سنة اثنتين وستين ولى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة فبعث إلى يزيد وفدأ من [أهل] المدينة فلما رجع الوفد أظهروا شتم يزيد وقالوا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويلعب بالكلاب وإنما نشهدكم أنا قد خلعناه.

وقال المنذر: والله لقد أجازني بمائة ألف درهم وأنه لا يمنعني ما صنع إلي أن أصدقكم عنه، والله إنه يشرب الخمر وإنه ليسكر حتى يدع الصلاة.

ثم بايعوا عبدالله بن حنظلة الغسيل وأخرجوا عثمان بن محمد عامل يزيد [مع جميع بني أمية وبني مروان من المدينة].

وكان ابن حنظلة يقول: يا قوم والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء!!

إن الرجل ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة والله لو لم

(١) فتح المنعم، ج ٥، ص ٤٥١، ح ٢٢٩٨١.

يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءً حسناً.

قال أبو الحسن المدائني - وكان من الثقات - : أتى أهل المدينة المنبر فخلعوا يزيد فقال عبدالله بن عمرو بن حفص المخزومي: قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي - ونزعها عن رأسه - وإنني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي ولكن عدو الله سكير.

بلغ الخبر إلى يزيد فبعث إلى مسلم بن عقبة [وكان معاوية أوصاه به، وبعثه بجيش جرار إلى المدينة] فقال له ادع القوم ثلاثاً فإن أجابوك [فهو] وإلا فقاتلهم فإذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً وما فيها من مال أو سلاح أو طعام فهو للجدد فإذا مضت الثلاث فاكفف عنهم.

فأباحها مسلم بن عقبة ثلاثاً يقتلون الرجال ويقعون على النساء!!!

وكلمت امرأة مسلم بن عقبة في ولدها وكان قد أسر فقال عجلوه لها فضربت عنقه.

ثم دعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد وقال بايعوا على أنكم خول له وأموالكم له!! فقال يزيد بن عبدالله بن زمة نبأ على كتاب الله فأمر به فضرب عنقه.

وجيء بسعيد بن المسيب إلى مسلم فقالوا بايع فقال أبايع على سيرة أبي بكر وعمر!! فأمر بضراب عنقه فشهد رجل أنه مجنون فخلى عنه.

وذكر محمد بن سعد في الطبقات أن مروان بن الحكم [كان] يحرض مسلم بن عقبة على أهل المدينة ونهبها ثلاثاً فلما قدم مروان على يزيد شكر له ذلك وأذناه.

وذكر المدائني في كتاب الحرة عن الزهري أنه قال كان القتلى في يوم الحرة سبعمائة من وجوه الناس قریش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي وممن لا يعرف من عبد وأمة وامرأة عشرة آلاف.

... عن خالد الكندي عن عمته أم الهيثم بنت يزيد قالت: رأيت امرأة من قریش فعرض لها أسود فعانقته وقبلته فقلت يا أمة الله أتفعلين هذا بهذا الأسود قالت هو ابني وقع علي أبوه يوم الحرة فولدت هذا.

وعن المدائني عن أبي مرة قال قال هشام بن حسان ولدت ألف امرأة بعد الحرة من

غير زوج.

قلت: من أراد أن ينظر إلى العجائب فلينظر في كتاب الحرة إلى ما جرى يوم الحرة على أهل المدينة بإطلاق يزيد أصحابه في النهب والكتاب سماعنا من الشيخ أبي الفضل ابن ناصر وهو أجزاء فلم نر التطويل^(١).

وقال أيضاً: كانت وقعة الحرة في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين فلما دخلت سنة أربع وستين وقد فرغ مسلم بن عقبة من قتال أهل المدينة وإنهابه جنده أموالهم سار متوجهاً إلى مكة لقتال ابن الزبير ومات في الطريق وكان لحماقته المتوفرة يقول عند موته: اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله أحب إلي من قتال أهل المدينة!! ولئن دخلت النار بعدها إني لشقي^(٢)!!

قال الطبري: حدثنا جويرية بن أسماء قال سمعت أشياخ أهل المدينة يحدثون أن معاوية لما حضرته الوفاة دعا يزيد فقال له: إن لك من أهل المدينة يوماً فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفت نصيحته، فلما هلك معاوية وفد إليه وفد من أهل المدينة وكان ممن وفد عليه عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر وكان شريفاً فاضلاً سيداً عابداً معه ثمانية بنين له فأعطاه مائة ألف درهم وأعطى بنيه لكل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحملائهم فلما قدم المدينة عبدالله بن حنظلة أتاه الناس فقالوا ما وراءك؟ قال جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم!! قالوا قد بلغنا أنه أجدك وأعطاك وأكرمك، قال فعل وما قبلت منه إلا لأنقوى به وحضض الناس فبايعوه فبلغ ذلك يزيد فبعث مسلم بن عقبة إليهم وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين الشام فصبوا فيه زقاً من قطران وعُور فأرسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة فخرج إليهم أهل المدينة بجموع كثيرة وهيئة لم ير مثلها فلما رأهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ومسلم شديد الوجد فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة وأقحم عليهم بنو حارثة أهل الشام وهم على الجدد فانهمز الناس فكان من أصيب في الخندق أكثر ممن قتل من الناس فدخلوا المدينة وهزم

(١) كتاب الرد على المتعصب العنيد لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، المتوفى ٥٩٧هـ، ص ٥٢-٥٧، ط ١٤٠٣هـ،

تحقيق الشيخ: محمد محمودي.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٦١.

الناس وعبدالله بن حنظلة مستند إلى أحد بنيه يغط نوماً فنبهه ابنه فلما فتح عينيه فرأى ما صنع الناس أمر أكبر بنيه فتقدم حتى قتل فدخل مسلم بن عقبة المدينة فدعا الناس للبيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم ما شاء^(١).

وقال:.... أن أهل المدينة لما بايعوا عبدالله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد بن معاوية وثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن رأى رأيهم من قريش فكانوا نحواً من ألف رجل فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان بن الحكم فحاصروهم الناس فيها حصاراً ضعيفاً قال فدعت بنو أمية حبيب بن كرة وكان الذي بعث إليه منهم مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان بن عفان وكان مروان هو يدبر أمرهم فأما عثمان بن محمد بن أبي سفيان وإنما كان غلاماً حدثاً لم يكن له رأي قال عبدالله بن نوفل فحدثني حبيب بن كرة قال كنت مع مروان فكتب معي هو وجماعة من بني أمية كتاباً إلى يزيد بن معاوية فأخذ الكتاب عبدالملك بن مروان حتى خرج معي إلى ثنية الوداع فدفع إلي الكتاب وقال قد أجلتك اثنتي عشرة ليلة ذاهباً واثنتي عشرة ليلة مقبلاً فوافقني لأربع وعشرين ليلة في هذا المكان تجدني إن شاء الله في هذه الساعة جالساً أنتظرك، وكان الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإننا قد حصرنا في دار مروان بن الحكم ومنعنا العذاب ورمينا بالحبوب فيا غوثاه يا غوثاه.

قال فأخذت الكتاب ومضيت به حتى قدمت على يزيد وهو جالس على كرسي واضح قدميه في ماء في طست من وجع كان يجده فيهما ويقال كان به النقرس فقرأ ثم قال فيما بلغنا متمثلاً:

لقد بلدوا الحلم الذي من

سجيتي فبدلت قومي غلظة بليان

ثم قال أما يكون بنو أمية ومواليهم ألف رجل بالمدينة قال قلت بلى والله وأكثر قال فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار قال فقلت يا أمير المؤمنين أجمع الناس كلهم عليهم فلم يكن لهم بجمع الناس طاقة قال فبعث إلى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب وأخبره الخبر وأمره أن يسير إليه في الناس فقال له قد كنت ضببت لك البلاد وأحكمت

(١) تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري، المجلد ٣، ج ٥، ص ٢٥٠، ثم دخلت سنة ثلاث وستين.

لك الأمور فأما الآن إذا صارت إنما هي دماء قريش تهراق بالصعيد فلا أحب أن أكون أنا أتولى ذلك يتولاها منهم من هو أبعد منهم مني.

قال فبعثني بذلك الكتاب إلى مسلم بن عقبة المري - وهو شيخ كبير ضعيف مريض - فدفعت إليه الكتاب فقرأه وسألني عن الخبر فأخبرته فقال لي مثل مقالة يزيد أما يكون بنو أمية ومواليهم وأنصارهم بالمدينة ألف رجل قال قلت بلى يكونون قال فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار ليس هؤلاء بأهل أن ينصروا حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوهم وعز سلطانهم ثم جاء حتى دخل على يزيد فقال يا أمير المؤمنين لا تنصر هؤلاء فإنهم الأذلاء أما استطاعوا أن يقاتلوا يوماً واحداً أو شطره أو ساعة منه دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوهم وعز سلطانهم ويستبين لك من يقاتل منهم على طاعتك ويصبر عليها أو يستسلم قال ويحك إنه لا خير في العيش بعدهم فاخرج فأنبئني نبأك وسر بالناس فخرج مناديه فنادى أن سيروا إلى الحجاز على أخذ أعطياتكم كمالاً ومعونة مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل.

... عن مغيرة قال كتب يزيد إلى ابن مرجانة أن اغز ابن الزبير فقال لا أجمعهما للفاسق أبداً أقتل ابن بنت رسول الله ﷺ وأغزو البيت! قال وكانت مرجانة امرأة صدق فقال لعبيدالله حين قتل الحسين عليه السلام ويلك ماذا صنعت وماذا ركبت؟

قال - رجع الحديث إلى حديث حبيب بن كرة - : فأقبلت حتى أوافي عبدالملك بن مروان في ذلك المكان في تلك الساعة أو بعيدها شيئاً قال فوجدته جالساً مقنعاً تحت شجرة فأخبرته بالذي كان فسر به فانطلقنا حتى دخلنا دار مروان على جماعة بني أمية فنبأتهم بالذي قدمت به فحمدوا الله ببركاته.

قال عبدالملك بن نوفل: حدثني حبيب أنه بلغه في عشرة قال فلم أبرح حتى رأيت يزيد بن معاوية خرج إلى الخيل يتصفحها وينظر إليها، قال فسمعتة وهو يقول وهو متلقد سيفاً متنكب قوساً عربية:

أبلغ أبا بكر إذا الليل سرى

وهبط القوم على وادي القرى

عشرون ألف بين كهل وفتى
أجمع سكران من القوم ترى
أم جمع يقظان نفي عنه الكرى
يا عجباً من ملحد يا عجباً
مخادع في الدين يقفوا بالمرى

قال...: وفصل ذلك الجيش من عند يزيد وعليهم مسلم بن عقبة وقال له إن حدث بك حدث فاستخلف على الجيش حصين بن نمير السكوني وقال له ادع القوم ثلاثاً فإن هم أجابوك وإلا فقاتلهم فإذا ظهرت عليهم فأبجها ثلاثاً فما فيها من مال أو رقة أو سلاح أو طعام فهو للجند فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس وانظر علي بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيراً وأذن مجلسه فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه وقد أتاني كتابه وعلي لا يعلم بشيء مما أوصى به يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة وقد كان علي بن الحسين لما خرج بنو أمية نحو الشام أوى إليه ثقل مروان بن الحكم وامرأته عائشة بنت عثمان بن عفان وهي أم أبان بن مروان.

... عن محمد بن عمر قال لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة كلم مروان بن الحكم ابن عمر أن يغيب أهله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل وكلم علي بن الحسين وقال يا أبا الحسن إن لي رحماً وحرماً تكون مع حرمك فقال افعل فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبع وكان مروان شاكراً لعلي بن الحسين مع صداقة كانت بينهما قديمة.

عبدالمملك بن نوفل قال: وأقبل مسلم بن عقبة بالجيش حتى إذا بلغ أهل المدينة إقباله وثبوا على من معهم من بني أمية فحاصروهم في دار مروان وقالوا والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة ولا تدلوا لنا على عورة ولا تظاهروا علينا عدواً فنكف عنكم ونخرجكم عنا فأعطوهم عهد الله وميثاقه لا نبغيكم غائلة ولا ندل لكم على عورة فأخرجوه من المدينة فخرجت بنو أمية بأنقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القرى وخرجت عائشة بنت عثمان بن عفان إلى الطائف فتمر بعلي بن حسين وهو بمال له إلى جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن

يشهد شيئاً من أمرهم فقال لها احملي ابني عبدالله معك إلى الطائف فحملته إلى الطائف حتى نقضت أمور أهل المدينة.

ولما قدمت بنو أمية على مسلم بن عقبة بوادي القرى دعا بعمر بن عثمان بن عفان أول الناس فقال له أخبرني خبر ما وراءك وأشر علي، قال لا أستطيع أن أخبرك أخذ علينا اليهود والمواثيق أن لا ندل على عورة ولا نظاهر عدواً فانتهره ثم قال والله لولا أنك ابن عثمان لضربت عنقك وأيم الله لا أقيلها قرشياً بعدك فخرج بما لقي من عنده إلى أصحابه فقال مروان بن الحكم لابن عبدالملك ادخل قبلي لعله يجتري بك عني فدخل عليه عبدالملك فقال هات ما عندك أخبرني خبر الناس وكيف ترى فقال له نعم أرى ان تسير بمن معك فتتكب هذا الطريق إلى المدينة حتى إذا انتهيت إلى أدنى نخل بها نزلت فاستظل الناس في ظله وأكلوا من صقره حتى إذا كان الليل أذكيت الحرس الليل كله عقباً بين أهل العسكر حتى إذا أصبحت صليت بالناس الغداة ثم مضيت بهم وتركت المدينة ذات اليسار ثم أدت بالمدينة حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقاً ثم تستقبل القوم فإذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم وطلعت الشمس طلعت بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرها ويصيبهم أذاها ويرون ما دمتم مشرقين ائتلاف ييضكم وحرابكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم وسواعدكم ما لا ترونه وأنتم لشيء من سلاحهم ما داموا مغربين ثم قاتلهم واستعن بالله عليهم فإن الله ناصرك إذ خالفوا الإمام وخرجوا من الجماعة فقال له مسلم لله أبوك أي امرء ولد إذ ولدك لقد رأى بك خلفاً ثم إن مروان دخل عليه فقال له إيه قال أليس قد دخلت عليك عبدالملك قال بلى وأي رجل عبدالملك قلما كلمت من رجال قريش رجلاً به شبيهاً فقال له مروان إذا لقيت عبدالملك فقد لقيتني فصنع فيه ما أمره به ثم مضى في الحرة حتى نزلها فأتاهم من قبل المشرق ثم دعاهم مسلم بن عقبة فقال يا أهل المدينة إن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية يزعم أنكم الأصل وإني أكره هراقة دمائكم وإني أؤجلكم ثلاثاً فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم وسرت إلى هذا الملحد الذي بمكة وإن أبيتم كنا قد أعذرنا إليكم.

... ولما مضت الأيام الثلاثة قال يا أهل المدينة قد مضت الأيام الثلاثة فما تصنعون

أتسالمون أم تحاربون فقالوا بل نحارب فقال لهم لا تفعلوا بل ادخلوا في الطاعة ونجعل حدنا وشوكتنا على هذا الملحد الذي قد جمع إليه المراق والفساق من كل أوب فقالوا لهم يا أعداء الله والله لو أردتم أن تجوزوا إليهم ما تركناكم حتى نقاتلكم نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام وتخيفوا أهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمة لا والله لا نفعل وقد كان أهل المدينة اتخذوا خندقاً في جانب المدينة ونزله جمع منهم عظيم وكان عليهم عبدالرحمن بن زهير بن عبدعوف ابن عم عبدالرحمن بن عوف الزهري وكان عبدالله بن مطيع على ريع آخر في جانب المدينة وكان معقل بن سنان الأشجعي على ريع آخر في جانب المدينة وكان أمير جماعتهم عبدالله بن حنظلة الغسيل في أعظم تلك الأرباع وأكثره عدداً^(١).

وقال - والحديث لا زال للطبري - : وخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يومئذ يقاتل فلما انهزم الناس مال عليهم يضربهم بسيفه حتى غلبته الهزيمة فذهب فيمن ذهب من الناس وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون الأموال فأفزع ذلك من كان بها من الصحابة فخرج أبو سعيد الخدري حتى دخل في كهف في الجبل فبصر به رجل من أهل الشام فجاء حتى اقتحم عليه الغار.

... عن أبي سعيد الخدري قال دخل إلي الشامي يمشي بسيفه قال فانقضت سيفي فمشيت إليه لأرعبه لعله ينصرف عني فأبى إلا الإقدام علي فلما رأيت أن قد جد شمت سيفي ثم قلت له لئت بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنني أخاف الله رب العالمين. فقال لي من أنت لله أبوك؟ فقلت أنا أبو سعيد الخدري. قال صاحب رسول الله ﷺ قلت نعم فانصرف عني.

... عوانة قال دعا الناس مسلم بن عقبة بقبا إلى البيعة وطلب الأمان لرجلين من قريش ليزيد بن عبدالله بن زمة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزيز ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ولمعقل بن سنان الأشجعي فأتى بهم بعد الوقعة بيوم فقال بايعوا فقال القرشيان نبايعك على كتاب الله وسنة نبيه فقال لا والله لا أقيلكم هذا أبداً فقدمهما فضرب أعناقهما فقال له مروان سبحان الله أنقتل رجلين من قريش أتيا ليؤمنا

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢٤٦.

فضرب أعناقهما فنخس بالقضيب في خاصرته ثم قال وأنت والله لو قلت بمقاتلتهما ما رأيت السماء إلا برقاً.

... وجاء معقل بن سنان فجلس مع القوم فدعا بشراب ليسقى فقال له مسلم أي الشراب أحب إليك؟ قال العسل قال اسقوه فشرب حتى ارتوى فقال له أفضيت ريك من شرابك قال نعم قال لا والله لا تشرب بعده شراباً أبداً إلا الحميم في نار جهنم أتذكر مقاتلك لأمر المؤمنين سرت شهراً ورجعت شهراً وأصبحت صفرأ اللهم غير - تعني يزيد - فقدمه فضرِب عنقه.

... وأما عوانة بن الحكم فذكر أن مسلم بن عقبة بعث عمرو بن محرز الأشجعي فأثاه بمعقل بن سنان فقال له مسلم مرحباً بأبي محمد أراك عطشان قال أجل قال شوبوا له عسلاً بالثلج الذي حملتموه معناه - وكان له صديقاً قبل ذلك - فشابهوه له فلما شرب معقل قال له سقاك الله من شراب الجنة فقال له مسلم أما والله لا تشرب بعدها شراباً أبداً حتى تشرب من شراب الحميم قال أنشدك الله والرحم فقال له مسلم أنت الذي لقيتني بطبرية ليلة خرجت من عند يزيد فقلت سرنا شهراً ورجعنا من عند يزيد صفرأ نرجع إلى المدينة فنخلع هذا الفاسق ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين فيم غطفان وأشجع من الخلع والخلافة أني آليت بيمين لا ألقاك في حرب أقدر فيه على ضرب عنقك إلا فعلت ثم أمر به فقتل.

... قال عوانة وأتى بيزيد بن وهب بن زمعة فقال بايع قال أبايعك على سنة عمر قال اقتلوه قال أنا أبايع قال لا والله لا أقيلك عثرتك فكلمه مروان بن الحكم لصهر كان بينهما فأمر بمروان فوجئت عنقه ثم قال بايعوا على أنكم خول ليزيد بن معاوية ثم أمر به فقتل.

... قال عبدالملك بن نوفل بن مساحق ثم إن مروان أتى بعلي بن الحسين وقد كان علي بن الحسين حين أخرجت بنو أمية منع ثقل مروان وامراته وآواها ثم خرجت إلى الطائف فهي أم أبان ابنة عثمان بن عفان فبعث ابنه عبدالله معها فشكر ذلك له مروان.

... وذكر عوانة أن عمرو بن عثمان لم يكن فيمن خرج من بني أمية وأنه أتى به يومئذ إلى مسلم فقال يا أهل الشام تعرفون هذا قالوا لا قال هذا الخبيث بن الطيب هذا عمرو بن عثمان بن عفان أمير المؤمنين هي يا عمرو إذا ظهر أهل المدينة قلت أنا رجل منكم وإن

ظهر أهل الشام قلت أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان فأمر به ففتفت لحيته ثم قال يا أهل الشام إن أم هذا كانت تدخل الجعل في فيها ثم تقول يا أمير المؤمنين حاجيتك ما في فمي وفي فمها ما ساءها وناءها فخلى سبيله وكانت أمه من دوس.

... عن محمد بن عمر قالا كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ٦٣ وقال بعضهم لثلاث بقين منه. وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير^(١).

هذا ما جناه يزيد بن معاوية فترة حكمه فقد حكم مدة ثلاث سنوات تقريباً فقتل سبط رسول الله الحسين عليه السلام وهجم على المدينة المنورة وأباحها لجيشه ثلاثة أيام وقتل ونهب وفعل الأفاعيل العظام وأخيراً هجم على مكة المشرفة وهدم الكعبة بعد أن رماها بالمنجنيق!

وأخيراً: قال النووي في شرحه صحيح مسلم: لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء... ويكون ذلك لمن أرادها في الدنيا فلا يمهله الله ولا يمكن له سلطان بل يذهب عن قرب كما انقضى شأن من أرابها أيام بني أمية مثل مسلم بن عقبة فإنه هلك في منصرفه عنها ثم هلك يزيد بن معاوية مرسله على أثر ذلك وغيرهما ممن صنع صنيعهما^(٢).

وأما من ادعى إلى غير أبيه كما ورد في الرواية، فقد ذكر الجزري في تاريخه: ... وكان أبو سفيان بن حرب سار في الجاهلية على الطائف فنزل على خمار يقال له أبو مريم السلولي وأسلم أبو مريم بعد ذلك وصحب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان لأبي مريم قد اشتهيت النساء فالتمس لي بغياً فقال له هل لك في سمية فقال هاتها على طول ثديها وذفر بطنها فأتاه بها فوقع عليها فعلقت بزياد ثم وضعت سنة إحدى من الهجرة فلما كبر ونشأ استكتبه أبو موسى الأشعري لما ولي البصرة ثم إن عمر بن الخطاب استكفى زياداً أمراً فقام فيه مقاماً مرضياً فلما عاد إليه حضر وعند عمر المهاجرون والأنصار فخطب خطبة لم يسمعوها بمثلها فقال عمرو بن العاص لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لسلق العرب بعصاه فقال أبو سفيان وهو حاضر والله إنني لأعرف أباه ومن وضعه في رحم أمه

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢٤٩.

(٢) المجلد ٥، ج ٩، ص ١٤٧، ح ١٣٦٣.

فقال علي يا أبا سفيان اسكت فإنك لتعلم أن عمر لو سمع هذا القول منك لكان إليك سريعاً فلما ولي علي الخلافة استعمل زياداً على فارس فضببطها وحمى قلاعها واتصل الخبير بمعاوية فساء ذلك وكتب إلى زياد يتهدده ويعرض له بولادة أبي سفيان إياه فلما قرأ زياد كتابه قام في الناس وقال العجب كل العجب من ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق يخوفني بقصده إياي وبينني وبينه ابن عم رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار أما والله لو أذن لي في لقائه لوجدني أحمر مخشياً ضرباً بالسيف.

وبلغ ذلك علياً فكتب إليه إني وليتك ما وليتك وأنا أراك له أهلاً وقد كانت من أبي سفيان فلتة من أمانى الباطل وكذب النفس لا توجب له ميراثاً ولا تحل له نسباً وأن معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام فلما قتل علي وكان من أمر زياد ومصالحته معاوية... وضع زياد مصقلة بن هبيرة الشيباني وضمن له عشرين ألف درهم ليقول لمعاوية إن زياداً قد أكل فارس برأً وبحراً وصالحك على ألفي ألف درهم والله ما أرى الذي يقال إلا حقاً فإذا قال لك: وما يقال؟ فقل: يقال: إنه ابن أبي سفيان ففعل مصقلة ذلك ورأى معاوية أن يستميل زياداً واستصفي مودته باستلحاقه فاتفقا على ذلك وأحضر الناس وحضر من يشهد لزياد وكان فيمن حضر أبو مريم السلولي فقال له معاوية بم تشهد يا أبا مريم فقال أنا أشهد أن أبا سفيان حضر عندي وطلب مني بغياً فقلت له ليس عندي إلا سمية فقال اتني بها على قدرها ووضرها فأتيتها بها فخلا معها ثم خرجت من عنده وأن اسكتيتها ليقطران منياً فقال له زياد مهلاً أبا مريم إنما بعثت شاهداً ولم تبعث شاتماً فاستلحقه معاوية وكان استلحاقه أول ما ردت به أحكام الشريعة علانية فإن رسول الله ﷺ قضى بالولد للفراش وللعاهر بالحجر.

وكتب زياد إلى عائشة من زياد بن أبي سفيان وهو يريد أن تكتب له إلى زياد بن أبي سفيان فيحتج بذلك فكتبت من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها زياد وعظم ذلك على المسلمين عامة وعلى بني أمية خاصة وجرى أقاصيص يطول بذكرها الكتاب فأضربنا عنها ومن اعتذر لمعاوية قال إنما استلحق معاوية زياداً لأن أنكحة الجاهلية كانت أنواعاً لا حاجة إلى ذكر جمعيتها وكان منها أن الجماعة يجامعون البغي فإذا حملت وولدت ألحقت الولد بمن شاءت منهم فيلحقه فلما جاء الإسلام حرم هذا النكاح إلا أنه أقر كل

ولد كان ينسب إلى أب من أي نكاح كان من أنكحتهم على نسبه ولم يفرق بين شيء منها فتوهم معاوية أن ذلك جائز له ولم يفرق بين استلحاق في الجاهلية والإسلام وهذا مردود لاتفاق المسلمين على إنكاره ولأنه لم يستلحق أحد في الإسلام مثله ليكون به حجة، قيل: أراد زياد أن يحج بعد أن استلحقه معاوية فسمع أخوه أبو بكره وكان مهاجراً له من حين خالفه في الشهادة بالزنا على المغيرة بن شعبة فلما سمعه بحجه جاء إلى بيته وأخذ ابناً له وقال له يا بني قل لأبيك إنني سمعت أنك تريد الحج ولا بد من قدمك إلى المدينة ولا شك أن تطلب الاجتماع بأُم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ فإن أذنت لك فاعظم به خزيًا مع رسول الله ﷺ وإن منعتك فاعظم به فضيحة في الدنيا وتكذيباً لأعدائك فترك زياد الحج وقال جزاك الله خيراً فقد أبلغت في النصح^(١).

وقال الذهبي في السير: إن رسول الله ﷺ قال من ادعى إلى غير أبيه فليتبوأ مقعده من النار.

عن سعد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام.

وقال: ... كان كثير من الصحابة والتابعين ينكرون ذلك على معاوية محتجين بحديث الولد للفراش^(٢).

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري، المتوفى ٦٣٠هـ، ص ٢٢١، ذكر استلحاق معاوية زياداً.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٩٥، ترجمة ١١٢.

باب فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة

٤١٨... عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

٤١٩... عن أبي سلمة بن عبدالرحمن وأبي عبدالله الأغر مولى الجهنيين وكان من أصحاب أبي هريرة أنهما سمعا أبا هريرة يقول صلاة في مسجد رسول الله ﷺ أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام فإن رسول الله ﷺ آخر الأنبياء وإن مسجده آخر المساجد قال أبو سلمة وأبو عبدالله لم نشك أن أبا هريرة كان يقول عن حديث رسول الله ﷺ فمنعنا ذلك أن نستثبت أبا هريرة عن ذلك الحديث حتى إذا توفي أبو هريرة تذاكرنا ذلك وتلاومنا أن لا نكون كلمنا أبا هريرة في ذلك حتى يسنده إلى رسول الله ﷺ إن كان سمعه منه فبينما نحن على ذلك جالسنا عبد الله بن إبراهيم بن قارض فذكرنا ذلك الحديث والذي فرطنا فيه من نص أبي هريرة عنه فقال لنا عبدالله بن إبراهيم أشهد أنني سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ فإني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد.

٤٢٠... عبدالوهاب قال سمعت يحيى بن سعيد يقول سألت أبا صالح هل سمعت أبا هريرة يذكر فضل الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ فقال لا ولكن أخبرني عبدالله بن إبراهيم بن قارض أنه سمع أبا هريرة يحدث أن رسول الله ﷺ قال صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة أو كآلف صلاة فيما سواه من المساجد إلا أن يكون المسجد

الحرام.

٤٢١.... عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

باب لا تشد الرحال

٤٢٢.... عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى وحدثناه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري بهذا الإسناد غير أنه قال تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد.

٤٢٣.... عبد الحميد بن جعفر أن عمران بن أبي أنس حدثه أن سلمان الأغر حدثه أنه سمع أبا هريرة يخبر أن رسول الله ﷺ قال إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد إيلياء.

يتبين لنا من خلال قراءتنا لهذه الأحاديث بأن هذه الأحاديث تكمل الأحاديث التي قبلها أي أن النبي يريد أن يقول لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد التي ذكرتها لكم والتي فيها من الثواب العظيم إذا أديتم الصلاة فيها: المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى، وأما إذا أراد شخص ما أن يسافر ويشد الرحال للدراسة مثلاً فلا إشكال ولا حرمة في ذلك ومن أراد زيارة أحد أرحامه في بلد آخر أيضاً فيه من الأجر العظيم ولا حرمة ولا إشكال في ذلك ومما يؤيد قولنا أيضاً ما ستقرأه في الصفحة القادمة وأن ابن عمر كان يذهب إلى مسجد قباء ليصلي فيه.

باب فضل مسجد قباء

- ٤٢٤... عن ابن عمر قال كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكباً ومشياً فيصلي فيه ركعتين قال أبو بكر في روايته قال ابن نمير فيصلي فيه ركعتين.
- ٤٢٥... عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يأتي قباء راكباً ومشياً.
- ٤٢٦... عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ كان يأتي قباء راكباً ومشياً.
- ٤٢٧... عبدالله بن دينار أنه سمع عبدالله بن عمر يقول كان رسول الله ﷺ يأتي قباء راكباً ومشياً.
- ٤٢٨... عن عبدالله بن دينار أن ابن عمر كان يأتي قباء كل سبت وكان يقول رأيت النبي ﷺ يأتيه كل سبت.
- ٤٢٩... عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ كان يأتي قباء يعني كل سبت كان يأتيه راكباً ومشياً قال ابن دينار وكان ابن عمر يفعله.

باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه

٤٣٠.... عن جابر أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه.

٤٣١.... عن أبي الزبير قال قال جابر سمعت النبي ﷺ يقول إذا أحدكم أعجبت المرأة فوقع في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه.

قال النووي في شرحه: ومعنى الحديث أنه يستحب لمن رأى امرأة فتحركت شهوته أن يأتي امرأته أو جاريته إن كانت له فليواقعها ليدفع شهوته وتسكن نفسه ويجمع قلبه على ما هو بصدده.

قوله ﷺ (إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان) قال العلماء معناه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بنظرهن وما يتعلق بهن فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له ويستنبط من هذا أنه ينبغي لها أن لا تخرج بين الرجال إلا لضرورة وأنه ينبغي للرجل الغض عن ثيابها والإعراض عنها مطلقاً.

قوله (تمعس منيئة) قال أهل اللغة المعس الدلك والمنيئة الجلد أول ما يوضع في الدباغ.

ويقول النووي أيضاً: قوله (أن النبي ﷺ رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها ففضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقال إن المرأة تقبل في صورة شيطان إلى آخره، قال العلماء إنما فعل هذا بياناً لهم وإرشاداً لما ينبغي لهم أن يفعلوه فعلمهم بفعله وقوله وفيه أنه لا بأس بطلب الرجل امرأته إلى الوقاع في النهار وغيره وإن كانت مشغلة بما يمكن تركه لأنه ربما غلبت على الرجل شهوة يتضرر بالتأخير في بدنه أوفى قلبه وبصره^(١)!

أيعقل ما قرأته أخي الكريم عن نبيك الأعظم وما صدر منه وأمام الصحابة!!
جاء في سنن أبي داود عن جرير قال سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال اصرف بصرك.

وفيه أيضاً: قال رسول الله ﷺ لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة^(٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ النور/٣٠.

فهل طبق النبي الأكرم أمر الله وما قال. النبي بنفسه وهو يعلم أصحابه ويوجههم!!
ثم هل نظرة النبي لتلك المرأة كانت خاطفة أم طويلة.

فإن كانت خاطفة فكيف تحركت شهوته بتلك السرعة وما تلك الشهوة الجامحة لديه؟! فلا بد أن نظرتة لم تكن خاطفة وكانت طويلة إلى درجة أنه استوعب هيئتها وجمالها حتى دخلت قلبه ثم هل واقع أهله بشهوة تلك المرأة الأجنبية وهذا منهي عنه، ثم بعد خروج النبي من داره أخبر الصحابة بأنه واقع أهله ولو بالإشارة! فكيف نفسر قلة الحياء التي صدرت من النبي في قول ذلك؟!!

لقد أجبرنا على الدخول والخصوص مع أهل العامة في مثل هذه الأسئلة التي تخدش الحياء!

(١) المجلد ٥، ج ٩، ص ١٨٨، ح ١٤٠٣.

(٢) المجلد ١، ج ٢، ص ٢٤٦، ح ٢٢١٤٩، باب ما يؤمر به من غض البصر من كتاب النكاح.

يقول النبي الأكرم إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق... الحديث^(١).

فالسؤال أيضاً: هل أخذ النبي نصيبه وحظه العاثر من زنا العين؟!

ويقول النووي في شرحه: قال العلماء إنما فعل هذا بياناً لهم وإرشاداً لما ينبغي لهم أن يفعلوه فعلمهم بفعله وقوله!

أقول:

ليس كل أمر أو مسألة فقهية وشرعية يجب على النبي أن يطبقها عملياً حتى يعلمها الصحابة، بل يكفيهم قول وأمر وبيان المسألة الشرعية بلسانه فقط، والمسلمون طوع أمره ونهيه.

ويقول النووي أيضاً: لا بأس بطلب الرجل امرأته إلى الوقاع في النهار وغيره إن كانت مشغلة لأنه ربما غلبت على الرجل شهوة يتضرر بالتأخير في بدنه أو في قلبه وبصره!

عجباً والله لهؤلاء في قولهم هذا عن النبي، كيف بهذا النبي الذي لا صبر له عن النساء وله يومئذ تسع من الزوجات.

ويؤيد قولنا ما ذكره العلماء وإن كان حقاً ما ذكروه فإننا قد فتحنا ثغرة كبيرة لأعداء الإسلام للدخول منها والظعن في عقائد المسلمين وعلى رأس الجميع الظعن بشخص النبي الأكرم ﷺ.

ومن يقول بأن النبي كان يتزوج الأراامل رافة بهم أو ما أشبه فمع هذه الشهوة الجامحة لديه كما في الرواية فمثل ذلك القول مردود.

وصحيح أن النبي الأكرم له من المشاعر ما للبشر عموماً فقد غرس الله هذه الشهوة في الإنسان ولكن الله تعالى قد نهانا عن النظر إلى الأجنبية وأمرنا بغض البصر وكذلك النبي فمع تلك المشاعر التي غرسها الله فيه فقد ضبطتها العصمة وإلا إذا كان حقاً ما ورد

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج.

في الحديث الذي نحن بصدده وما صدر من النبي ، فأقول إن فاقد الشيء لا يعطيه والنبي يأمر ويقول ما لا يفعل ولن تترك نصائحه أثراً في سلوكنا.

باب نكاح المتعة

٤٣٢.... عن جابر بن عبدالله وسلمة بن الأكوع قالا خرج علينا منادي رسول الله ﷺ فقال إن رسول الله ﷺ قد أذن لكم أن تستمتعوا يعني متعة النساء.

٤٣٣.... قال عطاء قدم جابر بن عبدالله معتمراً فجنّاه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر.

٤٣٤.... أبو الزبير قال سمعت جابر بن عبدالله يقول كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث.

٤٣٥.... عن أبي نضرة قال كنت عند جابر بن عبدالله فأتاه آت فقال ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين فقال جابر فعلناهما مع رسول الله ﷺ ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما.

٤٣٦.... عن إياس بن سلمة عن أبيه قال رخص رسول الله ﷺ عام أوطاس في المتعة ثلاثاً ثم نهى عنها.

٤٣٧.... عن الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه سبرة أنه قال أذن لنا رسول الله ﷺ بالمتعة فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر كأنها بكرة عيطاء فعرضنا عليها أنفسنا فقالت ما تعطي فقلت ردائي وقال صاحبي ردائي وكان رداء صاحبي أجود من ردائي وكنت أشب منه فإذا نظرت إلى رداء صاحبي أعجبها وإذا نظرت إلي أعجبتها ثم قالت

أنت ورداؤك يكفيني فمكثت معها ثلاثاً ثم إن رسول الله ﷺ قال من كان عنده شيء من هذه النساء التي يتمتع فليخل سبيلها.

٤٣٨... عن الربيع بن سبرة أن أباه غزا مع رسول الله ﷺ فتح مكة قال فأقمنا بها خمس عشرة ثلاثين بين ليلة ويوم فأذن لنا رسول الله ﷺ في متعة النساء فخرجت أنا ورجل من قومي وولي عليه فضل في الجمال وهو قريب من الدمامة مع كل واحد منا برد فبردي خلق وأما برد ابن عمي فبرد جديد غض حتى إذا كنا بأسفل مكة أو بأعلاها فتلقنا فتاة مثل البكرة العنظطة فقلنا هل لك أن يستمتع منك أحدنا قالت وماذا تبذلان فنشر كل واحد منا برده فجعلت تنظر إلى الرجلين ويراهما صاحبي تنظر إلى عطفها فقال إن برد هذا خلق وبردي جديد غض فتقول برد هذا لا بأس به ثلاث مرار أو مرتين ثم استمتعت منها فلم أخرج حتى حرمها رسول الله ﷺ.

٤٣٩... قال ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال إن ناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة يعرض برجل فداده فقال إنك لجلف جاف فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين يريد رسول الله ﷺ فقال له ابن الزبير فجرب بنفسك فوالله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك قال ابن شهاب فأخبرني خالد بن المهاجر بن سيف الله أنه بينا هو جالس عند رجل جاءه رجل فاستفتاه في المتعة فأمره بها فقال له ابن أبي عمرة الأنصاري مهلاً قال ما هي والله لقد فعلت في عهد إمام المتقين قال ابن أبي عمرة إنها كانت رخصة في أول الإسلام لمن اضطر إليها كالميتة والدم ولحم الخنزير ثم أحكم الله الدين ونهى عنها قال ابن شهاب وأخبرني ربيع بن سبرة الجهني أن أباه قال قد كنت استمتعت في عهد رسول الله ﷺ امرأة من بني عامر ببردين أحمرين ثم نهانا رسول الله ﷺ عن المتعة قال ابن شهاب وسمعت ربيع بن سبرة يحدث ذلك عمر بن عبدالعزيز وأنا جالس.

٤٤٠... عن ابن شهاب عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية.

٤٤١... عن الزهري عن الحسن وعبد الله ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي أن

النبي ﷺ نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الأهلية.

٤٤٢... عن ابن شهاب عن الحسن وعبدالله ابني محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيهما أنه سمع علي بن أبي طالب يقول لابن عباس نهى رسول الله ﷺ عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية.

وجاء في البخاري:... عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع النبي ﷺ ليس لنا نساء فقلنا يا رسول الله ألا نستخصي فنهانا عن ذلك^(١).

وفي رواية... عن قيس قال: قال عهدُ الله كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس لنا شيء فقلنا ألا نستخصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب...^(٢).

أي أنه ﷺ أباح لهم متعة النساء - إلى أجل - .

قال ابن حجر: في رواية مسلم: ثم قرأ علينا عبدالله... ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُحْرِمُوا طَبِيبَتٍ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية... وظاهر استشهاد ابن مسعود بهذه الآية هنا يشعر بأنه كان يرى بجواز المتعة.

فقال القرطبي: لعلّه لم يكن حينئذ بلَغَهُ الناسخ^(٣)! انتهى.

أما ما جاء في الروايات بأن النبي الأكرم نهى عن المتعة يوم خيبر فيقول الحميدي في مسنده: نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر ولا يعني نكاح المتعة معناه أن علياً لا يعني تحريم نكاح المتعة زمن خيبر بل تحريم لحوم الحمر الأهلية فقط^(٤).

وقال القسطلاني في إرشاد الساري: قال السهيلي النهي عن نكاح المتعة يوم خيبر شيء لا يعرفه أحد من أهل السير ولا رواة الأثر^(٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب تزويج المعسر .

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء .

(٣) فتح الباري، ج ٩، ص ١١٩، ح ٥٠٧٥ .

(٤) ج ١، ص ٢٢، ح ٣٧، أحاديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ط ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت .

(٥) ج ١١، ص ٤٥٧، ح ٥١١٥، كتاب النكاح، باب نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة .

أقول:

إن التحريم والنهي كانا من قِبَل عمر كما تُبَيِّن الروايات!

فحلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة! وإليك الرواية التي تثبت أن عمر بن الخطاب بعد قيامه بالحكم حرَّم المتعة:

... كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها. قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبدالله فقال: على يدي دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله ﷺ فلما قام عمر قال: إن الله يُحِلُّ لرسوله ما شاء بما شاء وإن القرآن قد نزل منازلهم فأتوا الحج والعمرة لله كما أمركم الله وأبْتُوا نكاح هذه النساء! فلن أوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته!^١

لاحظ أخي الكريم جملة جابر بن عبدالله (فلما قام عمر)! أي عندما جلس على سدة الحكم قام بتحريم المتعة وكذلك قام بالتهديد والوعيد!

قال النسائي في السنن الكبرى:

عن جابر بن عبدالله قال: كنا نعمل بها - يعني متعة النساء - على عهد رسول الله ﷺ وفي زمان أبي بكر وصدراً من خلافة عمر حتى نهانا عنها^٢.

وفي المصنف للصنعاني في باب المتعة قال:

... عن عطاء قال: ... صفوان بن يعلى قال أخبرني عن يعلى أن معاوية استمتع بإمرأة بالطائف فأنكرت ذلك عليه فدخلنا على ابن عباس فذكر له بعضنا فقال له نعم! فلم يقر في نفسي حتى قدم جابر بن عبدالله فجنناها في

منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا له المتعة فقال: نعم! استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر حتى إذا كان في آخر خلافة عمر استمتع عمرو بن حُرَيْث بإمرأة - سَمَّاهَا جَابِرَ فَنَسِيَتْهَا - فحملت المرأة فبلغ ذلك عمر فدعاها فسألها فقالت: نعم! قال: من أشهد؟ قال عطاء: لا أدري، قالت: أمي أم وليها. قال: فهلاً غيرهما؟ قال: خشي أن يكون دغلاً الآخر. قال عطاء: وسمعت ابن عباس يقول: يرحم الله عمر ما كانت المتعة

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في المتعة إلى الحج والعمرة.

(٢) ج ٣، ص ٣٢٦، كتاب النكاح، باب المتعة، حديث ٥٥٣٨، ط/١٤١١هـ، بيروت.

إلا رخصة من الله ﷻ رحم بها أمة محمد ﷺ فلو لا نهيها عنها ما احتاج إلى الزنا إلا شقي^(١).

أقول:

إن أهل العامة تقول إن النبي الأكرم رَخَّصَ في المتعة ثم نهى عنها! ثم رَخَّصَ المتعة مرة أخرى ثم حرَّمها! ثم رَخَّصَ المتعة عام فتح مكة وقَيَّدَها بثلاثة أيام فقط ثم نهى عنها!

ويقولون أيضاً على لسان الرواة:

نهانا يوم خير.. نهانا عن التمتع يوم الفتح.. حرم ذلك عام أو طاس.. حرَّمها في حجة الوداع.. حرَّمها في معركة تبوك..!

قال المراغي في تفسيره: ونكاح المتعة وهو نكاح المرأة إلى أجل مُعَيَّن كيوم أو أسبوع أو شهر كان مُرَخَّصاً فيه في بدء الإسلام وأباحه النبي لأصحابه في بعض الغزوات لبعدهم عن نسائهم فَرَخَّصَ فيه مرّة أو مرتين خوفاً من الزنا! فهو من قبيل ارتكاب أَخْفَ الضَّرَرَيْنِ!! ثم نهى عنها نهياً مُؤبداً لأن التمتع به لا يكون مقصده الإحصان وإنما يكون مقصده المسافحة!! وللأحاديث المُصَرَّحة بتحريمه تحريماً مُؤبداً إلى يوم القيامة ولنهي عمر في خلافته وإشادته بتحريمه على المنبر وإقرار الصحابة له على ذلك!!

ويقول - أي المراغي - : ومنع نكاح المتعة يقتضي منع النكاح بنية الطلاق! ولكن الفقهاء أجازوه إذا نواه الرجل ولم يشترط في العقد! وإن كان كتماناً يُعَدُّ خداعاً وغشاً وعبثاً بهذه الرابطة العظيمة التي هي أعظم الروابط البشرية وإيثاراً للتنقل في مراتع الشهوات إلى ما يترتب على ذلك من العداوة والبغضاء!^(٢)

يقول صاحب تفسير المنار: ويرى أهل السنة أن الرخصة في المتعة مرّة أو مرتين يقرب من التدرج في منع الزنا منعاً باتاً كما وقع التدرج في تحريم الخمر وكلتا الفاحشتين كانتا فاشيتين في الجاهلية....

(١) ج ٧، ص ٤٩٦، حديث ١٤٠٢١، باب المتعة، ط/١٣٩٢هـ، بيروت.

(٢) المجلد ٢، ج ٥، ص ٨، سورة النساء، آية ٢٥، ط/٣٩٤هـ.

ويقول:

ورد في بعض الروايات من قول عمر: ... أنا محرّمها! ... إنه حرّمها من قبل نفسه ولا يعتد بتحريمه ولو بنى على نص لذكره^(١)!

ويقول في آخر كلامه:

هذا وإن تشديد علماء السلف والخلف في منع المتعة يقتضي منع النكاح بنية الطلاق وإن كان الفقهاء يقولون إن عقد النكاح يكون صحيحاً إذا نوى الزوج التوقيت ولم يشترطه في صيغة العقد ولكن كتمانها إياه يعد خداعاً وغشاً وهو أجدر بالبطلان من العقد الذي يشترط فيه التوقيت^(٢) يعني بذلك (المتعة) يعني بذلك أيضاً أن زواج المتعة فيه شرط التوقيت، في حين أن الزواج بنية الطلاق لا يوجد فيه هذا الشرط، فبطلان الزواج بنية الطلاق، أولى بالتحريم من زواج المتعة!

وقال صاحب تفسير المنار:

ويرى أهل السنة أن الرخصة في المتعة مرة أو مرتين يقرب من التدرج في منع الزنا منعاً باتاً!

أقول:

أولاً: إن جميع الأنبياء وكل الكتب والأمم كان الزواج الدائم موجوداً في شرائعهم وأديانهم المختلفة.

ويعنى آخر: أن الزواج الدائم كان موجوداً قبل الإسلام وهذا الكلام الذي يقوله صاحب التفسير يسوغ إذا لم يكن الزواج الدائم موجوداً فالعذر غير اللائق بمفسر للقرآن كصاحب المنار مردود.

ثانياً: ليس كل أحكام الشريعة السّمحة تأتي بالتدرج.

ثالثاً: صاحب المنار يطعن في عمر من حيث لا يشعر لأن المتعة كانت حلالاً فَحَرَمَهَا عمر وذلك لأنه نسب التحريم إلى نفسه!

(١) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، المجلد ٥، ص ١٤-١٥، ط ٢ دار المعرفة، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٧.

ففي صحيح البخاري عن عمران رضي الله عنه قال تمتعنا على عهد رسول الله ﷺ فنزل القرآن قال رجل برأيه ما شاء^(١)، يعني عمر، كذا في الأصل.

يقول ابن حجر: فلم تنزل آية تنسخ ذلك ولم تنه عنه حتى مضى لوجهه^(٢)!

ويقول السيوطي في كتابه: إن عمر بن الخطاب أول من حرم المتعة^(٣).

ويقول ابن حزم الأندلسي: قال عمر بن الخطاب: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أنهي عنهما وأضرب عليهما وفي رواية... أنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج^(٤)!

ويقول النووي: والصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين^(٥)!!

أقول:

لماذا لم يقل عمر مثلما قال صاحب المنار بأنه كان التدرج في منع الزنا؟! فإن عمر لم يبين ذلك أم أنه خفي ذلك عليه!

ومن أقوال علماء العامة وفقهائهم حول المتعة بأنه تقنين للزنا! وأن الشيعة يُحلّلون الزنا والعياذ بالله!

فأقول:

بقولهم هذا يكون الله ورسوله قد شرعا الزنا لفترة زمنية مؤقتة وقد مارسها الصحابة العدول!! والمسلمون في تلك الفترة! وعلى مرحلتين إن لم تكن أكثر! وقد بينا في أوائل البحث بأن الاختلاف في أماكن ومواقع التحريم كان في خمسة موارد إن لم تكن أكثر.

قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير:

(١) كتاب الحج، باب التمتع على عهد رسول الله ﷺ.

(٢) فتح الباري، ج ٣، ص ٥٢٨، ح ١٥٧١.

(٣) تاريخ الخلفاء، ص ١٣٧، أوليات عمر.

(٤) المحلى لأحمد بن حزم المتوفى ٤٥٦هـ، ج ٧، ص ١٠٧، الكلام على متعة الحج.

(٥) المجلد ٥، ج ٩، ص ١٩٣، ح ١١٤٠٥.

(أن عمر قال): مُتعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما.
ذكر ذلك الكلام في مجمع الصحابة وما أنكر عليه أحد^(١)!
أقول:

لم يكتب عمر بمعارضته للنبي بكتابة ذلك الكتاب الذي لن يضل المسلمون بعده
أبدأ حتى حاول بعد ذلك منع الصحابة من معارضته في رأيه!
وقول عمر عند أهل العامة هو الحجة المقنعة وقناعته بالآية أو الحديث هو المقياس
لصحة الآية أو ذلك الحديث! وإن تعارض مع أقوال سيد المرسلين ﷺ!
وأقول للرازي:

إني أسألك بالله عليك لو كان ما ذهبت إليه حقاً.
مَنْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ الصَّحَابَةِ أَنْكَرَ عَلَى عَمْرِ بِزِيَادَةِ حَدِّ شَارِبِ الْخَمْرِ؟!
قال السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء:
أَنَّ عَمْرَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ فِي الْخَمْرِ ثَمَانِينَ وَأَوَّلَ مَنْ حَرَّمَ الْمَتْعَةَ^(٢)!
ومن منهم تجراً أن ينكر عليه زيادة (الصلاة خير من النوم) في أذان الفجر؟!
ومن منهم من أنكر عليه إسقاط (حي على خير العمل) من فصول الأذان؟!
ومن تجراً الإنكار عليه (بدعة صلاة التراويح)؟!
ومن أنكر عليه قطع الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان؟!
وأسألك:

لماذا لم يقل عمر: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ فنهى عنهما وأنا أنهي
عنهما؟!

وبما أنه لم يقل ذلك فالتحريم لم يصدر من رسولنا الأكرم!
ولو كانت آية النسخ موجودة لما فعلها الصحابة بعد النبي الأكرم! وجميع الروايات

(١) ج ١٠، ص ٥٠، قوله ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾، ط ٣.

(٢) ص ١٣٧، فصل في أوليات عمر، ط ١.

وبمختلف صيغها تدل على أن عمر هو الذي نهى عنها وحرّمها وهُدّد بالعقاب أيضاً!!

وأقول للرازي أيضاً:

أن الصحابة سكتوا من الرد على عمر عندما حرم المتعة! وأنذر! وهدد! كان ذلك السكوت من قبلهم تقية!

نعم! وذلك خوفاً من بطش عمر! فالصحابة يعرفونه حق المعرفة ويعرفون غلظته!

كيف لا وهو الذي هُدّد بحرق بيت فاطمة وذلك لعدم بيعة الإمام عليه السلام لأبي بكر!

نعم! بعد التهديد قام فعلاً بحرق البيت واقتحامه! ومن كان في ذلك البيت؟! كان

في ذلك البيت فاطمة!!

فحين قيل له ذلك، قال عمر: (وإن!!)

حاصل القول: إنه هُدّد فأحرق! وهنا أيضاً هدد بالعقاب والرجم وسوف يعاقب

ويرجم!

فكلمة التهديد والوعيد تصدر من حاكم مُسيطر على الأوضاع ولا يخشى أحداً أبداً،

فلهذا السبب لم يتكلم أحد من الصحابة وفضّلوا السكوت على الرد عليه!

ومن الذين سمعوا قول عمر وبتحريمه المتعة وتهديده فضربوا بمقالته عرض الجدار

كثيرون نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

قال الذهبي في ميزان الاعتدال:

أن عبد الملك بن جُريج (أبو خالد المكي) وكان فقيه أهل مكة في زمانه وقد تزوج

نحواً من سبعين امرأة نكاح المتعة وكان يرى الرخصة في ذلك^(١)!!

ومنهم أيضاً عمران بن حصين وابن عباس وعلى رأس هؤلاء سيدنا وإمامنا

علي عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ النساء/٢٣، قال

الطبرسي في تفسيره: المراد به نكاح المتعة وهو النكاح المنعقد بمهر معين إلى أجل

(١) ج ٢، ص ٦٥٩، ترجمة ٥٢٢٧، ط/١٣٨٢هـ، بيروت.

معلوم... لأن لفظ الاستمتاع والتمتع وإن كان في الأصل واقعاً على الانتفاع والالتذاذ فقد صار يعرف الشرع مخصوصاً بهذا العقد المعين لاسيما إذا أضيف إلى النساء فعلى هذا يكون معناه فمتى عقدتم عليهن هذا العقد المسمى متعة فأتوهن أجروهن ويدل على ذلك أن الله علق وجوب إعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضي أن يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ لأن المهر لا يجب إلا به. وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: لو لا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي^١.

أقول:

هناك الكثير من مصادر أهل السنة المعتبرة تصرّح بحلية زواج المتعة وأن التحريم كان من قبل عمر وفي زمانه وأيام حكمه! ولدينا أكثر من ستين مصدراً معتبراً من مصادر أهل العامة وإليك بعض تلك المصادر:

١. تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة النميري، المتوفى ٢٦٢هـ، ج ٢، ص ٧٢٠، تحقيق: فهميم محمد شلتوت.
٢. جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ، المجلد ٤، ج ٥، ص ٨-٩، ط ١٣٩٨/٣هـ، دار المعرفة، بيروت.
٣. الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد القرطبي المتوفى ٦٧١هـ، المجلد ١، ج ٢، ص ٣٩٢، وكذلك المجلد ٣، ج ٥، ص ١٣٢، ط مصر.
٤. فقه السنة لسيد سابق، ج ٢، ص ٤٢-٤٣، ط ١٣٩٧/٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
٥. السنن الكبرى للبيهقي المتوفى ٤٥٨هـ، ج ١٠، ص ٤٩٧، كتاب النكاح - الأُنكحة التي نهى عنها، ط ١٤١٦، دار الفكر، بيروت.
٦. صحيح ابن حبان لعلي بن بلبان، المتوفى ٧٣٩هـ، ج ٩، كتاب النكاح، باب نكاح المتعة، ص ٤٥٧، ط ١٤١٨/٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى ٨٠٧هـ، المجلد ٢،

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبو الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى ٥٤٨هـ، ج ٢، ص ٧٢-٧١، سورة النساء، آية ٢٣، ط دار مكتبة الحياة، بيروت.

- ج٤، باب نكاح المتعة ص٢٦٦، ط١٤٠٢/٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل لجار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٢٨هـ ج١ ص٤٩٨ ط٢ / ١٤١٥هـ نشر البلاغة.
٩. تذكرة الحفاظ للذهبي المتوفى ٧٤٨هـ المجلد ١ ج١ ص٢٦٨ ترجمة مكّي بن إبراهيم البلخي ٣٥٩ ط١/١٤١٩هـ دار الكتب العلمية بيروت.
١٠. الكشف والبيان المعروف بتفسير الشعلي المتوفى ٤٢٧هـ ج٣ ص٢٨٨ ط١/١٤٢٢هـ دار إحياء التراث العربي بيروت.
١١. المسند للحميدي لعبدالله بن الزبير الحميدي المتوفى ٢١٩هـ ج١ ص٢٢ أحاديث علي بن أبي طالب عليه السلام رقم ٣٧ ط١/١٤٠٩هـ دار الكتب العلمية بيروت.
- نكتفي بهذا القدر من المصادر وذلك كي لا نطيل على القارئ!

باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها

٤٤٣... عن أنس قال كنت ردف أبي طلحة يوم خيبر وقدمي تمس قدم رسول الله ﷺ قال فأتيناهم حين بزغت الشمس وقد أخرجوا مواشيهم وخرجوا بفؤوسهم ومكاتلهم ومرورهم فقالوا محمد والخميس قال وقال رسول الله ﷺ خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْدَرِينَ﴾ قال وهزمهم الله ﷻ ووقعت في سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس ثم دفعها إلى أم سليم تصنعها له وتهيئها قال وأحسبه قال وتعتد في بيتها وهي صفية بنت حيي قال وجعل رسول الله ﷺ وليمتها التمر والأقط والسمن فحصدت الأرض أفاحيص وجيء بالأنطاع فوضعت فيها وجيء بالأقط والسمن فشبع الناس قال وقال الناس لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد قالوا إن حجبتها فهي امرأته وإن لم يحجبها فهي أم ولد فلما أراد أن يركب حجبتها فقعدت على عجز البعير فعرفوا أنه قد تزوجها فلما دنوا من المدينة دفع رسول الله ﷺ ودفعنا قال فعثرت الناقة العضباء وندر رسول الله ﷺ وندرت فقام فسترها وقد أشرفت النساء فقلت أبعده الله اليهودية قال قلت يا أبا حمزة أوقع رسول الله ﷺ قال إي والله لقد وقع قال أنس وشهدت وليمة زينب فأشبع الناس خبزاً ولحماً وكان يبعثني فأدعوا الناس فلما فرغ قام وتبعته فتخلف رجلان استأنس بهما الحديث لم يخرجوا فجعل يمر على نساءه فيسلم على كل واحدة منهن سلام عليكم كيف أنتم يا أهل البيت فيقولون بخير يا رسول الله كيف وجدت أهلك فيقول بخير فلما فرغ رجعت معه فلما بلغ الباب

إذا هو بالرجلين قد استأنس بهما الحديث فلما رأياه قد رجع قاما فخرجا فوالله ما أدري
أنا أخبرته أم أنزل عليه الوحي بأنهما قد خرجا فرجع ورجعت معه فلما وضع رجله في
أسكفة الباب أرخى الحجاب بيني وبينه وأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ
إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الآية.

باب زواج زينب بنت جحش

٤٤٤.... عن أنس وهذا حديث بهز قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد فاذكريها علي قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجبتها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن قال فقال ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتتبع حجر نساءه يسلم عليهم ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب قال ووعظ القوم بما وعظوا به زاد ابن رافع في حديثه ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَعِجِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِي مِنَ الْحَقِّ﴾.

٤٤٥.... عن أنس بن مالك قال لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون قال فأخذ كأنه يتهاى للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام من القوم زاد عاصم وابن عبد الأعلى في حديثهما قال فقعد ثلاثة وإن

النبي ﷺ جاء ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقوا قال فحجت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا قال فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقي الحجاب بيني وبينه قال وأنزل الله بَرَكَةً ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾.

٤٤٦.... قال ابن شهاب إن أنس بن مالك قال أنا أعلم الناس بالحجاب لقد كان أبي بن كعب يسألني عنه قال أنس أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزینب بنت جحش قال وكان تزوجها بالمدينة فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار فجلس رسول الله ﷺ وجلس معه رجال بعدما قام القوم حتى قام رسول الله ﷺ فمشى فمشيت معه حتى بلغ باب حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم فرجع فرجعت الثانية حتى بلغ حجرة عائشة فرجع فرجعت فإذا هم قد قاموا فضرب بيني وبينه بالستر وأنزل الله آية الحجاب.

٤٤٧.... عن أنس بن مالك قال تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله قال فصنعت أمي أم سليم حيساً فجعلته في تور فقالت يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ فقل بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام وتقول إن هذا لك منا قليل يا رسول الله ﷺ قال فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ فقلت إن أمي تقرئك السلام وتقول إن هذا لك منا قليل يا رسول الله ﷺ فقال ضعه ثم قال اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً وفلاناً ومن لقيت وسمي رجلاً قال فدعوت من سمى ومن لقيت قال لأنس عدد كَم كانوا؟ قال زهاء ثلاث مائة وقال لي رسول الله ﷺ يا أنس هات التور قال فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة فقال رسول الله ﷺ ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه فأكلوا حتى شبعوا قال فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم فقال لي يا أنس ارفع قال فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت قال وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط فثقلوا على رسول الله ﷺ فخرج رسول الله ﷺ فسلم على نسائه ثم رجع فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه قال فابتدروا الباب فخرجوا كلهم وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر ودخل وأنا جالس في الحجرة فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج علي وأنزلت هذه

الآية فخرج رسول الله ﷺ وقرأهن على الناس ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِزٍ مِنْهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِيْبِينَ لِدِيْبِ إِذْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَعِجِيْ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِيْ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجُجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيْمًا ﴿٥٢﴾﴾ إلى آخر الآية قال الجعد قال أنس بن مالك أنا أحدث الناس عهداً بهذه الآيات وحجبن نساء النبي ﷺ.

قال الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم: إن رسول الله غزا خيبر وفي رواية للبخاري أن النبي الأكرم أتى خيبر ليلاً فكان أهل خيبر يخرجون كل يوم بأسلحتهم مستعدين للحرب فلما طال انتظارهم ولم يروا أحداً خرجوا إلى مزارعهم بفؤوسهم غير مسلحين فأغار عليهم النبي ولما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر وهذا التكبير دلالة على النصر ووقعت صفة بنت حبي بن أخطب وأبوها سيد قريظة فتزوجها النبي الأكرم وقبل دخول الرسول الأكرم المدينة عثرت الناقة فسقطت صفة فأشرفت نساء النبي وهن ينظرن إلى صفة نظرة شامة أي شمتوا في سقوط صفة ونزلت آيات الحجاب بعد دخول النبي الأكرم على صفة كما جاء في الرواية^(١).

يقول ابن حجر في شرحه فتح الباري بشرح صحيح البخاري:.... عن أنس أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب لما أهديت زينب بنت جحش إلى النبي ﷺ صنع طعاماً... فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون قال فدعوت حتى ما أجد أحداً... فأشبع المسلمين خبزاً ولحمأ... ثم جلسوا يتحدثون... فجعل يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون... فانطلقت فجت فأخبرت النبي ﷺ أن انطلقوا... فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله... الآية. فلما أرخى الستر دوني ذكرت ذلك لأبي طلحة فقال إن كان كما تقول لينزل فيه قرآن فنزلت آية الحجاب^(٢).

(١) ج ٥، ص ٥٥٥، ح ٣٣١٠٢، بتصرف.

(٢) ج ٨، ص ٦٥٠، ح ٤٧٩١، كتاب التفسير، باب لا تدخلوا بيوت النبي.

أقول:

إن النبي الأكرم مسدد من قبل الله تعالى بواسطة الوحي فكيف تقبل من رجل عادي كعمر بن الخطاب أن يوجه رسولك الأكرم الذي بعثه الله تعالى للعالمين نذيراً؟! وهذا النبي جاء عالماً وليس متعلماً، فعلى ضوء ما قرأنا فإن جميع من قال وروى عن عمر بأنه أمر النبي بحجب نسائه فنزلت آية الحجاب لا يصح عنهم ذلك!

الحاصل:

قول عمر بن الخطاب (وافقت ربي في ثلاث) لا يصح ذلك القول منه بعدما قرأت ما ذكرناه لك وكيف يكون القرآن معجزاً وعمر بن الخطاب يذكر الآية قبل نزولها فلا يخفى عليك ذلك.

وللفائدة أذكر لك ما جاء في صحيح البخاري عن عائشة أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح فكان عمر يقول للنبي ﷺ احجب نساءك فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاءً وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب فأنزل الله آية الحجاب^(١).

وسوف أذكر لك أخي القارئ وفي محله إن شاء الله أن عمر بن الخطاب قد وافق ربه في أكثر من عشرين موافقة وجميعها موضوعة مختلقة فعمر غني عن التعريف وهو صحابي وقريب من النبي الأكرم فالروايات الموضوعة فيه لا تزيده شرفاً على شرفه ولا تنير سيرته المعروفة والمشهورة وهو في غنى عن جميع ما ذكره فيه فابق معنا.

(١) كتاب الوضوء، باب خروج النساء، إلى البراز من صحيح البخاري.

باب في المصّة والمصتان

٤٤٨... عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ وقال سويد وزهير إن النبي ﷺ قال لا تحرم المصّة والمصتان.

٤٤٩... عن عبدالله بن الحارث أن أم الفضل حدثت أن نبي الله ﷺ قال لا تحرم الرضعة أو الرضعتان أو المصّة أو المصتان وحدثناه أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم جميعاً عن عبدة بن سليمان عن ابن أبي عروبة بهذا الإسناد أما إسحاق فقال كرواية ابن بشر أو الرضعتان أو المصتان وأما ابن أبي شيبة فقال والرضعتان والمصتان.

باب التحريم بخمس رضعات

٤٥٠... عن عائشة أنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن.

٤٥١... عن يحيى وهو ابن سعيد عن عمرة أنها سمعت عائشة تقول وهي تذكر الذي يحرم من الرضاعة قالت عمرة فقالت عائشة نزل في القرآن عشر رضعات معلومات ثم نزل أيضاً خمس معلومات.

قال النووي في شرحه: لا تحرم المصّة والمصتان... وفي رواية قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا.

عائشة قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن.

وهذا فيما يقرأ... معناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جداً حتى أنه ﷺ توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآناً متلوّاً لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى.

ويقول النووي: واختلف العلماء في القدر الذي يثبت به حكم الرضاع فقالت عائشة والشافعي وأصحابه: لا يثبت بأقل من خمس رضعات وقال جمهور العلماء يثبت برضعة واحدة... وقال أبو ثور وأبو عبيد وابن المنذر وداود يثبت بثلاث رضعات ولا يثبت بأقل...

وقد شذ بعض الناس فقال لا يثبت الرضاع إلا بعشر رضعات^(١).

إعلم أخي الكريم أن عائشة تقول نزل في القرآن عشر رضعات يحرم من ثم نسخت تلك الرضعات العشر إلى خمس رضعات فانتبه إن عائشة لم تقل بنسخ الرضعات برمتها من القرآن وفي قولها فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن لدليل على أن آية الخمس رضعات لم تنسخ، فلا يخفى عليك ألا يدل ذلك على تحريف القرآن عند أهل العامة!!؟

والأنكى من ذلك ما ستقرأه لاحقاً بعنوان رضاعة الكبير!

(١) المجلد ٥، ج ١٠، ص ٢٨٣، ح ١١٤٥٢.

باب رضاعة الكبير

٤٥٢.... عن عائشة قالت جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم وهو حليفه فقال النبي ﷺ أرضعنيه قالت وكيف أرضعه وهو رجل كبير فتبسم رسول الله ﷺ وقال قد علمت أنه رجل كبير زاد عمرو في حديثه وكان قد شهد بدرأ وفي رواية ابن أبي عمر فضحك رسول الله ﷺ.

٤٥٣.... عن عائشة أن سالماً مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم فأنت تعني ابنة سهيل النبي ﷺ فقالت إن سالماً قد بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما عقلوا وإنه يدخل علينا وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً فقال لها النبي ﷺ أرضعنيه تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة فرجعت فقالت إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة.

٤٥٤.... ابن أبي مليكة أن القاسم بن محمد بن أبي بكر أخبره أن عائشة أخبرته أن سهلة بنت سهيل بن عمرو جاءت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إن سالماً لسالم مولى أبي حذيفة معنا في بيتنا وقد بلغ ما يبلغ الرجال وعلم ما يعلم الرجال قال أرضعنيه تحرمي عليه قال فمكثت سنة أو قريباً منها لا أحدث به وهبته ثم لقيت القاسم فقلت له لقد حدثتني حديثاً ما حدثته بعد قال فما هو فأخبرته قال فحدثه عني أن عائشة أخبرتني.

٤٥٥.... عن زينب بنت أم سلمة قالت قالت أم سلمة لعائشة إنه يدخل عليك الغلام الأيفع الذي ما أحب أن يدخل علي قال فقالت عائشة أما لك في رسول الله ﷺ أسوة

قالت إن امرأة أبي حذيفة قالت يا رسول الله إن سالمًا يدخل علي وهو رجل وفي نفس أبي حذيفة منه شيء فقال رسول الله ﷺ أرضعيه حتى يدخل عليك.

٤٥٦.... زينب بنت أبي سلمة تقول سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ تقول لعائشة والله ما تطيب نفسي أن يراني الغلام قد استغنى عن الرضاعة فقالت لم قد جاءت سهلة بنت سهيل إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إني لأرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم قالت فقال رسول الله ﷺ أرضعيه فقالت إنه ذو لحية فقال أرضعيه يذهب ما في وجه أبي حذيفة فقالت والله ما عرفته في وجه أبي حذيفة^(١).

قال النووي في شرحه: واختلف العلماء في هذه المسئلة فقالت عائشة وداود ثبتت حرمة الرضاع برضاع البالغ كما ثبتت برضاع الطفل لهذا الحديث وسائر العلماء من الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار إلى الآن لا يثبت إلا بإرضاع من له دون سنتين إلا أبا حنيفة فقال سنتين ونصف وقال زفر ثلاث سنين وعن مالك رواية سنتين وأيام واحتج الجمهور بقوله تعالى ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُمَمَّ الرِّضَاعَةَ ﴾ وبالحدِيث الذي ذكره مسلم بعد هذا إنما الرضاعة من المجاعة وبأحاديث مشهورة وحملوا حديث سهلة على أنه مختص بها وبسالم وقد روى مسلم عن أم سلمة وسائر أزواج رسول الله ﷺ أنهن خالفن عائشة في هذا....

قوله ﷺ (أرضعيه) قال القاضي لعلها حلبته ثم شربه من غير أن يمس ثديها ولا التقت بشرتاها وهذا الذي قاله القاضي حسن ويحتمل أنه عفى عن مسه للحاجة كما خص بالرضاعة مع الكبير^(٢).

وردت بعض الكلمات الصعبة في الروايات التي مرت علينا فمنها أن النبي الأكرم

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج٦، ص١٧٤، مسند عائشة، ط دار الفكر العربي، بيروت، وابن ماجه القزويني في سننه، ج١، ص٦٢٥، ح١٩٤٣، كتاب النكاح، باب رضاع الكبير، ط دار الكتب العلمية، بيروت، وذكره الدارمي أيضاً في سننه، ج٢، ص١٥٨، باب في رضاعة الكبير من كتاب النكاح، ط دار الكتب العلمية، بيروت، وفي سنن أبي داود، المجلد١، ج٢، ص٢٢٣، ح٢٠٦١، كتاب النكاح، باب فيمن حرم منه، وموطأ مالك، كتاب الرضاع، باب ما جاء في الرضاعة بعد الكبير، ح١٢٨٤، ص٤١٦.

(٢) المجلد٥، ج١٠، ص٢٨٦، ح١١٤٥٤.

يقول لسهلة بنت سهيل أرضعيه فترد عليه بأنه رجل كبير وفي رواية إنه ذو لحية وفي رواية شهد بدمراً أي أنه بلغ مبلغ الرجال يا رسول الله!
أقول:

إن النبي الأكرم يقول: إنما الرضاعة من المجاعة^(١).

قال ابن حجر العسقلاني في شرحه قال المهلب معناه... إن حرمة الرضاع إنما هي في الصغر حتى تسد الرضاعة المجاعة.

وقال أبو عبيدة معناه أن الذي جاع كان طعامه الذي يشبعه اللبن من الرضاع لا حيث يكون الغذاء بغير الرضاع.

وقوله (من المجاعة) أي الرضاعة التي تثبت بها الحرمة وتحل بها الخلوة هي حيث يكون الرضيع طفلاً لسد اللبن جوعته لأن معدته ضعيفة يكفيها اللبن وينبت بذلك لحمه فيصير كجزء من المرضعة فيشترك في الحرمة مع أولادها.

... ومن شواهد حديث ابن مسعود لا رضاع إلا ما شد العظم وأنبت اللحم.

... وحديث أم سلمة لا يحرم من الرضاع إلا ما فَتَقَّ الأمعاء.

ويقول ابن حجر أيضاً: ويمكن أن يستدل به على أن الرضعة الواحدة لا تحرم لأنها لا تغني من جوع وإذا كان يحتاج إلى تقدير فأولى ما يؤخذ به ما قدرته الشريعة وهو خمس رضعات واستدل به على أن التغذية بلبن المرضعة يحرم سواء كان بشرب أم أكل بأي صفة كان حتى الوجور والسعود والثرث والطبخ وغير ذلك إذا وقع ذلك بالشرط المذكور من العدد لأن ذلك يطرد الجوع وهو موجود في جميع ما ذكر فيوافق الخبر والمعنى وبهذا قال الجمهور لكن استثنى الحنفية... فقالوا إن الرضاعة المحرمة إنما تكون بالتقام الثدي ومص اللبن منه.

ويقول - والحديث لا زال لابن حجر -: إن عائشة كانت لا تفرق في حكم الرضاع بين حال الصغر والكبر... واحتجت هي بقصة سالم مولى أبي حذيفة....

ثبت عند أبي داود... كانت عائشة تأمر بنات إخوتها وبنات أخواتها أن يرضعن من

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من قال لا رضاع بعد حولين.

أحبت أن يدخل عليها ويرأها وإن كان كبيراً خمس رضعات ثم يدخل عليها وإسناده صحيح^(١).

نعود إلى الكلمات الصعبة التي ذكرناها:

تقول سهلة لرسول الله إنه ذولحية وفي رواية إنه رجل كبير فقال النبي أرضعيه! أي أنه كان مصراً على الرضاعة وسهلة كانت مستغربة ومندهشة من قول النبي وذلك في قولها له إنه رجل كبير وذو لحية.

قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ﴾ البقرة/٢٣٣.

أي أن الرضاعة يجب أن تكون في السنتين الأوليين كي ينبت اللحم ويقوى العظم لدى الرضيع وسهلة عندما كانت تقول إنه ذو لحية وكبير كأنها قد سمعت بأن الرضاعة تكون في الصغر كما في الآية الكريمة.

ويكفي أن البخاري لم يخرج هذه الرواية وأنه ضرب بها عرض الجدار.

ثم أسألك بالله عليك هل النبي الأكرم في قوله شهد بدمراً كان يعني أن يا سهلة إن سالماً قد شهد بدمراً وهو من المغفور لهم بكعبة الصحابة العدول فأرضعيه ولا تخافي وسيذهب الذي في وجه أبي حذيفة.

وفي قول القاضي عياض أن سهلة سقته بعد أن حلبته في قده أو ما أشبهه وشرب سالم ذلك اللبن ومن دون أن يمسه ثديها والنووي استحسّن قول القاضي أقرأ واقطب حاجبيك إلى أم رأسك!!

فقول القاضي مردود لأن سهلة قالت للنبي إنه ذو لحية وكبير فقولها ذلك أن سالماً هذا سوف يمص ثديها ويرضع منها مباشرة فتأويل القاضي لا يصح.

ومن طريف ما جاء في هذا الموضوع أن الألباني بعدما استشهد بأقوال العلماء ومنها ما ذكرناه قال في آخر كلامه ليكون في علم الجميع أن حلمة الثدي ليست بمغرية وإنها سوداء اللون فقال ذلك لإثبات أن سالماً قد شرب اللبن من الثدي سهلة مباشرة أي أنه مص ثدي سهلة!!

(١) فتح الباري، ج ٩، ص ١٤٩، ح ٥١٠٢، كتاب النكاح، باب من قال لا رضاع بعد حولين .

الحاصل نحن حديثنا يدور حول الحلال والحرام وهذا يتكلم حول إغراء الحلمة من عدمها.

وأخيراً ماذا يقول الأستاذ الدكتور موسى لاشين في شرحه: وكانت عائشة رضي الله عنها ترى أن إرضاع الكبير يحرمه وأرضعت غلاماً فعلاً وكان يدخل عليها وأنكر بقية أمهات المؤمنين ذلك^(١).

أنا في الحقيقة أعلم أن التي تلد يدر لبنها في ثديها أما عائشة ومن خلال مطالعاتي فإنني لم أقرأ عنها أنها ولدت في يوم من الأيام فكيف أرضعت غلاماً فعلاً فهل مص الثدي من دون إدرار اللبن وشربه يثبت الحرمة أيضاً؟! أفيدونا في ذلك.

إذن رضاع الكبير ثابت عند أهل السنة على ضوء ما قرأناه وما بيناه في الصفحات السابقة ولكن الخلاف وقع في عدد الرضاع وهل يحرم على المرضعة صاحب اللحية أو الشاب الكبير بعد التقام ثدي المرأة أم لا؟!

وتؤكد عائشة على صحة قولها في رضاع الكبير فتستشهد بقولها:

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لقد أنزلت آية الرجم ورضعت الكبير عشراً فكانت في ورقة تحت سرير في بيتي فلما اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشاغلنا بأمره ودخلت دويبة لنا فأكلتها^(٢).

وفي رواية في سنن ابن ماجه لقد أنزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً ولقد كان في صحيفة تحت سريري فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها^(٣).

ولكن الجواب والرد على عائشة جاء من أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول أبى سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن عليهن أحداً بتلك الرضاعة وقلن لعائشة والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالم خاصة فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة

(١) فتح المنعم، ج ٥، ص ٦٢٢، ح ٣٣١٩١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ٢٦٩، مسند عائشة، وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ج ١٠، ص ٣٦، ح ٤٤٢٢٢، كتاب الرضاع، ذكر قدر الرضاع الذي يحرم.

(٣) سنن ابن ماجه القزويني، ج ٢، ص ٦٢٦، ح ١٩٤٤، كتاب النكاح، باب رضاع الكبير.

ولا رائيننا^(١).

وجاء في سنن الترمذي عن أم سلمة قالت قال رسول الله ﷺ لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء من الثدي وكان قبل الفطام وفيه أيضاً أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئاً^(٢).

اقرأ أخي الكريم وكن منصفاً مع نفسك واحكم بعقلك على من يقول برضاع الكبير!

وأخيراً قد نقول جدلاً ونوافق أهل العامة بصحة حديث رضاع الكبير وأنه يصبح محرماً على المرأة بعد الرضاعة، أقول:

هذا الرجل قبل أن يمسه ثدي المرأة ما هو حكمه؟ أي قبل أن يلتقم الثدي بلحظات، أفيدونا.

وأصح أهل العامة أن يذعنوا للحق ويتجرأوا ويتشجعوا ولا يخافوا لومة لائم ويعترفوا ويقولوا أن ليس كل ما في صحيح البخاري وصحيح مسلم صحيحاً وهو الأفضل والأسلم لمذهبهم.

قال الدكتور أحمد شوقي الفنجري: الأحاديث الموضوعية تشوه الإسلام وتؤخر المسلمين.

ويقول: خمسة آلاف حديث في البخاري ومسلم تتناقض مع القرآن والعلم والعقل.

ويقول: حديث رضاع الكبير يتعارض مع آيات قاطعة في القرآن ومطعون في صحته^(٣).

يقول السيد سابق ناقلاً قول ابن القيم: إن حديث سهلة ليس بمنسوخ ولا مخصوص ولا عام في حق كل واحد وإنما هو رخصة للحاجة لمن لا يستغني عن دخوله على المرأة ويشق احتجاجها عنه كما لسالم مع امرأة أبي حذيفة، فمثل هذا الكبير إذا أرضعته للحاجة

(١) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب رضاعة الكبير.

(٢) سنن الترمذي، ج ٣، ص ٤٥٩، ح ١١٥٢، كتاب الرضاع، باب ذكر أن الرضاعة لا تحرم إلا في الصغر.

(٣) مجلة روز اليوسف، العدد ٤٠٨٦، تاريخ ٩/٣٠ - ١٠/٦/٢٠٠٦م، ص ٤٦-٤٧.

أثر رضاعه وأما من عداه فلا يؤثر إلا رضاع الصغير، وهذا مسلك شيخ الإسلام ابن تيمية... والأحاديث الباقية للرضاع في الكبر إما مطلقة فتقيد بحديث سهلة أو عامة في كل الأحوال فتخصص هذه الحال من عمومها وهذه أولى من النسخ ودعوى التخصيص لشخص بعينه وأقرب إلى العمل بجميع الأحاديث من الجانبين وقواعد الشرع تشهد له^(١).

يقول ابن القيم: إن إرضاع الكبير رخصة للحاجة!

أقول:

إن في عهدنا هذا أغلب الرجال الذين يعملون في الدوائر الحكومية والشركات الخاصة هم في حاجة ماسة لهذا الرضاع لأن الكثير منهم في خلوة وفي مكتب واحد مع زميلات لهم في العمل!!!

٤٥٧... عن ابن شهاب أنه قال أخبرني أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة أن أمه زينب بنت أبي سلمة أخبرته أن أمها أم سلمة زوج النبي ﷺ كانت تقول أبي سائر أزواج النبي ﷺ أن يدخلن عليهن أحداً بتلك الرضاعة وقلن لعائشة والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله ﷺ لسالم خاصة فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائينا. راجع ما قبله.

(١) فقه السنة للسيد سابق، ج ٢، ص ١٩٤، رضاع الكبير، ط ١٤١١هـ، دار الفتح، القاهرة.

باب إنما الرضاعة من المجاعة

٤٥٨... عن مسروق قال قالت عائشة دخل علي رسول الله ﷺ وعندني رجل قاعد فاشتد ذلك عليه ورأيت الغضب في وجهه قالت فقلت يا رسول الله إنه أخي من الرضاعة قالت فقال انظرون إخوتكن من الرضاعة فإنما الرضاعة من المجاعة.
راجع ما قبله.

باب جواز هبتها نوبتها لضرتها

٤٥٩.... عن عائشة قالت كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول وتهب المرأة نفسها فلما أنزل الله عز ول ﴿تُرْجَىٰ مِنْ نَفْسِهِ مِثْنَهُنَّ وَتُؤَيِّدُ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ أَيْدِي مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ قال قلت والله ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك.

٤٦٠.... عن عائشة أنها كانت تقول أما تستحي امرأة تهب نفسها لرجل حتى أنزل الله ﷻ ﴿تُرْجَىٰ مِنْ نَفْسِهِ مِثْنَهُنَّ وَتُؤَيِّدُ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِهِ﴾ فقلت إن ربك ليسارع لك في هواك.

قال النووي هذا من خصائص رسول الله ﷺ وهو زواج من وهبت نفسها له بلا مهر^(١). وقال الأستاذ الدكتور لاشين في فتح المنعم: والله ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك معناه أعلم وأعتقد أن ربك يخفف عنك ويوسع عليك في الأمور ولهذا خيرك وفوض الأمر إلى مشيئتك^(٢).

تقول عائشة: أما تستحي امرأة تهب نفسها لرجل!! وفي رواية البخاري أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل^(٣).
فأقول لعائشة:

(١) المجلد ٥، ج ١٠، ص ٣٠٣، ح ١٤٦٤.

(٢) ج ٦، ص ٢٩، ح ٣٣٢١١.

(٣) كتاب النكاح، باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد.

أما تستحي المرأة أن تقول إن النبي كان يقبلها وهو صائم ويمص لسانها؟^(١)
أما تستحي المرأة أن تقول كان رسول الله يأمرني فأتزر فيباشرنني وأنا حائض؟^(٢)
أما تستحي المرأة أن تخرج من بيتها وتقود الجيوش الجرارة وفيهم كبار الصحابة
العدول لقتال إمام زمانها يوم الجمل؟!

وتقول عائشة: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله!

يا ترى ما أسباب تلك الغيرة فهل إن بقية النساء كن أجمل من عائشة؟! فمن
المعروف أن من غيرة المرأة أن ترى نفسها قبيحة المنظر مثلاً فهل كانت عائشة كذلك؟!
جاء في لسان الميزان لابن حجر العسقلاني: أن عائشة كان في وجهها أثر جدري.^(٣)
قد يقول قائل أن عائشة كانت بيضاء أو حمراء البشرة!

فأقول:

إن بياض البشرة مع قُبْح الشكل العام وأثر الجدري الذي في الوجه كما ذكر ابن
حجر، لا يترك مَزِيَّةً جمالية لتلك البشرة، فكثيراً ما نرى ونشاهد أناساً بشرتهم بيضاء
ولكن أشكالهم تكون قبيحة! وفي بعض الأحيان يجعلك تنفر من قُبْح ذلك الشخص!
فهل غيرة عائشة من بقية نساء النبي لكونهن أجمل منها!

قال البخاري في كتاب الطلاق، باب من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق:

حدثنا الحميدي... حدثنا الأوزاعي قال: سألت الزهري: أي أزواج النبي ﷺ استعادت
منه؟ قال: أخبرني عروة عن عائشة... أن ابنة الجون لما أدخِلت على رسول الله ﷺ ودنا
منها قالت: أعوذ بالله منك! فقال لها: لقد عُذت بعظيم، الحقي بأهلك!

قال القسطلاني في إرشاد الساري: وعند ابن سعد أن النعمان بن الجون الكِندي أتى
النبي ﷺ فقال: ألا أزوجك أجمل أيم في العرب فتزوجها... فدخل عليها نساء الحي
فرحين بها، وخرجن فذكرن من جمالها.

(١) سنن أبي داود، المجلد ١، ج ٢، ص ٣١١، ح ٢٣٨٦، كتاب الصوم، باب الصائم يبلع الريق.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض.

(٣) ج ٤، ص ١٣٦، ترجمة ٣١٠، ط ١٣٩٠هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت - بتصرف -.

قال الواقدي: ودخل عليها داخل من النساء فرأين لها لما بلغهن من جمالها وكانت من أجمل النساء^(١)!

ويقول أيضاً... عن ابن عباس قال: تزوج رسول الله ﷺ أسماء بنت النعمان وكانت من أجمل أهل زمانها وأشبّه، قال: فلما جعل رسول الله يتزوج الغرائب قالت عائشة: قد وضع يده في الغرائب يوشكن أن يصرفن وجهه عنا وكان خطبها حين وفدت كندة عليه إلى أبيها، فلما رآها نساء النبي ﷺ حسدنها فقلن لها: إن أردت أن تحظي عنده فتَعَوّذي بالله منه إذا دخل عليك....

وفي رواية: أنها قالت لأسماء الجونية: إن النبي ﷺ يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول (أعوذ بالله منك). فلما دخلت عليه وأغلق الباب وأرخى الستر مد يده إليها فقالت: أعوذ بالله منك! فتال بِكُمّه - أي وضع كُمّه - على وجهه فاستتر به وقال: عدت معاذاً ثلاث مرات.

قال أبو أسيد: ثم خرج علي فقال: يا أبا أسيد ألحقها بأهلها ومَتّعها برازقَتَيْن...، فكانت تقول: دعوني الشقية! (وقيل لها): ما دهاك؟ فقالت: خُدعت! وقيل لي كيت وكيت، للذي قيل لها...^(٢).

أقول:

لقد كذبت عائشة في قولها للمرأة الجونية (إن أردت أن تحظي عنده فتعوذني بالله منه).

وحرمت هذه المرأة من معاشره الرسول الأكرم وأن تكون زوجة لسيد البشر وخاتم الأنبياء وذلك بسبب غيرة عائشة وحسدها! وهذه الأخيرة حرمت أسماء الجونية من أن تكون زوجة للرسول في الجنة أيضاً، كل ذلك بسبب غيرة عائشة وحسدها اللامحدود وغير المحمود!!

وكذلك تقول عائشة (ما أرى ربك إلا يُسارع في هَوَاك!) أي: ما أرى الله إلا موجداً

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الواقدي، ج٦، ص١٠٧، ترجمة ٤١٣٦، ذكر من تزوج رسول الله ﷺ من النساء، ط١/١٤١٤هـ، دار الفكر، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٠٩.

لما تريد وبلا تأخير! ومنزلاً لما تحب وتختار! وهذا القول لا يكون إلا مع الغضب حيث
إنها تقول (كنت أغار) وأحياناً أخرى تقول للنبي عندما كان يذكر أم المؤمنين خديجة
سلام الله عليها (لقد أبدلك الله خيراً منها... هلكت... عجوز حمراء الشدقين...)!
ألا تلاحظ من خلال كلام عاثة أنها كانت تحب التملُّك والسيطرة على الزوج؟!!

باب استحباب نكاح ذات الدين

٤٦١... عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك.

٤٦٢... عن عطاء أخبرني جابر بن عبدالله قال تزوجت امرأة في عهد رسول الله ﷺ فلقيت النبي ﷺ فقال يا جابر تزوجت قلت نعم قال بكر أم ثيب قلت ثيب قال فهلاً بكراً تلاعبها قلت يا رسول الله إن لي أخوات فخشيت أن تدخل بيني وبينهن قال فذاك إذن إن المرأة تنكح على دينها ومالها وجمالها فعليك بذات الدين تربت يداك.

قال الأبي في شرحه إكمال إكمال المعلم: قوله (لمالها)... وفيه إن للزوج أن يستمتع بمال المرأة... فإن سمحت له بذلك حل له.

قوله (ولحسبها)... أصله من الحساب الذي هو العدد لأن الشريف يعد لنفسه ولآبائه مآثر جميلة وخصالاً شريفة.

قوله (لجمالها) قلت: ولما كان القصد من النكاح قصد الطرق قال الغزالي ينبغي أن يقصد ذات الجمال لأنها التي تقصده.

قوله (ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) قلت جرت عادة المتوخين لأحد الأربيع أن يؤخروا ذات الدين والأليق العكس أن تقدم ذات الدين فإنها تكسب منافع الدارين ولما كانوا كذلك أرشد إليه وأمر به وعبر بالظفر الذي هو الفوز بالبغية ومنتهى الاختيار.

قوله (تربت يداك)... العرب تستعمله لمعان... الحث على الشيء وهو المراد...^(١).

سنعيد ونكرر ما ذكرناه في كتابنا كشف المتواري:

قال ابن حجر: تُنكح المرأة لأربع، أي لأجل أربع... لمالها ولحسبها... أي شرفها والحسب في الأصل الشرف بالأبَاء وبالأقارب مأخوذ من الحساب لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدوا مناقبهم ومآثر آبائهم وقومهم وحسبوا فيحكم لمن زاد عدده على غيره.

قوله وجمالها يؤخذ منه استحباب تزوج الجميلة إلا أن تعارض الجميلة الغير دَيِّئَةً والغير جميلة الدَيِّئَةُ.

نعم، لو تساوتنا في الدين فالجميلة أولى.

قوله فاظفر بذات الدين... أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء.

تربت يداك... (أي) أن معناه استغنت^(٢).

أقول:

لا يخفى عليك أن هذا الحديث مُوجَّه للشباب، أي.. أيها الشاب تزوج صاحبة الدين فتأمل وابق معنا حتى نصل إلى ما نصبو إليه.

جاء في سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فَزَوِّجُوهُ.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخُلِقَ فَزَوِّجُوهُ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض^(٣).

أقول:

إن هذا الحديث مُوجَّه للفتاة ولأهلها، أي أنه إذا جاءكم الشاب المُتَدَيِّن والخلق فزوجه.

فكما أن الرسول الأكرم قال حديثاً وكان مُوجَّهاً للشباب فكذلك قال حديثاً وَوَجَّهَهُ

(١) ج ٥، ص ١٦٦، ح ١٤٦٦.

(٢) فتح الباري، ج ٩، ص ١٣٥، ح ٥٠٩٠، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين.

(٣) لمحمد بن عيسى بن سورة، ج ٣، ص ٣٩٥، حديث ١٠٨٤، ط المكتبة الإسلامية.

للفتيات أيضاً.

قال الواقدي في طبقاته: أن أبا بكر خطب فاطمة إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا بكر أنتظر بها القضاء، فذكر ذلك أبو بكر لعمر، فقال له عمر: رَدَّكَ يا أبا بكر! ثم إن أبا بكر قال لعمر: اخطب فاطمة إلى النبي ﷺ، فخطبها فقال له مثل ما قال لأبي بكر أنتظر بها القضاء، فجاء عمر إلى أبي بكر فأخبره، فقال له: رَدَّكَ يا عمر^(١)!

أقول وباختصار:

إن كان أبو بكر وعمر صاحبا دين وأخلاق وقد رَدَّهم النبي الأكرم ولم يقبل خطبتهم لابنته فاطمة ﷺ فإنه يقول ما لا يفعل كما مر علينا في الحديث بأن من جاءكم ترضون دينه وخلقه فزوجوه! هذا أولاً.

ثانياً: إن كانا أصحاب دين ولا أخلاق لديهم فقد كان النبي مُصِيباً برَدِّهما!
ثالثاً: لو كان عند الشيخين أخلاق بلا دين فأيضاً النبي كان مُصِيباً برفضه لتلك الخطبة.

رابعاً: لو لم يكن عند أبي بكر وعمر دين ولا أخلاق، فكذلك أصاب النبي أيضاً في ذلك.

فاختر يا من توالي هؤلاء أحد هذه الأمور الأربعة.
ولو انتظرت قليلاً فسوف أُخْرِجُكَ من محنتك وورطتك!
قال الواقدي:

قال نفر من الأنصار لعلي: عندك فاطمة! فأتى رسول الله فَسَلَّمَ عليه فقال: ما حاجة ابن أبي طالب؟ قال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قال: مرحباً وأهلاً، لم يزد عليها.

فخرج عليّ على أولئك الرهط من الأنصار ينظرونه قالوا: ما ورائك؟ قال: ما أدري غير أنه قال لي مرحباً وأهلاً. قالوا: يكفيك من رسول الله إحداهما، أعطاك الأهل، أعطاك

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الواقدي، ج ٦، ص ١٤، ذكر بنات رسول الله ﷺ، ترجمة ٤٠٨٩، ط ١/١٤١٤هـ، دار الفكر، بيروت.

وقال الكنجي في كتابه كفاية الطالب:

... عن أنس قال: بينا أنا قاعد عند النبي ﷺ إذ غشبه الوحي فلما سرى عنه قال يا أنس تدري ما جئني به جبرئيل من صاحب العرش؟ قلت: الله ورسوله أعلم بأبي وأمي ما جاء به جبرئيل، قال: إن الله أمرني أن أزوجه فاطمة علياً...^(٢).
تَمَهَّلَ قَلِيلًا أَحْيَى الْكَرِيمَ فَسَوْفَ أَذْكَرُ لَكَ مَصْدَرًا آخَرَ.
جاء في ذخائر العقبى:

عن أنس بن مالك... قال خطب أبو بكر إلى النبي ﷺ ابنته فاطمة، فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر! لم ينزل القضاء بعد. ثم خطبها عمر... مع عِدَّةٍ من قريش كلهم يقول له مثل قوله لأبي بكر، فقيل لعلي: لو خطبت إلى النبي ﷺ لخليق أن يزوجهها. قال: وكيف وقد خطبها أشراف قريش فلم يزوجهها؟! قال: فخطبتها فقال النبي ﷺ: قد أمرني ربي ﷻ بذلك.

قال أنس: ثم دعاني النبي ﷺ بعد أيام فقال لي: يا أنس أخرج أدع لي أبا بكر... وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف... قال: فدعوتهم، فلما اجتمعوا عنده كلهم وأخذوا مجالسهم وكان علي غائباً في حاجة للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ:

الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطواته النافذ أمره في سماءه وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته وميَّزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ إن الله تبارك اسمه وتعالى عظمته جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأماً مفترضاً أوشج به الأرحام وألزم الأنام فقال عز من قائل: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ الفرقان: ٥٤، فأمر الله بجري إلى قضائه وقضاؤه يجري إلى قدره ولكل قضاء قَدْرٌ ولكل قَدْرٌ أجل ولكل أجل كتاب ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِقُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الرعد: ٣٩.

(١) الطبقات الكبرى للواقدي، ج ٨، ص ٢١، ذكر بنات رسول الله ﷺ - فاطمة - ط ١٣٧٧هـ، بيروت.

(٢) ص ٢٦٤، الباب الثامن والسبعون في أن النبي زوج علياً وفاطمة بأمر الله تعالى، ط ١٤١٣/٤هـ، بيروت.

ثم إن الله أمرني أن أزوج فاطمة بنت خديجة من علي بن أبي طالب فاشهدوا أنني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي بن أبي طالب.

ثم دعا بطبق من بسر^(١) فوضعت بين أيدينا ثم قال انتهبوا فانتهبنا فبينما نحن ننتهب إذ دخل علي عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتنبَّسَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وجهه ثم قال: إن الله قد أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة إن رضيت بذلك.

فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله قال أنس فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع الله شملكما وأسعد جدكما وبارك عليكما وأخرج منكم كثيراً طيباً، قال أنس: فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب^(٢).

أقول:

هل علمت الآن يا من توالي الشيخين لماذا رجع أبو بكر وعمر بأذيالهما خائبين من خطبة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!

ألم تفكر وتساءل نفسك بأن في ذلك أمراً مهمّاً وسراً إلهياً وأن فاطمة ليست كبقية النساء؟!

ألم تسأل نفسك سبب موت ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم حال حياته القاسم والطيب والظاهر وإبراهيم عليه السلام؟!

فاعلم أن هؤلاء ماتوا حال حياته حتى تكون ذريته من ابنته فاطمة فقط.

ألا يدلنا ذلك على أن الإمامة لا تكون إلا في زوجها وذريتها!

فالنبي الأكرم كان يعلم أن ذريته ستنحصر في السيدة فاطمة، فلا بد أن تكون تلك الذرية طيبة، فلذلك اختار الله لها علياً عليه السلام من دون سائر الصحابة ولأن علياً يحمل جميع الصفات والمميزات تؤهله لأن يكون بعلاً لفاطمة، لذلك كان الإمام مختاراً من عند الله تعالى زوجاً لفاطمة عليها السلام.. وكان ذلك الزواج المبارك.

(١) البسر: التمر قبل إرطابه.

(٢) ذخائر العقبي لأحمد بن عبدالله الطبري، ص ٢٩-٣١، باب إن تزويج فاطمة علياً كان بأمر الله عز وجل، ط ١/١٤٠هـ، بيروت.

أعود لصلب الموضوع، فأقول:

يا من توالي الشيخين! عليك باختيار الأمر الأخير الذي ذكرناه وهو زواج الإمام علي بن أبي طالب من السيدة فاطمة عليها السلام وأنه كان بأمر من الله تعالى وأن هذا الزواج كان في السماء قبل أن يكون في الأرض وذلك كي تخرج شيخيك من الشرك الذي نصّبناه لهما وتفك القيد عن أيديهما وتطرح الأمور الأربعة التي ذكرناها عن كواهلها.

باب لولا حواء لم تكن أنثى زوجها

٤٦٣... عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال لولا حواء لم تكن أنثى زوجها الدهر.
٤٦٤... عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث
منها وقال رسول الله ﷺ لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخزن اللحم ولولا حواء
لم تكن أنثى زوجها الدهر.

قال النووي في شرح صحيح مسلم: لولا حواء لم تكن أنثى زوجها الدهر) أي لم
تخنه أبداً... ومعنى هذا الحديث أنها أم بنات آدم فأشبهتها ونزع العرق لما جرى لها في
قصة الشجرة مع إبليس فزين لها أكل الشجرة فأغواها فأخبرت آدم بالشجرة فأكل منها.
قوله ﷺ (لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخزن اللحم)... وهو إذا تغير وأنتن.
قال العلماء: معناه أن بني إسرائيل لما أنزل الله عليهم المن والسلوى نهوا عن ادخارها
فادخروا ففسد وأنتن واستمر من ذلك الوقت والله أعلم^(١).

أقول:

اعلم أخي الكريم أن فساد الأغذية عموماً ناتج عن فعل الجراثيم المختلفة فيها، وأن
هذه الجراثيم تحتاج في حياتها إلى الغذاء والهواء والرطوبة والحرارة، واللحم إذا ترك
مدة في الهواء الطلق الحار مثلاً وتحت الشمس يكون عرضة لتكاثر الجراثيم المختلفة

(١) المجلد ٥، ج ١٠، ص ٣١٣، ح ١١٤٦٨.

يفسد شكله وتتغير رائحته وينتن ثم يتفسخ وهذا أمر طبيعي لا دخل لبني إسرائيل فيه، ويشمل ذلك جميع الأغذية.

ثم ما الداعي لربط خيانة كل امرأة لزوجها بأمناء حواء!

فهل خيانة النساء شيء موروث غريزي وحواء كانت هي السبب في ذلك الموروث؟! فعلى هذا يجب أن لا تلام المرأة على خيانتها!

وهل واضع هذا الحديث أراد الانتقام لنفسه بسبب خيانة زوجته فقام بوضع هذا الحديث؟!!

وهل أبو هريرة نقل لنا عن تراث بني إسرائيل من خلال أقوال أستاذه كعب الأحبار الذي تتلمذ على يديه؟!!

فيآليته روى ذلك زمن عمر، إذ يقول الذهبي أن أبا هريرة كان يقول: إني لأحدث بأحاديث لو تكلمت بها في زمن عمر لشج رأسي^(١)!!

(١) سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٦٠١، ترجمة ١٢٦، ط ١١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

باب تحريم طلاق الحائض

٤٦٥.... عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض في عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك فقال له رسول الله ﷺ مره فليراجعها ثم ليتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله ﷻ أن يطلق لها النساء.

٤٦٦.... عن ابن عمر قال طلقت امرأتي على عهد رسول الله ﷺ وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فقال مره فليراجعها ثم ليدعها حتى تطهر ثم تحيض حيضة أخرى فإذا طهرت فليطلقها قبل أن يجامعها أو يمسكها فإنها العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء قال عبيدالله قلت لنافع ما صنعت التولية قال واحدة اعتد بها.

٤٦٧.... عن نافع أن ابن عمر طلق امرأته وهي حائض فسأل عمر النبي ﷺ فأمره أن يرجعها ثم يمهلها حتى تحيض حيضة أخرى ثم يمهلها حتى تطهر ثم يطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء قال فكان ابن عمر إذا سئل عن الرجل يطلق امرأته وهي حائض يقول أما أنت طلقتها واحدة أو اثنتين إن رسول الله ﷺ

أمره أن يرجعها ثم يمهلها حتى تحيض حيضة أخرى ثم يمهلها حتى تطهر ثم يطلقها قبل أن يمسه وأما أنت طلقته ثلاثاً فقد عصيت ربك فيما أمرك به من طلاق امرأتك وبانت منك.

٤٦٨... عن ابن سيرين قال مكثت عشرين سنة يحدثني من لا أتهم أن ابن عمر طلق امرأته ثلاثاً وهي حائض فأمر أن يرجعها فجعلت لا أتهمهم ولا أعرف الحديث حتى لقيت أبا غلاب يونس بن جبير الباهلي وكان ذا ثبوت فحدثني أنه سأل ابن عمر فحدثه أنه طلق امرأته تطليقة وهي حائض فأمر أن يرجعها قال قلت أفحسبت عليه قال فمه أو إن عجز واستحقم.

٤٦٩... عن قتادة قال سمعت يونس بن جبير قال سمعت ابن عمر يقول طلقت امرأتي وهي حائض فأتى عمر النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ ليراجعها فإذا طهرت فإن شاء فليطلقها قال فقلت لابن عمر أفاحتسبت بها قال ما يمنعه رأيت إن عجز واستحقم.

أيعقل ذلك! هذا الذي كان يفتي في المدينة وكان الجميع يأخذ بقوله، هذا الذي كان يحدث عن رسول الله ﷺ طيلة سنوات عمره وقد امتلأت كتب أهل الحديث من رواياته لا يحسن طلاق امرأته؟!

لقد أخطأ عبدالله بن عمر بن الخطاب فطلق امرأته في الحيض، نعم لقد جاء ابن عمر بمخالفة كبيرة فأغضبت النبي الأكرم!

ثم بالله عليك كيف نأخذ من هذا الصحابي معالم ديننا وهو لا يحسن طلاق امرأته؟! ألم تعلم أخي القارئ الكريم إن فاقد الشيء لا يعطيه؟
والشيء بالشيء يذكر:

عن قتادة قال سئل عمر بن الخطاب عن رجل طلق امرأته في الجاهلية تطليقتين وفي الإسلام تطليقة فقال لا أمرك ولا أنهاك فقال عبدالرحمن لكنني أمرك ليس طلاقك في الشرك شيء^(١).

(١) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٤٨٢، ط دار الفكر، بيروت.

لاحظ أن عمر بن الخطاب أيضاً كابنه عبدالله لا يعرف أحكام الطلاق ولكن لحسن
الحظ أن عبدالرحمن تدارك ذلك الموقف الصعب وفي الوقت المناسب فأنقذ عمر بن
الخطاب من موقفه الحرج.

باب طلاق الثلاث

٤٧٠... عن ابن عباس قال كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيته عليهم فأمضاه عليهم.

٤٧١... أبا الصهباء قال لابن عباس أتعلم أنما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر فقال ابن عباس نعم.

٤٧٢... عن طاوس أن أبا الصهباء قال لابن عباس هات من هناتك ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر واحدة فقال قد كان ذلك فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم.

قال النووي في شرحه: وفي رواية عن أبي الصهباء أنه فقال لابن عباس أتعلم إنما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر فقال ابن عباس نعم وفي رواية أن أبا الصهباء قال لابن عباس هات من هناتك ألم يكن طلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر واحدة فقال قد كان ذلك فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم... أما حديث ابن عباس فاختلف العلماء في جوابه وتأويله، فالأصح أن معناه أنه كان في أول الأمر إذا قال لها أنت طالق أنت طالق أنت طالق ولم ينو تأكيداً ولا استئنافاً يحكم بوقوع طلقة لقلة إرادتهم الاستئناف بذلك فحمل على الغالب الذي هو إرادة التأكيد فلما كان في زمن عمر رضي الله عنه وكثر استعمال الناس بهذه

الصيغة وغلب منهم إرادة الاستئناف بها حملت عند الإطلاق على الثلاث...^(١).

نعم! لقد جعل عمر رأيه مقابل النص النبوي والحكم الإلهي قال عز من قائل
﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ البقرة/٢٢٩.

ويقول تعالى: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا مَحْلُ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ البقرة/٢٣٠.

فعلى ضوء هذه الآيات الكريمة يجب أن يتحقق الطلاق مرتين وفي المرة الثالثة تحرم الزوجة على الزوج ولا يجوز الجمع بين التطليقات الثلاث بتكرارها متعاقبة كما هو المتعارف عند أهل العامة فالآيات تصرح بعكس ذلك.

يقول ابن تيمية: إن جمع الثلاث ليس بمشروع ودلائل تحريم الثلاث كثيرة قوية من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار^(٢).

ويقول شيخ النواصب أيضاً:

أما امرأة رفاعة طلقها زوجها ثلاثاً وبأن الملاعن طلق امرأته ثلاثاً ولم ينكر النبي ﷺ ذلك وأجاب الأكثرون بأن حديث فاطمة وامرأة رفاعة إنما طلقها ثلاثاً متفرقات، هكذا ثبت في الصحيح، أن الثالثة كانت آخر ثلاث تطليقات. لم يطلق ثلاثاً لا هذا ولا هذا مجتمعات، وقول الصحابي: أطلق ثلاثاً يتناول ما إذا طلقها ثلاثاً متفرقات بأن يطلقها ثم راجعها ثم يطلقها ثم يراجعها ثم يطلقها ثم يراجعها ثم يطلقها وهذا طلاق سني واقع باتفاق الأئمة وهو المشهور على عهد رسول الله ﷺ في معنى الطلاق ثلاثاً وأما جمع الثلاث بكلمة فهذا كان منكراً عندهم^(٣).

(١) المجلد ٥، ج ١٠، ص ٣٢٦، ح ١٤٧٢.

(٢) الفتاوى الكبرى، ج ٣، ص ١٩، ط دار المعرفة، بيروت.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ١٧.

باب وجوب الكفارة على من حرم امراته

٤٧٣... عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يخبر أنه سمع عائشة تخبر أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً قالت فتواطيت أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها النبي ﷺ فلتقل إني أجد منك ريح مغاير أكلت مغاير فدخل على إحداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزل ﴿لِمَ حُرِّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغَىٰ مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ مَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ لقوله بل شربت عسلاً.

٤٧٤... عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل فكان إذا صلى العصر دار على نساءه فيدنو منهن فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت رسول الله ﷺ منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغاير فإنه سيقول لك لا فقولي له ما هذه الريح وكان رسول الله ﷺ ييشدد عليه أن يوجد منه الريح فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرت نحل العرطف وسأقول ذلك له وقوليه أنت يا صفية فلما

دخل على سودة قالت تقول سودة والذي لا إله إلا هو لقد كدت أن أبادنه بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب فرقاً منك فلما دنا رسول الله ﷺ قالت يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت بمثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله ألا أسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة سبحان الله والله لقد حرمناه قالت قلت لها اسكتي.

قال الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه: (فتواطيت أنا وحفصة) من التواطؤ وهو التوافق.

(أن أيتنا ما دخل عليها النبي ﷺ فلتقل... أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير...)
المغافير... صمغ حلوا له رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط.

قال القاضي عياض وزعم المهلب أن رائحة المغافير والعرفط حسنة وهو خلاف ما يقتضيه الحديث وخلاف ما قاله أهل اللغة.

... العرفط شجر العضاة والعضاة كل شجر له شوك وإذا استيك به كانت له رائحة حسنة تشبه رائحة طيب النبيذ وعلى هذا فيكون ريح عيدان العرفط طيباً وريح الصمغ الذي يسيل منه غير طيبة ولا منافاة في ذلك.

(قال بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش)... أي لم أكل مغافير بل شربت عسلاً.
قال النووي:... إن المتظاهرتين عليه عائشة وحفصة وكذلك ثبت في حديث عمر بن الخطاب وابن عباس أن المتظاهرتين عائشة وحفصة.

(أما والله لنحتالن له)... احتال عليه طلب منه الشيء بالحيلة والحيلة وسيلة بارعة تحيل الشيء عن ظاهره.

(سبحان الله)... للتحسر.

(والله لقد حرمناه)... أي منعناه من العسل.

(قلت لها اسكتي) أي لا تثيري هذا الموضوع خشية أن يفشو ذلك فيظهر ما دبر من

ويقول ابن حجر في شرحه: لما قالت لها اسكتي... أطاعتها وسكتت... كانت تهابها لما تعلم من مزيد حب النبي ﷺ لها أكثر منهن فخشيت إذا خالفتها أن تغضبها وإذا أغضبتها لا تأمن أن تغير عليها خاطر النبي ﷺ ولا تحتفل ذلك فهذا معنى خوفها^(٢).

إنا لله وإنا إليه راجعون كيف يصدر مثل هذا الكلام من شارح كابن حجر وكأن شغل النبي هو عائشة وشغل الشراح عائشة وغيرها والغلو في ذكرها وذكر محاسنها وحب النبي لها فلا شغل ولا عمل لهم إلا عائشة وعائشة قامت وعائشة حاربت إمام زمانها وعائشة كانت في قبلة النبي وعائشة صرحت بذلك.

ثم لاحظ قول ابن حجر أن حفصة خافت من عائشة من أن تغير طباع النبي عليها وخاطره أي أن عائشة سوف تتكلم على حفصة وتسقطها من عين النبي ولو بالكذب عليه ثم ما هذا النبي الذي تسيطر على أخلاقه ونفسيته امرأة كعائشة.

نعم! عائشة وحفصة اتفقتا بالمظاهرة على النبي الأكرم وكذبنا على النبي بأن رائحة فمه كريهة ولكي نصل إلى ما نصبو إليه ويكتمل الموضوع فاقراً ما بعده.

(١) فتح المنعم، ج ٦، ص ٦٩-٧٢، ح ٣٣٢٥٥.

(٢) فتح الباري، ج ٩، ص ٣٨٠، ح ٥٢٦٨.

باب بيان أن تخبير امرأته لا يكون طلاق

٤٧٥... عن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً قال فقال لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ فقال يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقلت إليها فوجأت عنقها فضحك رسول الله ﷺ وقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده فقلن والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ﴾ حتى بلغ ﴿الْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك امرأة أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً.

قال الأبي في شرحه: (واجماً) الواجم من اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام.
(لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ فيه) أنه يستحب لمن وجد صاحبه مهموماً أن يفعل مثل هذا وما تطيب به نفسه.

فوجأت عنقها أي دقه... يشبه الطعن والغمز.

(فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها) فعلهما بابتنيهما ذلك هو مبالغة في تأديبهن كذلك غضب رسول الله عليهن... فإنهن أكثرن عليه وتبسطن معه تبسطاً تعدين فيه ما يليق باحترامه وإعظامه عليه الصلاة والسلام وحملهن على ذلك كرم أخلاقه ﷺ وربما امتدت عين بعضهن إلى متاع الدنيا ولذلك أمر بتخييرهن بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة.

أسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك هذا قول أخرجته الغيرة وحرصها على انفرادها به وكأنها توقعت إذا لم يخبر أحداً من زوجاته يمكن فيهن من تختار الدنيا فيفارقها وإنهن إذا سمعن باختيار عائشة تبعنها في ذلك وكذلك وقع.

قوله (لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها) وقع له ﷺ أنه إذا سألته واحدة منهن عن فعل عائشة فلم يخبرها كان ذلك نوعاً من العنت وإدخال الضرر والمشقة عليهن بسبب إخفائه ما سئل عنه، فقال مجيباً إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً وميسراً ووجه التيسير في ذلك أنه إذا أخبرها اقتدى بها غيرها من أزواجه، وسهل عليها اختيار الله ورسوله والدار الآخرة، وأصل العنت التعب والمشقة، والمعنت هو الذي يوقع العنت بغيره، والمتعنت هو الذي يحمل غيره على العمل بها^(١).

لاحظ حزن رسول الله ﷺ، هذا الذي جاء ليحل مشاكل العالم ومنهم الأوس والخزرج والحروب الطاحنة التي كانت بين هاتين القبيلتين فقام بحلها النبي الأكرم وبكل بساطة يصعب عليه حل مشاكل زوجاته المشاكسات فبقي حيراناً في أمره لذا رآه الشيخان واجماً حزيناً.

وأنا لا أعلم ما فائدة أن أبا بكر يغمز ويعطن عنق عائشة وصاحبه عمر أيضاً يعطن ويغمز عنق حفصة وكأن المشكلة سوف تحل بهكذا تصرف.

فابق معنا أخي الكريم وأقرأ ما بعده.

(١) إكمال إكمال المعلم، ج ٥، ص ٢١٠، ح ١٤٧٨.

باب في الإيلاء واعتزال النساء

٤٧٦... عن سماك أبي زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه قال دخلت المسجد فإذا الناس يكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب فقال عمر فقلت لأعلمن ذلك اليوم قال فدخلت على عائشة فقلت يا بنت أبي بكر أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ فقالت مالي وما لك يا ابن الخطاب عليك بعبيتك قال فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها يا حفصة أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ﷺ والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك ولولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ فبكت أشد البكاء فقلت لها أين رسول الله ﷺ قالت هو في خزانته في المشربة فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ قاعداً على أسكفة المشربة مدل رجله على نكير من خشب وهو جذع يرقى عليه رسول الله ﷺ وينحدر فناديت يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلي فلم يقل شيئاً ثم قلت يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلي فلم يقل شيئاً ثم رفعت صوتي فقلت يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ فإني أظن أن رسول الله ﷺ ظن أنني جئت من أجل حفصة والله لئن أمرني رسول الله ﷺ بضرب عنقها لأضربن عنقها ورفعت صوتي فأوماً إلي أن ارقه فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه فنظرت ببصري في خزانة رسول

الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرطاً في ناحية الغرفة وإذا أفيق معلق قال فابتدرت عيناى قال ما يبكيك يا ابن الخطاب قلت يا نبي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله ﷺ وصفوته وهذه خزانك فقال يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا قلت بلى قال ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولى الذى أقول ونزلت هذه الآية آية التخيير ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّا كُنَّ﴾ ﴿وَإِنْ تَطَهَّرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي ﷺ فقلت يا رسول الله أطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى يقولون طلق رسول الله ﷺ ونساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن قال نعم إن شئت فلم أزل أحدثه حتى تحسر الغضب عن وجهه وحتى كشر فضحك وكان من أحسن الناس ثغراً ثم نزل نبي الله ﷺ ونزلت فنزلت أنشبت بالجذع ونزل رسول الله ﷺ كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده فقلت يا رسول الله إنما كنت في الغرفة تسعة وعشرين قال إن الشهر يكون تسعاً وعشرين فقامت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه ونزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله ﷻ آية التخيير.

٤٧٧.... عبيد بن حنين أنه سمع عبدالله بن عباس يحدث قال مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجباً فخرجت معه فلما رجع فكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له فوقف له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ من أزواجه فقال تلك حفصة وعائشة قال فقلت له والله إن كنت لأريد أن أسالك عن هذا منذ سنة

فما أستطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت أن عندي من علم فسلفني عنه فإن كنت أعلمه أخبرتك قال وقال عمر والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم قال فبينما أنا في أمر أأتمره إذ قالت لي امرأتي لو صنعت كذا وكذا فقلت لها ومالك أنت ولما ها هنا وما تكلفك في أمر أريده فقالت لي عجباً لك يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان قال عمر فأخذ ردائي ثم أخرج مكاني حتى أدخل على حفصة فقلت لها يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان فقالت حفصة والله إنا لتراجعه فقلت تعلمين أنني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله يا بنية لا يغرنك هذه التي قد أعجبها حسننها وحب رسول الله ﷺ إياها ثم خرجت حتى أدخل على أم سلمة لقرايتي منها فكلمتها فقالت لي أم سلمة عجباً لك يا ابن الخطاب قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه قال فأخذتني أخذاً كسرني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر وإذا غاب كنت أنا آتية بالخبر ونحن حينئذ نتخوف ملكاً من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا فقد امتلأت صدورنا منه فأتى صاحبي الأنصاري يدق الباب وقال افتح افتح فقلت جاء الغساني فقال أشد من ذلك اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه فقلت رغم أنف حفصة وعائشة ثم أخذ ثوبي فأخرج حتى جئت فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له يرتقي إليها بعجلة وغلام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرجة فقلت هذا عمر فأذن لي قال عمر فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله ﷺ وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من آدم حشوها ليف وإن عند رجله قرظاً مضبوراً وعند رأسه أهياً معلقة فرأيت أثر الحصرير في جنب رسول الله ﷺ فبكيك فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله فقال رسول الله ﷺ أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولك الآخرة.

٤٧٨.... عن يحيى بن سعيد سمع عبيد بن حنين وهو مولى العباس قال سمعت ابن عباس يقول كنت أريد أن أسأل عمر عن المرأتين التين تظاهرتا على عهد رسول الله ﷺ فلبثت سنة ما أجد له موضعاً حتى صحبته إلى مكة فلما كان بمر الظهران ذهب يقضي

حاجته فقال أدركني بإداوة من ماء فأتيته بها فلما قضى حاجته ورجع ذهبت أصب عليه وذكرت فقلت له يا أمير المؤمنين من المرأتان فما قضيت كلامي حتى قال عائشة وحفصة.

ولكي لا نطيل على القارئ نحاول أن نختصر:

إن عمر بن الخطاب ينصح ابنته حفصة ويقول لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحب رسول الله!

أقول:

هذا الحب البارز معالمة لدى النبي بالنسبة لعائشة مخالف للعدالة التي أمرنا الله تعالى بها ويجب عدم إظهار هذا الحب الجامح أمام الغير وصحيح أن الله تعالى يقول ﴿وَلَكِنْ قَسَّطَيْمُوْا أَنْ تَعْدِلُوْا بَيْنَ الْإِنْسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَجِيْلُوْا كَلَّ الْمَيْلِ﴾ النساء/١٢٩، ويعني بذلك الميل القلبي نحو هذه أو تلك وهذا الميل لا يجب إبرازه للأخريات وذلك لتحقيق العدالة بينهن، بينما ميل النبي الأكرم لعائشة قد علم به القاضي قبل الداني فجميع الصحابة كانوا يعلمون بذلك الميل وحتى قبل رحيله إلى الملاء الأعلى كان يبين ذلك الميل في قوله أين أنا غداً وذلك عندما استأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة كما تزعم.

ويقول عمر: دخلت على أم سلمة فكلمتها فقالت لي عجباً لك يا ابن الخطاب قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه فأخذتني أخذاً كسررتني عن بعض ما كنت أجد.

أي أن أم سلمة أخذت تعنف عمر وتكلمه بلهجة شديدة حتى جعلت عمر لا يعرف يمينه من شماله ونسي ما كان في جعبته من قول ونصيحة.

ويقول الأستاذ الدكتور لاشين في فتح المنعم: وفي رواية قالت (أم سلمة) يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت^(١).

واعلم أن النبي كان غاضباً على عائشة وحفصة وكان غير راض عنهما بسبب

(١) ج٦، ص٩٨، ح٣٣٢٦٨.

أعمالهما المتكررة وتعاونهما عليه في مواضع عدة وسنذكر ذلك كل في محله ومن يغضب النبي فقد أغضب الله ﷻ.

ثم بالله عليك من يخبر زوجته بأنها سواء تطلقت منه أو مكثت عنده فكل ذلك على حد سواء عنده هل يحب زوجته كما يدعي أهل العامة وما قيل في عائشة؟

وقول عمر بن الخطاب كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم فهل يريد عمر أن يقول أن نساء النبي كن كذلك؟! نعم إن عمر يريد هذا المعنى!

ولندخل في صلب الموضوع وأسباب نزول آيات التحريم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ التحريم/١.

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً قالت فتواطأت أنا وحفصة أن آيتنا ما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على إحدهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له. فنزل ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى قوله ﴿إِنْ نُبَأَ﴾ لعائشة وحفصة.

عن ابن عباس عن عمر: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم ولده مارية في بيت حفصة فوجده حفصة معها - وكانت حفصة غابت إلى بيت أبيها - فقالت له: تدخلها بيتي! ما صنعت بي هذا من بين نساءك إلا من هواني عليك فقال لها لا تذكرني هذا لعائشة فهي علي حرام إن قريتها قالت حفصة وكيف تحرم عليك وهي جاريتك؟ فحلف لها ألا يقربها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تذكره لأحد فذكرته لعائشة فألّى لا يدخل على نساءه شهراً فاعتزلهن تسعاً وعشرين ليلة فأنزل الله عز وجل لم تحرم ما أحل الله لك الآية.

وأما من روى أنه حرم مارية القبطية فهو أمثل في السند وأقرب إلى المعنى لكنه لم يدون في الصحيح^(١).

(١) ج ١٠، ص ٦٦٥٨.

ويقول القرطبي: قلت أكثر المفسرين على أن الآية نزلت في حفصة لما خلا النبي ﷺ في بيتها بجاريته ذكره الثعلبي وعلى هذا فكأنه قال لا يحرم عليك ما حرّمته على نفسك ولكن عليك كفارة يمين وإن كان في تحريم العسل والجارية أيضاً فكأنه قال لم يحرم عليك ما حرّمته ولكن ضمنت إلى التحريم يميناً فكفر عن اليمين وهذا صحيح فإن النبي ﷺ حرم ثم حلف كما ذكره الدارقطني وذكر البخاري معناه في قصة العسل عن عبيد ابن عمير عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يشرب عند زينب بنت جحش عسلاً ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل أكلت مغاير إنني لأجد منك ريح مغاير قال لا ولكن شربت عسلاً ولن أعود له وقد حلفت لا تخبري [بذلك] أحداً يبتغي مرضات أزواجه فيعني بقوله (ولن أعود إليه) على جهة التحريم. وبقوله

(حلفت) أي بالله، بدليل أن الله تعالى أنزل عليه عند ذلك معاتبته على ذلك وحوالته على كفارة اليمين بقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِعَرْتُهُمْ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ يعني العسل المحرم بقوله (لن أعود له) ﴿تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي تفعل ذلك طلباً لرضاهن ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غفور لما أوجب المعاتبة رحيم برفع المؤاخذه وقد قيل إن ذلك كان ذنباً من الصغائر! والصحيح أنه معاتبة على ترك الأولى وأنه لم تكن له صغيرة ولا كبيرة^(١).

وقال القرطبي أيضاً: قال تعالى ﴿وَإِذْ أَسْرَأْتِنِي إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ قال اطلعت حفصة على النبي ﷺ مع أم إبراهيم فقال لا تخبري عائشة وقال لها إن أباك وأباها سيملكان أو سيليان بعدي فلا تخبري عائشة قال فانطلقت حفصة فأخبرت عائشة فأظهره الله عليه فعرف بعضه وأعرض عن بعض قال أعرض عن قوله إن أباك وأباها يكونان بعدي كره رسول الله ﷺ أن ينشر ذلك في الناس ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ أي أخبرت به عائشة لمصافاة كانت بينهما وكانتا متظاهرتين على نساء النبي ﷺ ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي أطلعه الله على أنها قد نبت به... ومعنى ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ عرف حفصة بعض ما أوحى إليه من أنها أخبرت عائشة بما نهاها عن أن تخبرها وأعرض عن بعض تكراً قاله السدي وقال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ وقال مقاتل يعني أخبرها ببعض ما قالت لعائشة وهو حديث أم ولده... ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ أي لم يعرفها إياه...

(١) نفس المصدر السابق، ص ٦٦٦٣.

وجازاها النبي ﷺ بأن طلقها طليقة واحدة فقال عمر لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله ﷺ طلقك... واعتزل النبي ﷺ نساء شهرأ وقعد في مشربة مارية أم إبراهيم حتى نزلت آية التحريم على ما تقدم.

... ﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا بِوَيْءٍ﴾ أي أخبر حفصة ما أظهره الله عليه ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ يا رسول الله مني فلظنت بأن عائشة أخبرته فقال ﷺ ﴿نَبَأَنِي الْعَلِيُّمُ الْخَيْرُ﴾ أي الذي لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى ﴿إِنْ نُؤْبَأَ إِلَى اللَّهِ﴾ يعني حفصة وعائشة حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل إلى خلاف محبة رسول الله ﷺ ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي زاغت ومالت عن الحق وهو أنهما أحبتا ما كره النبي ﷺ من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان ﷺ يحب العسل والنساء قال ابن زيد مالت قلوبهما بأن سرهما أن يحتبس عن أم ولده فسرهما ما كرهه رسول الله ﷺ.

قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَطَهَّرَا عَلَيْهِ﴾ أي تتظاهرا وتتعاوننا على النبي ﷺ بالمعصية والإيذاء.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَانُ﴾ أي وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما^(١).

ويقول:.... وروى شقيق عن عبدالله عن النبي ﷺ في قوله الله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَانُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال إن صالح المؤمنين أبو بكر وعمر وقيل هو علي عن أسماء بنت عميس قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ علي بن أبي طالب.

... ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾... ومعنى (ظهير) أعوان... كان التظاهر منهما في التحكم على النبي ﷺ في النفقة ولهذا آلى منهن شهرأ واعتزلهن^(٢).

ويقول: قوله تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ﴾... كل عسى في القرآن واجب إلا هذا، وقيل هو واجب ولكن الله بَرَّكَانَ علقه بشرط وهو التطلق ولم يطلقهن ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُمْ﴾ لأنكن لو كنتن خيرا منهن ما طلقكن رسول الله ﷺ... وقيل: هذا وعد من الله تعالى

(١) نفس المصدر السابق، ص ٦٦٦٨.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٦٦٧.

لرسول ﷺ لو طلقهن في الدنيا أن يزوجه في الدنيا نساء خيراً ممنهن... والله كان عالماً بأنه كان لا يطلقهن ولكن أخبر عن قدرته على أنه إن طلقهن أبدله خيراً ممنهن تخويفاً لهن... قوله تعالى ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ يعني مخلصات... ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مصدقات بما أمرن به ونهين عنه ﴿فَتِينَاتٍ﴾ مطيعات والقنوت الطاعة... ﴿تَائِبَاتٍ﴾ أي من ذنوبهن... وقيل راجعت إلى أمر رسول الله ﷺ تاركات لمحاب أنفسهن ﴿عَبِيدَاتٍ﴾ أي كثيرات العبادة لله تعالى... ﴿سَّخِيَّاتٍ﴾ صائمات... ﴿تَائِبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ أي ممنهن ثيب وممنهن بكر^(١).

قال الثعلبي في تفسيره: عبيد بن عمير قال سمعت عائشة زوج النبي ﷺ تخبر أن رسول الله كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً قالت فتواطأت أنا وحفصة أبتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل إنني أجد منك ريح مغافير فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ الآيات.

قالوا: وكان رسول الله ﷺ قسم الأيام بين نسائه فلما كان يوم حفصة قالت يا رسول الله إن لي إلى أبي حاجة تفقه لي عنده فأذن لي أن أزوره وآتي فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى جاريته مارية القبطية أم إبراهيم - وكان قد أهداها المقوقس - فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فأنت حفصة فوجدت الباب مغلقاً فحبست عند الباب فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقاً وحفصة تبكي فقال ما يبكيك قالت إنما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي أما رأيت لي حرمة وحقاً؟ ما كنت تصنع هذا بامرأة ممنهن؟ فقال رسول الله ﷺ أليس هي جاريتي قد أحلها الله لي؟ اسكتي فهي حرام علي ألتمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة ممنهن هو عندك أمانة.

فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك أن رسول الله قد حرم عليه أمته مارية فقد أراحنا الله منها فأخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي ﷺ فغضبت عائشة فلم تنزل بنبي الله حتى حلف أن لا يقربها فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ يعني العسل ومارية.

(١) نفس المصدر السابق، ص ٦٦٧٣.

﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَيَاتًا﴾ وهو تحريمه ﷺ فتاته على نفسه وقوله لحفصة لا تخبري بذلك أحداً.

﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ خبرت بالحديث الذي أسر إليها رسول الله ﷺ صاحبته.

﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي وأطلع الله نبيه ﷺ على أنها قد نبأت به.

﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ عرف بعض ذلك ما فعلت الفعل الذي فعلته من إفشاء سره أي غضب من ذلك وجازاها به من قول القائل لمن أساء إليه لأعرفن لك بمعنى لأجازينك عليه.

قالوا وجازاها رسول الله ﷺ بأن طلقها فلما بلغ ذلك عمر قال لو كان في آل عمر خير لما طلقك رسول الله شهراً فجاءه جبرائيل عليه السلام وأمره بمراجعتها واعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير... ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ يعني إنه لم يعرفها إياه ولم يخبرها به.

﴿إِنْ نُوبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي زاغت ومالت واستوجبتما التوبة.

وقال ابن زيد مالت قلوبهما بأن سرهما أن يجتنب رسول الله ﷺ جاريته وذلك لهما موافق فسرهما ما كره رسول الله^(١).

ويقول الثعلبي: ﴿وَإِنْ تَظْهَرَا﴾ تعاوننا على أذى النبي ﷺ... ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَهُ﴾ وليه وحافظه وناصره، ﴿وَجَبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾... حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب حدثني رجل ثقة يرفعه إلى علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الله تعالى ﴿وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هو علي بن أبي طالب ﷺ.

أخبرنا عبدالله بن حامد الوران أخبرنا عمر بن الحسن حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا أبي حدثنا حصين عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن أسماء بنت عميس قالت سمعت النبي ﷺ يقول وصالح المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

وقال الكلبي: هم المخلصون الذين ليسوا بمنافقين.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ﴾ داعيات وقيل

(١) الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، ج ٩، ص ٣٤٦، سورة التحريم/١-٣.

مصليات ﴿تَبَيَّنَتْ عَيْدَاتِ سَيِّحَتِ﴾ يسحن معه حيشما ساح وقيل صائمات، ﴿تَبَيَّنَتْ وَأَنْكَارًا﴾ والآية واردة في الإخبار عن القدرة لا عن الكون في الوقت لأنه تعالى قال ﴿إِنْ طَلَّقَنَّ﴾ وقد علم أنه لا يطلقهن وهذا قوله ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ فهذا إخبار عن القدرة وتخويف لهم^(١).

وقال الخطيب في تفسيره: ويذكر المفسرون لهذه الآية وما بعدها أسباباً لنزولها.. ومن الأسباب التي يذكرونها والتي نراها أقرب إلى مفهوم الآيات من غيرها ما يروى من أن رسول الله ﷺ حين أهديت له مارية القبطية أدخلها ذات مرة حجرة زوجه حفصة بنت عمر وكانت حفصة غائبة فلما جاءت ووجدت النبي ومارية في حجرتها غضبت وقالت فيما قالت للنبي إنه ما اتخذ حجرتها مأوى لمارية دون حجرات غيرها من نسائه إلا لهوانها عليه فأرضاه النبي الكريم وحلف لها ألا يقرب مارية بعد هذا وأوصاها أن لا تتحدث بما كان إلى أحد من نسائه حتى لا تثير غيرتهن في أمر قد قضى النبي قضاءه فيه وهو تحريم مارية.

قالوا ولكن الذي حدث هو أن حفصة أذاعت هذا السر وافضت به إلى عائشة... وكان من هذا حديث متصل يدور بين أزواج النبي تألم منه النبي وضاق به صدره فألى من نسائه جميعاً ألا يقربهن شهراً.

وفي هذا نزلت الآية ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَحْرَمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ والآيات التي بعدها.

وقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَحْرَمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ ليس عتاباً كما يبدو وإنما هو دعوة من الله سبحانه وتعالى في - لطف ورفق - إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه ألا يحرم ما أحل الله له وألا يشق على نفسه بالأخذ باليمين الذي حلف بها وقد جعله الله سبحانه وتعالى في سعة من أمره بالتحلة من هذه اليمين وذلك بالكفارة عنها.

وقوله تعالى ﴿تَبَيَّنَى مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ﴾ حال من فاعل الفعل تحرم وهو النبي صلوات الله وسلامه عليه أي لم تحرم ما أحل الله لك مبتغياً بهذا التحريم مرضاة أزواجك.

قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ هو دعوة للنبي الكريم إلى أن يتحلل من يمينه التي حلفها

(١) نفس المصدر السابق، ص ٣٤٩.

بألا يقرب مارية فالله سبحانه يغفر له هذه اليمين بالكفارة عنها والله سبحانه غفور وهو سبحانه رحيم وإن أولى الناس برحمة الله هو رسول الله فليرحم الرسول الكريم نفسه ولا يشق عليها بهذا التحريم لما أحل الله له في سبيل مرضاة أزواجه إذ كانت مرضاتهن عدواناً على حق النبي في التمتع بما أحل الله له.

وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ مَوْلَانَا﴾ إشارة إلى لطف الله سبحانه ورعايته لمواليه فالخلق كلهم عبيد الله والله سبحانه سيدهم ومولاهم.

في هذا إشارة إلى مارية التي كانت مولاة وملك يمين لرسول الله ﷺ ولم تكن زوجاً له بعد وأن مارية وغيرها من نساء النبي على سواء عند الله لأنهن جميعاً من موالي الله سبحانه وتعالى فلم ينظرن إلى مارية هذه النظرة التي يرينها فيها أبعد من أن تأخذ مكانها معهن في بيت رسول الله؟

قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَسْرَأْتِنِي إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ وَعَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

تعرض هذه الآية للحديث الذي أسره النبي إلى بعض أزواجه وهو كما أشرنا من قبل الحديث الذي أسر به النبي إلى حفصة وطلب إليها ألا تخبر أحداً من نساء وأنه التقى بمارية في حجرتها.

وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ أي أخبرت به غيرها وأعلنته بعد أن كان مستوراً وأظهرته بعد أن كان خافياً.

وفي التعبير عن كشف هذا السر بقوله تعالى ﴿نَبَّأَتْ بِهِ﴾ إشارة إلى ما كان لهذا الحديث عند إظهاره من أثر في بيت النبي وأنه أحدث هزة كشأن كل نبا لأن النبا هو الخبر المثير الذي يغطي على غيره من الأخبار.

وقوله تعالى ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ أي أعلم الله النبي بهذا الخبر الذي أذاعته حفصة على ما كان يجري بين نساءه من حديث بشأنه.

وقوله تعالى ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ هو جواب لما أي لما أذاعت حفصة هذا السر وأعلم الله النبي بما حدث ﴿عرف بعضه وأعرض عن بعض أي كشف للنبي عن

بعض هذا الحديث الذي أذاعته حفصة ولم يذكر لها كل ما دار بينها وبين من أفضت لها به وما اتفقتا عليه من كيد فيما بينهما وذلك حتى لا يجرح شعورها ولا يخدش حياءها فلم يرح لها بكل ما عرف بل أخبرها بهذا في إشارة دالة غير فاضحة فإن الكريم لا يستقصي ومن أكرم من سيد الكرماء عليه الصلاة والسلام؟

وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاهَا بِهِۦٓ قَالَتْ مَنۢ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَأَنِیَ الْعَلِیْمُ الْخَبِيرُ﴾ أي حين علمت حفصة من النبي أنه يعلم كثيراً مما دبرت هي وصاحبته من كيد سألت النبي عنمن أنبأ بهذا الحديث الذي كان بينها وبين صاحبته والذي لم يكن معهما من شهد ما تحدث به فقال لها النبي - صلوات الله وسلامه عليه - ﴿نَبَأَنِیَ الْعَلِیْمُ الْخَبِيرُ﴾ أي الذي أخبرني بما أسررتما هو الله سبحانه وهو العليم بكل شيء الخبير بما في السرائر من خير أو شر.

وقوله تعالى ﴿إِنۢ نُّوبَا إِلَىٰ اللّٰهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنۢ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِیلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِیْنَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهیرٌ﴾ هو دعوة إلى اللتين دبرتا هذا الكيد للنبي سواء أكانتا حفصة وعائشة أم غيرهما من أزواجه صلوات الله وسلامه عليه هو دعوة إليهما من الله سبحانه وتعالى أن يتوبا إليه جل شأنه مما كان منهما في حق النبي وفيها وقع في نفسه الشريفة من أذى من فعلهما وإن كانتا لم تقصدا النبي بأذى وإنما كان ذلك عن تنافس في حبه وحرص على أن تنال كل واحدة من نسائه أكبر قد من القرب منه والاستئطلال بظل جلال النبوة وعظمتها.

وقوله تعالى ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ هو سبب متصل بالشرط إن تتوبا إلى الله أي إن تتبما إلى الله إذ قد صغت قلوبكما أي مالت عن قصد السبيل ويكون الشرط دعوة أمره بالتقوى أي توبا إلى الله فقد صغت قلوبكما فإن تتبما إلى الله غفر لكما فجواب الشرط محذوف.

وقوله تعالى ﴿وَإِنۢ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِیلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِیْنَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهیرٌ﴾ أي وإن لم تتوبا إلى الله وتمضيا فيما أنتما فيه من كيد للنبي ومن تظاهرا بينكما وتساند في الكيد له فإن الله هو مولاه الذي يدفع عنه هذا الكيد وجبريل ظهر له وناصر بما ينزل عليه من آيات ربه وكذلك كل صالح من المؤمنين هو ظهير للنبي ومدافع عنه ثم الملائكة جميعاً هم عون النبي في كل موقف من مواقفه فجبريل والصالح

من المؤمنين والملائكة هم جميعاً جند الله وإذا كان الله سبحانه هو مولى لرسول الله فإن هؤلاء الجند هم في نصره من يتولاه الله.

وفي أفراد صالح المؤمنين إشارة إلى أن الذي يكون في هذا الركب الكريم الذي ينتظم الملائكة لا بد أن يكون على درجة عالية من الإيمان يكاد يرتفع بها إلى عالم الملائكة وهذا نفر وقليل من المؤمنين يعدون فرداً فرداً.

وقوله تعالى ﴿وَجِبْرِيلُ﴾... ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ﴾ معطوف عليه.

وقوله تعالى ﴿بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾... أي أن هؤلاء جميعاً هم بعد أن يدخل النبي في ولاية الله سبحانه وتعالى له يكونون سنداً وعوناً للنبي.

قوله تعالى ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَيَبَّتْ عَدِيَاتٍ سَخَّيَتْ تَيَبَّتْ وَأَبْكَرًا﴾ هو تهديد لأزواج النبي صلوات الله وسلامه عليه إن لم يستقم أمرهن معه وقد دعاهن الله سبحانه إلى التوبة ثم تهدهن إن هن تظاهرن على النبي أن الله سبحانه هو مولاه ولن يتخلى عنه وقد جعل له من جبريل ومن صالح المؤمنين ومن الملائكة أعواناً وجنداً يسندونه ويشدون ظهروه.

والتهديد هنا بطلاقهن وخروجهن من بيت النبوة ثم باختيار الله سبحانه وتعالى للنبي من النساء من هن أهل للسكن فيبيت النبي والاستئلال بظل النبوة^(١).

هؤلاء زوجات النبي الأكرم وخاتم الأنبياء وحبيب رب العالمين هؤلاء زوجات النبي اللائي كن يدخلن في مشاكل هو في غنى عنها ويشغلن عن أداء رسالته ويتظاهرن ويتعاون عليه فينشغل ويدخل معهن في متاهات فيترك معاشرتهن شهراً كاملاً عقاباً لهن.

نعم لقد كشف الله تعالى حقيقة عائشة وحفصة في كتابه الكريم وكذلك أهل التفسير والسنة النبوية الشريفة بينت أيضاً المؤامرة والمظاهرة على النبي وعلام هذه المؤامرة والمظاهرة؟! على الدنيا وزينتها ومتاعها الزائل هذا فضلاً عن الغيرة الجامحة التي كانت لدى عائشة وصاحبها حفصة ولكن أهل التفسير وشرح الحديث أدلوا بدلائهم فحاولوا إخراج هاتين المرأتين من معصيتهما ولكن دون جدوى فقد أجمعت الأمة واتفقت على

(١) التفسير القرآني للقرآن لعبدالكريم الخطيب، ج ٢٨، ص ١١٠٢٩، ط ١٩٧٠م، دار الفكر العربي.

أن المؤامرة كانت من عائشة وحفصة ضد النبي وكذلك أهل الصحاح المعتمدة كالبخاري ومسلم اتفقوا أيضاً على ما اتفقت عليه الأمة فالانتهامات كلها موجهة ضد هاتين المرأتين لا غيرهما.

وقد اتفقتا هاتان المرأتان في تشكيل حزب واحد ضد بقية زوجات النبي واتفقتا أيضاً على المؤامرة والمظاهرة على النبي الأكرم كما ذكرنا وقد كذبتا على الرسول الكريم في قولهما له إنا نشم منك رائحة المغافير وذلك بغية التفريق بين النبي وزوجه وكان هذا كما نعلم بدافع الغيرة الجامحة والبغض والحسد نعم ولعل كثيراً من المعالم قد طمستها عائشة بدافع البغض والغيرة والحسد والتي جاءت في فضائل أم المؤمنين خديجة بنت خويلد والإمام علي بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام ثم لماذا أفشت حفصة سر النبي ألم تعلم بأن رسول الله متصل بالملاء الأعلى وقد تأمرت حفصة مع امرأة عادية حالها كحال غيرها من النساء وعلى من تأمرت؟ على رسول الله وخاتم النبيين وسيد المرسلين ثم ألم تعلم حفصة أن لا شيء يخفى على رسول الله طالما أن جبريل يأتيه بخبر السماء ألم تعلم حفصة أن النبي متصل بالله بِرَبِّكَ وكل مخالفة منهن سيكشفها الله عاجلاً أو آجلاً وقول النبي لحفصة لا تخبري بذلك أحداً إنه الرسول يوصيها وصية خاصة وهذه قد خالفت أمر سيدها ونبيها وأفشت سره مباشرة ودون تأخير.

وأخيراً يقول ابن حجر: وكان الحامل لعمر ما وقع من شدة شفقتة وعظم نصيحتة فكان يبسط على النبي ﷺ فيقول له افعل كذا ولا تفعل كذا كقوله احجب نساءك وقوله لا تصل على عبدالله بن أبي!! وغير ذلك^(١).

نعم، وكقوله أيضاً يوم الحديبية ألسنا على الحق! وكان مصراً على دخول مكة عنوة ولو بقتال المشركين! وكقوله هجر رسول الله! حسبنا كتاب الله! لا تقدموا له الكتاب والدواة! إن النبي يهذي ويهذر! لقد خرف الرجل! دعوه وشأنه.

٤٧٩.... عن ابن عباس قال لم أزل حريصاً أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى ﴿إِنْ نُبَأَ إِلَى اللَّهِ فَفَدَّصَعَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حتى حج عمر وحججت معه فلما كنا ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداة فتبرز ثم أتاني فسكبت على

(١) فتح الباري، ج ٩، ص ٢٨٤، ح ٥١٩١، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل لابنته.

يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله ﷻ
 لهما ﴿إِنْ نُوُوا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ قال عمر واعجباً لك يا ابن عباس قال الزهري
 كره والله ما سأله عنه ولم يكتبه قال هي حفصة وعائشة ثم أخذ يسوق الحديث قال كنا
 معشر قريش قوماً تغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق
 نساؤنا يتعلمن من نساؤهم قال وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي فتغضبت
 يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك
 فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت
 على حفصة فقلت أتراجعين رسول الله ﷺ فقالت نعم فقلت أتتهجره إحدانك اليوم إلى
 الليل قالت نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن إحدانك أن يغضب
 الله عليها لغضب رسوله ﷺ فإذا هي قد هلكت لا تراجعني رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً
 وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ
 منك يريد عائشة قال وكان لي جار من الأنصار فكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ
 فينزل يوماً وأنزل يوماً فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتبه بمثل ذلك وكنا نتحدث أن
 غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي ثم أتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت
 إليه فقال حدث أمر عظيم قلت ماذا أجات غسان قال لا بل أعظم من ذلك وأطول
 طلق النبي ﷺ نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائناً حتى
 إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت
 أطلقكن رسول الله ﷺ فقالت لا أدري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة فأتيت غلاماً له
 أسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى
 انتهيت إلى المنبر فجلست فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلاً ثم
 غلبنني ما أجد ثم أتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال قد ذكرتك
 له فصمت فوليت مدبراً فإذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت
 على رسول الله ﷺ فإذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلقت يا
 رسول الله نساءك فرفع رأسه إلي وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر
 قريش قوماً تغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا

يتعلمن من نساءهم فتغضب على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ فإذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم منك وأحب إلى رسول الله ﷺ منك فتبسم أخرى فقلت استأنس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رايت فيه شيئاً يرد البصر إلا أهباً ثلاثة فقلت ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالساً ثم قال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله ﷻ قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضى تسع وعشرون ليلة دخل علي رسول الله ﷺ بدأ بي فقلت يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال إن الشهر تسع وعشرون ثم قال يا عائشة إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمرني أبويك ثم قرأ علي الآية ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَأُزْوِجَك﴾ حتى بلغ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قالت عائشة قد علم والله أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه قالت فقلت أو في هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة قال معمر فأخبرني أيوب أن عائشة قالت لا تخبر نساءك أنني اخترتك فقال لها النبي ﷺ إن الله أرسلني مبلغاً ولم يرسلني متعنتاً قال قتادة ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ مالت قلوبكم.

راجع ما قبله.

باب تحريم تولي العتيق غير مواليه

٤٨٠.... عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال خطبنا علي بن أبي طالب فقال من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة قال وصحيفة معلقة في قراب سيفه فقد كذب فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات وفيها قال النبي ﷺ المدينة حرم ما بين غير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً.

في هذه الرواية دليل قاطع على أن الصحابة كانوا يدونون أحاديث الرسول الأكرم هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا يكتبون الآيات التي كانت تنزل على نبينا الأكرم أولاً بأول، أي أن القرآن كان مجموعاً وليس كما يدعي أهل العامة بأن القرآن لم يكن مجموعاً بل كان مبعثراً هنا وهناك.

قال الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم: من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا

كتاب الله وهذه الصحيفة... فقد كذب أي من زعم أن عندنا شيئاً مكتوباً اختصصنا به عن الناس فقد كذب.

أسنان الإبل وأشياء من الجراحات المراد أسنان الإبل المتعلقة بالخراج أو المتعلقة بالزكاة أو ما هو أعم والمراد من الجراحات القصاص فيها أو أرشها.

المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، عير... جبل معروف بالمدينة أما ثور... جبل معروف في مكة.

فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً، أي من أتى فيها إثمًا أو آوى من أتاه وحماه فعليه لعنة الله... اللعن... الطرد والإبعاد... عن رحمة الله....

(صرفاً ولا عدلاً)... الصرف الفريضة والعدل النافلة^{١٠}.

راجع كتاب الحج باب فضل المدينة وباب من أراد أهل المدينة بسوء من كتابنا هذا.

(١) ج ٦، ص ١٧٥، ح ٣٣٥٣.

باب المساقاة والمعاملة

٤٨١.... عن ابن عمر قال أعطى رسول الله ﷺ خيبر بشطر ما يخرج من ثمر أو زرع فكان يعطي أزواجه كل سنة مائة وسق ثمانين وسقاً من تمر وعشرين وسقاً من شعير فلما ولي عمر قَسَمَ خيبرَ خَيْرَ أزواج النبي ﷺ أن يقطع لهن الأرض والماء أو يضمن لهن الأوساق كل عام فاختلفن فمنهن من اختار الأرض والماء ومنهن من اختار الأوساق كل عام فكانت عائشة وحفصة من اختارتا الأرض والماء.

٤٨٢.... عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما خرج منها من زرع أو ثمر واقتص الحديث بنحو حديث علي بن مسهر ولم يذكر فكانت عائشة وحفصة ممن اختارتا الأرض والماء وقال خير أزواج النبي ﷺ أن يقطع لهن الأرض ولم يذكر الماء.

قال الأستاذ الدكتور لاشين: كان اليهود يسكنون قرى حول المدينة وكانوا يكيّدون للإسلام ولنبيه وللمسلمين وكانوا يتحالفون مع قريش في الظلام ويظهرون المسالمة في النور وكانوا يعاهدون وينقضون العهد والميثاق يسكنون متعصبين في النضير وبني قريظة

وخبير فكانوا شوكة في ظهر المسلمين وكانت خبير أبعد بلادهم عن المدينة فتخلص المسلمون من بني النضير بمحاصرتهم وإخراجهم من ديارهم إلى الشام بما حملت رحالهم من أموالهم وتخلصوا من بني قريظة بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ونسائهم وفي السنة السابعة من الهجرة جاء دور خبير غزاهم الرسول ﷺ والمسلمون فتحصنوا بحصونهم المنيعة لكن الله فتحها للمسلمين بعد حصار دام بضع عشرة ليلة واستسلموا ولم يكن لهم إلا أن يرحلوا كما رحل بنو النضير أو يقتلوا كما قتل بنو قريظة فسألوا رسول الله ﷺ أن يقرهم عمالاً وزراعاً للأرض التي صارت ملكاً للمسلمين على نصف ما يخرج منها وقبل الرسول الكريم هذا العرض مؤقتاً كمعاهدة مرحلية لكنه ليس خادعاً ولا مخادعاً فقد قال في عهده لهم نفركم على ذلك مدة مشيئتنا فإن شئنا لم نفركم فوافقوا وظلوا يعملون بها على ذلك قرابة عشر سنين فنقضوا العهد وغشوا المسلمين الذين يراعون أموالهم هناك ورموا عبدالله بن عمر من فوق البيت فالتوت يده ورجلاه فأجلاه عمر إلى تيماء وأريحاء بالشام وأعاد أرض خبير لمن شهد هذه الغزوة من المجاهدين.

(عامل أهل خبير بشرط ما يخرج منها من ثمر أو زرع)... عامل أهل خبير على أرضها - أي على زراعتهم أرضهم - .

وخبير على وزن جعفر مدينة كبيرة ذات حصون منيعة وحولها مزارع ونخيل وافرة غنية بين المدينة والشام على نحو مائة وثلاثين ميلاً من المدينة تحصن بها اليهود داخل أسوارها حين غزاهم رسول الله ﷺ في أواخر المحرم سنة سبع من الهجرة حاصرهم بضع عشرة ليلة ثم فتحها الله واستسلم اليهود وأراد النبي ﷺ إخراجهم من خبير إلى الشام كما فعل ببني النضير لكنهم طالبوا رسول الله ﷺ أن يقرهم في ديارهم وأرضيهم التي صارت للمسلمين على أن يسقوا شجرها ويحرثوا أرضها ويرعوا زرعها والبذر ونفقات الرعاية من جانبهم ولرسول الله ﷺ والمسلمين نصف ما يخرج من الأرض من ثمر أو زرع.

(أعطى رسول الله ﷺ خبير بشرط ما يخرج... أعطى أهل خبير أرض خبير بشرط ما يخرج.

(فكان يعطي أزواجه كل سنة مائة وسق) أي فكانت نفقته على بيوته من ثمار خبير من ثمرها وشعيرها مائة وسق بضم الواو وفتحها وكسرهما مع سكون السين والوسق ستون

صاعاً والصاع خمسة أرتال وثلاث.

(فلما ولي عمر قسم خيبر)... فلما ولي عمر وعزم على إخراج اليهود من جزيرة العرب وأجلى أهل خيبر قسم أرضها على من كان شهد خيبر من المسلمين وكانوا يأخذون أسهماً من ثمرها وزرعها.

(خير أزواج رسول الله ﷺ)... وهذا التخيير من عمر تكريم منه لهن ﷺ.

(أن يقطع لهن الأرض والماء) أي يعطيهن أرضاً وماء للري بدل التمر والشعير.

(أو يضمن لهن الأوساق كل عام) في رواية البخاري أو يمضي لهن أي يجري لهن الأوساق التي كانت تجري عليهن أيام رسول الله ﷺ وأبي بكر وذلك بأن يعامل على أرضهن بالمساقاة والمزارعة ويحصل على الثمر والزرع لبيت المال، ويجري عليهن من بيت المال ما كان لهن من أوساق.

(فكانت عائشة وحفصة ممن اختارتا الأرض والماء)... وفي رواية البخاري وكانت عائشة اختارت الأرض على معنى اختارت أن يقطع لها سهمها أرضاً تتعامل عليها بالمساقاة والمزارعة^١.

بناء على ما قرأنا يتبين لنا أن النبي الأكرم كان قد قسم خيبر حال حياته بين المسلمين وكان من نصيب زوجاته كل سنة ثمانون وسقاً من تمر وعشرون وسقاً من شعير وبعد وفاته ﷺ كان أزواج النبي أيضاً يأخذن نصيبهن من ذلك إلى أن حكم عمر بن الخطاب فخير عائشة وحفصة فاخترتا الأرض والماء كما في الرواية، إذن كيف يقول أبو بكر نحن معاشر الأنبياء لا نورث؟!!

وكان النبي الأكرم قد أعطى فاطمة ؓ أرض فدك حال حياته أيضاً وعندما طالبت أبا بكر بإرجاع فدك أجابها إن الأنبياء لا يورثون وأدخل فدكاً في صدقات المسلمين.

فالسؤال: لماذا لم يردها على فاطمة بعد أن طالبت بها ولماذا لم يعاملها كما كان يعامل ابنته عائشة وحفصة بنت عمر؟!!

جاء في سنن النسائي: عن يزيد بن هرمز أن نجدة الحروري حين خرج في فتنة

(١) فتح المنعم، ج٦، ص٢٦٢، ح٣٣٤٩٦.

ابن الزبير أرسل إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى لمن تراه؟ قال هو لنا لقربى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمه رسول الله ﷺ لهم وقد كان عمر عرض علينا أشياء رأيناها دون حقنا فأبينا أن نقبله - وكان الذي عرض عليهم أن يعين ناكحهم ويقضي عن غارمهم ويعطي فقيرهم وأبى أن يزيدهم على ذلك - .

عن يزيد بن هرمز قال كتب نجدة إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى لمن هو؟ قال يزيد بن هرمز وأنا كتبت كتاب ابن عباس إلى نجدة كتبت إليه: كتبت تسألني عن سهم ذي القربى لمن هو وهو لنا أهل البيت وقد كان عمر دعانا إلى أن ينكح منه أيما ويحذي منه عائلنا ويقضي منه عن غارمنا فأبينا إلا أن يسلمه لنا وأبى ذلك فتركناه عليه^(١).

وفي صحيح مسلم أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن الخمس لمن هو... فأجابه: وإنا كنا نقول هو لنا فأبى ذلك علينا قومنا ذلك^(٢).

يقول النووي:.... الخمس من الفياء والغنيمة يكون لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فأروا - أي الخلفاء - أنه لا يتعين صرفه إلى أهل البيت بل أخذوا يصرفونه في المصالح ويقول النووي وأراد بقومه ولاة الأمر من بني أمية!!

أي أن ابن عباس يعني فأبى علينا قومنا ذلك هم ولاة الأمر من بني أمية^(٣).
أقول: إن القضية كانت قبل معاوية ويزيد وبنو أمية عموماً، بل كانت في زمن أبي بكر وعمر فبناء على هذا قول النووي مردود!!

فأقول: أخرج المحدثون والمؤرخون واتفقت كلمتهم على أن فاطمة عليها السلام وجدت (غضبت) على أبي بكر وعمر في قضية فدك وسنذكر ما جاء في البخاري وبلغظه:

عن عائشة رضي الله عنها أن فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما آفأ الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر

(١) صحيح سنن النسائي لمحمد ناصر الدين الألباني، ج ٣، ص ١١١، ح ٤٤١٤٥، كتاب قسم الفياء، وقد صححه الألباني وذكره أحمد بن حنبل في مسنده ج ١، ص ٣٢٠، مسند عبدالله بن عباس.

(٢) كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم.

(٣) المجلد ٦، ج ١٢، ص ٤٣٣، ح ١٨١٢.

إن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أب بكر وصلى عليها وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبائع تلك الأشهر فأرسل إلى أبي بكر أن اتنا ولا يأتنا أحد معك كراهة لمحضر عمر فقال عمر لا والله لا تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر وما عسيتهم أن يفعلوا بي؟ والله لأتيتهم فدخل عليهم أبو بكر فتشهد علي فقال إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ولم نفس عليك خيراً ساقه الله إليك ولكنك استبدت علينا بالأمر وكنا نرى لقربتنا من رسول الله ﷺ نصيباً حتى فاضت عينا أبي بكر فلما تكلم أبو بكر قال والذي نفسي بيده لقربة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فلم آل فيه عن الخير ولم أترك أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته فقال علي لأبي بكر موعذك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه ثم استغفر وتشهد علي فعظم حق أبي بكر وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكاراً للذي فضله الله به ولكننا نرى لنا في هذا الأمر نصيباً فاستبد علينا فوجدنا في أنفسنا فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت وكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجع الأمر بالمعروف^٥.

قال تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه: ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ الإسراء/٢٦.

قال السيوطي في تفسيره: وأخرج البزار وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن

(١) كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، وذكر أيضاً مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب لا نورث ما تركنا فهو صدقة، ومسنند أحمد، ج١، ص٩، مسند أبي بكر، الصواعق المحرقة، ص١٤-١٥، الفصل الثاني في بيان انعقاد الإجماع على ولايته، وصحيح ابن حبان، ج١١، ص١٥٣، ح٤٨٣٣، وج١٤، ص٥٧٣، ح٦٦٠٧، سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٢، ص١٣١.

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فذك^(١).

ورواية البخاري التي مرت علينا تبين أن أبا بكر منع فاطمة إرثها (فذك) وقد حاول البعض تبرير عمل أبي بكر ومنهم ابن كثير في كتابه البداية والنهاية، فماذا يقول؟

... عن عبدالرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة) لفظ البخاري. ثم قال البخاري: حدثنا عبدالله بن مسلمة عن مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة: أن أزواج النبي ﷺ حين توفي رسول الله ﷺ أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر ليسألنه ميراثهن فقالت عائشة أليس قد قال رسول الله ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة؟ وهكذا رواه مسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القعنبى والنسائي عن قتيبة كلهم عن مالك به فهذه إحدى النساء الوارثات - إن لو قدر ميراث - قد اعترفت أن رسول الله ﷺ جعل ما تركه صدقة لا ميراثاً والظاهر أن بقية أمهات المؤمنين وافقتها على ما روت وتذكرن ما قالت لهن من ذلك فإن عبارتها تؤذن بأن هذا أمر مقرر عندهن.

وقال البخاري:.... عن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ قال لا نورث ما تركنا صدقة.

... الزهري عن عروة عن عائشة: أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فذك وسهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر سمعت رسول الله ﷺ يقول لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال قال أبو بكر والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته قال فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت.

... عن عروة عن عائشة أن فاطمة سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ ميراثها مما ترك مما أفاء الله عليه فقال لها أبو بكر إن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا صدقة، فغضبت فاطمة وهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت قال وعاشت فاطمة بعد وفاة رسول

(١) الدر المنثور لجلال الدين السيوطي، ج ٥، ص ٢٧٣، ط ١٤٢٣هـ، دار الفكر، بيروت.

... وأما تغضب فاطمة ﷺ وأرضاها على أبي بكر... فما أدري ما وجهه، فإن كان لمنعه إياها ما سألته من الميراث فقد اعتذر إليها بعذر يوجب قبوله وهو ما رواه عن أبيها رسول الله ﷺ أنه قال لا نورث ما تركنا صدقة، وهي ممن تنقاد لنص الشارع الذي خفي عليها قبل سؤالها الميراث كما خفي على أزواج النبي ﷺ حتى أخبرتهن عائشة بذلك ووافقتها عليه، وليس يظن بفاطمة ﷺ أنا اتهمت الصديق ﷺ فيما أخبرها به، حاشاها وحاشاه من ذلك كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والعباس بن عبدالمطلب وعبدالرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وعائشة... ولو تفرد بروايته الصديق ﷺ لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له في ذلك وإن كان غضبها لأجل ما سألت الصديق إذ كانت هذه الأراضي صدقة لا ميراثاً أن يكون زوجها ينظر فيها فقد اعتذر بما حاصله أنه لما كان خليفة رسول الله ﷺ فهو يرى أن فرضاً عليه أن يعمل بما كان يعمل رسول الله ﷺ ويلي ما كان يليه رسول الله ﷺ ولهذا قال وإني والله لا أدع أمراً كان يصنعه فيه رسول الله ﷺ إلا صنعته فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت وهذا الهجران والحالة هذه فتح على فرقة الرافضة شراً عريضاً وجهاً طويلاً وأدخلوا أنفسهم بسببه فيما لا يعنيه ولو تفهموا الأمور على ما هي عليه لعرفوا للصديق فضله وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبوله ولكنهم طائفة مخذولة وفرقة مردولة يتمسكون بالمتشابهة ويتركون الأمور المحكمة المقدره عند أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء المعترين في سائر الأعصار والأمصار...^(٢).

ذكر ابن كثير في كتابه أن أبا بكر أغضب فاطمة (فغضبت فاطمة وهجرت أبا بكر) وهذا الغضب يجرنا إلى سؤال مع وجود الدليل القاطع فقد ذكر البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني)^(٣).

(١) البداية والنهاية، المجلد ٣، ج ٥، ص ٢٨٥، باب بيان أنه ﷺ قال لا نورث.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٢٨٧.

(٣) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب فاطمة ﷺ، وذكره صاحب الصواعق المحرقة، ص ١٨٨، ومجمع الزوائد للهيتمي،

بعد قراءتنا لهذا الحديث لا زالت التهمة عالقة في أبي بكر فلم تنفعه أعداء ابن كثير في اغتصابه فدكاً، وإليك الأنكى من ذلك، فقد روى مسلم في صحيحه: قال رسول الله ﷺ إنما فاطمة بضعة مني يؤذيها ما آذاها^(١).

ونحن نعلم أن الأذى يؤدي إلى الغضب إذاً بعد أن تأذت فاطمة عليها السلام من قول وعمل أبي بكر غضبت بعد ذلك الأذى، فالحديثان ما زالوا عالقين في أبي بكر أيضاً. قال الذهبي في ترجمة عبدالرحمن بن يوسف بن خراش الحافظ: ... وقال عبدان قلت لابن خراش حديث لا نورث ما تركناه صدقة، قال باطل، قلت من تتهم؟ قال مالك بن أوس.

وجاء في ترجمته أنه كان يتشيع... خرَّج مثالب الشيخين^(٢).

وقال ابن عدي وابن خراش هذا هو أحد من يذكر بحفظ الحديث من حفاظ العراق وكان له مجلس مذاكرة لنفسه على حدة إنما ذكر عنه شيء من التشيع كما ذكره عبدان فأما الحديث فأرجوا أنه لا يتعمد الكذب.

ويقول ابن عدي أيضاً وسمعت عبدالملك بن محمد أبا نعيم يشي على ابن خراش هذا وقال ما رأيت أحفظ منه لا ذكر له شيخ من الشيوخ والأبواب إلا مر فيه^(٣).

وقال عنه الذهبي في سيره: ابن خراش الحافظ الناقد البارع أبو محمد عبدالرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش المروزي ثم البغدادي.

... عبدان يقول قلت لابن خراش حديث ما تركناه صدقة فقال باطل أنهم مالك بن

٩، ص ٢٠٣، باب مناقب فاطمة، والطبراني في الكبير، ج ١، ص ١٠٨، ح ١٨٢، والحاكم في مستدرکه، ج ٣، ص ١٥٤، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب فاطمة، وكنز العمال للمتقي الهندي، ج ١٣، ص ٦٧٤، ح ٣٧٧٢٥.

(١) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي، وسنن ابن ماجه، ج ١، ص ٦٤٤، ح ١٩٩٨، وذكره أبو داود في سننه، ج ٢، ص ٢٢٦، ح ٢٠٧١، وذكر عمر كحالة في أعلام النساء، ج ٤، ص ١١٢، والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة، ح ٣٨٦٧، ومجمع الزوائد للهيتمي، ج ٩، ص ٢٠٣، باب مناقب فاطمة.

(٢) ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٦٠٠، ترجمة ٥٠٠٩.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي الجرجاني، ج ٤، ص ٣٢٢، ترجمة ١١٥٥.

أوس. وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ أنهم مالك بن أوس بالكذب^(١).
ويقول الذهبي معقّباً على ذلك: هذا معثر مخذول كان علمه وبالاً وسعيه ضلالاً نعوذ
بالله من الشقاء^(٢).

ويقول أيضاً: هذا والله الشيخ المعثر الذي ضل سعيه فإنه كان حافظ زمانه وله الرحلة
الواسعة والاطلاع الكثير والإحاطة وبعد هذا فما انتفع بعلمه فلا عتب على حمير الرافضة
وحواثر جزّين ومشغراً^(٣).

نعم! لقد تحامل الذهبي على ابن خراش وانتفخت أوداجه من قوله في مالك بن
أوس وثارت نائثرته على هذا (الحافظ البارع)، فتحامل عليه بالكلام اللاذع، فقال: جهلة
الرافضة لم يدروا الحديث ولا السيرة ولا كيف ثم فأما أنت أيها الحافظ البارع الذي
شربت بولك إن صدقت في الترحال فما عذرك عند الله مع خبرتك بالأموه فأنت زنديق
معاند للحق فلا رضي الله عنك مات ابن خراش إلى غير رحمة الله سنة ثلاث وثمانين
ومايتين^(٤)!!!

هذا هو ديدن أهل العامة فهذا الحافظ البارع رفض حديث (لا نورث) وكذب الراوي
فاتهم بالتشيع والرفض.

أقول أيضاً: إن التهمة لا زالت عالقة بأبي بكر وصاحبه.

ولكن إن جئت إلى الصدق والحقيقة فأقول إن الرازي قد اعترف في تفسيره الكبير
فقال: إن المحتاج إلى معرفة هذه المسألة ما كان إلا فاطمة وعلي والعباس وهؤلاء كانوا
من أكابر الزهاد والعلماء وأهل الدين وأما أبو بكر فإنه ما كان محتاجاً إلى معرفة هذه

(١) ج ٢، ص ١٨٦، ترجمة ٧٠٥.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١٣، ص ٥١٠، ترجمة ٢٥٣.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٢، ص ٦٠٠، ترجمة ٥٠٠٩، حواثر: الحثر: الطعام المنتثر لا خير فيه (المنجد في اللغة
والأعلام). جزين: من قرى نيسابور - بالضم - وبالكسر: قرية كبيرة من أصبهان، ومشغرا: قرية من قرى دمشق
من ناحية البقاع، (معجم البلدان لياقوت الحموي).

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي، المجلد ١، ج ٢، ص ١٨٦، ترجمة ٧٠٥، ابن خراش.

وسوف نذكر ما أوردناه في كتابنا كشف المتواري في صحيح البخاري وذلك إتماماً للفائدة.

وفي صحيح البخاري حدثنا إسحاق بن محمد الفروي حدثنا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان - وكان محمد بن جبير ذكر لي ذكراً من حديثه ذلك فانطلقت حتى أدخل على مالك بن أوس فسألته عن ذلك الحديث فقال مالك - : بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني فقال أجب أمير المؤمنين فانطلقت معه حتى أدخل على عمر فإذا هو جالس على رمال سرير له ليس بينه وبينه فراش متكى على وسادة من آدم فسلمت عليه ثم جلست فقال يا مال، إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات وقد أمرت فيهم برضخ فاقبضه فاقسمه بينهم فقلت يا أمير المؤمنين لو أمرت له غيري قال فاقبضه أيها المرء فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ فقال هل لك في عثمان وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون قال نعم فأذن لهم فدخلوا فسلموا وجلسوا ثم جلس يرفأ يسيراً ثم قال هل لك في علي وعباس؟ قال نعم فأذن لهم فدخلوا فسلموا فجلسا فقال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا - وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من مال بني النضير - فقال الرهط - عثمان وأصحابه - يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر فقال عمر تيدكم أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا صدقة؟ يريد رسول الله ﷺ نفسه قال الرهط قد قال ذلك فأقبل عمر على علي وعباس فقال أنشدكما الله أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك قالا قد قال ذلك قال عمر فإني أحدثكم عن هذا الأمر إن الله قد خص رسوله ﷺ في هذا الشيء بشيء لم يعطه أحداً غيره ثم قرأ ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ إلى قوله ﴿قَدِيرٌ﴾ فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ووالله ما احتازها دونكم ولا استأثر بها عليكم قد أعطاكموه وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته أنشدكم بالله هل

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي، ج ٩، ص ٢١٠، سورة النساء/ ١١.

تعلمون ذلك؟ قالوا نعم ثم قال لعلي وعباس أنشدكما الله هل تعلمان ذلك قال عمر ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر أنا ولي رسول الله ﷺ فقبضها أبو بكر فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ والله يعلم أنه فيها لصداق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فكننت أنا ولي أبي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر والله يعلم إنني فيها لصداق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة وأمركما واحد جئتنني يا عباس تسألني نصيبك من ابن أخيك وجاءني هذا - يريد علياً - يريد نصيب امرأته من أبيها فقلت لكما إن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا صدقة فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل رسول الله ﷺ وبما عمل فيها أبو بكر وبما عملت فيها منذ وليتها فقلتما ادفعها إلينا فبذلك دفعتها إليكما فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط نعم ثم أقبل على علي وعباس فقال أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالوا نعم قال فتلتمسان مني قضاء غير ذلك فوالله الذي ياذنه تقوم السماء والأرض لا أفضي فيها قضاءً غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعها إلي فإني أكفيكماها^(١).

وفي صحيح البخاري أيضاً: ... عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أخبرته أن فاطمة رضي الله عنها ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه فقال لها أبو بكر إن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا صدقة فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فَهَجَرَتْ أبا بكر فلم تزل مُهاجِرته حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر قالت وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خير وفدك وصدقته بالمدينة فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به!! فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس فأما خبير وفدك فأمسكها عمر وقال هما صدقة رسول الله ﷺ كانتا لحقوقه التي تعرفه ونوابه وأمرهما إلى من ولي الأمر قال فهما على ذلك إلى اليوم^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب فرض الخمس.

(٢) كتاب الخمس، باب فرض الخمس.

يقول السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء:

واختلفوا في ميراثه، فما وجدوا عند أحد من ذلك علماً! فقال أبو بكر: سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة^(١)! أقول:

هذا يؤكد لنا أن الحديث لم يروه غير أبي بكر فقط! فهو حديث آحاد! يقول ابن حجر: قوله: (فغضبت فاطمة فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته)... فهجرت فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت.

نقل الترمذي عن بعض مشايخه أن معنى قول فاطمة لأبي بكر وعمر (لا أكلمكما) أي في هذا الميراث!!

لاحظ أخي القارئ كيفية لِيّ ذراع العبارة وتجييرها لمصلحة الحاكم والتلاعب والتحريف بالألفاظ والعبارات واستغلال عقول المسلمين. إن ابن حجر يعني بذلك أن فاطمة عليها السلام قالت ذلك لأبي بكر (لا أكلمكما) أي: في مسألة الميراث مرة أخرى!!

ويقول: قوله (غضبت) تدل على أنها امتنعت من الكلام جملة، وهذا صريح الهجر. ذكر أصحاب المغازي قاطبة، أن أهل فدك كانوا من يهود، فلما فتحت خيبر أرسل أهل فدك يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يتركوا البلد ويرحلوا.... وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم (خاصة)!

وأما صدقته بالمدينة... كانت نخل بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم (خاصة)، أعطاه إياه فقال: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ الآية.

قال: فأعطى أكثرها للمهاجرين، وبقي منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي في أيدي بني فاطمة.

قوله (فأما صدقته) أي صدقة النبي صلى الله عليه وسلم، فدفعتها عمر إلى علي وعباس. وأما خيبر، أي الذي كان يخص النبي صلى الله عليه وسلم منها فدفعتها عمر، أي لم ينفقها

(١) لجلال الدين السيوطي، ص ٧٣، فيما وقع في خلافته، ط ١٣٧١هـ، مطبعة السعادة، مصر.

لغيره.

فلما كان عثمان تصرف في فذك بحسب ما رآه.

جمع عمر بن عبدالعزيز بنى مروان فقال: إن رسول الله ﷺ كان ينفق من فذك على بنى هاشم ويزوج أيمهم. وإن فاطمة سألته أن يجعلها لها فأبى، وكانت كذلك فى حياة النبى ﷺ وأبى بكر وعمر، ثم أقطعها مروان، يعنى فى أيام عثمان.

قال الخطابى: إنما أقطع فذك لمروان لأنه تأول أن الذى يختص بالنبى ﷺ يكون للخليفة بعده. فاستغنى عثمان عنها بأمواله، فوصل بها بعض قرابته!!^(١)

يقول ابن أبى الحديد: لم يرو حديث انتفاء الإرث إلا أبو بكر وحده!^(٢)

ويقول ابن حجر الهيثمى فى صواعقه: واختلفوا فى ميراثه، فما وجدنا عند أحد فى ذلك علماً فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة^(٣).

أعود لرواية البخارى، لقد قرأت أخى الكريم أن فاطمة عليها السلام جاءت تطلب نصيبها من أبى بكر مما ترك النبى الأكرم من خير وفذك وصدقته بالمدينة.

فليتة دفع لفاطمة ما طالبت به وعمل وتصرف مثل صاحبه عمر مع زوجات النبى كما فى الحديث الذى ذكرناه فى أول البحث.

روى الطبرى فى تاريخه: لما فرغ رسول الله ﷺ من خير، كذف الله الرعب فى قلوب أهل فذك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خير، فبعثوا إلى رسول الله يصالحوه على النصف من فذك، فقدمت عليه رسلهم بخبير أو بالطريق، وأما بعدما قدم المدينة فقبل ذلك منهم، فكانت فذك لرسول الله ﷺ خاصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب^(٤).

لاحظ أخى الكريم ما رواه البخارى ترك النبى الأكرم (من خير وفذك وصدقته

(١) فتح البارى، ج ٦، ص ٢٤٥، ح ٣٠٩٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، المجلد ٨، ج ١٦، ص ٢٢١، ط ١٩٦٢م، دار إحياء الكتب العربية.

(٣) ص ٣٤، الفصل الخامس، ط ١٣٨٥هـ.

(٤) ج ٣، ص ١٠، ذكر غزوة رسول الله وادى القرى، ط ١٤٠٧هـ، مؤسسة عز الدين، بيروت.

بالمدينة هذا باختصار) وقارنه مع قول الطبري وما رواه (لما فرغ رسول الله من خير قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك) أي أن فدك غير خير، فتأمل!

نعم، لقد كانت هذه الأراضي شاسعة جداً وقد تنبه ابن أبي قحافة إلى ذلك!
ثم ألا يحق لنا أن نسأل ونقول بأن قول النبي (لا نورث ما تركنا صدقة) يعني بذلك:
أيها المسلمون! ما جعلناه صدقة في حال حياتنا لا يحق لورثتنا المطالبة به، ويكون على هذا الاحتمال الذي أوردناه حجة على ابن أبي قحافة وليس حجة له!!
أقول:

أيعقل أن يبلغ الرسول الأكرم أبا بكر بهذا وهو ممن لا حاجة له به! ولا يبلغه لمن هو في أشد الحاجة له وهم أهل بيته؟!
يقول السيد محمد كاظم القزويني قَدْ تَرَكْنَا في كتابه «فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ من المهد إلى اللحد»:

أولاً: أن السلطة حينما صادرت أموال السيدة فاطمة الزهراء وجعلتها في ميزانية الدولة (بالإصلاح الحديث) كان هدفهم تضييق جانب أهل البيت، أرادوا أن يحاربوا علياً محاربة اقتصادية، أرادوا أن يكون علياً فقيراً، حتى لا يلتفت الناس حوله ولا يكون له شأن على الصعيد الاقتصادي، وهذه سياسة أراد المنافقون تنفيذها في حق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قالوا: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَقُوا﴾ المنافقون / ٧.
ثانياً: لم تكن أراضي فدك قليلة الإنتاج، ضئيلة الغلات، بل كان لها وارد كثير يعبأ به، بل ذكر ابن أبي الحديد أن نخيلها كانت مثل نخيل الكوفة في زمان ابن أبي الحديد.
... أن وارد فدك كان أربعة وعشرين ألف دينار في كل سنة! وفي رواية أخرى سبعين ألف دينار! ولعل هذا الاختلاف في واردها بسبب اختلاف السنين.

وعلى كل تقدير فهذه ثروة طائلة واسعة، لا يصح التنازح عنها.

ثالثاً: إنها كانت تطالب - من وراء المطالبة بفدك - الخلافة والسلطة لزوجها علي بن أبي طالب، تلك السلطة العامة والولاية الكبرى التي كانت لأبيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه قال: سألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة

الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم! قلت: فلم لم يدفَع إليها أبو بكر فذك وهي عنده صادقة؟

فتبسّم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته، قال: لو أعطاهم اليوم فذك، بمجرد دعاوهم، لجاأت إليه غداً وادعت لزوجه الخلفة وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء. لأنه يكون قد سجل على نفسه بأنها صادقة فيما تدعي، كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة وشهود^(١).

وسنذكر خطبة الزهراء عليها السلام في مسجد النبي الأكرم، ونأخذ محل الشاهد من الخطبة.

روى عبدالله بن الحسن بإسناده عن آبائه:

أنه لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة فذكاً وبلغها ذلك، لانت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست، ثم أنت أنه أجهشت القوم بالبكاء، فارتج المجلس، ثم أمهلت هنية، حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها فقالت عليها السلام:^(٢)

... أيها الناس اعلموا أنني فاطمة وأبي محمد... ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣) التوبة: ١٢٨، فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم...^(٣).

وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا! أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون....

(١) ص ٢٩٠، السر في مطالبة فاطمة الزهراء عليها السلام بذك، ط دار الثقلين.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٣٠٠، الخطبة الخالدة.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٣٣٩.

أيها المسلمون أغلب على إرثي^(١).

يا ابن أبي قحافة! أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جثت شيئاً فرياً!
أفعلت عمداً تركت كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟! إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾
النمل / ١٦.

وقال فيما اقتص من خبر زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ﴾ یرثنی ورب من آل
یَعْقُوبَ ﴿ مريم / ٥-٦.

وقال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الأنفال: ٧٥.

وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمُلُ حَظُّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ النساء: ١١.

وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ البقرة:

١٨٠.

وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي!!

أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها!؟

أم تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟

أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة!؟

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي!؟

فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والزعيم محمد
والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر
فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.

ثم رَمَتْ بطرفها نحو الأنصار فقالت: يا معشر النقيية وأعضاء الملة! وحضنة
الإسلام، ما هذه الغميمة في حقي!؟ والسنة عن ظلامي! أما كان رسول الله ﷺ أبي
يقول: المرء يحفظ في ولده...^(٢)! أهضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع ومنتدى
ومجمع!؟ تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخيرة، وأنتم ذو العدد والعدة، والأداة والقوة،

(١) نفس المصدر السابق، ص ٣٦٠.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٣٧٢.

وعندكم السلاح والجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تعينون، وأنتم موصوفون بالكفاح،...^(١).

إلى أن تقول سلام الله عليها:

وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد...^(٢).

فأجابها أبو بكر وقال:.... وإن الرائد لا يكذب أهله، وإني أشهد الله وكفى به شهيداً أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، وما كان لنا طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه.

وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح، يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفار ويجالدون المردة الفجار، وذلك بإجماع من المسلمين^(٣).

فقالته ﷺ: هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً يقول: ﴿بِرُّنِّي وَبِرِّثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾. ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾.

فبين ﷺ فيما وزع عليه من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين. كلا! ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ يوسف/١٨.

فقال أبو بكر:

هؤلاء المسلمين بيني وبينك قلدوني ما تقلدت! وباتفاق منهم أخذت ما أخذت! غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر! وهم بذلك شهود^(٤)!

فالتفتت فاطمة ﷺ إلى الناس وقالت: معاشر الناس! المُسرعة إلى قيل الباطل، المُغضية على الفعل القبيح الخاسر. أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلا بل

(١) نفس المصدر السابق، ص ٣٨٦.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٣٨٩.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٣٩٧.

(٤) نفس المصدر السابق، ص ٤٠٦.

(٥) نفس المصدر السابق، ص ٤١٠.

رَأَى عَلَى قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، وليبس ما تأولتم! وساء ما به أشرتم! وشر ما منه اعتضتم، لتجدن والله محمله ثقيلاً، وغيبه وبيلاً، إذا كُشِفَ لكم الغطاء وبان ما وراء الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون^(١).

يقول ابن حجر في أول الشرح:

فغضبت فاطمة، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته ولم تكلمه حتى ماتت.

قوله: غضبت، تدل على أنها امتنعت من الكلام جملة، وهذا صريح الهجر. قال البخاري في صحيحه:

أن رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني^(٢).

يقول السيد عبدالحسين شرف الدين النص والاجتهاد:

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ما هذا لفظه:

ودعوى فاطمة أنه ﷺ نحلها فداكاً، لم تأت عليها إلا بعلي وأم أيمن، فلم يكمل نصاب البينة... إلى آخر كلامه.

وهذا بعينه ما هو المنقول في هذا الموضوع عن ابن تيمية، وابن القيم وغيرهما من أعلام الجماعة.

قلت: ... ليته أثر ما هو الأليق به، فلم يوقف وديعة رسول الله ﷺ وهي ثكلى موافقها تلك منه، تارة في سبيل إرثها، وأخرى في سبيل نحلتها، وثالثة ورابعة في شؤون وشجون، وليته لم يدعها تنقلب عنها راغمة يائسة ثم تموت مدلهمة هاجرة له فتوصي بما أوصت.

سبحانه الله ويحمده أين حلمه وأناته؟ وأين نظره البعيد في عواقب الأمور، وأين احتياظه على ربح المسلمين؟!

(١) نفس المصدر السابق، ص ٤١٣.

(٢) كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبه فاطمة ؓ.

فليتة اتقى فشل الزهراء في مواقفها بكل ما لديه من سُبل الحكمة. ولو فعل لكان ذلك أحمد في العقبى، وأبعد عن مظان الندم، وأنأى عن مواقف اللوم وأجمل لشملة الأمة، وأصلح له بالخصوص.

وقد كان في وسعه أن يربأ بوديعة رسول الله ووحيدته عن الخيبة ويحفظها عن أن تنقلب عنه وهي تتعثر بأذيالها.

وماذا عليه إذا احتل محل أبيها، لو سلمها فدكاً من غير محاكمة!

فإن للإمام أن يفعل ذلك بولايته العامة.

وما قيمة فذك في سبيل هذه المصلحة؟! ودفع هذه المفسدة، وهذا ما تمناه لأبي بكر كثير من متقدمي أولياءه ومتأخريهم.

وإليك كلمة في هذا الموضوع لعليم المنصورة، الأستاذ محمود أبو رية المصري المعاصر قال:

بقي أمر لا بد أن نقول فيه كلمة صريحة، ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وما فعل معها في ميراث أبيها، لأننا إذا سلمنا بأن خير الأحاد الظني يخصص الكتاب القطعي، وأنه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله قد قال أنه لا يورث وأنه لا تخصيص في عموم هذا الخبر، فإن أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة عليها السلام بعض تركة أبيها عليها السلام، كأن يخصصها بذك. وهذا من حقه الذي لا يعارضه فيه أحد. إذ يجوز للخليفة أن يخص من يشاء بما يشاء.

قال: وقد خص هو نفسه الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبي. على أن فذكاً هذه التي منعها أبو بكر لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان^(١)!

يقول السيد شرف الدين:

ليته لم يرجعها خائبة، ليته أعطهاها فذك!

ويقول أبو رية:

(١) ص ١١٤، نحلة الزهراء، ط ١٣٨٦هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

إن أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة بعض تركة أبيها... إذ يجوز للخليفة أن يخص من يشاء بما شاء.

أقول:

إن أبا بكر يقول إن رسول الله ﷺ قال: نحن معاصر الأنبياء لا نورث! وهذا حديث آحاد لم يروه غيره كما مر عليك! فهو يريد بذلك الحديث أن يسد على فاطمة جميع الأبواب في مطالبتها بفدك.

ككيف بمن يروي ويدعي هذا الحديث أن نرجو منه خيراً وأن (يا ليت أعطى)!! و (يا ليت لم يعدها خائبة)!! ويا ليت ويا ليت!!

فمن يضع مثل هذه الحديث الذي دُبّر بليل!! فمن غير المعقول أن يعود ويعطي فاطمة فدكاً!! وكما مر عليك أيضاً إنه لو أعطها فدكاً لجاءت إليه غداً وطلبت الخلافة لعلي ﷺ.

يقول السيد محمد حسن القزويني:

اشتهر بين الناس غضب الزهراء وسخطها على (أبي بكر وعمر) وأنهما أذياها وأغضبها، فهجرتها بعد منعها حقها، حتى قال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها! كل ذلك بغية كسب رضاها وإسكات الجماهير عن التحدث عن غضب الزهراء (عليهما).

وبعد محاولات كثيرة تمكنوا من الدخول عليها، ولكنهم لم يستطيعوا كسب رضاها، فخرجوا منها خائبين.

ولكن الزهراء (عليها السلام) خافت من أن يذيعا بأنهما دخلا عليها وأرضياها... فأرادت أن تؤكد غضبها وسخطها عليهما، فعهدت إلى الإمام علي عليه السلام أن لا يصليا على جنازتها، ولا يحضرا تشييعها... كما وأوصت بدفنها ليلاً، فقالت في وصيتها: وأوصيك أن لا يشهد جنازتي أحد من هؤلاء الذي ظلموني، ولا تترك أحد يصلي علي منهم، ولا من أتباعهم، وادفني ليلاً إذا هدأت العيون ونامت الأبصار.

ونفذ علي ﷺ وصاياها، فغسلها وصلى عليها ودفنها ليلاً، (وأخفى) موضع

قبرها حتى لا يقوموا عليه، ولم يُعلمهما بوفاتها، فعاتباه على ترك إعلامهما بشأنها وعدم إحضارهما الصلاة عليها فأخبرهما بأنه فعل ذلك بوصية منها، وهذا... تأكيد منها على استمرار غضبها عليهما^(١).

وأخيراً.. هل علقت التهمة في أبي بكر؟ أدع الجواب للقارئ الكريم.

(١) فذك، ص ١٧٨، ط ١٣٩٧/٢هـ، دار المعلم للطباعة، سوريا.

باب الأمر بقتل الكلاب

٤٨٣... عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الكلاب إلا كلب صيد أو كلب غنم أو ماشية فقيل لابن عمر إن أبا هريرة يقول أو كلب زرع فقال ابن عمر إن لأبي هريرة زرعاً.

٤٨٤... عن سالم عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال من اقتنى كلباً إلا كلب ضار أو ماشية نقص من عمله كل يوم قيراطان قال سالم وكان أبو هريرة يقول أو كلب حرث وكان صاحب حرث.

٤٨٥... عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط قال الزهري فذكر لابن عمر قول أبي هريرة فقال يرحم الله أبا هريرة كان صاحب زرع.

قال النووي: قال ابن عمر (إن لأبي هريرة زرعاً)... قال العلماء ليس هذا توهيناً لرواية أبي هريرة ولا شكاً فيها بل معناه أنه لما كان صاحب زرع وحرث اعتنى بذلك وحفظه وأتقنه والعادة أن المبتلى بشيء يتقن ما لا يتقنه غيره ويتعرف من أحكامه ما لا يعرفه غيره^(١)!!

أولاً إن أبا هريرة زاد على الحديث (أو كلب زرع) وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل

(١) المجلد ٥، ج ١، ص ٤٩٧، ح ١٥٧١.

على أن هذا الدوسي كلما أراد شيئاً وضع له حديثاً فالمزود يحمل ويسع ما لا تتسع له
ذاكرة الإنسان!!

أبا هريرة قال: إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه
سولم وتقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون... وكان يشغل أخوتي من الأنصار
عمل أموالهم... قال رسول الله ﷺ في حديث يحدثه إنه لم يبسط أحد ثوبه حتى أقضي
مقاتلي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول فبسطت نمرة علي حتى إذا قضى رسول
الله ﷺ جمعها إلى صدري فما أنسيت من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء^(١).

لاحظ أن أبا هريرة يريد أن يبعد عن نفسه تهمة الصحابة له وأخيراً يقول ابن قتيبة
الدينوري:.... وذكر أبا هريرة فقال أكذبه عمر وعثمان وعلي ﷺ^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿فَأَذًا فَصَيَّبَ الْمَصَلَّةَ﴾ .
(٢) تأويل مختلف الحديث، ص ٢٦، ط ١٤٠٩/١هـ، دار مكتبة الهلال، بيروت.

باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير

٤٨٦... حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن طاوس عن ابن عباس قال بلغ عمر أن سمرة باع خمرأ فقال قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشجوم فجملوها فباعوها.

اعلم أخي القارئ الكريم أن أغلب شراح صحيح مسلم قد غضوا الطرف عن سمرة بن جندب^(١) الذي جاء ذكره في الرواية وأنه باع خمرأ! لماذا؟! لأنه صحابي كبقية الصحابة الذين لا يجوز الطعن فيهم ولو أردت أن تقف على حقيقة قولنا فراجع إن شئت شرح النووي وشرح الأبي لترى صدق قولنا في ذلك.

قال الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه:... اختلف في كيفية بيع سمرة للخمر على ثلاثة أقوال: أحدها أنه أخذها من أهل الكتاب عن قيمة الجزية فباعها لهم وأخذ ثمنه كجزية^(٢).

أي أن أهل الكتاب عجزا عن دفع المال لسمرة وهي الجزية فدفعوا له دنان الخمر

(١) التاريخ الكبير للبخاري، ج٤، ص١٧٦، ترجمة٢٤٠٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج٣، ص١٨٣، ترجمة٣٥، وتهذيب التهذيب لابن حجر، ج٤، ص٢١٣، ترجمة٢٧٢٤، والطبقات الكبرى للواقدي، ج٧، ص٤٩، تسمية من نزل بالبصرة، ومعجم الصحابة للبغوي، ج٣، ص٢٠٧، وتهذيب الكمال للمزي، ج١٢، ص١٣٠، ترجمة٢٥٨٥، ومعرفة الصحابة للأصهاني، ج٣، ص١٤١٥، ترجمة١٣٢١، وأسد الغابة لابن الأثير الجزري، ج٢، ص٥٥٤، ترجمة٢٢٤٢.

(٢) فتح المنعم، ج٦، ص٣٠٨، ح٣٥٦٧.

عوضاً عن المال.

ويجب أن يلعن سمرة في ثلاثة مواضع: عندما أخذ الخمر، أي حملة، وكذلك عندما باع الخمر، وأخذ ثمن الخمر أيضاً، فالنبي لعن الحامل والبائع وأخذ الثمن... الحديث.

اقرأ أخي الكريم وارفع حاجبيك إلى أم رأسك! إن الأستاذ الدكتور لاشين بدلاً من أن يمسك بيد سمرة ويخرجه من وحل التاريخ فقد دفعه وأركسه إلى أن غاص سمرة في ذلك من أخصم قدمه إلى أم رأسه! فبالله أخي القارئ أيعقل أن يكون جميع الصحابة عدولاً ولا يجوز الطعن في أحد منهم ولماذا أوجدوا قانون عدالة الصحابة؟! فهذا نموذج من الصحابة الذين يجب أن يطعن فيه لا أن نلف ونندور لإيجاد واختلاق العذر له!

فأقول:

أما أن ترد الرواية برمتها وتكذبها يا فضيلة الدكتور لاشين وإما أن تطعن في هذا الصحابي الذي عليه علامات استفهام كثيرة! فاختر من هذين الأمرين واحداً لا غير.

ويجب أن يلعن سمرة ثلاث لعنات متتاليات وذلك لأنه أخذ الخمر منهم وحملها، هذا أولاً، ثانياً عندما باعها، ثالثاً هو الذي سوف يأكل ثمنها!

هذه هي المواضع الثلاث التي يجب فيها أن يلعن سمرة بن جندب وأول لاعن له هو رسول الله ﷺ، فاقرأ الحديث وقول الرسول في ذلك:

عن أنس بن مالك قال لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمول إليه وساقبها وبائعها وأكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له^(١).

وقال البخاري في صحيحه: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال أخبرني طاوس أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول بلغ عمر أن فلاناً باع خمراً فقال قاتل الله فلاناً ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوهما

(١) عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي لابن العربي المالكي المتوفى ٥٤٣هـ، ج ٣، ص ٢٣٦، ح ١٢٩٥، كتاب البيوع، باب النهي أن يتخذ الخمر خلاً، ط ١٤١٨/١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

لاحظ أن البخاري قد أبهم اسم سمرة فقال (فلاناً)! لماذا؟! لأنه صحابي كما ذكرنا!
قال ابن حجر العسقلاني في شرحه: قوله بلغ عمر بن الخطاب أن فلاناً باع خمرأ...
إن سمرة باع خمرأ فقال قاتل الله سمرة.

قال ابن الجوزي والقرطبي وغيرهما: اختلف في كيفية بيع سمرة للخمر على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أخذها من أهل الكتاب عن قيمة الجزية فباعها منهم معتقداً جواز ذلك!
وهذا حكاه ابن الجوزي عن ابن ناصر ورجحه وقال: كان ينبغي له أن يوليهم بيعها فلا
يدخل في محذور، وإن أخذ أثمانها منهم بعد ذلك لأنه لم يتعاط محرماً....

الثاني: قال الخطابي: يجوز أن يكون باع العصير ممن يتخذ خمرأ، العصير يسمى
خمرأ كما يسمى العنب به، لأنه يؤول إليه.

قال الخطابي: قال: ولا يظن بسمرة أنه باع عين الخمر بعد أن شاع تحريمها وإنما باع
العصير!

والثالث: أن يكون خَلَّل الخمر وباعها، وكان عمر يعتقد أن ذلك لا يحلها كما هو
قول أكثر العلماء، واعتقد سمرة الجواز كما تأوله غيره أن يحل التخليل!
وقد أبدى الاسماعيلي... أن سمرة علم تحريم الخمر ولم يعلم تحريم بيعها ولذلك
اقتصر عمر على ذمه دون عقوبته!

وهذا هو الظن به....

أن ابن الجوزي أطلق أنه كان والياً على البصرة لعمر بن الخطاب.
ويقول:

ويحتمل أن يكون بعض أمراءها استعمل سمرة على قبض الجزية.
قوله (حرمت عليهم الشحوم) أي أكلها.

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب لا يذاب شحم الميتة.

قوله (فجملوها)... أي أذابوها.

ويقول:

إن الشيء إذا حرم عينه حرم ثمنه، وفيه دليل على أن بيع المسلم الخمر من الذمي لا يجوز وكذا توكيل المسلم الذمي في بيع الخمر^(١).

اعلم أخي الكريم بأن هذا الرجل الذي يحاول البخاري إخفاء اسمه فقال (بلغ عمر أن فلاناً)، هذا الشخص هو: الصحابي! سمرة بن جندب الفزاري!

وإليك الدليل من شيخ البخاري:

قال الحميدي في مسنده:

حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال: أخبرني طائوس سمع ابن عباس يقول: بلغ عمر بن الخطاب أن سمرة باع خمرأ، فقال: قاتل الله سمرة! ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال: لعن الله اليهود، حُرِّمَتْ عليهم الشحوم فجملوها فباعوها^(٢).

وقد روى البخاري عن الحميدي هذه الرواية وينفس السند، فلا يخفى عليك أخي القارئ.. وتأمل ذلك.

ثم لاحظ كيف أن البخاري يتلاعب بالألفاظ، فقد ذكر الحميدي وقال: (لعن الله اليهود)! في حين أن البخاري قال: (قاتل الله اليهود)! ذكر ذلك كي لا يشمل اللعن هذا الصحابي العدل!!

يقول محقق مسند الحميدي الأستاذ المحدث الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي:

أخرجه البخاري من طريق الحميدي فقال: (إن فلاناً) ولم يُصرِّح باسم سمرة، وهو عندي من صنيع البخاري! وحسن تصرفه^(٣)!! انتهى.

وهذا إقرار من المحقق بتصرف البخاري في نصوص الأحاديث.

والحميدي هو عبدالله بن الزبير الأسدي المشهور بالحميدي، وهو من شيوخ

(١) فتح الباري، ج ٤، ص ٥٠٧، ح ٢٢٢٣.

(٢) ج ١، ص ٩، حديث ١٣، أحاديث عمر بن الخطاب، ط ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) نفس المصدر السابق.

البخاري.

قال الحاكم:

كان البخاري إذا وجد الحديث عنه لا يحوجه إلى غيره من الثقة به^(١).

أقول:

ويعني بذلك أن البخاري إذا حدثه الحميدي بحديث لا يراجع ولا يسأل غيره عن صحة الحديث أو سقمه، وذلك من الثقة التامة بالحميدي.

وقال ابن حجر:

جَزَمَ كل من ترجم البخاري بأن الحميدي من شيوخه في الفقه والحديث^(٢).

وأقول:

إن هذه الرواية أخذها البخاري من شيخه الحميدي مباشرة، وهو الثقة عنده، وبنفس السند أيضاً، ولكنه أخفى اسم سمرة وذلك لثلا يعرف الناس بأمره المشين!

فكيف بالبخاري إذا سمع حديثاً من غير الحميدي فحتماً سيكون البتر والحذف والإخفاء إلى ما شاء الله!!

قال ابن حجر في ترجمة سمرة في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة:

ونزل سمرة البصرة وكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة.

قال ابن عبد البر:

سقط في قدر مملوء ماء حاراً، فكان ذلك تصديقاً لقول رسول الله ﷺ له ولأبي هريرة ولأبي محذورة (آخركم موتاً في النار)^(٣).

وقال ابن حجر: وقد جاء في سبب موته غير ما ذكر^(٤).

(١) المسند للحميدي، ج١، ص٦، المقدمة.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٧، المقدمة.

(٣) ج٣، ص١٥٠، ترجمة ٣٤٨٨، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر المسقلاني، ج٤، ص٢١٤، ترجمة ٢٧٢٤.

قال ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة: وكان سمرة بن جندب من شرطة زياد، روى عبد الملك بن حكيم عن الحسن قال: جاء رجل من أهل خراسان إلى البصرة، فترك مالا كان معه في بيت المال، وأخذ براءة، ثم دخل المسجد فصلى ركعتين فأخذه سمرة بن جندب واتهمه برأي الخوارج! فقدمه فضرب عنقه! وهو يومئذ على شرطة زياد فنظروا فيما معه، فإذا البراءة بخط بيت المال!

فقال أبو بكر: يا سمرة! أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ الأعلیٰ: ١٤-١٥.

فقال: أخوك أمرني بذلك!

ويقول ابن أبي الحديد أيضاً:

... قدم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فأتيناه فإذا هو سمرة بن جندب، وإذا عند إحدى رجليه خمر وعند الأخرى ثلج!

فقلنا: ما هذا؟! قالوا: به النقرس، وإذا قوم قد أتوه فقالوا: يا سمرة! ما تقول لربك غداً؟ تؤتى بالرجل فيقال لك هو من الخوارج فتأمر بقتله، ثم تؤتى بآخر فيقال لك: ليس الذي قتلته بخارجي، ذاك فتى وجدناه ماضياً في حاجته فشبّه علينا وإنما الخارجي هذا، فتأمر بقتل الثاني؟! فقال سمرة: وأي بأس في ذلك!! إن كان من أهل الجنة مضى إلى الجنة، وإن كان من أهل النار مضى إلى النار!!

وروى واصل مولى أبي عبيدة عن جعفر بن محمد بن علي عليه السلام عن آبائه قال: كان لسمرة بن جندب نخل في بستان رجل من الأنصار فكان يؤذيه، فشكا الأنصاري ذلك إلى رسول الله ﷺ فبعث إلى سمرة فدعاه فقال له: بئح نخلك من هذا وخذ ثمنه، قال: لا أفعل! قال: فخذ نخلاً مكان نخلك، قال: لا أفعل! قال: فاشتر بستانه، قال: لا أفعل! قال: فاترك لي هذا النخل ولك الجنة! قال: لا أفعل!! فقال عليه السلام للأنصاري: اذهب فاقطع نخله فإنه لا حق له فيه.

ويقول ابن أبي الحديد أيضاً: كان سمرة بن جندب أيام مسير الحسين عليه السلام إلى الكوفة على شرطة عبيد الله بن زياد!! وكان يحرض الناس على الخروج إلى

الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقتاله!!^(١).

عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعشرة في بيت من أصحابه: آخركم موتاً في النار! فيهم سمرة ابن جندب. قال أبو نضرة: فكان سمرة آخرهم موتاً^(٢).

يقول ابن الأثير الجزري: (أن سمرة) سقط في قدر مملوءة ماءً حاراً كان يتعالج بالقعود عليه من كُزاز^(٣) شديد أصابه فسقط فمات فيها^(٤).

يحاول أهل العامة أن يخرجوا سمرة من نار جهنم، فيقولون أن النبي الأكرم كان يعني بذلك نار الدنيا، ولكن رجاء البيهقي يؤكد لنا أن سمرة في نار جهنم! قال أبو بكر البيهقي: نرجو له بصحبته^(٥)!

إن البيهقي يرجو لسمرة النجاة من نار جهنم بصحبته للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! وهل الصحة مع كل تلك الجرائم الشنيعة تدخل الصحابي الجنة؟!

إذن، أقول: كيف ساغ للبخاري أن يروي في صحيحه عن مثل هذا المجرم؟!

نعم، لا عجب من ذلك، فكما أنه روى عن عمران بن حطان الخارجي! هذا الذي مدح قاتل الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ! فكذلك روى عن سمرة هذا الصحابي العدل!! الذي لا يجوز الطعن فيه ولا التعرض له.

والبخاري هذا دأبه وهو أن يروي عن كل من كان منحرفاً عن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا الراوي المنحرف هو الذي يروي ما يشفي غليل البخاري.

قال ابن أبي الحديد في شرحه:.... أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ أَنَّهُ أَخْصَامٌ ۖ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَكَتَ فِي الْأَرْضِ لِيُقْسَدَ

(١) المجلد ٢، ج ٤، ص ٧٧-٧٩، فصل في ذكر المنحرفين عن علي، ط ١٣٧٩هـ، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمد أبو الفضل.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ٣، ص ١٨٤، ترجمة ٣٥.

(٣) دا٤ يأخذ من شدة البرد وتعترى منه رعدة - لسان العرب لابن منظور.

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٥٥٥، ترجمة ٢٢٤٢، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٨٥، ترجمة ٣٥.

فِيهَا وَوَهْلِكَ أَلْحَرْتُ وَالسَّلُّ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿البقرة: ٢٠٥﴾.

وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢٠٧.

فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلثمائة ألف، فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك^(١)!!

قال الذهبي:.... ما في الأرض بقعة نشفت من الدم ما نشفت هذه - يعنون دار الإمارة - قتل بها سبعون ألفاً!!... قيل: من فعل ذلك؟ قال: زياد وابنه وسمرة^(٢)!!
هذا سمرة بن جندب الذي نعته البخاري بـ (فلاناً) محاولاً إخفاء اسمه!! لماذا؟! لأنه صحابي عدل!! وخوفاً من أن يُطعن فيه لذا أخفى اسمه!!
وأقول:

عندما قال النبي الأكرم: ايتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً... وكما يقول البخاري: فقال عمر: أهجر! استفهموه؟!

حسبنا كتاب الله!، وفي رواية: هجر!

ألا يحق للمسلم أن يشك في قول عمر وأن ما قاله أكثر وأشنع من ذلك؟!

ألا يحق للمسلم أن يشك في البخاري بأنه خفف عن صاحبه فهذّب الكلمة؟!

ألا يحق للمسلم أن يشك بأن عمر قال: إن النبي ليهجر! أو إن الرجل ليهجر! دعوه وشأنه! أو دعوا الرجل أو لقد خَرَفَ الرجل! ولا تلبوا طلبه! إنه يهذر ويهذي من أثر الوجع!

فطالما أن البخاري قد قام بالتخفيف عن سمرة بن جندب ولم يذكر اسمه! فالتخفيف عن عمر أولى عند البخاري من سمرة.

ثم أين الأمانة في النقل!

(١) المجلد ٢، ج ٤، ص ٧٣، فصل في ذكر الأحاديث الموضوعية في ذم علي، ط ١٣٧٩هـ، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٨٥، ترجمة ٣٥.

وأخيراً أقول: مهما حاول البخاري أن يطمس تلك الحقائق فإنه لن يستطيع ذلك وإنما واضحة كالشمس الساطعة في رابعة النهار لمن أراد الحقيقة، ولمن ترك التعصب جانباً.

فكم يا ترى من منقبة جاءت في حق أهل البيت وحاوّل البخاري طمسها أو بترها؟! وكم من فضيلة لأهل البيت عليهم السلام قام البخاري ببتّر كلمة منها أو جملة! هذا إن لم يكن الحديث برمته قد قام بحذفه ولم يدونه في صحيحه.

وبما أن البخاري يقوم بالتمويه على سمرة فإن هذا الأمر يسلب الثقة في صحيحه ويعتبر ذلك خيانة بحق الحديث والنقل لأنه يعتبر قلباً للحقائق وتضليلاً للقارئ.

ألا يجعل ما ذكرناه عاملاً يساهم في ضعف ووهن صحيح البخاري؟!!

ولماذا يزيّف الواقع ويحاول منع الحق من الظهور؟!!

فمهما بترت وحذفت، ومهما أخفيت وهذبت! محاولاً تغطية الحقائق فالأمر واضح وجلي ولن تستطيع إقناع المسلم المدرك الواعي بتلاعبك بألفاظ الحديث.

وإن أردت المزيد فراجع كتابنا «مناقشاتي في أحاديث أهل السنة».

باب بيع البعير

٤٨٧.... عن جابر قال أقبلنا من مكة إلى المدينة مع رسول الله ﷺ فاعتل جملي وساق الحديث بقصته وفيه ثم قال لي بعني جملك هذا قال قلت لا بل هو لك قال لا بل بعنيه قال قلت لا بل هو لك يا رسول الله قال لا بل بعنيه قال قلت فإن لرجل علي أوقية ذهب فهو لك بها قال قد أخذته فتبلغ عليه إلى المدينة قال فلما قدمت المدينة قال رسول الله ﷺ لبلال أعطه أوقية من ذهب وزده قال فأعطاني أوقية من ذهب وزادني قيراطاً قال فقلت لا تفارقني زيادة رسول الله ﷺ قال فكان في كيس لي فأخذته أهل الشام يوم الحرة.

يقول الأبى في شرحه: قوله (فأخذته أهل الشام يوم الحرة) قلت الحرة أرض شرقي المدينة متصلة بالمدينة ويومها هو أنه لما توفي معاوية استخلف ابنه يزيد وظهر من فسقه وشربه الخمر خلع أهل المدينة بيعته فبعث إليهم يزيد مسلم بن عقبة العدواني في اثني عشر ألف مقاتل من أهل الشام ليس فيهم أصغر من ابن عشرين ولا أكبر من ابن خمسين وقال له أمرك أن لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الدخول فيما خرجوا عنه ثلاثاً فإن هم أجابوك فانصرف عنهم إلى قتال ابن الزبير بمكة وإن أبوا فناجزهم القتال فإذا ظهرت عليهم فأبح المدينة ثلاثاً بما فيها من المال والسلاح والطعام فإن انقضت الثلاث فاكفف عن الناس فلما نزلها دعاهم إلى ما أمره به يزيد فأبوا إلا القتال وخرجوا لقتاله بجنود كثيرة وهيئة لم ير مثلها فاتاهم مسلم للقتال من جهة الحرة هذه وكان الذي أشار عليه

بقتالهم منها عبدالملك بن مروان لأنها شرقي المدينة بحيث إذا طلعت الشمس تطلع بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم وتطلع في وجوه أهل المدينة فيؤذيهم حرها فيصيبيهم أذاها، فاقتتلوا قتالاً شديداً كان عاقبته أن انهزم أهل المدينة وصرخ النساء والصبيان وركب الناس بعضهم بعضاً في الطرق ودخل أهل الشام المدينة وأباحوها ثلاثاً يدخلون البيوت ويسلبون النساء الحلبي ويأخذون ما بها من الثياب والأثاث وكان سبب انهزامهم أن بني حارثة من أهل المدينة أدخلوا مروان بن الحكم في مائة فارس من جهاتهم فجعل الخيل تتحدر في أثر المائة فبلغ ذلك المقاتلة فانهزموا ودخلت المدينة قال محمد بن لبيد حضرت يومئذ ولما انتهى القوم إلينا انتهوا إلى الموت الناقع فلم يجدوا عندنا ما طمعوا فيه منا ولكننا أتينا يومئذ من مأمنا أتينا من قبل قومنا بني حارثة قال عبدالله بن جعفر سألت الزهري عن قتل من الناس يومئذ قال أما من وجوه الناس فأكثر من سبعمائة من قريش والأنصار ووجوه الموالي، ومن لا نعهده من الموالي والعبيد والنساء والصبيان فأكثر من عشرة آلاف وقال يحيى بن سعيد قتل يوم الحرة سبعمائة ممن حمل القرآن، وقتل يومئذ ثمانون صحابياً لم يبق بعدها بدري، فأخذ أهل الشام كيس جابر هذا، الأظهر أنه كان مما انتهب من البيوت^(٩).

يقول ابن كثير الدمشقي:.... وقعة الحرة، وكان سببها أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد ولولو على قريش عبدالله بن مطيع وعلى الأنصار عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر وعلى قبائل المهاجرين معقل بن سنان الأشجعي فلما كان في أول هذه السنة أظهروا ذلك واجتمعوا عند المنبر وجعل الرجل منهم يقول قد خلعت يزيد كما خلعت عماتي هذه ويلقيها عن رأسه ويقول الآخر قد خلعته كما خلعت نعلي هذه حتى اجتمع شيء كثير من العمائم والنعال هنالك ثم اجتمعوا على إخراج عامل يزيد من بين أظهرهم وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ابن عم يزيد وعلى إجلاء بني أمية من المدينة فاجتمعت بنو أمية وهم قريب من ألف رجل في دار مروان بن الحكم وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم واعتزل الناس علي بن الحسين زين العابدين وكذلك عبدالله بن عمر بن الخطاب لم يخلع يزيد ولا أحد من أهل بيته وقد قال ابن عمر لأهله لا يخلعن أحد

(٩) إكمال إكمال المعلم، ج ٥، ص ٥١٦، ح ٧١٥.

منكم يزيد فيكون الفيصل - ويروى الصيلم^(١) - بيني وبينه... وأنكر على أهل المدينة في مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة حتى الموت وقال إنما كنا نبايع رسول الله ﷺ على أن لا نفر وكذلك لم يخلع يزيد أحد من بني عبدالمطلب.

وكتب بنو أمية إلى يزيد بما هم فيه من الحصر والإهانة والجوع والعطش وأنه إن لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه وإلا استؤصلوا عن آخرهم وبعثوا ذلك مع البريد فلما قدم بذلك على يزيد وجده جالساً على سريره ورجلاه في ماء يتبرد به مما به من النقرس^(٢) في رجله فلما قرأ الكتاب انزعج لذلك وقال ويلك أما فيهم ألف رجل قال بلى قال أفلا قاتلوا ولو ساعة من نهار ثم بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص فقرأ عليه الكتاب واستشاره فيمن يبعثه إليهم وعرض عليه ذلك فأبى وقال إن أمير المؤمنين عزلني عنها وهي مضبوطة وأمورها محكمة فأما الآن فإنما هي دماء قريش تراق بالصعيد فلا أحب أن أتولى ذلك منهم ليتول ذلك من هو أبعد منهم مني قال فبعث البريد إلى مسلم بن عقبة المري وهو شيخ كبير ضعيف فانتدب لذلك وأرسل معه يزيد عشرة آلاف فارس وقيل اثني عشر ألفاً ونادي منادي يزيد بدمشق أن سيروا على أخذ أعطياتكم كاملاً ومعونة أربعين ديناراً قال المدائني ويقال في سبعة وعشرين ألفاً اثنا عشر ألف فارس وخمسة عشر ألف راجل وأعطى كل واحد مائة دينار وقيل أربعين دينار ثم استعرضهم يزيد وهو على فرس له.

قال المدائني وجعل على أهل دمشق عبدالله بن مسعدة الفزاري وعلى أهل حمص حصين بن نمير السكوني وعلى أهل الأردن حبيش بن دلجة القيني وعلى أهل فلسطين روح بن زنباع الجذامي وشريك الكناني وعلى أهل قنسرين طريف بن الحسحاس الهلالي وعليهم جميعاً مسلم بن عقبة المري مرة غطفان فقال النعمان بن بشير يا أمير المؤمنين ولني عليهم أكفك وكان النعمان أخا عبدالله بن حنظلة لأمه عمرة بنت رواحة فقال يزيد لا ليس لهم إلا هذا العَشْمَةُ^(٣) والله لا أقبلهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم

(١) الصيلم: القطيعة المنكرة.

(٢) النقرس: مرض مؤلم يحدث في الرجل، وهو ما كان يسمى بداء الملوك.

(٣) شيخ عشمه: كبير هرم يابس، انظر اللسان (عشم).

مرة بعد مرة فقال النعان أنشدك الله يا أمير المؤمنين في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ وقال له عبدالله بن جعفر أرأيت إن رجعوا إلى طاعتك أتقبل ذلك منهم قال إن فعلوا فلا سبيل عليهم وقال يزيد لمسلم بن عقبة إذا قدمت المدينة ولم تصد عنها وسمعوا وأطاعوا فلا تتعرض لأحد منهم وامض إلى الملحد^(١) ابن الزبير وإن صدوك عن المدينة فادعهم ثلاثاً فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكف عنهم وإلا فاستعن بالله وقاتلهم وإذا ظهرت عليهم فأبعتها ثلاثاً ثم اكفف عن الناس وقيل إنه قال لمسلم بن عقبة إذا ظهرت عليهم فإن كان قتل من بني أمية أحد فجرد السيف واقتل المقبل والمدبر واجهز على الجريح وانهبها ثلاثاً وانظر إلى علي بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيراً وأدن مجلسه فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه وأمره إذا فرغ من المدينة أن يذهب إلى مكة لحصار ابن الزبير وقال له إن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن نمير السكوني.

وقد كان يزيد كتب إلى عبدالله بن زياد أن يسير إلى ابن الزبير فيحاصره بمكة فأبى عليه وقال والله لا أجمعهما للفاسق أبداً أقتل ابن بنت رسول الله ﷺ وأغزو البيت الحرام؟! وقد كانت أمه مرجانة قالت له حين قتل الحسين ويحك ماذا صنعت وماذا ركبت!

قالوا: وقد بلغ يزيد أن ابن الزبير يقول في خطبته يزيد القروذ شارب الخمر.

فلما جهز مسلم بن عقبة واستعرض الجيش بدمشق جعل يقول:

أبلغ أبا بكر إذا الجيش سرى

وأشرف الجيش على وادي القرى

أجمع سكران من القوم ترى

يا عجباً من ملحد يا عجباً

مخادع للدين يقفوا بالفري^(٢)

(١) الملحد: التارك القصد فيما أمر به، والمائل إلى الظلم، انظر اللسان (لحد).

(٢) يقفو: يرمي. والفري: جمع فرية، وهي الكذب. انظر اللسان (قفو)، (فري).

وفي رواية:

أبلغ أبا بكر إذا الأمر انبرى
ونزل الجيش على وادي القرى
عشرون ألفا بين كهل وفتى
أجمع سكان من القوم ترى

قالوا: وسار مسلم بمن معه من الجيوش إلى المدينة فلما اقترب منها اجتهد أهل المدينة في حصار بني أمية وقالوا لهم والله لنقتلنكم عن آخركم أو لتعطونا موثقاً أن لا تدلوا علينا أحداً من هؤلاء الشاميين ولا تمالئوهم علينا، فأعطوهم العهود بذلك فلما وصل الجيش تلقاهم بنو أمية فجعل مسلم يسألهم عن الأخبار فلا يخبره أحد فأنحصر لذلك وجاءه عبدالملك بن مروان فقال له إن كنت تريد النصر فانزل شرقي المدينة في الحرة فإذا أجابوك وإلا فاستعن بالله وقاتلهم فإن الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الإمام وخرجوا من الطاعة فشكره مسلم بن عقبة على ذلك وامتل ما أشار عليه به فنزل شرقي المدينة في الحرة ودعا أهلها ثلاثة أيام كل ذلك يأبون إلا المحاربة والمقاتلة فلما مضت الثلاث قال لهم في اليوم الرابع - وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين - قال لهم يا أهل المدينة مضت الثلاث وإن أمير المؤمنين قال لي إنكم أصله وعشيرته وإنه يكره إراقة دمائكم وإنه أمرني أن أؤجلكم ثلاثاً فقد مضت فما أنتم صانعون أتسالمون أم تحاربون فقالوا بل نحارب فقال لا تفعلوا بل سالموا ونجعل جدنا وقوتنا على هذا الملحذ يعني ابن الزبير فقالوا له يا عدو الله لو أردت ذلك لما مكناك منه أنحن نذركم تذهبون فتلحدون في بيت الله الحرام؟! ثم تهيئوا للقتال وقد كانوا اتخذوا خندقاً بينهم وبين مسلم بن عقبة وجعلوا جيشهم أربعة أرباع على كل ربع أمير وجعلوا أجل الأرباع الربع الذي فيه عبدالله بن حنظلة الغسيل ثم اقتتلوا قتالاً شديداً ثم انهزم أهل المدينة إليها وقد قتل من الفريقين خلق من السادات والأعيان منهم عبدالله بن مطيع وبنون له سبعة بين يديه وعبدالله بن حنظلة الغسيل وأخوه لأمه محمد بن ثابت بن شماس ومحمد بن عمرو بن حزم وقد مر به مروان بن الحكم وهو مجدل فقال رحمك الله فكم من سارية قد رأيتك تطيل عندها القيام والسجود!

ثم أباح مسلم بن عقبة - الذي يقول فيه السلف: مسرف بن عقبة - قبحه الله المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد لا جزاه الله خيراً وقتل خلقاً من أشرافها وقرائها وانتهب أموالاً كثيرة منها ووقع شر عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد فكان ممن قتل بين يديه صبراً معقل بن سنان الأشجعي وقد كان صديقه قبل ذلك ولكن أسمعته في يزيد كلاماً غليظاً فنقم عليه بسببه.

... ثم استدعى بعمر بن عثمان بن عفان - ولم يكن خرج مع بني أمية - فقال له إنك إن ظهر أهل المدينة قلت أنا كنت معكم وإن ظهر أهل الشام قلت أنا ابن أمير المؤمنين ثم أمر به فنتفت لحيته بين يديه.

قال المدائني وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون الأموال فأرسلت سعدى بنت عوف المرية إلى مسلم بن عقبة تقول أنا بنت عمك فمر أصحابك أن لا يتعرضوا للإبل لنا بمكان كذا وكذا فقال لأصحابه لا تبدأوا إلا بإبلها وجاءت امرأة فقالت أنا مولاتك وابني في الأسارى فقال عجلوه لها فضربت عنقه وقال أعطوها رأسه أما ترضين أن لا تقتلي حتى تتكلمي في ابنك؟ ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج.

قال المدائني: ... قال هشام بن حسان ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد الحرة من غير زوج.

وقد اختفى جماعة من سادات الصحابة منهم جابر بن عبدالله وخرج أبو سعيد الخدري فلجأ إلى غار في جبل فلحقه رجل من أهل الشام قال فلما رأيته انتضيت سيفي فقصدني فلما رأيته صمم على قتلي فشممت سيفي ثم قلت ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ فلما رأى ذلك قال من أنت قلت أنا أبو سعيد الخدري قال صاحب رسول الله ﷺ قلت نعم فمضى وتركني.

قال المدائني وجيء إلى مسلم بسعيد بن المسيب فقال له بايع فقال أبايع على سيرة أبي بكر وعمر فأمر بضرب عنقه فشهد رجل أنه مجنون فخلى سبيله.

وقال المدائني عن علي بن عبدالله القرشي وأبي إسحاق التميمي قال لما انهزم أهل المدينة يوم الحرة صاح النساء والصبيان فقال ابن عمر: بعثمان ورب الكعبة.

قال المدائني عن شيخ من أهل المدينة قال سألت الزهري كم كان القتلى يوم الحرة قال سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ووجوه الموالي وممن لا يعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف قال وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام.

قال الواقدي وأبو معشر كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين.

قال الواقدي: عن عبدالله بن جعفر عن ابن عوف قال وحج بالناس في هذه السنة عبدالله بن الزبير وكانوا يسمونه العائد ويرون الأمر شورى وجاء الخبر إلى أهل مكة بما حصل لأهل المدينة ليلة مستهل المحرم مع سعيد مولى المسور بن مخزومة فحزنوا حزناً شديداً وتأهبوا لقتال أهل الشام^(١).

يقول الدكتور محمد العرينان في كتابه إباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد: سوف أناقش في دراستي هذه حادثتين تعتبران من أخطر أحداث التاريخ الإسلامي التي وقعت خلال فترة الدولة الأموية وهما أولاً إباحة المدينة ثلاثة أيام على يد الجيش الأموي في عهد يزيد بن معاوية... ثانياً حريق الكعبة الذي يتهم في الجيش الأموي في عهد يزيد نفسه.

أقول:

إن العرينان يعتبر هاتين الحادثتين من أخطر الأحداث في التاريخ الإسلامي وكان قتل الحسين وأهل بيته وبأمر يزيد بن معاوية ليس من الأحداث الخطيرة التي حدثت في عهد الطاغية يزيد.

يقول العرينان: إن المصدر الأول لإباحة المدينة في عهد يزيد هو تاريخ الطبري ويقول إن الرواية المصدر الوحيد رواية أبو مخنف وهذه الشخصية افتقدت ثقة أصحاب كتب تراجم الرجال إلى جانب أنه شيعي واحتمال تحيزه وارد ويتحمس للعلويين.

(١) البداية والنهاية، ج ٦، ص ٢٥٥، ثم دخلت سنة ثلاث وستين.

أقول:

إن مسلم النيسابوري صاحب الصحيح قد ذكر هجوم جيش الشام على المدينة يوم الحرة ومسلم هذا قد مات سنة ٢٦١هـ أما الطبري فتوفي بعده في سنة ٣١٠هـ.

أقول:

رواية عبدالله بن سبأ راويها الوحيد سيف بن عمر الضبي وأيضاً في تاريخ الطبري جاء ذكر المذكور واختلاق الرواية عن طريقه فلماذا تأخذ بالرواية وكأنها من المسلمات في حين أن الجميع قد اتفق على كذب المذكور سيف بن عمر؟!!

وتقول يا عرينان إن احتمال تحيز أبي مخنف وارد وأنه يتحمس للعلويين لأنه شيعي محترق كما نعته ابن عدي الجرجاني فأنت كذلك ناصبي محترق حتى النخاع تدافع عن يزيد بن معاوية هذا الطاغية الذي جاء بالجرائم العظام سنين حكمه والأدلة ثابتة عليه، فاختيارك للكتابة عن هذا المجرم بعنوان إباحة المدينة وحريق الكعبة وتريد أن تشكك المسلم في دفاعك عن يزيد وأن جميع ما جاء فيه ما هو إلا ادعاء واختلاق لهو عنوان هويتك وهو النصب والعداء لأهل البيت لابل وقد قدم لك الشيباني في مستهل كتابك المذكور وحاول تنفيذ أمر يزيد بقتل السيد السبط الحسين بن علي بن أبي طالب وكأنما قد اتفقت على تنفيذ جرائم يزيد المشهورة الثلاث التي جاء بها خلال سنين حكمه وهي قتل الحسين والهجوم على المدينة وإباحتها ثلاثة أيام لجنوده وهدمه الكعبة! ولكن العرينان كأنه خجل أو قال للشيباني لو كتبت عن هذه الجرائم الثلاثة سينكشف أمري ونصبي ولكن يجب عليك أن تقدم لي في مستهل كتابي بذكر أمر قتل الحسين وأما الأمرين الآخرين فاتركهما لي، وإلا فما معنى أن يقدم لك الناصبي الشيباني ويذكر واقعة كربلاء وقتل الحسين سبط رسول الله فكتابك من عنوانه عرف ما فيه.

ويقول العرينان في آخر حديثه لا يزال الشك إذاً في وقوع هذه الحادثة قائماً!!

أقول:

إن مؤلف الكتاب صال وجال في دائرة مغلقة لا هو بقادر على أن يخرج من حدودها ولا هو متمركز في أصولها ومركزها وفسر الماء بعد الجهد بالماء وهو لا يزال في شك من وقوع الحادثة إلى يومنا هذا!!

ولو أردت أن تعرف حقيقة الكتاب وصاحبه فراجع إن شئت أخي الكريم كتاب إباحة
المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية للدكتور حمد محمد العرينان ط١٤٠٣هـ،
مكتبة ابن تيمية، الكويت.

باب تحريم الاحتكار

٤٨٨... كان سعيد بن المسيب يحدث أن معمرأ قال قال سول الله ﷺ من احتكر فهو خاطئ فقيل لسعيد فإنك تحتكر قال سعيد إن معمرأ الذي كان يحدث هذا الحديث كان يحتكر.

قال النووي في شرحه: قوله ﷺ (من احتكر فهو خاطئ)... قال أهل اللغة الخاطئ... هو العصي الآثم وهذا الحديث صريح في تحريم الاحتكار قال أصحابنا الاحتكار المحرم هو الاحتكار في الأقوات خاصة وهو أن يشتري الطعام في وقت الغلاء للتجارة ولا يبيعه في الحال بل يدخره ليغلو ثمنه فأما إذا جاء من قرينته أو اشتراه في وقت الرخص وادخره أو ابتاعه في وقت الغلاء لحاجته إلى أكله أو ابتاعه لبيعه في وقته فليس باحتكار ولا تحريم فيه وأما غير الأقوات فلا يحرم الاحتكار فيه بكل حال^(١).

وقال العثماني في تكملة فتح الملهم: قوله (فإنك تحتكر) هذا يدل على أن معمرأ رضي الله عنه وتلميذه سعيد بن المسيب كانا يحتكران في غير الأقوات^(٢).

وقال الأبى في إكمال إكمال المعلم: قوله (إن معمرأ كان يحتكر) قال أبو عمر إن سعيداً ومعمرأ إنما كانا يحتكران الزيت وحملنا الحديث على احتكار الأقوات عند الحاجة إليها والغلاء وعلى هذا حملة الشافعي وأبو حنيفة أنه مما يختص بالطعام المقتاب الذي

(١) المجلد ٦، ج ١١، ص ٤٦، ح ١٦٥.

(٢) ج ٧، ص ٦٠٨، ح ٤٠٩٨.

هو مصالح أجسام الناس لا في الأدم والزيت والفاكهة^(١) أي أن الزيت ليس من أقوات الناس.

قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا مِجْرَةَ أَوْ مَوْتًا أُنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتُرَكِّبُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ الْيَجْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ الرَّزِيقِينَ ﴿١١﴾ الجمعة/١١.

وفي صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه قال أقبلت عبر ونحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة فانفض الناس إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية^(٢).

قال السيوطي في تفسيره: عن جابر بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب يوم الجمعة... الحديث.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو خرجوا كلهم لاضطرم المسجد عليهم ناراً^(٣).

وقال ابن الجوزي في تفسيره للآية كانت التجارة طعاماً وقال أبو مالك كانت زيتاً^(٤).

إذا لم يكن الزيت من قوت الناس فلماذا ترك الصحابة النبي أثناء الخطبة وخرجوا لتلك البضاعة (ولأجل تجارة من الشام وقد جلبت بعض الزيت)!!

(١) ج ٥، ص ٥٣٩، ح ١٦٠٥.

(٢) كتاب البيوع، باب ﴿وَإِذَا رَأَوْا مِجْرَةَ أَوْ مَوْتًا﴾.

(٣) الدر المنثور، ج ٨، ص ١٦٥، سورة الجمعة/١١.

(٤) زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المتوفى ٥٩٧هـ، ج ٨، ص ٥٦، سورة الجمعة/١١.

باب تحريم الظلم

٤٨٩... عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أن أروى خاصمته في بعض داره فقال دعوها وإياها فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه طُوقَهُ في سبع أرضين يوم القيامة اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واجعل قبرها في دارها قال فرأيتها عمياء تلتمس الجدر تقول أصابتنني دعوة سعيد بن زيد فبينما هي تمشي في الدار مرت على بثر في الدار فوقعت فيها فكانت قبرها.

وفي حلية الأولياء: أن أروى استعدت على سعيد بن زيد إلى مروان بن الحكم فقال سعيد اللهم إنها قد زعمت أنني ظلمتها فإن كانت كاذبة فأعم بصرها وألقها في بثرها وأظهر من حقي نوراً يبين للمسلمين أنني لم أظلمها قال فبينما هم على ذلك إذ سال العقيق بسيل لم يسلم مثله قط فكشف عن الحد الذي كانا يختلفان فيه فإذا سعيد قد كان في ذلك صادقاً ولم تلبث إلا شهراً حتى عميت فبينما هي تطوف في أرضها تلك إذ سقطت في بثرها قال فكنا ونحن غلمان نسمع الإنسان يقول للإنسان أعماك الله كما أعمى الأروى فلا نظن إلا أنه يريد الأروى التي من الوحش وما يتحدث الناس به مما استجاب الله له سؤله^(١).

وأما في المعارف لابن قتيبة: وأما سعيد بن زيد فكان يكنى أبا الأعور وكان من

(١) حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، المتوفى ٤٣٠هـ، ج١، ص ٩٧، ترجمة ٨، سعيد بن زيد، ط ١٤٠٥/٤هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

المهاجرين الأولين وأسلم قبل عمر وهو أحد العشرة الذين سموا للجنة وبقي إلى خلافة معاوية... وتوفي سنة إحدى وخمسين وهو يومئذ ابن بضع وسبعين سنة وقبره بالمدينة ونزل قبره سعد بن أبي وقاص وابن عمر^(١).

وقال الواقدي في مغازيه:... سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كان النبي ﷺ بعثه وطلحة يتحسان العير متقرب له بسهمه وأجره^(٢)!

أما القرطبي فقولته يخالف ما ذكره الواقدي في مغازيه فيقول: ولم يشهد بدرًا لأنه كان غائبًا بالشام قدم منها بعقب غزوة بدر فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره^(٣).

ويقول الذهبي في سيره: عن سعيد بن زيد أن النبي ﷺ قال اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد وعليه النبي وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن وسعيد بن زيد.

ويقول الذهبي وهو حديث صحيح^(٤).

هذا الحديث رواه سعيد بن زيد وقد زكى نفسه وشهد لنفسه أيضاً باللجنة وفي الحديث أن النبي معهم أي أنه يكتمل عدد العشرة المبشرة باللجنة بالنبي وقد سقط اسم عامر بن الجراح - أبو عبيدة - وهو من المبشرين العشرة باللجنة أيضاً وكذلك سقط اسم عبدالله بن سلام المبشر باللجنة وهو من ضمن العشرة المبشرين أي أصبح لدينا اثنا عشر مبشراً باللجنة!

يقول الذهبي في سيره أيضاً: لما حضر معاذ بن جبل الموت قيل له أوصنا يا أبا عبدالرحمن قال التمسوا العلم عند أبي الدرداء وسلمان وابن مسعود وعبدالله بن سلام الذي أسلم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إنه عاشر عشرة في الجنة^(٥).
وصححه الذهبي والترمذي والحاكم وابن حجر.

(١) المعارف لابن قتيبة الدينوري، ص ١٠٨، أخبار سعيد بن زيد، ط ١٣٩٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) المغازي لمحمد بن عمر الواقدي، ج ١، ص ١٥٦، تسمية من شهد بدرًا من قریش والأنصار.

(٣) الاستيعاب، ج ٢، ص ١٧٨، ترجمة ٩٨٧.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ١٣٩، ترجمة ٦٤.

(٥) نفس المصدر السابق، ص ٤٧٨.

الحاصل: كيف يكون سعيد بن زيد شهيداً كما جاء في سير الذهبي في قول النبي
اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد؟

فالجهور اتفقت كلمتهم على أن سعيد بن زيد توفي على فراشه في العقيق وحمل
إلى المدينة ودفن بها ولم يمّت مسموماً ولا مطعوناً بسيف أو رمح!!

وكيف يكون هؤلاء من المشهود لهم بالجنة وقد وقع بينهم من المخالفات الكثيرة
والمتكررة ودارت المعارك والويلات بينهم وظهرت العداوة فيما بينهم وقتل بعضهم
بعضاً؟

ثم ليس آل ياسر في الجنة وهم أول من بشرهم النبي بالجنة!! ليس جميع
الصحابة في الجنة؟ فما معنى أن يؤكد النبي على هؤلاء بالذات، وأنهم من أهل
الجنة!!؟

ثم ما هذا الترتيب الذي رتبهم به النبي وكأنه ينص على خلافتهم ويرشحهم
لذلك!!؟

وهؤلاء المبشرون بالجنة قد دارت الأحداث والأمور المهمة على يدهم بعد وفاة النبي
مباشرة، فالأحداث الخطيرة التي حدثت بعد وفاته من السقيفة إلى خلافة عمر بالنص ثم
عثمان وما أحدثه في أيامه إلى أن ثار المسلمون عليه وذبحوه في عقر داره، وهؤلاء كانوا
مثل قطب الرحى للأحداث المؤلمة التي صدرت منهم تجاه بعضهم البعض والتي حرفت
مسار الأمة الإسلامية إلى يومنا هذا.

وأخيراً لدينا اثنا عشر مبشراً بالجنة، فيجب إزاحة اثنين منهم! لكي يكتمل العدد
الذي يقبل به أهل العامة ولكي نصحح مدلول الحديث!
فأقول:

يجب إزاحة النبي الأكرم والإمام علي بن أبي طالب لكي يكتمل لدينا العشرة
المبشرون بالجنة وذلك لأن هؤلاء لا يقاسون بالنبي والإمام عليهما الصلاة والسلام.

باب تحريم الرجوع في الصدقة

٤٩٠.... حدثنا الأوزاعي عن أبي جعفر محمد بن علي عن ابن المسيب عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال مثل الذي يرجع في صدقته كمثل الكلب يقيء ثم يعود في قيئه فيأكله.

٤٩١.... عن الأوزاعي قال سمعت محمد بن علي بن الحسين يذكر بهذا الإسناد نحوه وحدثنيه حجاج بن الشاعر حدثنا عبد الصمد حدثنا حرب حدثنا يحيى وهو ابن أبي كثير حدثني عبد الرحمن بن عمرو أن محمد بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ حدثه بهذا الإسناد نحو حديثهم.

إن القلم ليعجز أن يمر عند ذكر اسم الإمام الباقر ﷺ مرور عابر من غير أن يذكر من سيرته ولو الشيء اليسير.

ولادته ونشأته ﷺ: في غرة رجب من عام (٥٧) من الهجرة غمر بيت الرسالة الطاهر موج من السرور والبهجة احتفاء بميلاد محمد بن علي بن الحسين ﷺ الذي سبق من سواه من مواليد ذلك البيت العظيم في كونه أول وليد فيه ينتهي في نسبه إلى علي وفاطمة بنت الإمام الحسن ﷺ التي وصفها الإمام الصادق ﷺ بأنها صديقة لم

تدرك في آل الحسن امرأة مثلها فهو ههاشمي من هاشميين وعلوي من علويين.
ولقد عاش الإمام محمد الباقر عليه السلام في كنف جده الحسين أكثر من ثلاث سنين
وشهد مأساة الطف في مستهل عمرة الشريف وتفيأ ظلال الرسالة والإمام برعاية أبيه
السجاد عليه السلام طوال سنوات إمامته وتلقى علوم الإسلام وتراث الأنبياء عليهم السلام من
أبيه عليه السلام خلال تلك الفترة.

ولقد صنع على عين الرسالة الإلهية من خلال الجو الذي وفره له والده الإمام
السجاد عليه السلام كي ينهض بأعباء الإمامة الشرعية وفقاً لما رسم الله تعالى لعباده في
الأرض.

ومن هنا فإن الإمام الباقر عليه السلام قد بلغ الذروة في السمو نسباً وفكراً وخلقاً مما منحه
أهلية النهوض بأعباء المرجعية الفكرية والاجتماعية للأمة بعد أبيه عليه السلام.
ويبدو أن الإمام محمد الباقر عليه السلام قد استأثر جده رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر تحديد اسمه
ولقبه كما في رواية الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه حيث يقول قال لي
رسول الله صلى الله عليه وآله يوشك أن تبقى حتى تلقى ولدأ لي من الحسين عليه السلام يقال له محمد يبق
علم الدين بقرأ فإذا لقيته فأقرئه مني السلام.

وبناء على ذلك لقب محمد بن علي عليه السلام بالباقر أي المتبحر بالعلم والمستخرج
لغوامضه ولبابه وأسراره والمحيط بفنونه كما تشير إلى ذلك قواميس اللغة المعتمدة.
وبمقدور القارئ المنصف أن يدرك عظمة الإمام عليه السلام وسموه في دنيا الإسلام
والمسلمين بعد إدراكه لمدى اهتمام الرسول القائد صلى الله عليه وآله به ووجه له بتحديد اسمه ولقبه
وإبلاغه سلامه من خلال أحد أجلاء الصحابة بالرغم من الفاصل الزمني بين الرسول صلى الله عليه وآله
وسليله الباقر عليه السلام.

مكانة الإمام عليه السلام:

الذروة التي بلغها الإمام الباقر عليه السلام في الفكر والعمل والمؤهلات القيادية التي أطرت
شخصيته كمحصلة للإعداد الرسالي المكثف الخاص الذي وفره بيت الرسالة له من خلال

أبيه السجاد عليه السلام جعل المؤلف والمخالف يجمعان على فضله وسمو مكانته في دنيا الناس وهذه جملة من تصريحات رجالات المسلمين بشتى طرائق تفكيرهم بشأنه:

١. قال عبدالله بن عطاء المكي: ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.

٢. وقال محي الدين بن شرف النووي: هو تابعي جليل إمام بارع مجمع على جلالته معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم سمع جابراً وأنساً وروى عنه أبو إسحاق وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار الأعرجي وهو أسن منه والزهري وربيعه وخلائق آخرون من التابعين وكبار الأئمة وروى له البخاري ومسلم.

٣. وقال ابن العماد الحنبلي: أبو جعفر محمد الباقر كان من فقهاء أهل المدينة وقيل له الباقر لأنه بقر العلم أي شقه وعرف أصله وتوسع فيه.

٤. وقال محمد بن طلحة الشافعي: محمد بن علي الباقر هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه ومتفوق دره وراضعه ومنمق درره وراضعه صفا قلبه وزكا علمه وطهرت نفسه وشرفت أخلاقه وعمرت بطاعة الله أوقاته ورسخت في مقام التقوى قدمه وظهرت عليه سمات الازدلاف وطهارة الاجتباء فالمناقب تسبق إليه والصفات تشرف به.

٥. وقال عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير: أبو جعفر الباقر تابعي جليل كبير القدر أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً وسمي الباقر لبقره العلوم واستنباطه الحكم كان ذاكرراً خاشعاً صابراً وكان من سلالة النبوة رفيع النسب علي الحساب وكان عارفاً بالخطرات وكثير البكاء والعبرات معرضاً عن الجدال والخصومات. ٦. وكان جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عنه يقول: حدثني وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.

هذه بعض من أقوال رجال الفكر الاسلامي في الإمام الباقر عليه السلام التي تؤكد عظمته وعلو شأنه لدى جميع المسلمين وبالرغم من أن الإمام قد بلغ الذروة في عقلية ونفسية ومستوى تعامله مع الأمة الأمر الذي دعا مختلف الناس إلى أن يعترفوا بفضله وبلوغه القمة السامقة في مضممار العلم والتقوى واستقامة الخلق فإن شريعة الله تعالى لم تترك

أمر تعريف الأمة بإمامته إلى ما تفرزه شخصيته من فكر راسخ وأخلاق سامية وتعلق بالله تعالى لا يصدر إلا من إمام مثله وإنما سلكت سبيل التعريف بإمامته من خلال إبلاغ الأمة المسلمة بذلك - نصاً - .

وهو أمر تبنته الرسالة عادة في حالة تحديد من تسند إليه منصباً من هذا النوع.

على أن النص الرسالي المحدد لإمام العصر يأتي عادة على لسان ممثل حقيقي يمتلك حق التحدث باسم الرسالة دون سواه كالرسول ﷺ أو إمام افتراض الله إمامته في الفكر والعمل.

ومن هنا فإن الباقر عليه السلام مع كونه متمتعاً بمواصفات الإمامة في فكره وأساليب تعامله ونمط حياته فإن رسالة الله تعالى لم تتخلف عن الإبلاغ الرسمي بإمامته وهذه بعض النصوص الشرعية في هذا المضمار:

١. سأل جابر بن عبد الله الأنصاري رسول الله ﷺ بقوله يا رسول الله ومن الأئمة من ولد علي بن أبي طالب؟ قال عليه السلام الحسن والحسين سيد شباب أهل الجنة ثم سيد الصابرين في زمانه علي بن الحسين ثم الباقر محمد بن علي وستدركه يا جابر فإذا أدركته فأقرته عني السلام.

٢. عن جابر بن يزيد الجعفي قال سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله تعالى على نبيه محمد عليه السلام ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولوا الأمر الذي قرن الله طاعتهم بطاعتك فقال عليه السلام هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن والحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي....

٣. عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام قال: دخلت على جابر بن عبد الله فسلمت عليه فرد علي السلام قال لي من أنت وذلك بعدما كف بصره فقلت محمد بن علي بن الحسين قال يا بني ادن مني فدنوت منه فقبل يدي ثم أهوى إلى رجلي يقبلها فتنحيت عنه ثم قال لي رسول الله يقربك السلام فقلت وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته فكيف ذاك يا جابر فقال كنت معه ذات يوم فقال لي يا جابر لعلك تبقى حتى تلقى رجلاً من ولدي يقال له محمد بن علي بن الحسين يهب الله له النور والحكمة فأقرته

مني السلام.

٤. عن عثمان بن خالد عن أبيه قال: مرض علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في مرضه الذي توفي فيه فجمع أولاده محمداً والحسن وعبدالله وعمر وزيداً والحسين وأوصى إلى ابنه محمد بن علي وكناه الباقر وجعل أمرهم إليه.

٥. وعن مالك بن أعين الجهني قال: أوصى علي بن الحسين عليه السلام ابنه محمد بن علي عليه السلام فقال بني إني جعلتك خليفتي من بعدي لا يدعي فيما بيني وبينك أحد إلا قلده الله يوم القيامة طوقاً من نار فاحمد الله على ذلك واشكره فإنه لا تزول نعمة إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت والشاكر أشكره أسعد منه بالنعمة التي وجب عليه بها الشكر ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

٦. حين حضرت الوفاة علي بن أبي طالب عليه السلام كانت وصيته للحسن السبط عليه السلام كما يلي: يا بني إنه أمرني رسول الله ﷺ أو أوصي إليك وأدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إلي ودفع إلي كتبه وسلاحه وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين.

ثم أقبل بوجهه على الحسين عليه السلام فقال وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك علي بن الحسين، ثم أقبل بوجهه على علي بن الحسين عليه السلام فقال وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي فأقرئه من رسول الله ومني السلام.

هذه بعض النصوص الكريمة التي تجسد للأمة إمامة محمد الباقر عليه السلام بعد أبيه ومرجعيته الفكرية والاجتماعية لها دون سواه من الناس في عصره.

حول شخصية الإمام عليه السلام.... إن الأئمة لا يختلف الواحد منهم عن الآخر في نمط تفكيره وطرز حياته وأسلوب تعامله مع قومه إلا من حيث المصاديق حيث اختلاف المشاكل الاجتماعية وتعددّها وتباين الظروف النفسية والفكرية والسياسية في زمانهم.

وظاهرة عدم الاختلاف في معالم شخصيات الأئمة عليهم السلام - إلا من حيث المصاديق العملية - أمر تحتمه وحدة القاعدة الفكرية التي تحدد مفاهيمهم وسلوكهم وأنشطتهم كافة تلك التي تكون محصلة للإعداد الخاص الذي يحدد الوجهة والمسار والطابع العام

لشخصياتهم الكريمة وهي حقيقة ضمنها حديث رسول الله ﷺ لولده الحسين عليه السلام وهو بصدد تبيان خط الإمامة العظيم: إن الله اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة تاسعهم قائمهم وكلهم في الفضل والمنزلة عند الله سواء. وينصب حديثنا في هذا الفصل على إبراز بعض المصاديق العملية في معالم شخصية الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام تبياناً لسموها الشاهق وتدبراً فيها من أجل العظة العلمية علها تعيننا على سلوك درب الذين أنعم الله تعالى عليهم فرفعوا راية الهدى خفاقة على ظهر هذا الكوكب والباقر منهم في الصميم:

أولاً: مصاديق البعد الروحي من شخصية الإمام عليه السلام: إذا كان أهل البيت عليه السلام قد تعرضوا لشتى المحن التي صببت عليهم عهود الانحراف عن الخط الرسالي فإن تلك المحن كانت تستهدف رسالتهم بالذات ابتداءً وحتى عمليات تصفيتهم جسدياً قد جاءت بسبب ما يحملون من رسالة ومنهج وإمعاناً في استكمال الانحراف لمحو آثارهم فكرياً وفقهياً وسيرة وحتى قبورهم جرت محاولات عديدة لمحو وجودها.

ومن هنا فلسنا نغالي إذا قطعنا بأن الذي بين أيدينا من سيرة الأئمة من أهل البيت عليه السلام إنما هو شذرات يسيرة لا تعكس إلا جزءاً صغيراً من واقعهم المشرق. كل ذلك بسبب الملاحقة لهم ولأتباعهم من بعدهم وبسبب النكبات التي حلت بالمؤسسات العلمية التي حفظت آثارهم عبر مراحل عديدة من تاريخنا المشرق الدامي القديم والحديث.

ومن هنا فإن الباحث في حياتهم يجد صعوبة إذا شاء تكوين فكرة ناضجة عن كل إمام لقلّة الآثار التي دونت سيرتهم نظراً لمطاردتهم وملاحقتهم بيد أنه بالرغم من ذلك فإن الروايات المتناثرة التي تعكس الوجه العملي من شخصيات الأئمة عليه السلام تشكل أساساً متيناً لرسم صورة حية وإن لم تكن متكاملة لسيرتهم العطرة.

وحيث إننا نتناول دراسة البعد الروحي من شخصية الإمام الباقر عليه السلام فإن بعض النشاطات العبادية التي حفظتها لنا سيرته عليه السلام بالرغم من محدوديتها تصلح مادة حية لخلق تصور عميق للبعد الشاهق لروحية الإمام عليه السلام وعمق تعلقه بربه الأعلى سبحانه

وتعالى.

١. عن الإمام الصادق عليه السلام: كان أبي كثير الذكر لقد كنت امشي معه وإنه ليذكر الله وأكل معه الطعام وإنه ليذكر الله ولقد كان يحدث القوم وما يشغله عن ذكر الله وكنت أرى لسانه لا زقأبحنكه يقول لا إله إلا الله وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر.

٢. عن أفلح مولاة قال: خرجت مع محمد بن علي حاجاً فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته فقلت بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلو رفعت بصوتك قليلاً فقال لي ويحك يا أفلح ولم لا أبكي لعل الله تعالى ينظر إلي منه برحمة فأفوز بها عنده غداً. قال ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده وإذا بموضع سجوده مبتل من كثرة دموع عينيه.

٣. وعن ضراعتة لله تعالى في جوف الليل روى الإمام الصادق عليه السلام كان أبي في جوف الليل يقول في تضرعه أمرتني فلم أثمر ونهيتني فلم أنزجر فها أنا ذا عبدك بين يديك ولا أعتذر.

٤. وفي دعائه عندما يأوي إلى فراش النوم: بسم الله اللهم إنني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك فتوكلت عليك رهبة منك ورغبة إليك لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبرسولك الذي أرسلت ثم يسبح تسبيح الزهراء عليها السلام.

فهذه الروايات التي تجسد عمق تعلق الإمام الباقر عليه السلام بربه الأعلى سبحانه تعبر في ذات الوقت عن نفس اندكت في حب الله طلب الزلفى لديه واستشعار رحمته في كل آن والتوجه إليه في الروح والقلب والجوارح كلها معاً الأمر الذي لا يتوفر أبداً إلا للمقربين من أولياء الله تعالى دون سواهم.

ولقد بلغ من تعلق الإمام محمد الباقر عليه السلام بالله تعالى أن أصبحت الدار الآخرة ولقاء الله تعالى فيها كل همه وتفكيره حتى ملأت آفاق عقله وقلبه فمما روي عنه عليه السلام أنه خاطب جابر بن يزيد الجعفي عليه الرحمة بقوله أصبحت والله يا جابر محزوناً مشغل القلب فأجابه جابر رضي الله عنه جعلت فداك ما حزنك وشغل قلبك فقال عليه السلام يا جابر إنه حزن

هم الآخرة يا جابر من دخل قلبه خالص حقيقة الإمام شغل عما في الدنيا من زينتها إن زينة زهرة الدنيا إنما هو لعب ولهو وإن الدار الآخرة لهي الحيوان وإن المؤمن لا ينبغي له أن يركن ويطمئن إلى زهرة الحياة الدنيا واعلم أن أبناء أهل الدنيا هم أهل غفلة وغرور وجهالة وأن أبناء الآخرة هم المؤمنون العاملون الزاهدون أهل العلم والفقه وأهل فكرة واعتبار لا يملون من ذكر الله.

واعلم يا جابر أن أهل التقوى هم الأغنياء أغناهم القليل من الدنيا فمؤنتهم يسيرة إن نسيت الخير ذكروك وإن عملت به أعانوك أخروا شهواتهم ولذاتهم خلفهم وقدموا طاعة ربهم أمامهم ونظروا إلى سبيل الخير وإلى ولاية أحبائه الله فأحبوهم وتولوهم واتبعوهم.

هكذا تتكشف روحية الإمام الباقر عليه السلام عن انفتاح في أعلى مستويات الوعي على الآخرة ليس له نظير إلا عند الأنبياء وأوصياء الأنبياء عليهم السلام بشكل جعله يترجم ذلك توجيهاً سامياً إلى تلميذه جابر رضي الله عنه والسالكين لدرب الهدى من غيره كي يسلكوا سبيل المتقين الصادقين في إدراك الآخرة والعمل لها ما وسعتهم قدراتهم الذاتية.

ثانياً: البعد الاجتماعي من شخصيته عليه السلام... وها نحن أولاً نطرح بعض الأنشطة الاجتماعية التي تفاعل الإمام عليه السلام من خلالها مع الجماهير التي عاش في ظهرانيها:

أ. عن الإمام الصادق عليه السلام قال دخلت على أبي يوماً وهو يتصدق على فقراء المدينة بثمانية آلاف دينار وأعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً.

ب. عن الحسن بن كثير قال شكوت إلى أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام الحاجة وجفاء الاخوان فقال بنس الأخ أخ يركعك غنياً ويقطعك فقيراً ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم فقال استنفق هذا فإذا نفدت فأعلمني.

ت. عن عمرو بن دينار وعبدالله بن عبيد قالا ما لقينا أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام إلا وحمل إلينا النفقة والصلة والكسوة فقال هذه معدة لكم قبل أن تلقوني.

ث. عن سليمان بن قرم قال كان أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام يجزينا بالخمسمائة إلى الستمائة إلى الألف درهم وكان لا يمل من صلة إخوانه وقاصديه ومؤمليه وراجيه.

ج. قالت سلمى مولاته: كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم الثياب الحسنة ويهب لهم الدراهم فأقول له في ذلك ليقبل منه فيقول يا سلمى ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف. وكان يجيز بالخمسمائة والستمائة إلى الألف.

وكان لا يمل من مجالسته إخوانه وقال إعرف المودة لك في قلب أخيك بما له في قلبك وكان لا يسمع من داره يا سائل بورك فيك ولا يا سائل خذ هذا وكان يقول سموهم بأحسن أسمائهم.

هذه بعض مظاهر تعامله عليه السلام مع قطاعات الأمة الواسعة على أن القيمة الموضوعية لممارسته تلك قد لا تتجسد بشكل جلي أمام القارئ الكريم إلا إذا أعدنا إلى الأذهان أن الإمام عليه السلام لم يكن في موضع اقتصادي يحسد عليه فقد كان كما وصفه الإمام الصادق عليه السلام كان أبي أقل أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤونة [.

فهو إنما يمارس تلك المسؤوليات ويتحمل تلك التبعات لا من مركز مالي مرتفع وإنما من مركز متواضع ولكنه مع ذلك لا ينكص عن تحمل الأعباء الاجتماعية أبداً وإنما يمارس دوره من أجل التخفيف عن كاهل الأمة التي يرهقها الظلم الاجتماعي الذي تصبه السياسة التحريفية يوم ذاك لا سيما على أتباع أهل البيت عليهم السلام.

وما أعظم الشعار الذي كان يرفعه عليه السلام بهذا الصدد نقلاً عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أشد الأعمال ثلاثة مواساة الأخوان في المال، وإنصاف الناس من نفسك وذكر الله على كل حال.

ولقد كان عليه السلام حريصاً على تعليم أتباعه من المؤمنين أرقى نماذج التعامل مع الناس وهذه بعض مفاهيمه بهذا الصدد:

ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة أن تغفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم إذا جهل عليك.

ما من عبد يمتنع من معونة أخيه المسلم والسعي له في حاجته قضيت أو لم تقض إلا ابتلى بالسعي في حاجة من يأثم عليه ولا يؤجر وما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما

يرضي الله إلا ابتلي بأن ينفق أضعافها فيما أسخط الله.

ومن أسمى معاني أخلاقه عليه السلام أن نصرانياً اعتدى عليه بأفحش القول حيث خاطبه: أنت بقر قال الإمام: (أنا باقر) قال: أنت ابن الطباخة، قال (ذاك حرفتها) قال: أنت ابن السوداء الزنجية البذية، قال عليه السلام: (إن كنت صدقت غفر الله لها وإن كنت كذبت غفر الله لك).

فلم يكن من النصراني إلا أن يثوب إلى رشده بعد إدراك فضل الإمام عليه السلام وسمو شخصيته وعظمة الرسالة التي يتبناها فيعلن إسلامه بين يدي الإمام عليه السلام.

ثالثاً: العطاء الفكري للإمام عليه السلام: بسبب الإعداد الخاص الذي يتوفر لكل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام لتحديد معالم شخصيته وطابعها ومنطلقها لمقتضيات الرسالة الإلهية ومناهجها في الفكر والعمل فإن الأئمة قد تسنموا قمة التسلسل في درجات الشخصية الإسلامية حتى عادوا في النشاط الفكري والممارسات العملية الممثلين الحقيقيين لرسالة الله تعالى ومتطلباتها.

فهم في الفكر السنة ناطقة بمكنون الحق والهدى وهم في سائر الأنشطة والتفاعل على الصورة الحية التجسيدية لشرعة الله العظمى ومناهجه الأقوم.

وقد سبق أن أشرنا إلى طبيعة التلقي والإعداد الذين يخضع لهما كل إمام من خلال إشراف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على تشكيل شخصيته كما في حالة علي بن أبي طالب عليه السلام أو إشراف إمام سابق على تشكيل شخصية الذي يليه كما في سائر الأئمة عليهم السلام بيد أن الجانب الفكري عند الأئمة عليهم السلام وإن كان نقلياً بسبب ذلك الإعداد الخاص إلا أن مفاهيمهم ومعالجاتهم لما يستجد من أحداث في حياتهم وحياة المعاصرين لهم تأتي من خلال ما يملكون من مدد علمي لا ينضب في هذا المضمار.

وقد تجسد ذلك عملياً في حياة الأئمة عليهم السلام حيث أشارت العديد من الأحاديث الكريمة لهذه الحقيقة إذ لم تتعذر عليهم الإجابة عن سؤال أو إشكال في أمر فكري أم تشريعي أم علمي أم نحوه ولم يخطئوا في تحديد مفهوم أو تصور أو فكرة طوال حياتهم.

وحيث نحاول الآن دراسة سيرة الإمام الباقر عليه السلام فسوف نظل على البعد الفكري الشاهق من شخصيته الكريمة وقبل أن نطرح بعض النماذج الحية من أفكاره الرائدة نود أن نشير إلى أن عمق تفكيره عليه السلام وسمو مكانته العلمية على من سواه في عصره في العقائد والفقه والتفسير والحديث وسواها من حقول معرفته مما كان مثار إعجاب القمم الفكرية في زمنه وما بعده.

فعبداً بن عمر بن الخطاب يسأل عن مسألة فيعجز عن الإجابة عنها فيرشد سائلها إلى الإمام الباقر عليه السلام إذ ذهب إلى ذلك الغلام فسله وأعلمني بما يجيبك فيأتي السائل إلى الباقر عليه السلام فيرى الإجابة حاضرة لديه ثم يعود إلى ابن عمر ليخبره بما جنى من ثمر فيعلق ابن عمر على ذلك بقوله إنهم أهل بيت مفهومون.

وعبداً بن عطاء المكي يقول: ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام ولقد رأيت الحكم بن عتيبة مع جلالته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه.

ولقد سبق أن أوردنا بعض آراء المفكرين ورجال العلم في سمو مكانة الإمام عليه السلام في دنيا المسلمين فكراً وفضلاً.

وهذه نماذج من المعطيات الرائدة التي خلفها عليه السلام فكراً نابضاً بالحياة نظرهما من أجل التأمل والعظة العملية عليها تعييننا على صوغ ذهنياتنا وبناء المجتمع الفاضل الكريم:

١. وفد عمرو بن عبيد وهو من أئمة الاعتزال ومفكريهم على محمد بن علي الباقر عليه السلام لامتحانه بالسؤال فقال له: جعلت فداك ما معنى قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ ما هذا الرتق وما هذا الفتق؟

قال أبو جعفر عليه السلام: كانت السماء رتقاً لا تنزل المطر وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات ففتق الله السماء بالقطر وفتق الله الأرض بالنبات.

فانقطع عمرو ولم يعترض بشيء وعاد إليه مرة أخرى وقال خبرني جعلت فداك عن قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ ما ذلك الغضب؟

قال عليه السلام: العذاب يا عمرو وإنما يغضب المخلوق الذي يأتيه الشيء فيستفزه ويغيره عن الحال التي هو بها إلى غيرها فمن زعم أن الله يغيره الغضب والرضا ويزول عن هذا فقد وصفه بصفة المخلوق.

٢. قال محمد بن المنكدر - زعيم صوفي - : ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين يدع خلقاً يقارنه في الفضل حتى رأيت ابنه محمد بن علي عليهم السلام وذلك إني أردت أن أعظه فوعظني فقال أصحابه بأي شيء وعظك؟ قال خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حرة فلقيت محمد بن علي وكان رجلاً بديناً وهو متكئ على غلامين له فقلت في نفسي شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا والله لأعظنه فدنوت منه فسلمت عليه فسلم علي بيهر (بنفس متقطع) وقد تصبب عرقاً فقلت أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا لو جاء الموت وأنت على هذه الحال؟ قال فخلى عن الغلامين من يده ثم تساند وقال: لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله أكف بها نفسي عنك وعن الناس وإنما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله فقلت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني. وتبدو أهمية حديث الإمام الباقر عليه السلام مع ابن المنكدر إذا أعدنا إلى الأذهان أن هذا الأخير يدين بالتصوف والعزلة عن الحياة الدنيا والاتجاه الاتكالي في أموره المعاشية على سواه من الناس متذرعاً بالانصراف للعبادة فحسب الأمر الذي لا يقره الإسلام الحنيف وهو ما أشار إليه رسول الله ﷺ عندما قال ملعون من ألقى كله على الناس.

ولقد وجد الإمام الباقر عليه السلام الفرصة ملائمة لتفنيد مذهب التصوف عملياً فوضع ابن المنكدر أمام الأمر الواقع وذكره بأن الموت في ساعة كسب الرزق إنما يكون في طاعة من طاعات الله ﷻ فلم ير ابن المنكدر بدأ من الاعتراف بسلامة خط الإمام عليه السلام فترجم قناعته بقوله أردت أن أعظك فوعظتني.

٣. قال أبو يوسف الأنصاري: قلت لأبي حنيفة لقيت محمد بن علي الباقر عليه السلام؟ فقال نعم وسألته يوماً فقلت له: أراد الله المعاصي؟ فقال: أيعصى قهراً؟ قال أبو حنيفة: فما رأيت جواباً أفحم منه.

ومن الضروري أن نشير إلى أن أبا حنيفة فقيه مدرسة الرأي المعروف كان له كل الحق حين يصف جواب الإمام عليه السلام لوجازته لأن الرجل قد أدرك أهمية جواب الإمام عليه السلام بدقة تحديه العلمي الصارم لفلسفة الجبر والتفويض التي مزقت وحدة المفكرين والفقهاء زمناً طويلاً حيث أن الإمام عليه السلام يحدد مسارها الموضوعي بكلمتين اثنتين (أفيعصى قهراً) أي هل يعقل أن الله يجبر عباده على معصيته فيعصونه بالقهر؟ مما يشير إعجاب أبي حنيفة.

٤. عن أبي حمزة الثمالي قال: قدم قتادة بن دعامة البصري على أبي جعفر عليه السلام فقال له الإمام عليه السلام أنت فقيه أهل البصرة قال نعم فقال أبو جعفر عليه السلام ويحك يا قتادة إن الله بَرَزَكَ خلق خلقاً فجعلهم حججاً على خلقه فهم أوتاد في أرضه قوام بأمره نجاء في علمه اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه، فسكت قتادة طويلاً ثم قال أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدام أحد منهم ما اضطرب قدامك، فقال أبو جعفر عليه السلام أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فأنت ثم ونحن أولئك. فقال قتادة صدقت والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة ولا طين.

٥. ومن نماذج هدية الرائد قوله عليه السلام: إياك والكسل والضجر فإنهما مفتاح لكل شر إنك إن كسلت لم تؤد حقاً وإن ضجرت لم تصبر على حق.

وقوله عليه السلام: ما من شيء أحب إلى الله من أن يسأل وما يدفع القضاء إلى الدعاء وإن أسرع الخير ثواباً البر والعدل وأسرع الشر عقوبة البغي وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه وأن يأمرهم بما لا يستطيع التحول عنه وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه.

٦. وفي تحديد مفهوم الشيعي يقول عليه السلام: ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين وتعهد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير وكانوا أمناء عشائهم في الأشياء.

٧. ومن روائع فكره السياسي وصيته لعمر بن عبدالعزيز الحاكم الأموي المعروف: أوصيك أن تتخذ صغير المسلمين ولدأ وأوسطهم أخأ وأكبرهم أبأ فأرحم ولدك وصل أخاك وبر والدك وإذا صنعت معروفاً فرتبه.

هذه أمثلة من الفكر الباقر العظيم الذي يحتل مركز الريادة في دين الفكر الإسلامي في الماضي والحاضر وفي مستقبل الأجيال وتتجلى مكانته العلمية إذا أمعنا النظر في أن الرحال كانت تشد إليه من أقطار العالم الإسلامي كافة ويقصده رجالات الفكر الإسلامي وأصحاب المدارس الفقهية يوم ذاك ولقد رأينا نماذج من وصاياه ومناظراته العلمية الشامخة مع بعض منهم كما في مثال ابن المنكدر الزعيم الصوفي وعمرو بن عبيد أحد زعماء المعتزلة وأبي حنيفة زعيم مدرسة الرأي وقاتادة فقيه البصرة والمفسر المعروف وغيرهم ممن لم تتسع محاولتنا لاستعراض وصايا الإمام عليه السلام ومناقشاته معهم كالحسن البصري وطاووس اليماني ونافع بن الأزرق وعبدالله بن نافع وغيرهم....

في موكب الإصلاح

... نهض الإمام الباقر عليه السلام بأدوار الإمامة الشرعية بناء على امتلاكه لشروطها فكراً وعملاً وما يؤطر ذلك من عهد إلهي خاص بحمل أعبائها كنا قد ذكرنا بعض مصاديقه في مطلع بحثنا هذا.

ولقد حمل الإمام عليه السلام مشعل الإمامة المتفجر بالخير والهدى عبر التسع عشرة سنة الأخيرة من عمره الشريف فما هي طبيعة المسار الذي سلكه عليه السلام بقافلة الإصلاح الإسلامي؟

قبل أن تستلهم طبيعة المسار الإصلاحي في عصر الإمام الباقر عليه السلام لابد من أن نعيد إلى الأذهان مجدداً أن خطوات الإمام الإصلاحية إنما تحدد وجهتها وفقاً للظروف العامة المحيطة به، الوضع الفكري للأمة، علاقة الناس بالسلطة سلباً وإيجاباً، قوة السلطان وضعفه، علاقة السلطة بالإمام عليه السلام وموقفها منه، واضطراب الأوضاع العامة واستقرارها وسوى ذلك.

وإذا تتبعنا عصر الإمام الباقر عليه السلام وجدنا أن نحو ثلثي فترة إمامته عليه السلام قد مالت إلى حالة تجميد الصراع مع السلطات المنحرفة نوعاً ما ابتداءً من أواخر حكم الوليد بن عبد الملك حتى السنوات الأولى من حكم هشام بن عبد الملك فقد كان الحكام الذين سبقوا هشاماً منشغلين إما بألوان الترف واللهو والمجون أو بتصفية بعضهم بعضاً كما سنرى في حديث قادم....

واستقطب نشاط الإمام المكثف الكثير من رواد المعرفة الإسلامية وشدت إليه الرحال من جميع أطراف الدولة الإسلامية المترامية تلامذة ومحاورون وطالبو علم وقصده أغلب رجالات الفكر من معتزلة ومتصوفة وخوارج وسواهم للمناظرة أو للإصابة من فيض علمه المتدفق.

ولقد امتازت مدرسة أهل البيت عليهم السلام في عصره بمعارفها وسعتها:

أولاً: مدرسة الإمام في الحقل المعرفي: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من علم الدين وآثار السنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

وقد روى أبو جعفر عليه السلام أخبار المبتدأ وأخبار الأنبياء وكتب عن المغازي وآثروا عنه السنن واعتمدوا عليه في مناسك الحج التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبوا عنه تفسير القرآن وروت عنه الخاصة والعامة الأخبار وناظر من كان يرد عليه من أهل الآراء وحفظ عنه الناس كثيراً من علم الكلام.

وللبعد العقلي الشاهق الذي يتمتع به الإمام عليه السلام يشير قول تلميذه محمد بن مسلم: ما شجر في رأي شيء قط إلا سألت عنه أبا جعفر عليه السلام حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث.

كما يشير قول صاحبه جابر بن يزيد الجعفي رضي الله عنه: حدثني أبو جعفر سبعين ألف حديث.

ذلك، وإن قضية المستوى الفكري الذي يحظى به الإمام الباقر عليه السلام تتجلى بعمق لكل منصف من خلال تصريح عبدالله بن عطاء المكي بهذا الشأن:

ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر لقد رأيت الحكم بن عيينة عنده كأنه مغلوب.

والمتمتع للتراث الباقرى خلال كتب التاريخ والسنن والآثار يدرك أن فكر الإمام الباقر عليه السلام بحكم كونه نسخة صادقة لرسالة الله تعالى قد كان شاملاً في مضامينه وحقوقه لكل أبواب المعرفة فلسفة وفقهاً وأخباراً ونحو ذلك.

وكما تعددت المضامين والحقول المعرفية لدى الإمام الباقر عليه السلام تعددت أساليب عرضه للفكر الإسلامى فمرة يطرقه في حلقة علمية كما في التدريس لتلامذته ورواد فكره وأخرى من خلال المناظرات وتارة في اللقاءات العامة كمواسم الحج وسواها وأخرى في المحاورات والأحاديث والوصايا والوعظ وسوى ذلك، وإذا كنا قد استعرضنا في حديثنا عن شخصية الإمام الباقر عليه السلام نماذج من مناظراته ومحاوراته لقيادة الفكر في عصره كعمرو بن عبيد الزعيم المعتزلى وابن المنكدر الفقيه الزاهد ذي النزعة الصوفية وأبي حنيفة زعيم أهل الرأي وقتادة بن دعامة فقيه البصرة ومفسر القرآن الشهير وسواهم، حيث تناول بعضها مسائل فلسفية واعتقادية وبعضها قضايا فقهية وأخرى في حقل التفسير للذكر الحكيم ونحو ذلك فإننا سنطرح هنا قبسات من الفكر الباقرى في ميادين أخرى إتماماً للفائدة وإجلالاً للحقيقة:

١. من وصيته لجابر بن يزيد الجعفي رضي الله عنه: وأوصيك بخمس: إن ظلمت فلا تظلم وإن خانوك فلا تخن وإن كذبت فلا تغضب وإن مدحت فلا تفرح وإن ذممت فلا تجزع وفكر فيما قيل فيك فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله جل وعلا عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس وإن كنت على خلاف ما قيل فيك فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك.

واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك ولو قالوا إنك رجل صالح لم يسرك ذلك ولكن اعرض نفسك على كتاب الله فإن كنت سالكاً سبيله زاهداً في تزهيده راغباً في ترغيبه خائفاً من تخويله فائت وأبشر فإنه لا يضرك ما قيل فيك وإن كنت مبيناً للقرآن فماذا الذي يغرك من نفسك؟ إن المؤمن معنى بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها فمرة يقيم أودها ويخالف هواها في

محبة الله ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعهه الله فينتعش ويقبل الله عشرته فيتذكر ويفزع إلى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف وذلك بأن الله يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾.

يا جابر استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصاً إلى الشكر واستقلال من نفسك كثير الطاعة لله إزاء على النفس وتعرضاً للعفو وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم واستعمل حاضر العلم بخالص العمل وتحرز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف واحذر خفي التزين بحاضر الحياة وتوق مجازعة الهوى بدلالة العقل وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم، واستبق خالص الأعمال ليوم الجزاء وانزل ساحة القناعة باتقاء الحرص.

هذه فقرات من وصية الإمام الباقر عليه السلام لتلميذه جابر الجعفي رحمته الله وهو يحدد من خلالها مواصفات الشخصية الإسلامية الحقيقية وكل أبعادها تلك التي يوفرها الرجوع إلى القرآن الكريم وفي فكره ومفاهيمه ومقاييسه.

٢. ومن حكمه القصار قوله عليه السلام:

ما شيب شيء بشيء آخر خير من حلم بعلم.

الكمال كل الكمال التفقه في الدين والصبر على النائية وتقدير المعيشة.

ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة أن تعفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم إذا جهل عليك.

لا يكون العبد عالماً حتى لا يكون حاسداً لمن فوقه ولا محترماً لمن دونه.

ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن: البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها. وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم وإن القوم ليكونون فجاراً فيتواصلون فتتمى أموالهم ويثرون وإن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم ليذران الديار بلاقع من أهلها.

أما على الصعيد الفقهي فإن دراسة أي كتاب من كتب الحديث المعتبرة كالكافي ومن لا يحضره الفقيه والتهذيب والاستبصار وسواها من كتب الحديث المتداولة تعطي

الفارئ الكريم فكرة ناضجة عما قدمه الإمام عليه السلام للفقهاء الإسلاميين من وسائل التكامل والنضوج.

فقد كان الإمام الباقر عليه السلام المؤسس الأول لعلم الأصول ثم سلك العلم المذكور طريق الارتقاء على يد ولده جعفر الصادق عليه السلام بعده.

وإن للإمام الباقر عليه السلام بعبارة طويلة في التفسير فقد ذكر ابن النديم أن له كتاباً رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر زعيم الطائفة الجارودية من المذهب الزيدي كما أخرجه علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره.

هذا وقد ذكر ابن النديم أيضاً كتاب الهداية عند استعراضه للمؤلفات الإسلامية.

ولقد بلغ من قدرة الإمام عليه السلام الفائقة في وعي مداليل القرآن واستلهام مفاهيمه ومضامينه أن قال يوماً لأصحابه كما يروي أبو الجارود: إذا حدثتكم بشيء فاسألوني عن كتاب الله ثم قال في حديثه إن الله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال، فقال الحاضرون من تلاميذه يا بن رسول الله وأنى هذا من كتاب الله قال عليه السلام ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ وقال ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾.

ثانياً مدرسة الإمام الباقر عليه السلام في سعتها: ... لقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين وصار بالفضل علماً لأهله تضرب به الأمثال وتسير بوصفه الآثار والأشعار وفيه يقول القرظي:

يا باقر المعلم لأهل التقى

وخير من لبي على الأجل

وقال مالك بن أعين الجهني يمدحه عليه السلام:

إذا طلب الناس علم القرآن

كانت قريش عليه عيالاً

وإن قيل أين ابن بنت النبي

نلت بذلك فروعاً طوالاً

نجوم تهلل للمدلجين

جبال نورث علماً جبّالا

وبمقدور المتتبع أن يلاحظ أن رواد علم الإمام عليه السلام على ضربين:

١. تلامذته الملازمون: وهم كوكبة من أهل الفضل والعلم صحبوا الإمام عليه السلام وتلقوا أفكاره وأحاديثه تلقي تلمذة والتزام ويمكن أن نذكر منهم:

جابر بن عبدالله الأنصاري، جابر بن يزيد الجعفي، حمران بن أعين وإخوته بكرةً وعبدالرحمن وعبدالملك، زرارة بن أعين، معروف بن خربوذ المكي، أبا بصير الأسدي، فضيل بن يسار، محمد بن مسلم، يزيد بن معاوية العجلي، سلام بن المستنير، الحكم بن أبي نعيم، عامر بن عبدالله بن جذاعة، حجر بن زائدة، عبدالله بن شريك العامري، محمد بن إسماعيل بن بزيع، عبدالله بن ميمون القداح، محمد بن مروان الكوفي من ولد أبي الأسود، إسماعيل بن الفضل الهاشمي، أبا هارون المكفوف، عقبة بن بشير الأسدي، ظريف بن ناصح، سعيد بن طريف الدؤلي، إسماعيل بن جابر الخثعمي، أبا بصير ليث المرادي، أبا الجارود زياد بن المنذر، الكميث بن زيد الأسدي، ناجية بن عمارة الصيدائوي، معاذ بن مسلم الفراء النحوي، عبدالله بن أبي يعفور، أبا بن تغلب، أبا حمزة الشمالي وزيد بن علي بن الحسين عليه السلام وسواهم.

٢. رواه الآخرون: وهم جماعة من رجال الفكر والحديث والتفسير تلقوا المعرفة الإسلامية بشتى حقولها عن أبي جعفر عليه السلام ونذكر منهم:

عمر بن دينار الجمحي، عبدالرحمن الأوزاعي، عبدالملك بن عبدالعزيز الأموي، قرة بن خالد الدوسي، محمد بن المنكدر القرشي التميمي، يحيى بن كثير الطائي، محمد بن مسلم الزهري، أبا محمد سليمان بن مهران الأسدي، أبا عثمان ربيعة بن عبدالرحمن التميمي، أبا محمد عبدالله بن أبي بكر الأنصاري (أحد مشايخ الإمام مالك) أبا هارون المدني، القاسم بن محمد بن أبي بكر، كيسان السخيتاني (صاحب الصوفية)، ابن المبارك، أبا حنيفة النعمان بن ثابت في مسنده، محمد بن إدريس الشافعي، زياد بن المنذر الهندي.

كما روى عنه كل من الطبري في تاريخه والبلاذري والسلامي والخطيب وصاحب

الموطأ وشرف المصطفى والإبانة وحلية الأولياء وسنن أبي داود والألكاني والمروزي وترغيب الأصفهاني والزمخشري وتفسير النقاش وبسيط الواحدي وسواهم.

السياسة الأموية في عصر الباقر عليه السلام

... نهض الإمام محمد الباقر عليه السلام بأعباء إمام المسلمين وقد امتدت إمامته تسع عشرة سنة قضى منها زهاء الستين في حكم الوليد بن عبد الملك السلطان الأموي وستين في عهد سليمان بن عبد الملك وهي مدة حكمه فحسب.

ويبدو أن الظروف في عهده لم تشهد تطوراً نحو الأحسن في العلاقة بين أهل البيت عليهم السلام والبيت الأموي الحاكم فإن حادثة اغتيال الإمام السجاد عليه السلام بالسهم ومن قبلها مأساة الطف ما زالت حية في النفوس....

وبتولى عمر بن عبدالعزيز قيادة الحكم الأموي حدث تحول كبير لصالح الإسلام والدعوة فبالرغم من قصر أيام الرجل المذكور في الحكم إلا أن مواقفه من أهل البيت عليهم السلام كان فيها الكثير من الإنصاف فقد عمل على رفع الحيف عنهم وأطاح ببعض أنواع الظلم الذي لحق بهم فرفع السب عن الإمام علي عليه السلام من على المنابر وهي سنة سنّها ومعاوية وعممها على الأمصار فصارت سنة يستن بها كل سلاطين بني أمية في خطبة الجمعة حتى عهد عمر بن عبدالعزيز الذي منعه واستبدل به في خطبة الجمعة قول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وكما رفع السب عن أمير المؤمنين أعاد فداكاً إلى الإمام الباقر عليه السلام معتبراً أمر مصادرتها من لدن الحكام السابقين غير شرعي.

... فدعا عمر بداوة وقرطاس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما رد عمر بن عبدالعزيز ظلامه محمد بن علي: فذاك.

وبالنظر إلى أن البيت الأموي لم يآلف مهادنة أهل بيت الرسالة عليهم السلام قط فإن ابن عبدالعزيز كان يواجه الضغط من بني أمية بسبب سياسته الانفتاحية عليهم فقد ورد عن

الإمام الصادق عليه السلام قوله: لما ولي عمر بن عبدالعزيز أعطانا عطايا عظيمة فدخل عليه أخوه فقال له إن بني أمية لا ترضى منك بأن تفضل بني فاطمة عليهم فقال عمر أفضلهم لأنني سمعت حتى لا أبالي إلا أسمع إن رسول الله صلى الله عليه وآله سلم كان يقول إنما فاطمة شجنة مني يسرني ما أسرها ويسوؤني ما أساءها فأنما أبتغي سرور رسول الله صلى الله عليه وآله واتقي مسأته.

على أن زعامة ابن عبدالعزيز لم تدم أكثر من سنتين وخمسة أشهر فتولى الحكم بعده يزيد بن عبد الملك المشهور تاريخياً بلهوه وخلاعه وغزله الماجن وإذا كان انشغال الأخير بأعماله الصبيانية ومجونه لم يعطه فرصة التصدي لمسيرة الإسلام التاريخية التي يقودها الإمام الباقر عليه السلام فإن تولي هشام بن عبد الملك لقيادة السياسة المنحرفة قد خلق انعطافاً تاريخياً لغير صالح الحركة الإسلامية فالحاكم المذكور كان خشن الطبع شديد البخل فظاً ناقماً على المسلمين من غير العرب فضاغف من حجم الضرائب المالية عليهم وأعاد أيام يزيد والحجاج الدموية فتصدى له أهل البيت عليهم السلام من خلال انتفاضة الشهيد زيد بن علي عليه السلام التي كانت صدى لثورة الحسين عليه السلام وامتداداً لها فاستشهد هو وأصحابه وأمر الطاغية هشام بصلب جثته ومن ثم حرقها وذر رمادها في نهر الفرات!!!

على أن الطغيان الأموي لم يكفه قتل زيد وأصحابه البررة وإنما اتجه نحو ضرب المواقع الأساسية للحركة الإسلامية التي يمثلها الإمام الباقر عليه السلام وتلامذته.

فقد أصدر هشام الحاكم الأموي قراراً يقضي بقتل جابر بن يزيد الجعفي أبرز تلامذة الإمام الباقر عليه السلام غير أن الإمام قد أفضل مخطط القوم إذ أمر تلميذه بالتظاهر بالجنون كطريق وحيد لضمان نجاته من القتل....

وهكذا تظاهر الجعفي بالجنون وامتطى قصبه وعلق كعباً في رقبته فاجتمع عليه الصبيان في أزقة الكوفة والجميع يقولون جن جابر!!!

ولم تمض غير أيام قلائل حتى أتت أوامر هشام إلى واليه على الكوفة بوجوب قتل جابر الجعفي وإنفاذ رأسه إلى دمشق غير أن الوالي حين سأل عنه من أجل أن ينفذ فيه الجريمة قيل له أصلحك الله كان رجلاً له فضل وعلم وحن وهو دائر في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم. فعدل الحاكم المحلي عن قتله بعد اقتناعه بجنونه.

إن هشام بن عبد الملك كان واثقاً من أن مصدر الوعي الإسلامي الصحيح إنما هو الإمام الباقر عليه السلام وأن وجوده حراً طليقاً يمنحه مزيداً من الفرص لرفد الحركة الإصلاحية في الأمة وتكريس مدها المتعاضم ومن أجل ذلك رأت السياسة المنحرفة ممثلة بحفيد مروان أن يحال بين الإمام عليه السلام وبين استمراريته بالعمل الرسالي لصالح الإسلام والأمة وقد اتجه المكر الأموي نحو اعتقال الإمام عليه السلام وإبعاده عن عاصمة جده المصطفى عليه السلام التي اجتمعت هي والحجاز عموماً على إجلاله والتمسك به.

وهكذا حمل الإمام عليه السلام وابنه جعفر الصادق عليه السلام إلى دمشق بأمر السلطة الأموية لإيقاف تأثيره في الأمة المسلمة وحجبه عن أداء دوره الرسالي العظيم وأودع في أحد سجون الحكم هناك.

... وإذا لم تحقق المضايقة الأموية غاياتها الدنيئة في صد الإمام الباقر عليه السلام عن النهوض بمهامه الرسالية العظيمة فقد رأت السياسة المنحرفة أنه ليس عن اغتياله بديل. وهكذا دس إليه السم في عام ١١٤ هـ، فرحل إلى ربه الأعلى سبحانه صابراً محتسباً، فسلام عليه يوم ولد ويوم رحل إلى ربه ويوم يبعث حياً^(١).

(١) الإمام محمد الباقر عليه السلام، ص ٧-٥٠، ط ١٤١٦/٢ هـ، دار التوحيد، الكويت.

باب الوصية

٤٩٢.... عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده.

٤٩٣.... عن سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ثلاث ليال إلا ووصيته مكتوبة قال عبدالله بن عمر ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي.

يقول النبي الأكرم اكتب وصيتك حال صحتك وقبل مرضك ولا تهمل ذلك ولا تؤخر كتابتها حتى تبلغ الحلقوم، ولا تبيت ليلتين إلا ووصيتك مكتوبة وفي روايات أخرى إلا ووصيتك مكتوبة تحت رأسك!

نعم هذا النبي الذي أوصى الصحابة بذلك لم يطبق وصيته على نفسه!! وقد أوصى المسلمين بكتابة وصاياهم والتي لا تتجاوز داراً أو عقاراً أو ديناً أو ما أشبه ذلك من حطام الدنيا وهو لم يوص بشيء قبل مرضه وترك الأمة الإسلامية بلا راع وقد أهمل الدستور الإسلامي وهو القرآن العظيم من غير جمع وترك أصحابه يضرب بعضهم بعضاً

ويكفر بعضهم بعضاً وكل يقول حدثني النبي وقال رسول الله وكل يجبر القرص إلى ناره وكل يقول نحن حزب الله ونحن على الحق والبقية تركوا الشريعة السمحة وبالغوا وغالوا وتركهم النبي بلا مرجع يرجعون إليه في أمور دينهم ودنياهم!!!

ويقول البعض منهم هل أوصى النبي فيجيبه البعض الآخر لا فيقول كيف كتب على الناس الوصية ولم يوص؟ فيجيبه: أوصى بكتاب الله^ﷻ!

نعم أوصى بكتاب الله غير المجموع أوصى بكتاب الله المبعثر في الصدور أوصى بكتاب الله غير المحفوظ أوصى بكتاب الله المبعثر في صدور صحابة متهمين ولا يثق البعض فيهم!!

وتارة يقول أهل العامة إنه لم يوص بشيء ويذكر البعض أن علياً كان وصياً ومرة يقولون أوصى بثلاث وأخرى يقولون أوصى أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً وهكذا!!!

ثم متى أوصى بكتاب الله؟ أوصاهم قبل وفاته ولم يوصهم حال صحته، فكم كان هذا النبي مهماً للوصية! فكيف به يوصي المسلمين بها! وسنوافيك بالمزيد في الصفحات القادمة مباشرة، فابق معنا.

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا، بتصرف.

باب ترك الوصية

٤٩٤.... عن طلحة بن مصرف قال سألت عبد الله بن أبي أوفى هل أوصى رسول الله ﷺ فقال لا قلت فلم كتب على المسلمين الوصية أو فلم أمروا بالوصية قال أوصى بكتاب الله ﷻ.

٤٩٥. عن عائشة قالت ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء.

٤٩٦.... عن إبراهيم عن الأسود بن يزيد قال ذكروا عند عائشة أن علياً كان وصياً فقالت متى أوصى إليه فقد كنت مسندته إلى صدري أو قالت حجري فدعا بالطست فلقد انخث في حجري وما شعرت أنه مات فمتى أوصى إليه.

٤٩٧.... عن سعيد بن جبيرة قال قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بَلَ دمه الحصى فقلت يا ابن عباس وما يوم الخميس قال اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال اتنوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع وقالوا ما شأنه أهجر استفهموه قال دعوني فالذي أنا فيه خير أوصيكم بثلاث أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم قال وسكت عن الثالثة أو قال فأنسيته.

٤٩٨.... عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال يوم الخميس وما يوم الخميس ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال قال رسول الله ﷺ اتنوني

بالكفت والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقالوا إن رسول الله ﷺ يهجر.

٤٩٩... عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبي ﷺ هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده فقال عمر إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ قوموا قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم.

جاء في طبقات ابن سعد الواقدي... عن عمر بن الخطاب قال: كنا عند النبي ﷺ وبيننا وبين النساء حجاب فقال رسول الله ﷺ: اغسلوني بسبع قرب واتنوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقال النسوة اتنوا رسول الله ﷺ بحاجته. قال عمر: فقلت: اسكتن فإنكن صواحبه، إذا مرض عصرتن أعينكن، وإذا صح أخذتن بعنقه، فقال رسول الله ﷺ هن خير منكم^(١).

اعلم أخي القارئ بأن عمر هو الذي كان على رأس المعارضين لتقديم الدواة للرسول الأكرم كي يكتب ذلك الكتاب الذي لن يضل المسلمون بعده أبداً، فما كان من الرسول إلا أن قال قوموا عني، لا ينبغي عند نبي تنازع، وذلك بعد أن كثر اللغظ والاختلاف بين يديه، أي أنه طردهم من الدار، وكان وجوده في الدار كان لمنع كتابة ذلك الكتاب الذي فيه هداية للأمة.

وقول عمر: (وإذا صح أخذتن بعنقه) أي أخذتن بإيذانه ومعاكسته! وقول عمر هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الروايات التي مرت بنا، والتي سوف نقرؤها لاحقاً وفي هذا المجال - أعني بذلك إيذاء الرسول الأكرم من قبل زوجته - كلها صحيحة وثابتة! ثم لاحظ أن هؤلاء النسوة أشرن على الصحابة أن يقدموا للرسول ما طلب، فتدخل

(١) ج، ١، ص ٥١٨، ذكر الكتاب الذي أراد رسول الله ﷺ أن يكتبه لأمته، ط، ١٤١٤هـ، دار الفكر، بيروت.

عمر وأجابهن بما ذكرنا.

ولاحظ أيضاً أن الرسول الأكرم.. ماذا قال لعمر؟ قال: هن خير منكم!

وذلك لأن الصحابة وعلى رأسهم عمر كانوا قد رفضوا تقديم الكتاب لرسول الله ﷺ، بخلاف النساء اللاتي أمرن بتقديم ما أمر به الرسول الأكرم.

فهل قول النبي الكريم (هن خير منكم) قالها.. عندما غلبه الوجد أيضاً! أو كان قد هجر!

وإن كان قالها دون أن يهجر ودون أن يغلبه الوجد فإن هؤلاء النسوة خير من الصحابة العدول!

وبما أن عمر أجاب النسوة بذلك فيكون النبي الكريم قال تلك الكلمة من دون هجر، فتأمل!

وأيضاً: قول النبي هن خير منكم، وفي الروايات الأخرى، قوموا عني متشابهة ومتطابقة ومؤداها ومعناها واحد، أي أنه لم يكن راضياً عن الصحابة بعد مقولتهم تلك وعلى رأسهم عمر بن الخطاب!

قال ابن حجر في شرحه: ولما وقع منهم الاختلاف ارتفعت البركة! كما جرت العادة بذلك عند وقوع التنازع والتشاجر!

وقال النووي: اتفق قول العلماء على أن قول عمر (حسبنا كتاب الله) من قوة فقهه! ودقيق نظره! لأنه خشي أن يكتب أموراً ربما عجزوا عنها فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة^(١)!

أقول: قبل الخوض في الحديث يجب أن أبين للقارئ أن هذه الرواية التي نحن بصددنا قد جاءت في صحيح البخاري في ستة كتب وفي سبعة موارد وجميعها يشد بعضها بعضاً، وقد جاءت بصيغ مختلفة ولكن مضمونها واحد، ولا بأس بذكر هذه الموارد الست.

١. كتاب العلم، باب كتابة العلم.

(١) فتح الباري، ج ٨، ص ١٦٦، ح ٤٤٣٦.

٢. كتاب الجهاد والسير، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة وجوائز الوغد.

٣. كتاب الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب.

٤. كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

٥. كتاب المرض، باب قول المريض قوموا عني.

٦. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف.

هذه هي الكتب الستة من صحيح البخاري.

وقد ذكرت هذه الرواية مرتين وبصيغ مختلفة في كتاب المغازي باب مرض الرسول

الأكرم.

وأقول:

إن جميع المسلمين متفقون على أن من قال (غلبه الوجع كتاب الله حسبنا) (هجر رسول الله)، (ماله أهجر استفهموه)، (ما شأنه أهجر استفهموه)، (قد غلبه الوجع وعندكم القرآن)، (غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله)، كل ذلك قاله عمر بن الخطاب لا سواه، وقد نقلنا ذلك مما ورد في صحيح البخاري فقط.

ففي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب كراهية الخلاف يؤكد على أن القائل والمعارض لكتابة ذلك الكتاب هو عمر لا غير، وابن تيمية يُقرُّ بذلك أيضاً في منهاجه في الجزء الثالث، ص ١٣٥، ط دار الكتب العلمية، بيروت - بأن القائل هو عمر.

قال البخاري:

... عن ابن عباس قال: لما حضر النبي ﷺ قال وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال هَلُمُّ أكتب لكم كتاباً لن تَضَلُّوا بعده قال عمر إن النبي ﷺ غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله واختلف أهل البيت^١ واختصموا! فمنهم من يقول قَرَّبُوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغظ والاختلاف عند النبي ﷺ قال قوموا عني، قال عبيدالله فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم.

(١) أهل البيت - من كان في البيت من الصحابة - ابن حجر، ج ٨، ص ١٦٨، حديث ٤٤٣٢.

وقال الغزالي في كتابه «سر العالمين وكشف ما في الدارين»:

ولما مات رسول الله ﷺ قال قبل وفاته اثنتا عشرة بدواة وبيضاء لأزبل لكم إشكال الأمر وأذكر لكم من المستحق لها بعدي! قال عمر: ... دعوا الرجل فإنه ليهجر وقيل يهذر^(١).

لاحظ قول عمر (دعوا الرجل)!

أعود لابن حجر وما يقول في شرحه:

قال النووي: قول عمر (حسبنا كتاب الله) قال العلماء: إن ذلك من قوة فقه عمر!

أقول: هذا ادّعاء باطل!

قال الزمخشري في تفسير الآية ٢٠ من سورة النساء:

أن عمر قام خطيباً فقال لا تغالوا بصدق النساء... إلى أن يقول - أي عمر - ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه أكثر من اثني عشر أوقية، فقامت امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقاً جعله الله لنا والله يقول ﴿وَأَتَيْتُمُ امْرَأَتِيَّ فَمَنْ قَنَطَرًا﴾ فقال عمر: كل أحد أعلم من عمر ثم قال لأصحابه تسمعونني أقول مثل هذا القول فلا تنكروني علي حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم النساء!^(٢)

لاحظ أن عمر يعترف ويُقر بأن كل أحد أعلم منه وكَرَّرَ ذلك فقال: إن هذه المرأة لم تكن أعلم النساء، يعني بذلك أن في الصحابة من هو أعلم من هذه المرأة!

يقول ابن تيمية في منهاج السنة:

لو لا علي لهلك عمر... قاله عمر في قضية واحدة فقط^(٣).

قال ابن عبد البر القرطبي في كتابه الاستيعاب:

عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يَتَعَوَّذُ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن، وقال في المجنونة التي أمر برجمها وفي التي وضعت لسته أشهر فأراد عمر رجمها فقال له

(١) لمحمد بن محمد بن أحمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ، ص ٢٣، فصل ٤، باب في ترتيب الخلافة والمملكة، ط ١٤١٥/١هـ، مطبعة الحكمة، دمشق.

(٢) تفسير الكشاف، ج ١، ص ٤٩١، ط ١٤١٥هـ، بتصريف.

(٣) ج ٤، ص ١٦١، ط دار الكتب العلمية، بيروت. - بتصريف.

علي إن الله تعالى يقول ﴿وَحَمَلُهُ، وَفِصْلُهُ، تَلْتُونَ شَهْرًا﴾ الأحقاف: ١٥، ... الحديث، وقال له إن الله رفع القلم عن المجنون... الحديث، فكان عمر يقول: لو لا علي لهلك عمر^(١)! ويقول القرطبي أيضاً:

عن عبدالله بن عباس قال: والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر.

... عن عمر أنه قال: أفضانا علي^(٢).

وقال النووي: أن عمر خشي أن يكتب النبي الأكرم أموراً ربما عجز عنها المسلمين فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة!

أقول:

هل يعقل أن يفرض الله أمراً يعجز عنه البشر؟!!

وهل كلف النبي المسلمين بما عجزوا؟!!

وهل التكليف بما لا يطاق حسن عقلاً؟! والله جل جلاله يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة: ٢٨٦.

وأقول:

أن النبي الأكرم نهى عن صلاة التراويح جماعة فقال في عدّة موارد (خشيت أن تُفَرَضَ عليكم)، (خشيت أن تُفَتَرَضَ عليكم)، (أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة)، وعلى هذا فقول النووي مردود!

فأقول للنبي الأكرم: هذا الذي كنت تخشاه.. وكنت تخشى من أن تُفَرَضَ تلك الصلاة على أمتك.. قد فرضها عمر على المسلمين يا رسول الله! فبعد أن جلس على سدة الحكم ومضى شطر من حكمه جعل تلك الصلاة جماعة وهي تُصَلَّى إلى يومنا هذا!

نعم.. هذه الصلاة التي كسرت ظهور المسلمين من أداؤها جماعة، فمن بعد صلاة العشاء تقام التراويح إلى صلاة الفجر، وذلك طيلة شهر رمضان، ويقولون إنها سُنَّة

(١) ج ٣، ص ٢٠٦، ترجمة ١٨٧٥، ط ١٥/١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٢٠٧.

عمر، فهؤلاء العامة ملتزمون بِسُنَّةِ عمر.

أعود للنووي وأقول:

إن صلاة التراويح ومن سَنَّها وعمل بها تُناقض قولك، فكيف بعمر يخاف ويخشى أن يكتب النبي الأكرم أموراً قد يعجز المسلمون عنها في حين أنه فرض عليهم هذه البدعة، بدعة التراويح؟!

فمصيبة أهل العامة أنهم يعتبرون ويجعلون عمل الصحابي (فتوى)!

ثم ما هو الأمر الثالث الذي نسيه الراوي سعيد بن جبير أو غيره؟!

قال الداودي: الثالثة للوصية بالقرآن.

وقال المهلب: بل هو تجهيز جيش أسامة.

وقال عياض: يُحتمل أن تكون... ولا تتخذوا قبري وثناً^(١). انتهى.

ويحتمل.. ويحتمل! إلى ما لا نهاية لتلك الاحتمالات التي لا تُجدي نفعاً، فأقول: أن الأمر الثالث الذي نسيه الراوي أو تناساه! هو المطلوب وهو الذي أراد النبي ﷺ أن يكتبه لهم ويحفظهم من الضلال، فكيف بهذا الأمر العظيم أن يُنسى، فلو كان هذا الأمر العظيم في ابن أبي قحافة مثلاً لرأيت القوم قد ملؤوا الخافقين بأعلى أصواتهم، ولكن سياسة هؤلاء اقتضت أن يُطمروا الأمر الثالث المنسي وتجرؤ عمر على النبي ومنعه من كتابة ذلك الكتاب لأنه كان يعلم ما سيكتبه النبي وهو ما يخشاه وهو التأكيد على خلافة الإمام علي عليه السلام كما تدل عليه السيرة طيلة حياة الرسول الأكرم والشواهد على ذلك كثيرة.

إن في هذه الروايات مصيبتين عظيمتين:

الأولى: إهانة الرسول الأعظم ﷺ ورميه بال(هَجْر)! هذا مع ملاحظة ما تستتبعه من

شبه خروج عن الدين!

والثانية: حرمان هذه الأمة إلى يوم القيامة من عدم كتابة ذلك الكتاب الذي ضَمَن للأمة الإسلامية عدم الضلال وإلى الأبد.

(١) فتح الباري لابن حجر، ج ٨، ص ١٦٧، ح ٤٤٣.

من يقول حسبنا كتاب الله يجب أن يكون صاحب هذه المقالة على أقل التقادير إما حافظاً للقرآن وإما جامعاً له! فعمربن الخطاب لم يكن حافظاً للقرآن ولم يكن جامع له أيضاً!!

راجع كتابنا كشف المتواري في صحيح البخاري، ج ١، ص ٥٧٢، حديث ٢٧٢، باب قول الله تعالى ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من كتاب الجهاد والسير ترى صدق قولنا في ذلك وقد ذكرنا ذلك هناك وبإسهاب.

جاء في صحيح البخاري:.... أبو سلمة أن عائشة أخبرته أن أبا بكر... أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْح حتى نزل فدخل المسجد فلم يُكَلِّم الناس حتى دخل على عائشة فتيَّم.

رسول الله ﷺ وهو مُعَشَى بثوب حَبْرَة فكشف عن وجهه ثم أكَبَّ عليه فقبَّله وبكى ثم قال بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كُتِبَتْ عليك فقد متها... عن عبدالله بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يُكَلِّم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر أما بعد من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾. وقال والله لَكَأَنَّ الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلَّقَها منه الناس كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فَعَقَرْتُ حَتَّى مَا تُقْلِنِي رِجْلَاي وَحَتَّى أَهْوَيْتَ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ سَمِعْتَهُ تَلَاهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ^(١).

أقول:

إنه عندما يموت حاكم بلد ما فإنك ترى الأحكام الصارمة والعرفية بعد وفاة الحاكم ومنها (حظر التَّجْمُع) وذلك خوفاً من التآمر وأن يتفق الناس على أمر ما خلاف تَوَجُّه

(١) كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

السلطة لذا ترى الذين بأيديهم زمام الأمور يُفَرِّقون الناس كي لا تجتمع كلمتهم ولكي يُشْتَتُوا أفكارهم حتى حين!

وهذا ما كان من عمر بن الخطاب لأنه كان يقول للمسلمين بعد وفاة النبي من كان يقول بأن محمداً قد مات علوته بسيفي! بل ذهب إلى ربه كما ذهب موسى إلى ربه وإنه سوف يرجع ويقطع أيدي وأرجل المنافقين!

وكان عمر يُهَدِّدُ وَيَتَوَعَّدُ المسلمين بذلك وكان كل هَمُّه أن يقوم بتشتيت شمل المسلمين ولو لِللَحَظَاتِ وذلك لحين حضور صاحبه أبي بكر!

وكان الخطة أو المؤامرة المدبرة لن تكتمل إلا بوجود الاثنين معاً وكان صاحبه قد تأخر بعض الشيء كما مر عليك في الرواية وأنه قدم من الشنح...!

وكان من الصحابة من يقرأ على عمر ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ آل عمران/١٤٤، ومنهم من يقرأ عليه قول الله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ الزمر/٣٠، ولكن عمر كان مصرّاً على تَفَرِّقَتِهِمْ بِذُبَابِ سَيْفِهِ وبصراخه وعويله، وعندما وصل أبو بكر وقرأ على عمر الآيات نراه فوراً قبل ذلك منه وَخَرَّتْ رجلاه وسقط إلى الأرض كما قرأنا في الرواية!! وكان الخطة قد اكتملت بحضور أبي بكر!

وأقول:

كَونِي مسلماً فإني أريد البحث عن الحقيقة فلا أبو بكر ينفعني غداً ولا عمر بل عملي فقط الذي ينفعني غداً وعملي هذا هو الذي سَيُدْخِلُنِي الجنة أو خلافها!

فبما أن عمر قال حسبنا كتاب الله فيجب عليه كما ذكرنا إما أن يكون حافظاً لذلك الكتاب وإما أن يكون جامعاً له.

وأما أن يقول ذلك وهو لا يحفظ القرآن ولم يكن جامعاً له فهذا الذي يدعوننا إلى الشك والريبة في قوله ذلك!

باب النهي عن النذر

- ٥٠٠... عن عبدالله بن عمر قال أخذ رسول الله ﷺ يوماً ينهانا عن النذر ويقول إنه لا يرد شيئاً وإنما يستخرج به من الشحيح.
- ٥٠١... عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخره وإنما يستخرج به من البخيل.
- ٥٠٢... عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل.
- قال النووي في شرح صحيح مسلم: في رواية أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً وإنما يستخرج به من البخيل.
- قال المازري: يحتمل أن يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزماً له فيأتي به تكلفاً بغير نشاط^(١).

(١) المجلد ٦، ج ١١، ص ١٠٧، ح ١٦٣٩.

والشيء بالشيء يذكر، ورد في صحيح البخاري:... عن الزهري قال: حدثني عوف بن مالك بن الطفيل هو ابن الحارث وهو ابن أخي عائشة زوج النبي ﷺ لِأُمِّهَا أَنْ عَائِشَةَ حَدَّثَتْ أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرِ قَالَ فِي بَيْعِ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ وَاللَّهُ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لِأَخْبِرَنَّ عَائِشَةَ فَقَالَتْ أَمْوُ قَالَ هَذَا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ هُوَ اللَّهُ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ لَا أَكَلِمَ ابْنَ الزَّبِيرِ أَبَدًا فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزَّبِيرِ إِلَيْهَا حِينَ طَالَتِ الْهَجْرَةَ فَقَالَتْ لَا وَاللَّهِ لَا أُشْفَعُ فِيهِ أَبَدًا وَلَا أَتَحَنَّنُ إِلَى نَذْرِي فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزَّبِيرِ كَلَّمَ الْمَسُورَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثٍ وَهُمَا مِنْ بَنِي زَهْرَةَ وَقَالَ لِهَمَّا أَنْشَدَكُمَا بِاللَّهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ فَإِنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي فَأَقْبَلَ بِهِ الْمَسُورُ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ مُشْتَمِلِينَ بِأَرْدِيَّتَيْهِمَا حَتَّى اسْتَأْذَنَّا عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَنْدَخَلَ قَالَتْ عَائِشَةُ ادْخُلُوا قَالُوا كَلْنَا قَالَتْ نَعَمْ ادْخُلُوا كَلِّكُمْ وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزَّبِيرِ فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزَّبِيرِ الْحِجَابَ فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ وَطَفِقَ يَنَاشِدُهَا وَيَبْكِي وَطَفِقَ الْمَسُورُ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ يَنَاشِدَانِهَا إِلَّا مَا كَلِمَتُهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ وَيَقُولَانِ إِنْ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتَ مِنَ الْهَجْرَةِ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكَرَةِ وَالتَّحْرِيجِ طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا وَتَبْكِي وَتَقُولُ إِنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ فَلَمْ يَزَلَا بِهَا حَتَّى كَلِمَتِ ابْنِ الزَّبِيرِ وَأَعْتَقْتُ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رِقْبَةً وَكَانَتْ تَذْكَرُ نَذْرَها بَعْدَ ذَلِكَ فَتَبْكِي حَتَّى تَبُلَّ دَمُوعَهَا خِمَارَهَا^(١).

قال ابن حجر:... قوله إن عائشة حدثت... في رواية الأوزاعي أن عائشة بَلَّغَهَا وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ صَالِحِ بْنِ الزَّبِيرِ بَيْعَ تِلْكَ الدَّارِ.

قوله في بيع أو عطاء أعطته عائشة، في رواية الأوزاعي في دار لها باعته فسخط عبدالله بن الزبير.

قوله لتنتهين عائشة، زاد في رواية الأوزاعي فقال أما والله لتنتهين عائشة عن بيع رباعها... من طريق عروة قال كانت عائشة لا تمسك شيئاً فما جاءها من رزق الله تصدقت به وهذا لا يخالف الذي هنا لأنه يحتمل أن تكون باعت الرباع لتصدق بثمانها.

وقوله لتنتهين أو لأحجرن عليها، هذا أيضاً يُفَسَّرُ قَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ عُرْوَةَ، يَنْبَغِي أَنْ

(١) كتاب الأدب، باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ: لا يحل لرجل أن يهجر أخاه.

يُؤَخَذُ عَلَى يَدِهَا.

قوله لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً، في رواية عبدالرحمن بن خالد كلمة أبداً... من طريق الاوزاعي بدل قول أبداً، حتى يُفَرَّقَ الموت بيني وبينه.

قوله فاستشفع ابن الزبير إليها، حين طالت الهجرة... فاستشفع عليها بالناس فلم تقبل... فاستشفع... بالمهاجرين... فاستشفع إليها بعبيد بن عمير فقال أين حديث أخبرتني عن النبي ﷺ أنه نهى عن الصرم فوق ثلاث^(١)؟

قال القسطلاني في شرحه: فقالت لا والله لا أشفع فيه أبداً... ولا أَتَحَنَّثُ... إلى نذري أي لا أقبل الشفاعة فيه ولا أتحنث في نذري أي يميني منتهياً إليه. لا يحل لها أن تنذر... قطيعتي أي قطع صلة رحمي لأنه ابن أختها وكانت تتولى تربيته غالباً.

ويقول: فلما أكثروا على عائشة من التذكرة أي من التذكير بما جاء في فضل صلة الرحم والعفو وكظم الغيظ والتحريج... أي الوقوع في الحرج لما ورد في القطيعة من النهي طففت تُذَكِّرُهُمَا... وتبكي... وتقول لهما إني نذرت أن لا أكلمه والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة.

وقال المالكية: إنما ينعقد النذر إذا كان في طاعة كالله علي أن أعتق أو أصلي فإن كان في حرام أو مكروه أو مباح فلا.

وحينئذ فنذر ترك الكلام الصادر من عائشة في حق ابن الزبير... يفضي إلى التهاجر وهو حرام أو مكروه.

ويقول القسطلاني: بأن عائشة رأت ابن الزبير ارتكب بقوله لأحجرن عليها أمراً عظيماً لما فيه من تنقيصها ونسبته لها إلى التبذير الموجب لمنعها من التَّصَرُّفِ مع ما انضاف إلى ذلك من كونها أم المؤمنين وخالته أخت أمه. فكأنها رأت الذي صدر منه نوع عقوق^(٢).

(١) فتح الباري، ج١٠، ص٥٩٥، ح٦٦٠٧٥.

(٢) إرشاد الساري، ج١٣، ص١٠٩، ح٦٦٠٧٥.

ويقول ابن حجر: وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، في رواية الأوزاعي ثم بعثت إلى اليمن بمال فابتيع لها به أربعون رقبة فأعتقتها كفارة لنذرها^(١).
أقول:

إن هذا النذر نذر معصية ولا يجوز الوفاء بهكذا نذر، فالله سبحانه وتعالى يأمر بصلته الرحم وهذه تنذر بقطيعتها!

وأيضاً جاء في البخاري أن رسول الله ﷺ قال لا يَحِلُّ لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيُعْرِضُ هذا ويُعْرِضُ هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام^(٢).
في حين نرى أن ابن الزبير هو الذي كان بادئاً بالسلام وعائشة كانت رافضة لملاقاته، وأيضاً عائشة نذرت بأن لا تُكَلِّمَ ابن الزبير أبداً، والحديث الذي مرَّ عليك آنفاً فيه (لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث...).

وكان باستطاعة عائشة عدم الوفاء بالنذر لأنه نذر معصية ولكنها أبت ذلك ورأت أن تُكْفِرَ عن يمينها وَأَصْرَتْ على ذلك فما كان من ابن الزبير إلا أن قام بتوفير مبلغ الأربعين رقبة! سواء من جيبه الخاص أو من بيت مال المسلمين فالحاكم رهن إشارتها كونها أم المؤمنين! وحببية رسول رب العالمين! فطلباتها مُسْتَجَابَةٌ وكأن هذه الأربعين رقبة بالشئ اليسير اليسير!

وكما قرأنا في أول البحث:.... إنما يُسْتَخْرَجُ بالنذر من البخيل.

وفي البخاري أيضاً:

عن النبي ﷺ قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه^(٣).
وقطع الرحم من المعاصي فيكون النذر نذر معصية.
فلماذا كان الإصرار من عائشة على أداء هذا النذر؟!

(١) فتح الباري، ج ١٠، ص ٥٩٦، ح ٦٦٠٧٥.

(٢) كتاب الأدب، باب الهجرة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب النذر في الطاعة.

باب لا وفاء لنذر في معصية

٥٠٣... عن عمران بن حصين قال كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل وأصابوا معه العضاء فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق قال يا محمد فأتاه فقال ما شأنك فقال بم أخذتني وبم أخذت سابقة الحاج فقال إعظماً لذلك أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف ثم انصرف عنه فناده فقال يا محمد يا محمد وكان رسول الله رحيماً رقيقاً فرجع إليه فقال ما شأنك قال إني مسلم قال لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح ثم انصرف فناده فقال يا محمد يا محمد فأتاه فقال ما شأنك قال إني جائع فأطعمني وظمآن فأسقني قال هذه حاجتك ففدي بالرجلين قال وأسرت امرأة من الأنصار وأصببت العضاء فكانت المرأة في الوثاق وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأدت الإبل فجعلت إذا دنت من البعير رغا ففتكره حتى انتهت إلى العضاء فلم ترغ قال وناقة منوقة فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت ونذروا بها فطلبوها فأعجزتهم قال ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها فلما قدمت المدينة رآها الناس فقالوا العضاء ناقة رسول الله ﷺ فقالت إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال سبحان الله بثسما جزتها نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك العبد وفي رواية ابن حجر لا نذر في معصية الله.

قال العثماني في شرحه تكملة فتح الملهم: اعلم أن هذا الحديث مشتمل على واقعتين الأولى في قصة تملك النبي ﷺ الناقة العضباء وحاصلها أنها كانت لرجل من بني عقيل فأسر مع ناقته فتملكها النبي ﷺ.

والواقعة الثانية أن المشركين أغاروا على المدينة بعد الواقعة الأولى فذهبوا بالعضباء وأسرت عندهم امرأة من المسلمين فما تفلتت منهم وجاءت بالعضباء إلى رسول الله ﷺ ونذرت فيها نذراً....

قوله وأصابوا معه العضباء يعني الناقة التي تسمى عضباء كانت للرجل المأسور من بني عقيل فلما أسره أصحاب النبي ﷺ أصابوا معه هذه الناقة كمغنم وصارت بعد ذلك إلى النبي ﷺ.

قوله (بشما جزتها) يعني أنها جزت إحسان الناقة بالإساءة إليها فإن الناقة تسبب لنجاة المرأة من الكفار فجزتها بنذر أن تنحرها.

قوله (لا وفاء لنذر في معصية) به أخذ الفقهاء فاتفقوا على أن من نذر معصية فالواجب عليه أن لا يفي به^(١).

راجع ما قبله.

(١) تكملة فتح الملهم لمحمد تقي العثماني، ج ٨، ص ١٤٢، ح ٤٢٢١.

باب الاستثناء

٥٠٤... عن أبي هريرة قال كان لسليمان ستون امرأة فقال لأطوفن عليهن الليلة فتحمل كل واحدة منهن فتلد كل واحدة منهن غلاماً فارساً يقاتل في سبيل الله فلم تحمل منهن إلا واحدة فولدت نصف إنسان فقال رسول الله ﷺ لو كان استثنى لولدت كل واحدة منهن غلاماً فارساً يقاتل في سبيل الله.

٥٠٥... عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال قال سليمان بن داود نبي الله لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه أو الملك قل إن شاء الله فلم يقل ونسي فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله ﷺ ولو قال إن شاء الله لم يحث وكان دركاً له في حاجته وحدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مثله أو نحوه.

٥٠٦... عن أبي هريرة قال قال سليمان بن داود لأطيفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله فقيل له قل إن شاء الله فلم يقل فأطاف بهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان قال فقال رسول الله ﷺ لو قال إن شاء الله لم

يحنث وكان دركاً لحاجته.

٥٠٧... عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلها تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة فجات بشق رجل وأيم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون وحدثنيه سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة عن موسى بن عقبة عن أبي الزناد بهذا الإسناد مثله غير أنه قال كلها تحمل غلاماً يجاهد في سبيل الله.

أخرج البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة قال قال سليمان بن داود ﷺ لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله فقال له الملك قل إن شاء الله فلم يقل ونسي فأطاف بهن ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان قال النبي ﷺ لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته^(١).

نلاحظ في الروايات الاختلاف في عدد النساء، فمرة ذكر عددهن بستين امرأة ومرة بسبعين ومرة أخرى بتسعين وفي البخاري ذكر عددهن بمائة امرأة فعلى كل حال أقول ما هذه القوة البشرية والطاقة لدى هذا النبي وما هذه القوة الجامعة للشهوة لديه؟!

ثم بالله عليك أن هذا النبي بعثه الله معلماً لا متعلماً فكيف غفل عن قول إن شاء الله؟! ثم إن الملك قد ذكره في قوله قل إن شاء الله فلم يقل أي أنه كان غافلاً فذكره هذا الملك، وهذا النبي المشهور باسم سليمان الحكيم وذلك لحكمته كيف ينسى قول الملك بعد تذكيره ثم ما هذا العقاب الإلهي للنبي سليمان ﷺ فقد عاقبه عقاباً شديداً بهذا الشق أو بهذا النصف إنسان أو بشق غلام أي أنه أعطاه ولدأ غير متكامل الخلقة ومعوقاً ومشوهاً ثم لاحظ أخي القارئ أن جميع هذه الروايات جاءت على لسان أبي هريرة الدوسي والنبي سليمان نبي من أنبياء اليهود وهذا الدوسي أخذ علومه من كعب الأبحار اليهودي الذي أسلم في زمن عمر بن الخطاب وكان هذا معلماً لهذا الدوسي فرائحة الوضع قد أزكمت أنوفنا.

(١) كتاب النكاح، باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي.

باب ثواب العبد وأجره

٥٠٨... قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ للعبد المملوك المصلح أجران والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك قال وبلغنا أن أبا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها.

قال النووي للعبد المملوك المصلح أجران فيه فضيلة ظاهرة للمملوك المصلح وهو الناصح لسيده والقائم بعبادة ربه المتوجه عليه وأن له أجرين لقيامه بالحقين ولانكساره بالرق.

وأما قول أبي هريرة في هذا الحديث لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك ففيه أن المملوك لا جهاد عليه ولا حج لأنه غير مستطيع وأراد ببر أمه القيام بمصلحتها في النفقة والمؤن والخدمة ونحو ذلك مما لا يمكن فعله من الرقيق.

قوله: وبلغنا أن أبا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها المراد به حج التطوع لأنه قد كان حج حجة الإسلام في زمن النبي ﷺ فقدّم بر الأم على حج التطوع لأن برها فرض فقدّم على التطوع^(١).

اعلم أن الإسلام جاء وفي أول دعوته حرر العبيد من الرق وجعل لهم أحكاماً وشجع

(١) المجلد ٦، ج ١١، ص ١٤٦، ح ١٦٦٥.

المسلمين بعد انتشار الإسلام على عتق الرقاب وجعل لهم الثواب الجزيل فيمن يعتق رقبة ونلاحظ أن أبا هريرة يريد أن يرجع عبداً مملوكاً لماذا لأن العبد يقوم بخدمة سيده فقط ولا جهاد عليه.

ثم ليس هو عريف الصفة وعند قدومه على النبي بعد الانتهاء من معركة خيبر كان له من العمر ما يناهز الثلاثين وكان في عنفوان شبابه وقوته ولم تكن به عاهة أو ما أشبهه ففضل الجلوس على دكة الصفة هذا يعطيه وهذا يدعوه للطعام وذلك ينفق عليه وظل هكذا إلى ما شاء الله وفي الرواية التي نحن بصدها كأنه يذكر العبودية وأيامها الجميلة من حيث الاتكالية على الغير وعمر يقول متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً وهذا يريد ويتمنى أن يكون عبداً ذليلاً خاضعاً لسيده.

ويقول أبو هريرة أيضاً لولا الجهاد في سبيل الله لأحببت أن أموت وأنا مملوك!
أقول: هذا التاريخ بين أيدينا فأين جهادك يا أبا هريرة وفي أي كتاب ذكر فيه جهادك، لنراجع ذلك، وأقول: من يتمنى أن يكون مملوكاً فمن السيف يفر وذلك لأن لا جهاد ولا قتال على المملوك كما ذكرنا.

يقول الأستاذ أبو رية: إن أبا هريرة قد ظل بالمدينة مع النبي إلى أن قامت حروب الردة فبعثه أبو بكر فيمن اختارهم ليكونوا في جيش العلاء في حربه فإننا نذكر أن هذا القول يدفعه ويدحضه ما علم من تاريخ أبي هريرة فهو لم يكن من أبطال الحروب ولا فرسان الملاحم حتى يختاره أبو بكر فيمن اختارهم ليحاربوا مع العلاء! وإنما كان بطبيعته وما جبلت عليه نفسه لا يصلح لخوض غمرات الحروب وحمل السيوف لا فارساً ولا راجلاً بل كان كما هو مشهور عنه جباناً رعديداً على أن هذا القول لم يذكره أحد من الثقات وسنبين لك فيما بعد مثلاً من شجاعته.

ويقول قرأت في الصفحات الماضية شيئاً من أخبار حرب الردة وما زعم أبو هريرة من أنه كان له فيها سيف وفرس! وكأني بك قد حسبت أن ما زعمه أبو هريرة كان صحيحاً! وأنه قد شهد هذه الحرب وكان من أبطالها الذين اصطلوا بنارها!

ولكنه في حقيقة الأمر كان بعيداً عنها كما هو شأنه في غيرها من سائر الحروب الإسلامية التي وقعت ذلك بأنه لم يدخل في أية حرب منها سواء في عهد النبي ﷺ أو

في عهد الخلفاء وذلك بأن الله قد حرمه نعمة الشجاعة وخلقه جباناً رعديداً ولقد كان هذا الجبن من أسباب إبعاده عن المدينة إلى البحرين!

وقد حاول مرة أن يخرج على جنبه ويتشبه بالرجال وينازل الأبطال فذهب يحارب في غزوة مؤتة التي وقعت في جمادى الأولى سنة ٨هـ وما كاد يسمع صليل السيوف ويرى لمعان الأسنة حتى غلب عليه طبعه فجبين وهلع وولى الأدبار ولاذ بالفرار، ولما عيره بفعلته هذه لم يجد جواباً يدفع به عن نفسه واستخذى!

ولو أنت رجعت إلى كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري لوجدت في الصفحة الثانية عشرة من الجزء الثاني أن أبا هريرة يعترف بهذا الفرار ويتوارى منه خجلاً حتى من ابن عمه ولا يدري ماذا يقول له!

وهاك ما جاء في هذه الصفحة: عن الأعرج^(١) عن أبي هريرة قال لقد كان بيني وبين ابن عم لي كلام فقال إلا فرارك يوم مؤتة؟ فما دريت أي شيء أقوله له!

ومن العجيب أن يأتي في آخر الزمان من يأتون بفرية مفضوحة ويزعمون أن أبا هريرة قد شهد حروب النبي كلها! ثم اشترك بعد ذلك في حروب الردة!

وإننا نتحدهم جميعاً أن يثبتوا أنه قد حضر غزوة أو سرية واحدة مع النبي ﷺ أو أنه قد شهد حروب الردة أو غيرها^(٢)!!

نعم أعيد وأكرر بأن أبا هريرة قدم إلى النبي الأكرم بعد الانتهاء من معركة خيبر أي أنه جاء متأخراً ودخل الإسلام بعد بدر وأحد والخندق وخبير وكان الجهاد الحقيقي في بداية الدعوة ومن أفضل الجهاد ما كان في تلك المعارك التي ذكرناها لا بعد أن تيسر الأمر للمسلمين وأصبحوا ذوي قوة والجميع يهابهم ويحسب لهم ألف حساب.

الحاصل:

إن أبا هريرة قد قام بواجبه تجاه أمه وقد كفى ووفى لها حقها وأحسن إليها أيضاً

(١) الأعرج صاحب أبي هريرة هو عبدالرحمن بن هرمز ويكنى أبا داود مولى محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب خرج إلى الاسكندرية فأقام بها حتى توفي سنة ١١٧هـ، ص ٢٠٥ من كتاب المعارف لابن قتيبة.

(٢) شيخ المضيرة أبو هريرة لمحمود أبو رية، ص ٧٢-٧٤، جبن أبي هريرة.

عندما وضع فيها حديثاً خاصاً ومن الوزن الثقيل حيث طلب من النبي الأكرم أن يدعو
لأمه بدخول الإسلام ودخلت الإسلام بدعائه ﷺ!!

أخرج مسلم في صحيحه:.... أبو هريرة قال كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة
فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت يا
رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما
أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله ﷺ اللهم اهد أم أبي هريرة فخرجت
مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف فسمعت أمي
خشف قدمي فقالت مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء قال فاغتسلت ولبست
درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح
قال قلت يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وأثنى
عليه وقال خيراً قال قلت يا رسول الله أدع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين
ويحببهم إلينا قال فقال رسول الله ﷺ اللهم حبب عبيدك هذا يعني أبا هريرة وأمه إلى
عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني^(١).

قرأت ما قاله هذا الدوسي وأن الله استجاب دعاء النبي في أمه ودخلت الإسلام بتلك
الدعوة لا بل زاد على ذلك بأنه قال للنبي وطلب منه أن يحبب أبا هريرة وأمه إلى العباد
المؤمنين إلى يوم القيامة وكأنه أصبح ميزاناً للمؤمن والمنافق فمن أحبه كان مؤمناً حقاً
وحقيقة ومن كرهه وتكلم عليه ولم يعتقد به ولا بأقواله ولا موضوعاته واختلافاته كان
في الدرك الأسفل من النار وكأنه وضع ذلك قبال حديث أم سلمة إذ تقول سمعت رسول
الله ﷺ يقول لعلي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق^(٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي، وذكره البخاري في فضل الله الصمد في
توضيح الأدب المفرد، ج١، ص١٠٠، ح٣٤، باب ١٨، عرض الإسلام على الأم النصرانية، والحاكم في مستدرکه، ج٢،
ص٦٢١، كتاب التاريخ، وأحمد بن حنبل في مسنده، ج٢، ص٣٢٠، مسند أبي هريرة، وأخرجه أيضاً محمد بن سعد
الواقدي في طبقاته، ج٤، ص٣٢٨، أبو هريرة.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ج٦، ص٢٩٢، حديث أم سلمة زوج النبي، وذكره مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان،
باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان، ومسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٨٤ و ٩٥ و ١٢٨، مسند

باب ما يباح به دم المسلم

٥٠٩... عن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الشيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة.

٥١٠... عن مسروق عن عبدالله قال قام فينا رسول الله ﷺ فقال والذي لا إله غيره لا يحل دم رجل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا ثلاثة نفر التارك للإسلام المفارق للجماعة أو الجماعة شك فيه أحمد والشيب الزاني والنفس بالنفس قال الأعمش فحدثت به إبراهيم فحدثني عن الأسود عن عائشة بمثله.

قال النووي في شرحه:... في هذا الحديث إثبات قتل الزاني المحصن والمراد رجمه بالحجارة حتى يموت وهذا بإجماع المسلمين... وأما قوله ﷺ والنفس بالنفس فالمراد به

علي بن أبي طالب ؑ، وصحيح سنن الترمذي للألباني، ج ٣، ص ٥٢٥، ح ٣٧٣٦، المناقب، مناقب علي بن أبي طالب ؑ، والنسائي في كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان، وابن ماجه القزويني في المقدمة، ح ١١٤، فضل علي بن أبي طالب ؑ.

القصاص بشرطه... وأما قوله ﷺ والتارك لدينه المفارق للجماعة فهو عام في كل مرتد عن الإسلام بأي ردة كانت فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام. قال العلماء ويتناول أيضاً كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغي أو غيرهما^(١).

اعلم أن الشريعة الغراء تحذر من الاعتداء والقتل وتحرم الدماء وكم حذر النبي الأكرم المسلمين من قتل الإنسان لأخيه الإنسان وقال في مواضع عدة ومنها يوم الحج الأكبر وفي عرفات وقبل أن يرتحل إلى الرفيق الأعلى فقال في خطبته أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا.

الحاصل: إن في الحديث الذي بين أيدينا أن النبي الأكرم يذكر حرمة القتل إلا بإحدى ثلاث: رجم الزاني المحصن وأخذ القصاص من القاتل أي النفس بالنفس والمسلم المرتد يقتل أيضاً ولكن لماذا جاء ذكر المفارق للجماعة وما محله من الإعراب هنا؟!

وقول النووي في شرحه يعني بذلك كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغي أو غيرهما، فنتساءل: أولاً من هذه الجماعة؟ ثانياً إن كان الخارج عن الجماعة فقيهاً وعالمياً ورعاً زاهداً عابداً مطيعاً لمولاه مخالفاً لهواه وكان الذي يحكم الأمة فاسقاً لا يقيم حرمة للدين ولا للجماعة، هل هذا الحاكم هو الذي يصدر أمره ويقول بأن ذلك الفقيه خارج عن الجماعة وجاء ببدعة مثلاً وقد خالف الأغلبية المسلمة؟!

ثم إن الحديث واضح، فقد ذكر النبي ﷺ حرمة الدماء إلا في ثلاث ومنها التارك لدينه وهو المرتد فلماذا جاء بعده المفارق للجماعة، فالمرتد قد فارق الجماعة في ارتداده ولا داعي لذكر المفارق للجماعة، وقول النووي يؤكد في الشرح على أربعة أمور وليس ثلاثة.

جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية.

وفيه أيضاً عن النبي ﷺ قال من رأى من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق

(١) المجلد ٦، ج ١١، ص ١٧٧، ح ١٦٧٦.

الجماعة شبراً فمات إلامات ميتة جاهلية^(١).

لاحظ الحديث فقد جاء فيه من فارق الجماعة شبراً أي أن هذا الحديث يسند الأحاديث التي ذكرناها في أول البحث فمن فارق الجماعة مسألة رابعة كما قال النووي في شرحه.

قال البلاذري: بعثت عائشة عبدالرحمن بن الحارث بن هشام على معاوية ليسأله الصفح عن حجر وأصحابه فوجده قتلهم فقال أقتلت حجراً فقال إنه خلع يداً من الطاعة وفارق الجماعة...^(٢).

لاحظ أخي القارئ كيف أن معاوية بن أبي سفيان يستشهد بالحديث وأن حجراً قد فارق الجماعة فحجر هذا هو ابن عدي الكندي وله صحبة وكان صاحب راية النبي ﷺ وكان شريفاً وأميراً مطاعاً وكان أماراً بالمعروف وكان معروفًا بالزهد وكثرة العبادة والصلاة والصيام وكان من فضلاء الصحابة وكان من أصحاب الإمام علي عليه السلام ويكفي أن عائشة زوج النبي الأكرم طلبت من معاوية الصفح عن حجر وأصحابه لعلها بورع وعبادة هذا الصحابي الجليل.

وبما أن حجراً قد فارق الجماعة فلماذا طلبت عائشة الصفح عنهم من معاوية.

وبما أن الحديث صريح بقتل من فارق الجماعة فليسر الحكم عليه ويقتل.

وقال القرطبي: كان حجر من فضلاء الصحابة وصغر سنه عن كبارهم وكان على كندة يوم صفين وكان على الميسرة يوم النهروان ولما ولي معاوية زياداً العراق وما وراءها وأظهر من الغلظة وسوء السيرة ما أظهر خلعه حجر ولم يخلع معاوية وتابعه جماعة من أصحاب علي وشيعته وحصبه يوماً في تأخير الصلاة هو وأصحابه فكتب فيه زياد إلى معاوية فأمره أن يبعث به إليه فبعث إليه مع وائل بن حجر الحضرمي في اثني عشر رجلاً كلهم في الحديد فقتل معاوية منهم ستة واستحيا ستة وكان حجر ممن قتل فبلغ ما صنع بهم زياد إلى عائشة أم المؤمنين فبعثت إلى معاوية عبدالرحمن بن الحارث بن هشام الله

(١) كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها.

(٢) أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٦، أمر حجر بن عدي، ط١٤٠٠هـ، بيروت.

الله في حجر وأصحابه فوجده عبدالرحمن قد قتل هو وخمسة من أصحابه فقال لمعاوية أين عزب عنك حلم أبي سفيان في حجر وأصحابه؟ ألا حبستهم في السجون وعرضتهم للطاعون؟ قال حين غاب عني مثلك من قومي، قال والله لا تعد لك العرب حلماً بعدها ابداً ولا رأياً قتلت قوماً بعث بهم إليك أسارى من المسلمين قال فما أصنع؟ كتب إلي فيهم زياد يشدد أمرهم ويذكر أنه سيفتقون علي فتقاً لا يرفع.

ثم قدم معاوية المدينة فدخل على عائشة رضي الله عنها فكان أول ما بدأته به قتل حجر في كلام طويل جرى بينهما ثم قال فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا.

والموضع الذي قتل فيه حجر بن عدي ومن قتل معه من أصحابه يعرف بمرج عذراء.

... عن محمد بن سيرين أن معاوية لما أتى بحجر بن الأديب قال السلام عليك يا أمير المؤمنين قال أو أمير المؤمنين؟ اضربوا عنقه قال فلما قدم للقتل قال دعوني أصلي ركعتين فصلاهما خفيفتين ثم قال لولا أن تظنوا بي غير الذي بي لأطلتهما والله لئن كانت صلاتي لم تنفعني فيما مضى ما هما بنافعتي ثم قال لمن حضر من أهله لا تطلقوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً فإني ملاق معاوية على الجادة.

... عن محمد بن سيرين أنه كان إذا سئل عن الركعتين عند القتل قال صلاهما خيب وحجر وهما فاضلان.

... مبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول وقد ذكر معاوية وقتله حجراً وأصحابه ويل لمن قتل حجراً وأصحاب حجر قال أحمد قلت ليحيى بن سليمان أبلغك أن حجراً كان مستجاب الدعوة قال نعم وكان من أفاضل أصحاب النبي صلوات الله وسلامه عليه.

وروينا عن أبي سعيد المقبري قال لما حج معاوية جاء إلى المدينة زائراً فاستأذن على عائشة رضي الله عنها فأذنت له فلما قعد قالت له يا معاوية أمنت أن أخبأ لك من يقتلك بأخي محمد بن أبي بكر؟ فقال بيت الأمان دخلت قالت يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه قال إنما قتلهم من شهد عليهم.

وعن مسروق بن الأجدع قال سمعت عائشة أم المؤمنين تقول أما والله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة ما اجتراً على أن يأخذ حجراً وأصحابه من بينهم حتى يقتلهم

بالشام ولكن ابن آكلة الأكباد علم أنه قد ذهب الناس أما والله إن كانوا لجمجمة العرب
عزاً ومنعة وفقهاً والله در لبيد حيث يقول شعراً:

ذهب الذي يعاش في أكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الأجر
لا ينفعون ولا يرجى خيرهم
ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

ولما بلغ الربيع بن زياد الحارثي من بني الحارث بن كعب وكان فاضلاً جليلاً وكان
عاملاً لمعاوية على خراسان وكان الحسن بن أبي الحسن كاتبه فلما بلغه قال قتل معاوية
حجر بن عدي دعا الله ﷻ فقال اللهم إن كن للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجل فلم
يبرح من مجلسه حتى مات.

وكان قتل معاوية لحجر بن عدي بن الأديب رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين^(١).

أقول:

ألا تشك أخي القارئ بأن الأمر الرابع (من فارق الجماعة أو المفارق للجماعة) جملة
دخيلة وزيادة على الحديث؟ وقد وضع لأسباب عديدة منها كي يتقاعس المسلمون عن
الثورة على الحاكم الجائر الظالم؟!!

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي، ج ١، ص ٣٩١، ترجمة ٥٠٥.

باب قطع السارق

٥١١.... عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب فقال أيها الناس إنما أهلك الذي قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وفي حديث ابن رمح إنما هلك الذي من قبلكم.

٥١٢.... عن عائشة زوج النبي ﷺ أن قريشاً أهمهم شأن المرأة التي سرقت ي عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فأتى بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال أتشفع في حد من حدود الله فقال له أسامة استغفر لي يا رسول الله فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق

فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وإنني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها قال يونس قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فحسنت توبتها بعد وتزوجت وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ.

يقول ابن حجر في شرحه:

قوله: أهمتهم المرأة، أي أجلبت إليهم همأً أو صيرتهم ذوي همّ بسبب ما وقع منها. ... وقد وقع في رواية مسعود بن الأسود... لما سرقت تلك المرأة أعظمتنا ذلك فأتينا رسول الله ﷺ... وسبب إعظامهم ذلك خشية أن تُقطع يدها، لعلمهم أن النبي ﷺ لا يرخص في الحدود.

وكان قطع السارق معلوماً عندهم قبل الإسلام ونزل القرآن بقطع السارق فاستمر الحال فيه.

قوله المخزومية، نسبة إلى مخزوم بن يقظة... واسم المرأة... فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم وهي بنت أخي بن سلمة بن عبد الأسد الصحابي الجليل الذي كان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ قُتِلَ أبوها كافراً يوم بدر قتله حمزة بن عبدالمطلب.

عن حبيب بن أبي ثابت... أن فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد سرقت حلياً على عهد رسول الله ﷺ فاستشفعوا... الحديث.

قوله فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ أي يشفع عنده فيها أن لا تقطع إما عفواً وإما بفداء.

قوله ومن يجترئ عليه... والمعنى ما يجترئ عليه إلا أسامة.

قوله حب رسول الله ﷺ... وفي ذلك تلميح بقول النبي ﷺ اللهم إني أُجِبُه فَأَجِبُه.

قوله فكلم رسول الله ﷺ... فجاؤا إلى أسامة فكلموه في ذلك فجاء أسامة إلى النبي ﷺ وكلمه.

وفي رواية يونس فكلمه فَتَلَوْنَ وجه رسول الله ﷺ.

قوله فقال أتشفع في حد من حدود الله، بهمزة الاستفهام الإنكاري لأنه كان سبق له منع الشفاعة في الحد قبل ذلك.

ويقول ابن حجر:

(إن هذه القصة) كانت في غزوة الفتح وهي في رمضان سنة ثمان!

قوله ثم قام فخطب... وفي رواية يونس فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً.

قوله إنما ضل من كان قبلكم... أنهم عَطَلُوا الحدود عن الأغنياء وأقاموها على الضعفاء.

قوله إنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه... وإذا سرق فيهم الوضع قطعوه.

قوله وأيم الله... والذي نفسي بيده.

قوله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت... وقد ذكر ابن ماجد عن محمد بن ربح شيخه في هذا الحديث سمعت الليث يقول عقب هذا الحديث قد أعادها الله من أن تسرق وكل مسلم ينبغي له أن يقول هذا... وإنما خص ﷺ فاطمة ابنته بالذكر لأنها أعز أهله عنده.

في رواية للنسائي: قم يا بلال فخذ بيدها فاقطعها... فأمر بها فقطعت.

قالت عائشة: فحسنت توبتها بعد وتزوجت وكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ.

وفي حديث عبدالله بن عمرو عن أحمد أنها قالت هل لي من توبة يا رسول الله فقال أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك.

ويقول ابن حجر ناقلاً عن مالك والشافعي وغيرهم:... وفيه ما يدل على أن فاطمة عليها السلام عند أبيها ﷺ في أعظم المنازل فإن في القصة إشارة إلى أنها الغاية في ذلك عنده.

ويعقب ويقول كما في فتح الباري: ولا يُؤخذ منه أنها أفضل من عائشة!! لأن من جملة ما تقدم من المناسبة كون اسم صاحبة القصة وافق اسمها ولا تنتفي المساواة!! انتهى^(٩).

(٩) فتح الباري، ج ١٢، ص ١١٣، ح ٦٧٨٨، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد .

نعم! هذا هو ديدن أهل العامة كعادتهم، فإنهم يُخرجون ما في قلوبهم من الحقد
الدفين وأخذوا يقولون ما لا يليق بنبينا الأكرم وابنته فاطمة عليها السلام!

فنراهم تارة يقولون إنما خص صلى الله عليه وسلم فاطمة ابنته بالذكر لأنها أعز أهله عنده.

ومرة يقولون: وفيه ما يدل على أن فاطمة عليها السلام عند أبيها صلى الله عليه وسلم في أعظم المنازل!

وتارة أخرى يقولون: ولا يؤخذ منه أنها أفضل من عائشة! لماذا؟!!

لأن اسم صاحبة القصة - أي المرأة المخزومية - (فاطمة) وافق اسمها اسم بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم!!

بالله عليك أخي المسلم! كُنْ مُنْصَفًا بِعُضِّ الشَّيْءِ واحكم بنفسك أَيْعَقَلْ ذلك؟! وهل
تَتَقَبَّلُ ما قرأت؟! وهل يقبل عقلك ووجدانك ذلك؟!!

وكأن هؤلاء يريدون أن يقولوا لو كان اسم المرأة السارقة عائشة مثلاً لقال النبي لو أن
حبيبي وزوجتي سرقت لقطعتم يدها!
وأخيراً أقول:

كيف بهؤلاء الصحابة تجرؤوا وجعلوا أسامة بن زيد واسطة! وطلبوا منه أن يكلم
الرسول في أمر المرأة السارقة؟! وكيف بأسامة يقبل بذلك؟!!

فإن ذلك دليل على أن المسلمين لا زالت العواقل والتَّرشُّبات الجاهلية في قلوبهم!
وكما قرأت بأن أمر المرأة والحادثة هذه كانت في السنة الثامنة من الهجرة!
أي أن الشريعة والتعاليم الإسلامية قد قاربت على الانتهاء وهؤلاء الصحابة لا زالوا
يريدون أن يُعْطَلُوا حدًّا من حدود الله تعالى!!
فالسؤال الذي يطرح نفسه أيضاً:

كم من حد من حدود الله تعالى ركنوه جانباً في زمن حكمهم؟!!

وكم من شرع وسنة بدَّلوها زمن جلوسهم على سدة الحكم؟!!

فهذا التاريخ بين أيدينا يشهد على أن هؤلاء غيروا وبدلوا الكثير الكثير حتى قال فيهم
الرسول صلى الله عليه وسلم محذراً إياهم: أنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن

دونى فأقول يا رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك^(١)!

وقد ملئ صحیح البخاري بهذا الحديث ولكن بطرق وصيغ مختلفة والمضمون واحد ونحن قد ذكرنا ذلك في كتابنا هذا وفي مواضع مختلفة، وكل في محله.

وطالما أن هذه هي أفكار ومعتقدات هؤلاء الصحابة في زمن النبي ﷺ في هذه المرأة السارقة إذ قاموا بتحريض أسامة كي يتشفع لها عند النبي ليعطل حداً من حدود الله، فحتماً ستكون هذه الأفكار - أي أفكار الصحابة - سارية المفعول في قلوبهم وعقولهم بعد رحيل النبي من هذه الدنيا الفانية، ويؤيد قولنا ذلك كما أشرنا بأنهم غيروا وبدلوا زمن حكمهم.

(١) صحیح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض.

باب رجم الثيب

٥١٣... قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ إن الله قد بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف.

قال النووي في شرحه: قوله (فكان مما أنزل الله عليه آية الرجم قرأناها ووعينا وعقلناها) أراد بآية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما نسخهما جميعاً فيما نسخ لفظه وبقي حكمه وقد وقع نسخ حكم دون اللفظ....

ويقول: وفي ترك الصحابة كتابة هذه الآية دلالة ظاهرة أن المنسوخ لا يكتب في المصحف وفي إعلان عمر بالرجم وهو على المنبر وسكوت الصحابة وغيرهم من الحاضرين عن مخالفته بالإنكار دليل على ثبوت الرجم^(١).

أقول:

جاء في صحيح مسلم قال عطاء قدم جابر بن عبد الله معتمراً فجنثناه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر

(١) المجلد ٦، ج ١١، ص ٢٠٤، ح ١٦٩١.

وعمر^(١).

وفيه ايضاً كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها قال فذكرت ذلك لجابر بن عبدالله فقال على يدي دار الحديث تمتعنا مع رسول الله ﷺ فلما قام عمر قال إن الله يحل لرسوله ما شاء بما شاء وإن القرآن قد نزل منازلهم فأتموا الحج والعمرة لله كما أمركم الله وأبوتوا نكاح هذه النساء فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته^(٢).
فقول جابر بن عبدالله (فلما قام عمر) أي عندما حكم الناس وجلس على كرسي الحكم قام بتحريم المتعة وكذلك هدد وتوعد من يخالف أمره.

ويقول الفخر الرازي في تفسيره الكبير أن عمر قال (متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما) ذكر ذلك الكلام في مجمع الصحابة وما أنكر عليه أحد^(٣).

اعلم أخي الكريم أن سبب سكوت الصحابة وعدم ردهم على عمر وذلك لأنه هدد وأنذر لذا خاف الصحابة من بطش عمر فهم يعرفونه حق المعرفة ويعلمون بأنه سيطبق تهديداته بحذافيرها! كيف لا وهو الذي هدد بحرق بيت فاطمة وذلك لأخذ البيعة من الإمام علي عليه السلام بالقوة وفعلاً قام بحرق البيت واقتحامه أيضاً!!

فحاصل القول إنه هدد بالعقاب والرجم وسوف يعاقب ويرجم أيضاً فكلمة التهديد والوعيد تصدر من حاكم مسيطر ولا يخشى أحداً أبداً وكذلك عند ذكره آية الرجم أيضاً سكت الصحابة ولم يردوا عليه، فسكوت الصحابة ليس دليلاً على صحة قول عمر، ويقر عمر بن الخطاب كذلك في هذا الحديث بتحريف القرآن، ففي صحيح البخاري وفي كتاب الأحكام باب الشهادة تكون عند الحاكم... قال عمر لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي... وفي قوله ذلك دلالة قاطعة على عدم نسخ التلاوة.

(١) كتاب النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيض.

(٢) كتاب الحج، باب في المتعة إلى الحج والعمرة.

(٣) ج ١٠، ص ٥٠، سورة النساء/٢٤، قوله ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾، ط ٣.

باب من اعترف بالزنا

٥١٤... عن أبي هريرة أنه قال أتى رجل من المسلمين رسول الله ﷺ وهو في المسجد فناداه فقال يا رسول الله إني زنيت فأعرض عنه فتنحى تلقاء وجهه فقال له يا رسول الله إني زنيت فأعرض عنه حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله ﷺ فقال أبك جنون قال لا قال فهل أحصنت قال نعم فقال رسول الله ﷺ اذهبوا به فأرجموه قال ابن شهاب فأخبرني من سمع جابر بن عبد الله يقول فكنت فيمن رجمه فرجمناه بالمصلى فلما أذلقته الحجارة هرب فأدركناه بالحررة فرجمناه.

٥١٥... عن جابر بن سمرة قال رأيت ماعز بن مالك حين جيء به إلى النبي ﷺ رجل قصير أعضل ليس عليه رداء فشهد على نفسه أربع مرات أنه زنى فقال رسول الله ﷺ فلعلك قال لا والله إنه قد زنى الآخر قال فرجمه ثم خطب فقال ألا كلما نفرنا غازين في سبيل الله خلف أحدهم له نبيب كنبيب التيس يمنح أحدهم الكلبة أما والله إن يمكني من أحدهم لأنكلنه عنه.

٥١٦... عن أبي سعيد أن رجلاً من أسلم يقال له ماعز بن مالك أتى رسول الله ﷺ فقال إني أصبت فاحشة فأقمه علي فرده النبي ﷺ مراراً قال ثم سألت قومه فقالوا ما نعلم به بأساً إلا أنه أصاب شيئاً يرى أنه لا يخرج منه إلا أن يقام فيه الحد قال فرجع إلى النبي ﷺ فأمرنا أن نرجمه قال فانطلقنا به إلى بقيع الغرقد قال فما أوثقناه ولا حفرنا له

قال فرميناه بالعظم والمدر والخزف قال فاشتد واشتدنا خلفه حتى أتى عرض الحرة فانتصب لنا فرميناه بجلاميد الحرة يعني الحجارة حتى سكت قال ثم قام رسول الله ﷺ خطيباً من العشي فقال أو كلما انطلقنا في غزاة في سبيل الله تخلف رجل في عيالنا له نبيب كنيب التيس علي أن لا أوتى برجل فعل ذلك إلا نكلت به قال فما استغفر له ولا سبه.

٥١٧... عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله طهرني فقال ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال رسول الله ﷺ ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال النبي ﷺ مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ فيم أطهرك فقال من الزنى فسأل رسول الله ﷺ أبه جنون فأخبر أنه ليس بمجنون فقال أشرب خمراً فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر قال فقال رسول الله ﷺ أزينت فقال نعم فأمر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين قائل يقول لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة أفضل من توبة ماعز أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال اقتلني بالحجارة قال فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال استغفروا لماعز بن مالك قال فقالوا غفر الله لماعز بن مالك قال فقال رسول الله ﷺ لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو سعتهم قال ثم جاءت امرأة من غامد من الأزد فقالت يا رسول الله طهرني فقال ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه فقالت أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك قال وما ذاك قالت إنها حبلى من الزنى فقال آنت قالت نعم فقال لها حتى تضعي ما في بطنك قال فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت قال فأتى النبي ﷺ فقال قد وضعت الغامدية فقال إذا لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه فقام رجل من الأنصار فقال إلي رضاعه يا نبي الله قال فرجمها.

قال الأستاذ الدكتور موسى لاشين في شرحه فتح المنعم: (أتى رجل من المسلمين رسول الله ﷺ) أي من عامة المسلمين ليس من أكابره ولا بالمشهور فيهم... أتى من تلقاء نفسه....

(فقال يا رسول الله إني زنيت)... وإني أريد أن تطهرني.

(فيم أطهرك؟ فقال من الزنا)... قال النووي هكذا هو في جميع الأصول (فيم؟) بالفاء والياء، وهو صحيح وتكون في للسببية أي بسبب ماذا أطهرك؟

(ثم سأل قومه فقالوا ما نعلم به بأساً)... سألهم أبه جنون فأخبر أنه ليس بمجنون فقال أشرب خمرأ؟... (فرجمه) أي أمر بجمه... (فانطلقنا به على بقيع الغرقد) وهو مقبرة أهل المدينة وأصل البقيع المكان المتسع ذو الأشجار المختلفة والغرقد نوع من الشجر من الفصيلة الباذنجانية تؤكل ثمرتها وتسمى الغرقد.

(فما أوثقناه ولا حفرنا له)... فلما كان الرابعة حفر له حفرة قال الحافظ ابن حجر يمكن الجمع بأن المنفي حفرة عميقة لا يمكنه الوثوب منها والمثبت حفرة صغيرة أمكنه الوثوب منها أو أنهم في أول الأمر لم يحفروا ثم لما فر فأدركوه حفروا له حفرة لا يمكنه الوثوب منها فانتصب لهم فيها حتى فرغوا منه.

(فرجمناه بالمصلى) المراد مصلى الجنائز ببقيع الغرقد.

(فرميناه بالعظم والمدر والخزف) المدر - بفتحات - الطين اللزج المتماسك والخزف - بفتحات - الآنية التي تتخذ من الطين المحروق والمراد ما تكسر منه.

(فاشدد واشتدنا خلفه حتى أتى عرض الحرة فانتصب لنا) اشدد أي جرى وأسرع... فلما أذلقته الحجارة هرب أي فلما أصابته الحجارة بحدها وآلمته هرب وعرض الحرة بضم العين وسكون الراء والحرة بفتح الحاء أي جانب الارض ذات الحجارة السوداء وهي منطقة مشهورة بظاهر المدينة.

(فرميناه بجلاميد الحرة) فسرها الراوي بحجارة الحرة جمع جلمود بضم الجيم وهو الصخر.

(حتى سكت) ققال النووي... قال القاضي عياض: ورواه بعضه مسكن بالنون والأول الصواب ومعناه مات.

(أو كلما انطلقنا غزاة في سبيل الله تخلف رجل في عيالنا) أي في نساءنا وفي ملحقها فما بال أقوام إذا غزونا يتخلف أحدهم عنا.

(له نيب كنيب التيس) التيس ذكر الماعز ونيب التيس صياحه وصوته عند ركوبه على أنثاه.

(أما والله إن يمكني من أحدهم لأنكلنه عنه)... أي إن يمكني الله من أحد هؤلاء لأجعلنه نكلاً أي عظة وعبرة لمن بعده بما أصيبه من العقوبة عن هذا الفعل القبيح.

(ثم جاءت امرأة من غامد من الأزدي) قال النووي: غامد بالغين بطن من جهينة... أن امرأة من جهينة على أن القصة واحدة ومال الحافظ ابن حجر إلى أنهما قضيتان فقال جمع بين روايتي....

(فقال: حتى تضعي ما في بطنك)... لا أطهرك حتى تضعي ما في بطنك... (فكفلها رجل من الأنصار) أي قام بمؤنتها ومصالحها وليس هو من الكفالة بمعنى الضمان لأن هذا لا يجوز في الحدود.

(حتى وضعت فأتى النبي ﷺ فقال قد وضعت الغامدية فقال إذا لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه فقام رجل من الأنصار فقال إلي رضاعه يا نبي الله قال فرجمها) وظاهر هذه الرواية أنها لم ترضعه حتى الفطام وتوجيهها أن الرجل الأنصاري قال ذلك بعد الفطام وأراد بالرضاع تربيته وحضانتها وسماها رضاعاً مجازاً، قاله النووي^(١).

جاء في صحيح البخاري...: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أتى ماعز بن مالك النبي ﷺ قال له لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت قال لا يا رسول الله قال أَنْكَتْهَا لا يكني قال فعند ذلك أمر بـرجمه^(٢).

قال ابن حجر: قوله: لما أتى ماعز بن مالك... إن ماعز بن مالك أتى النبي ﷺ فقال إنه زنى فأعرض عنه فأعاد عليه مراراً فسأل قومه أمجنون هو قالوا ليس به بأس.

قوله: قال له لعلك قبلت... أي المرأة المذكورة ولم يُعَيَّن محل التقبيل.

وقوله أو غمزت... أي بعينك أو يدك، أي أشرت أو المراد بغمزت بيدك الجس، أو وضعها على عضو الغير.

(١) ج ٦، ص ٥٨٩، ح ٣٣٨٩٥.

(٢) كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت.

قوله أو نظرت، أي فأطلقت على أي واحدة فعلت من الثلاث زنا.
قوله أنكتهها، بالنون والكاف، لا يكنى، أي تلفظ بالكلمة المذكورة ولم يُكنَّ عنها بلفظ آخر.

وقد وقع في رواية خالد بلفظ أفعلت بها... فعند ذلك أمر بترجمه. زاد خالد الحذاء في روايته فانطلق به فَرَجَمَ ولم يُصَلِّ عليه^(١)!

قال القسطلاني في شرحه إرشاد الساري: أنكتهها... لا يكنى... أي أنه ذكر هذا اللفظ صريحاً ولم يُكنَّ عنه بلفظ آخر كالجماع^(٢).
أقول:

جاء في البخاري في باب الحياء من الإيمان من كتاب الإيمان: أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله ﷺ دعه فإن الحياء من الإيمان.

أي أن هذا الرجل الأنصاري يقول لصاحبه وهو يعظه: إنك لتستحي كثيراً وقد أضر بك ذلك، فنهاه النبي عن هذا الوعظ.

عن أبي سعيد الخدري قال: كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه. - صحيح البخاري باب من لم يواجه الناس بالعتاب من كتاب الأدب.

أعود وأقول:

كيف نوفق بين هذه الروايات وبين منطلق النبي ﷺ في قوله (أَنْكَتْهَا)!

٥١٨.... عن عمران بن حصين أن امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حبلى من الزنى فقالت يا نبي الله أصبت حداً فأقمه علي فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ فشكت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال له عمر تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت فقال لقد تابت توبة لو

(١) فتح الباري، ج ١٢، ص ١٦٠، ح ٦٨٢٤.

(٢) إرشاد الساري، ج ١٤، ص ٢٦٩، ح ٦٨٢٤.

قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى.

إن كثرة معارضات عمر المتكررة قد جعلت القارئ موضع شك وريب في أقواله وأقوال الرواة فقد عارض النبي الأكرم عندما أراد أن يصلي على عبدالله بن أبي بن سلول وقال له بعد أن جذب ثوبه أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين فنزلت آية ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ أي أن الرب جل وعلا وافق عمر وما رأى بعدم الصلاة على المنافقين^(١) وكذلك عندما قال النبي يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت وأيضاً الحجاب عندما أمر النبي بحجب نسائه وإليك الصيغة (احجب نساءك) وهي صيغة أمر، راجع إرشاد الساري في شرح البخاري للقسطلاني، كتاب التفسير، باب قوله ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ على كل حال لقد ذكر أهل العامة أن موافقات عمر قد بلغت إحدى وعشرون موافقة فيا سبحان الله كيف لم تنزل آية تؤيده وتوافق رأيه وتنهى النبي عن الصلاة على المرأة الزانية!!

(١) راجع صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص .

باب حد الخمر

٥١٩... عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين قال وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبدالرحمن أخف الحدود ثمانين فأمر به عمر.

٥٢٠... عن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ جلد في الخمر بالجريد والنعال ثم جلد أبو بكر أربعين فلما كان عمر ودنا الناس من الريف والقرى قال ما ترون في جلد الخمر فقال عبدالرحمن بن عوف أرى أن تجعلها كأخف الحدود قال فجلد عمر ثمانين.

قال النووي في شرحه:.... وفي حديث علي (رضي الله عنه) أنه جلد أربعين ثم قال للجلاد أمسك ثم قال جلد النبي ﷺ أربعين وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين^(١).

وقال العسكري في كتابه الأوائل: أول من ضرب في الخمر ثمانين، عمر^(٢).

٥٢١... حزين بن المنذر أبو ساسان قال شهدت عثمان بن عفان وأتى بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال أزيدكم فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر وشهد الآخر أنه رآه يتقياً فقال عثمان إنه لم يتقياً حتى شربها فقال يا علي قم فاجلده

(١) المجلد ٦، ج ١١، ص ٢٢٧، ح ١٧٠٦.

(٢) الأوائل للحسن بن عبدالله بن سهل العسكري المتوفى ٣٩٥هـ، ص ١١٦، باب رقم ٨٨، ط ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، وكذلك تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي، ص ١٣٧، فصل في أوليات عمر، ط ١٣٨٩هـ، القاهرة.

فقال علي قم يا حسن فاجلده فقال الحسن ولّ حارها من تولى قارها فكأنه وجد عليه فقال يا عبدالله بن جعفر قم فاجلده فجلده وعلي يعد حتى بلغ أربعين فقال أمسك ثم قال جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ووجد أبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنة وهذا أحب إلي.

قال الأبى في شرحه إكمال إكمال المعلم: قوله (أزيدكم) قلت قال البياسي في تاريخه كان مما نقم على عثمان رضي الله عنه إيثاره قرابته وتوليته إياهم أعماله، والوليد بن عقبة بن أبي معيط هذا من قرابته وقيل أنه كان أخاه لأمه وسبب جلده الحد أن عثمان كان ولاه الكوفة فبقي ليلة مع ندمائه ومغنيه يشرب الخمر من أول الليل إلى أن جاءه المؤذن يؤذنه للصلاة الصبح فخرج في غلالة فدخل المحراب فصلى بالناس الصبح أربعاً وقال أزيدكم فقال بعض أهل الصف ما زلنا في زيادة منذ وليتنا وما تزيدنا لا زادك الله من الخير والله لأعجب إلا ممن ولاك علينا وحصب الناس الوليد بحصباء المسجد فدخل القصر يترنم ويتمثل بأبيات في الخمر فشاع في الكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر فدخل عليه أبو زينب الأسدي وأبو جندب بن زهير الأسدي في جماعة من أهل المسجد فوجدوه سكراناً مضطجعاً على سريره لا يعقل فأيقظوه فلم يستيقظ وتقياً عليهم ما شرب من الخمر فأخذوا خاتمه من إصبه وخرجوا إلى المدينة فأتوا عثمان وشهدوا عليه أنه شرب الخمر فقال وما يدريكم أن الذي شربه الخمر فقالوا إنها الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية وأخرجوا خاتمه فدفعوه إليه فزجرهم ودفع في صدورهم وقال تنحوا عني فأتوا علياً فعرفوه القضية فأتى عثمان فقال دفعت الشهود وأبطلت الحدود فقال له عثمان فما ترى فقال استحضر صاحبك فإن أقاموا عليه الشهادة ولم يجد مدفعاً أقمت عليه الحد فأشخصه عثمان من الكوفة فشهد عليه ولم يدل بحجة فألقى عثمان السوط إلى علي وقال قم يا علي فأقم عليه الحد فقال قم يا حسن فأقم عليه الحد فقال الحسن يكفينيه بعض من ترى فلما رأى علي امتناع الجماعة من إقامة الحد توقياً لغضب عثمان ومكان قرابته منه أخذ علي السوط ودنا منه فجعل الوليد يروغ فاجتذبه علي ورمى به إلى الأرض وعلاه بالسوط فقال له عثمان ليس لك أن تفعل به هذا فقال بلى وشرأ من هذا إنه فسق ومنع حق الله أن يؤخذ منه وعزله عثمان عن الكوفة وولاه سعيده بن العاص.

قوله (فشهد حمران أنه شربها وشهد الآخر أنه قاءها فقال عثمان ما قاءها حتى شربها) قلت فإن قيل كيف قال ذلك عثمان مع إمكان أن يكون شربها مكرهاً أو يظنها غير خمر؟ أجيب بأن السياق ينفي ذلك وأيضاً فالخصم لم يدع ذلك، أي أعمال عثمان هذه الشهادة لا يقال إنه خلاف توقف عمر في مثلها فإنه لما شهد عنده الجار ودان قدامة شرب الخمر قال لأبي هريرة وأنت يا أبا هريرة علام تشهد؟ قال لم أره حين شربها ولكني رأيته قاءها فقال لقد تنطعت يا أبا هريرة فاستحضر عمر قدامة فأنكر فقال أبو هريرة مهلاً يا أمير المؤمنين إن شككت في شهادتنا فستل بنت الوليد امرأة ابن مظعون فسألها فأقامت على زوجها الشهادة فجلده عمر الحد وظاهر القضية أن عمر لم يسمع شهادة أبي هريرة حين قال لم أره شربها ولكني رأيته قاءها قيل ليس ذلك بخلاف لأن عمر إنما توقف حين رأى أبا هريرة سلك في أداء الشهادة مسلك من يخبر في تفصيل قرائن الأحوال التي تفيد العلم بالمشهود فيه ومهما شرع الشاهد في تفصيلها لم يحصل لسامع الشهادة الجزم بصحتها لأن القرائن لا تنضبط الحكاية عنها وإنما حق الشاهد أن يعرض عنها ويقدم على أداء إقبال الجازم المخبر عن علم ولذلك لما جزم أبو هريرة بالشهادة سمعها عمر وحكم وإنما بعث إلى هند على عادته في الاستظهار في الشهادة والإخبار. ولا يظن به أنه رد شهادة أبي هريرة وقبل شهادة امرأة، قلت ذكر ابن المناصف القضية ولم يذكر أن عمر توقف وإنما الذي توقف أبو هريرة.

قال ابن المناصف: شهد أبو هريرة أن رجلاً قاء خمرًا، فقال عمر أتشهد أنه شربها فقال إنما أشهد أنه قاءها فقال عمر ما هذا التعمق يا أبا هريرة فلا وربك ما قاءها حتى شربها.

قال ابن المناصف: قرأ عمر أن النظر الصحيح يؤدي إلى العلم أنه شربها من حيث أنه قاءها وتوقف أبو هريرة أن يزيد على ما رأى، قال ابن المناصف: ويحتمل عندي أن يكون توقف أبي هريرة لاحتمال أن يكون أكره على شربها أو اضطر إليها أو غير ذلك مما لو ثبت لسقط عنه الحد، ولم يلتفت عمر إلى ذلك لأن الحكم إذا وجب بشيء ظاهر لا يرفع بالظنون المتوهمة فكلاهما ناظر ومجتهد.

وفي الحديث من الفقه تليفق الشهادتين إذا أدتا إلى معنى واحد فإن أحدهما

يشهد برؤيته لشرب الخمر والآخر يشهد بما يستلزم شربها قلت هذا من تلفيق الأفعال والمشهور عدم قبوله ثم الخلاف فيه إنما هو إذا لم يستلزم أحد الفعلين الآخر كما لو شهد أن أحدهما قتله بسيف والآخر أنه قتله بصخرة، فإن القتل بالسيف لا يستلزم القتل بالصخرة وأما في الخمر فيستلزم شربها.

فيه حجة لمالك أن من تقياً الخمر يحد، وعندنا لا يحد لاحتمال أن يكون شربها جهلاً أنها خمر أو أنه أكره على شربها أو غير ذلك من الوجوه التي تسقط معها الحدود. ودليل مالك أقوى لأن الصحابة في هذه القضية اتفقوا على جلد الوليد وقد يجيب أصحابنا عن هذا بأن يكون عثمان علم شربها الوليد فقاضى بعلمه ولعله كان مذهبه جواز قضاء القاضي بعلمه في الحدود وهذا تأويل ضعيف يرده كلام عثمان.

قوله (يا علي قم فاجلده) فيه تولي أهل الفضل إقامة الحدود بأنفسهم لأنها من أفضل القربات ويجب عند جميع العلماء أن يختار لإقامتها أهل الفضل والعدل خوف التعدي في الإقامة وكذلك كان أجلة الصحابة يقيمونها بين يدي الخلفاء وقد وقع في زماننا أن جلد في الخمر ثمانين فتعدى الضارب فقتله بها وإنما أثر عثمان علياً لذلك لأنه أقرب على الوليد من غيره لاجتماعهما في عبدمناف، كان الإمام عثمان وإنما أثر علياً بذلك تكرمه له لتفويضه الأمر إليه في إقامة الحد، لأن المعنى (قم يا علي فأقم الحد عليه) بأن تأمر بذلك من ترى فقبل علي وأمر الحسن....

قوله (قم يا عبدالله بن جعفر) يحتمل أنه أمر من علي لعبدالله بن جعفر، ويحتمل أنه أمر من الحسن لعبدالله بن جعفر طلباً لرضا علي عليه السلام.

قوله (وعلي يعد فلما بلغ أربعين قال أمسك) ظاهره أنه لم يزد....

قوله (جلد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعين وجلد أبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنة) فيه ما كان علي يعتقد من صحة إمامة الخليفين وأن أمرهما حق لقوله صلى الله عليه وآله وسلم اقتدوا بالذين من بعدي خلاف ما كان عليه الرافضة والشيعة، وهو أعظم حجة عليهم لأنه قول الذي يتعصبون له ويعتقدون فيه ما تبرأ هو منه!

قوله (وهذا أحب إلي) حملة الأكثرين على أنه يعني الأربعين^(١).

في الحقيقة يجب أن أنبه القارئ الكريم فأقول أن شرح النووي لصحيح مسلم هو المقدم على غيره من الشروح وهذا لا يختلف فيه اثنان ولكن النووي يجبرنا على ترك شرحه لبعض الأحاديث والأخذ بشرح آخر فهو يرغمنا على ذلك والسبب أنه لا يضع النقاط على الحروف، وبمعنى آخر إنه لا يشرح ولا يعطي أهمية لبعض الجمل والكلمات الصعبة أو بالأحرى لا يشرح الحديث شرحاً وافياً وكلما مر عليه طعن في صحابي مثلاً تراه يتهرب من الشرح الوافي أي أنه يشرح شرحاً لا فائدة فيه للقارئ ويترك الحديث معلقاً ولا يستفاد من قوله وشرحه في ذلك، وعندما رأينا وقرأنا كثرة ما ذكرنا أجبرنا أيضاً على ذكر ذلك للقارئ الكريم، وإلا ففضية الوليد بن عقبة وشربه الخمر وتقيؤه في المحراب مشهورة ومتواترة، فلماذا تهرب النووي ولم يذكر في شرحه ما ذكره غيره؟!؟

(١) ج ٦، ص ٢١١، ح ١٧٠٧.

باب الحكم بالظاهر

٥٢٢.... عروة بن الزبير عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها. قال النووي في شرحه: سمع جلبة خصم بباب... الجلبة... اختلاط الأصوات والخصم هنا الجماعة^(١).

(إنما أنا بشر)... أنه واحد منهم يجوز عليه من الظاهر ما يجوز عليهم.
(لعل بعضكم أن يكون)... بمعنى أعلم وأبلغ في الحجة... لعل بعضكم أن يكون أبلغ فأحسب أنه صادق.
قوله (فليحملها أو يذرها)... يدل على أن قوله قطعة من النار... ومعناه التهديد

(١) المجلد ٦، ج ١٢، ص ٢٤٧، ح ١٧١٣.

والوعيد^(١).

أقول:

هل يجري حكم من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد على نبينا الأعظم؟!!

ولو جاز عليه الاجتهاد والخطأ فالغير أيضاً يجوز عليهم ذلك والمجتهد بعد إصدار حكمه قد يُعارض في حكمه من قبل البعض ويناقش أيضاً ويكون أثناء النقاش بين أخذ ورد وهذا مما لا يجوز على الأنبياء.

يقول تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوًا أَخْصِمَ إِذْ سَوَّرُوا لَإِيحَابَ ۝٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَّجَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْفَظْ خَصْمَانِ بَعِي بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِعْمَةً وَلِي نِعْمَةٌ وَجِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيمِكَ إِلَيَّ نِعَاجِيهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخَائِطَةِ لَبَنِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَحَرَّزَكُمَا أَنَا وَاللَّهُ ۝٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ، ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ ۝٢٥﴾ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ مَّا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿ ص: ٢١-٢٦.

وهذه الآيات جاءت للموعظة وتنبية النبي بعدم التسرع في الحكم بين المتخاصمين.

وأقول:

ليس من المحتمل أن الصحابة عندما يكونون مع النبي الأكرم وهو يقضي بين متخاصمين، وكما ذكرنا بأن أحد هذين المتخاصمين يكون بليغاً خلاف صاحبه وعندما يقضي له النبي فإن الصحابة في المستقبل عندما ترد عليهم مثل هذه القضية وهذه الخصومة ومثل بلاغة الظالم لأخيه فإنهم سوف يحكمون له بنفس حكم النبي! فيكون الخطأ قد تكرر كثيراً في القضاء!!

وغالباً ما يكون كلا المتخاصمين يعتقد بأن الحق معه! فالفيصل بينهما يكون الدين

(١) إكمال إكمال المعلم للأبي، ج٦، ص٢٢٩، ح١٧١٣.

وحكم الشرع.

ونحن نعلم بأن غالبية الناس ليسوا مُلَمِّين وعارفين بالأحكام الشرعية، لذا تراهم يقبلون بحكم الشرع ولو على مَضَض! وإذا كان النبي ﷺ يُخطئ في الحكم بسبب بيان وبلاغة هذا أو ذاك فكيف بالذين جاؤوا من بعده وعملوا بالقضاء؟!

فحتماً سيكون جواز الخطأ عليهم أكثر وأكثر!!

وأقول أيضاً:

أليس من المحتمل أن يكون الشخص المُشْتَكِي والظالم لأخيه المُشْتَكَى عليه أبلغ في البيان من صاحبه؟

وكذلك أن يكون في اعتقاده وبقينه بأنه على الحق مثلاً؟

فإذا قضى النبي الأكرم له بذلك وهو في اعتقاده أنه مُحِقٌّ فيما قضى له، فلماذا تكون عليه حسرة يوم القيامة؟!

ولماذا تكون عليه قطعة من النار؟

ثم أليس من المحتمل أيضاً أن الشخص الآخر الذي ظَلِمَ في هذه القضية والذي ليس له بلاغة في الكلام ولا في البيان أن تحصل لديه رِدَّةٌ فعل بسبب ما صدر عليه من حكم ليقينه بأنه مظلوم؟

ونحن على يقين بأن النبي ﷺ أعلم من الإمام علي عليه السلام وهذا لا مناقشة فيه ولا جدال وهو اعتقادنا.

وقول الإمام علي عليه السلام على المنبر (سلوني قبل أن تفقدوني) يعني بذلك في العلوم والاقتصاد والسياسة والفقه وغيرها، وكذلك في القضاء!

ومن يقول ذلك لا بد أن يكون مُسَدِّداً من قِبَلِ الله تعالى وعالماً بعلوم الأولين والآخرين وإلا لما تَجَرَّأ على قول ذلك، فكيف بالنبي الأكرم؟!

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم/٣-٤.

باب قضية هند

٥٢٣... عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت جاءت هند على النبي ﷺ فقالت يا رسول الله والله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يذلهم الله من أهل خبائك وما على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يعزهم الله من أهل خبائك فقال النبي ﷺ وأيضاً والذي نفسي بيده ثم قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل ممسك فهل علي حرج أن أنفق على عياله من ماله بغير إذنه فقال النبي ﷺ لا حرج عليك أن تنفقي عليهم بالمعروف.

٥٢٤... عروة بن الزبير أن عائشة قالت جاءت هند بنت عتبة بن ربيعة فقالت يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض خباء أحب إلي من أن يذلوا من أهل خباءك وما أصبح اليوم على ظهر الأرض خباء أحب إلي من أن يعزوا من أهل خباءك فقال رسول الله ﷺ وأيضاً والذي نفسي بيده ثم قالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيك فهل علي حرج من أن أطعم من الذي له عيالنا فقال لها لا إلا بالمعروف.

قال العثماني في شرحه: (ما كان على ظهر الأرض أهل خباء) الخباء... خيمة من وبر أو صوف.

(رجل مسيك)... أي شحيح وبخيل^(١).

(١) تكملة فتح الملهم، ج ٨، ص ٥١١، ح ٤٤٤٥٥.

ويقول الأستاذ الدكتور لاشين: والله ما كان على ظهر الأرض خباء أحب إلي من أن يذلهم الله من أهل خباءك... أرادت بقولها أهل خباء نفسه ﷺ فَكَتَّتْ عنه بأهل الخباء إجلالاً له ويحتمل أن تريد بأهل الخباء أهل بيته.

(وأيضاً والذي نفسي بيده) يقال أض يبيض إذا رجع... قال ابن التين فيه تصديق لها فيما ذكرته... المعنى وأنا أيضاً بالنسبة إليك مثل ذلك على معنى وأنا كذلك لم يكن على ظهر الأرض أحب إلي من أن يذلها الله منك.

وقال النووي:.... زال ورجعت عن بغضك لي وحل محله ورجعت إلي حبك لي وأيضاً سيزيد زوال بغضك لي وسيزيد حبك لي كلما تمكن الإيمان من قلبك^(١).

لقد وضع أهل العامة اصطلاحات للحديث وجعلوا له قانوناً وأساساً ولكنهم لا يطبقون تلك القوانين والاصطلاحات وما وضعوه هم بأنفسهم!! فتراهم يجرحون راوياً قد حدث وذكر فضائل أهل البيت أو قدح في صحابي من خلال روايته وإن كان هذا الراوي رافضياً فالمصيبة أعظم وبالعكس ذلك فإنهم يوثقون راوياً آخر وهو عندهم متشيع غال أو يميل للرفض فيأخذون بروايته لماذا؟ لأنه ذكر منقبة لصحابي، أي أنهم يميلون مع الحديث حسب مزاجهم وهوامهم، فمن رواة هذه الرواية عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني.

قالوا عنه ما أفسد جعفر غيره - يعني في التشيع - .

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي قلت عبدالرزاق كان يتشيع ويفرط في التشيع فقال أما أنا فلم أسمع منه في هذا شيئاً ولكن كان رجلاً تعجبه أخبار الناس أو الأخبار، وقد روى أحاديث في الفضائل مما لا يوافق عليه أحد من الثقات فهذا أعظم ما ذموه من روايته لهذه الأحاديث^(٢)!!

إذن لماذا ذكروا هذا الحديث ووافقوه فيما رواه عن هند بنت عتبة؟!

فهذه هند بنت عتبة التي أهدر النبي الأكرم دمها يوم فتح مكة^(٣)!

(١) فتح المنعم، ج٧، ص٢٠، ح٣٣٩٣٤.

(٢) تهذيب الكمال للمزي، ج١٨، ص٥٩-٦١، ترجمة٣٤١٥.

(٣) المغازي للواقدي، ج٢، ص٨٢٥، شأن غزوة الفتح.

هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وأم معاوية وجدة يزيد... هؤلاء الذين حملوا لواء الكفر ضد النبي الأكرم في مكة طيلة سنوات عديدة! هذه هي هند التي كانت تُحَرِّض زوجها ضد النبي، فعندما فتحت مكة يقول الغزالي:

(صاح أبو سفيان وقال:) يا معشر قريش هذا محمد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وشُدِّهت امرأته هند بنت عتبة وهي تسمع من زوجها هذا الكلام فوثبت إليه وأخذت بشاربه تلويه! وصاحت اقتلوا الحميت الدسم الأحمش - أي هذا الزُّق المنتفخ - قُبِّحَت من طليعة قوم، ولم يكثرث أبو سفيان لسباب امرأته فعاود تحذيره: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم! فإنه قد جاءكم ما لا قِبَل لكم به^(١)!

لقد ظلَّت هند حتى آخر رمق وقبل أن (تستسلم) تحارب الرسول الكريم وتُحَرِّض زوجها على محاربتة! هذا بالإضافة إلى تحريضها لقريش عامة!

هذه هي هند التي أكلت كبد حمزة رضوان الله تعالى عليه! وبين ليلة وضحاها يكون النبي من أحب الخلق إليها!!

نعم! هذه هي السياسة الأموية، فبعد حكم الأمويين قاموا بوضع حديث في هند بنت عتبة لعلَّ وعسى أن يتقبَّل المسلمون إسلامها!

(١) فقه السيرة، لمحمد الغزالي، ص ٣٧٩، الفتح الأعظم، ط ١٤٠٧/٣هـ، دار القلم، دمشق.

باب أجر الحاكم

٥٢٥.... عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ قال إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر.

قال النووي: قوله ﷺ (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) قال العلماء أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم فإن أصاب فله أجران أجر باجتهاد وأجر بإصابته وإن أخطأ فله أجر باجتهاده وفي الحديث محذوف تقديره إذا أراد الحاكم فاجتهد قالوا فأما من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم فإن حكم فلا أجر له بل هو آثم ولا ينفذ حكمه سواء وافق الحق أم لا لأن إصابته اتفافية ليست صادرة عن أصل شرعي فهو عاص في جميع أحكامه سواء وافق الصواب أم لا وهي مردودة كلها ولا يعذر في شيء من ذلك وقد جاء في الحديث في السنن القضاء ثلاثة قاض في الجنة واثنان في النار، قاض عرف الحق فقاضى به فهو في الجنة وقاض عرف الحق فقاضى بخلافه فهو في النار وقاض قضى على جهل فهو في النار^(١).

أقول:

ما معنى المجتهد؟! وما هي شروط الاجتهاد وضوابطه؟! وهل يجوز الاجتهاد مقابل

(١) المجلد ٦، ص ٢٥٥، ح ١٧١٦.

النص؟! وهل الصحابة كلهم مجتهدون؟!؟

وتقدير قول النووي أن ليس كل الصحابة مجتهدون ولهم أهلية في الحكم، هذا ما يريد النووي قوله، ثم من الذي يحق له الاجتهاد، وهل يكفي العلم في قبول الاجتهاد من المجتهد أم تشترط العدالة والتقوى كذلك؟! وأخيراً ما الدليل على اجتهاد من يدعي الاجتهاد؟!؟

اعلم أخي الكريم أن الاجتهاد هو بذل الجهد وعصارة الفكر لاستنباط الحكم الشرعي ويجوز ذلك الفضل على المجتهد العالم الفقيه الورع الذي بذل مهجته في سبيل جمع مختلف العلوم الشرعية كالتفسير والفقه والحديث وعلم الرجال إليه إلى آخر العلوم الشرعية، نعم هذا يحق له الاجتهاد لإصدار الحكم الشرعي في مسألة ما مثلاً ولو اجتهد فأصاب فله أجر ولو اجتهد فأخطأ فليس عليه وزر.

فعلى ما ذكرنا ليس كل من اجتهد فأصاب أو أخطأ ينال ذلك الأجر المزعوم وليس من حقه الاجتهاد أصلاً دون تحصيل المقدمات اللازمة لاستنباط الحكم الشرعي وإلا فإننا بذلك نكون قد فتحنا باب البلاء على مصراعيه على الأمة الإسلامية عندما يصبح كل من هب ودب مجتهداً كما هو حاصل الآن.

فالسؤال هل حاز معاوية على مقومات الاجتهاد في حربه مع الإمام علي عليه السلام في صفين وسفكه دماء المسلمين؟!؟

وكذلك عائشة وطلحة والزبير هل حازوا على مقومات الاجتهاد في حربهم مع الإمام علي عليه السلام يوم الجمل؟!؟

لقد احتار أهل العامة في تبرير مواقف الصحابة، لذا قاموا بوضع روايات الاجتهاد والأجر لهم في كلا الحالتين (الإصابة أو الخطأ)! نعم لقد وضعوا ذلك لتكون هذه الروايات سداً أمام من يقدر في نظرية عدالة الصحابة.

ثم لماذا لا نقول بأن الصحابة اجتهدوا في قتل عثمان بن عفان.

قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوآب، وذلك أن عائشة لما خرجت لقتال إمام زمانها أنت الحوآب وهو ماء قريب من البصرة

فسمعت نباح الكلاب فقالت ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال أيتكن صاحبة
الجمل الأدب تنبها كلاب الحوآب فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء الحوآب
وخمسون رجلاً إليهم وكانت أول شهادة زور دارت في الإسلام^(١).
وقد صححه الألباني.

فالسؤال: هل خروج عائشة كان عن اجتهاد منها، وهل كان خروج الصحابة طلحة
والزبير معها عن اجتهاد منهم، فما قولكم فيما ذكره هذان الصحابيآن لعائشة وكذبوا
عليها بأن هذه المياه ليست مياه الحوآب! وهل الاجتهاد في الكذب والزور مندوب
أيضاً؟!

وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: وجملة القول أن الحديث صحيح
الإسناد، ولا إشكال في متنه خلافاً لظن الأستاذ الأفغاني، فإن غاية ما فيه أن عائشة رضي الله عنها
لما علمت بالحوآب كان عليها أن ترجع والحديث يدل أنها لم ترجع! وهذا مما لا يليق
أن ينسب لأم المؤمنين.

وجوابنا على ذلك أنه ليس كل ما يقع من الكمل يكون لائقاً بهم إذ المعصوم من
عصمه الله والسني لا ينبغي له أن يغالي فيمن يحترمه حتى يرفعه إلى مصاف الأئمة
الشيعة المعصومين عندهم.

ولا نشك أن خروج أم المؤمنين كان خطأ من أصله ولذلك همت بالرجوع حين
علمت بتحقق نبوءة النبي ﷺ عند الحوآب ولكن الزبير رضي الله عنه أقنعها بترك الرجوع بقوله
عسى الله أن يصلح بك بين الناس ولا نشك أنه كان مخطئاً في ذلك أيضاً والعقل يقطع
بأنه لا مناص من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئآت (!)
القتلى ولا شك أن عائشة رضي الله عنها هي المخطئة لأسباب كثيرة وأدلة واضحة ومنها ندمها على
خروجها، وذلك هو اللائق بفضلها وكمالها وذلك مما يدل على أن خطأها من الخطأ
المغفور بل المأجور.

قال الإمام الزيلعي في نصب الراية: وقد أظهرت عائشة الندم، كما أخرجه ابن

(١) المجلد ١، ج ٢، ص ٨٤٩، ح ٤٧٤، ط ١٤١٥هـ، مكتبة المعارف، الرياض، بتصرف.

عبدالبر في كتاب الاستيعاب عن ابن أبي عتيق وهو عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق قال قالت عائشة لابن عمر يا أبا عبدالرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري قال رأيت رجلاً غلب عليك - يعني ابن الزبير - فقال أما والله لو نهيتني ما خرجت، انتهى.

ولهذا الأثر طريق أخرى فقال الذهبي في سير النبلاء:

وروى إسماعيل بن عليه عن أبي سفيان بن العلاء المازني عن ابن أبي عتيق قال قالت عائشة إذا مر ابن عمر فأرنيه فلما مر بها قيل لها هذا ابن عمر فقالت يا أبا عبدالرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال رأيت رجلاً قد غلب عليك يعني ابن الزبير.

وقال أيضاً: إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال قالت عائشة وكانت تحدث نفسها أن تدفن في بيتها فقالت إني أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثاً ادفنوني مع أزواجه فدفنت بالبقيع ﷺ قلت تعني بالحدث مسيرها يوم الجمل فإنها ندمت ندامة كلية وتابت من ذلك، على أنها ما فعلت ذلك إلا متأولة قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وجماعة من الكبار ﷺ^(١).

أقول:

ثم لماذا لا نقول بأن الصحابة الكرام الأجلاء اجتهدوا أيضاً في قتل عثمان بن عفان ولماذا لا نقول أن أبا ذر اجتهد بفضح عثمان ومعاوية واجتهد في تأليب الناس عليهما.

(١) المجلد ١، القسم ٢، ص ٨٥٥، حديث الحوآب.

باب تحريم حلب الماشية

٥٢٦.... عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فتكسر خزائنه فينتقل طعامه إنما تخزن لهم ضرور مواشيهم أطعمتهم فلا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه.

قال النووي في شرحه: وفي الحديث فوائد منها تحريم أخذ مال الإنسان بغير إذنه والأكل منه والتصرف فيه وأنه لا فرق بين اللبن وغيره وسواء المحتاج وغيره إلا المضطر الذي لا يجد مية ويجد طعاماً لغيره فيأكل الطعام للضرورة ويلزمه بدله لمالكة عندنا وعند الجمهور^(١).

وفي صحيح البخاري: عن البراء قال اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهما فقال أبو بكر لعازب مر البراء فليحمل إليّ رحلي فقال عازب لا حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم قال ارتحلنا من مكة فأحيينا - أو سرينا - ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهر فرميت ببصري

(١) المجلد ٦، ج ١٢، ص ٢٧٢، ح ١٧٢٦.

هل أرى من ظل فأوى إليه فإذا صخرة أتينا فنظرت بقية ظل لها فسويته ثم فرشت للنبي ﷺ فيه ثم قلت له اضطجع يا نبي الله فاضطجع النبي ﷺ ثم انطلقت أنظر ما حولي هل أرى من الطلب أحداً فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردنا فسألته فقلت له لمن أنت يا غلام فقال رجل من قريش سماه فعرفته فقلت هل في غنمك من لبن قال نعم قلت فهل أنت حالب لنا قال نعم فأمرته فاعتقل شاة من غنمه ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لي كثبة من لبن وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة على فمها خرقة فصب على اللبن حتى برد أسفله فانطلقت به إلى النبي ﷺ فواففته قد استيقظ فقلت اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت ثم قلت قد آن الرحيل يا رسول الله قال بلى فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت هذاالطلب قد لحقنا يا رسول الله فقال لا تحزن إن الله معنا^(١).

وقال ابن حجر في فتح الباري:

قوله (فإذا أنا براع) لم أقف على تسميته ولا على تسمية صاحب الغنم إلا أنه جاء في حديث عبدالله بن مسعود شيء تمسك به من زعم أنه الراعي وذلك فيما أخرجه أحمد وابن حبان من طريق عاصم عن زر عن ابن مسعود قال كنت أرى غنماً لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله ﷺ وأبو بكر فقال يا غلام هل من لبن قلت نعم ولكنني مؤتمن... الحديث.

وهذا لا يصلح أن يفسر به الراعي في حديث البراء لأن ذاك قيل له هل أنت حالب فقال نعم وهذا أشار بأنه غير حالب وذلك حلب من شاة حافل وهذا من شاة لم تطرق ولم تحمل ثم إن في بقية الحديث ما يدل على أن قصته كانت قبل الهجرة لقوله فيه ثم أتيته بعد هذا فقلت يا رسول الله علمني من هذا القول فإن هذا يشعر بأنها كانت قبل إسلام ابن مسعود وإسلام ابن مسعود كان قديماً قبل الهجرة بزمان فبطل أن يكون هو صاحب القصة في الهجرة^(٢).

(١) كتاب فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين وفضلهم.

(٢) ج ٧، ص ١٣، ح ٣٦٥٢.

فالسؤال الذي يطرح نفسه: كيف جاز لرسول الله ﷺ أن يشرب من ذلك اللبن الذي تصرف فيه ذلك الراعي ومن دون إذن سيده وكيف بالنبي الأكرم لم يسأل أبا بكر عن مصدر ذلك اللبن.

وكيف نوفق بين هذه الروايات المتضاربة.

باب تحريم الغدر

٥٢٧... عن أبي وائل عن عبدالله عن النبي ﷺ قال لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان.

٥٢٨... عن الأعمش عن شقيق عن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به يقال هذه غدرة فلان.

قال النووي في شرحه: قوله ﷺ (لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان) وفي رواية يعرف به وفي رواية لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة وفي رواية لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة. قال أهل اللغة اللواء الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب أو صاحب دعوة الجيش ويكون الناس تبعاً له قالوا فمعنى لكل غادر لواء أي علامة يشهر بها في الناس لأن موضوع اللواء الشهرة مكان الرئيس علامة له وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق الحفلة لغدرة الغادر لتشهيره بذلك وأما الغدر فهو الذي يواعد على أمر ولا يفني به يقال غدريغدر بكسر الدال في المضارع وفي هذه الأحاديث بيان غلظ تحريم الغدر لاسيما من صاحب

الولاية العامة لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثيرين وقيل لأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الوفاء كما جاء في الحديث الصحيح في تعظيم كذب الملك والمشهور أن هذا الحديث وارد في ذم الإمام الغادر.

وذكر القاضي عياض احتمالين أحدهما هذا وهو نهي الإمام أن يغدر في عهده لرعيته وللكفار وغيرهم أو غدره للأمانة التي قلدها لرعيته والتزم القيام بها والمحافظة عليها ومتى خانهم أو ترك الشفقة عليهم أو الرفق بهم فقد غدر بعهدده...^(١).

وخلاصة القول: إن الغادر هو الذي يعاهد على أمر ما ولا يفي به، ولنأخذ نموذجاً واحداً من الذين غدروا بعد أن عاهدوا وأخذوا العهود على أنفسهم ولم يفوا بتلك العهود والمواثيق.

صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان وإليك بنود الصلح وما تم الاتفاق عليه باختصار شديد.

١. تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ وبسيرة الخلفاء الراشدين المهديين^(٢).

٢. أن يكون الأمر للإمام الحسن عليه السلام من بعده^(٣) فإن حدث به حدث فلاخيه الحسين^(٤) وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد^(٥).

(١) المجلد ٦، ج ١٢، ص ٢٨٨، ج ١٧٣٥.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ج ١٣، ص ٧٩، ح ٧١٠٩، كتاب الفتن، باب إن ابني هذا السيد .

(٣) نقلاً عن النواصح الكافية لمن يتولى معاوية لمحمد بن عقيل العلوي، ص ١٨٧، ط ٤/٣٨٥هـ، النجف.

(٤) فتح الباري، ص ٨٠-٨١، ح ٧١٠٩، وابن كثير في البداية والنهاية، ج ٨، ص ٤١، ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان، الحسن بن علي، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٤٠، بيعة الحسن بن علي رضي الله عنه لمعاوية، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ج ٢، ص ٦٤، ترجمة ١٧٢٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٩١، الحسن بن علي بن أبي طالب، ومقاتل الطالبيني لأبي الفرج الأصفهاني، ص ٦٧، ط ١٤٠٨هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

(٥) نقلاً عن صلح الحسن رضي الله عنه للشليخ راضي آل ياسين، ص ٢٦٠، صورة المعاهدة التي وقعها الفريقان.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٨، الجزء السادس عشر، ومن وصية له رضي الله عنه للحسن بن علي رضي الله عنه، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣. أن يترك سب أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة وأن لا يذكر علياً إلا بخير^(١).

٤. استثناء ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة آلاف ألف فلا يشمل تسليم الأمر وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام ألفي ألف درهم وأن يفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبدشمس وأن يفرق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين ألف ألف درهم وأن يجعل ذلك من خراج دار أجرد^(٢).

٥. على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم وأن يؤمن الأسود والأحمر وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم وأن لا يتبع أحداً بما مضى وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنة وعلى أمان أصحاب علي حيث كانوا وأن لا ينال أحداً من شيعة علي بمكروه وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم وأن لا يتعقب عليهم شيئاً ولا يتعرض لأحد منهم بسوء ويوصل إلى كل ذي حق حقه وعلى ما أصاب أصحاب علي حيث كانوا^(٣).

وأخيراً، نال معاوية ما كان يقاتل من أجله وحكم المسلمين رغماً عن أنوفهم وبالسيف ملك وبالحيله حكم، يقول ابن كثير في البداية والنهاية: عن سعيد بن سويد قال صلى بنا معاوية بالنخيلة - يعني خارج الكوفة - الجمعة في الضحى ثم خطبنا فقال: ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا قد عرفت أنكم تفعلون ذلك ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون^(٤).

هذه هي المواد أو البنود التي اتفق عليها الطرفان، فهل عمل معاوية بتلك البنود؟

لقد استخلف ابنه يزيد السكير الهاتك للحرمات!

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي عليه السلام، ح ٥٤١٣، وفتح المنعم شرح صحيح مسلم للأستاذ الدكتور لاشين، ج ٩، ص ٣٣٢، ح ٥٤١٣.

(٢) فتح الباري لابن حجر، ج ١٣، ص ٨٠، ح ٧١٠٩، كتاب الفتن، باب إن ابني هذا السيد، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، ج ٨، ص ٤١، ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان: الحسن بن علي بن أبي طالب. دار أجرد: ولاية بفارس.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٤، ص ١٥، الجزء السادس عشر، ومن وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام، وصلح الحسن عليه السلام، ص ٢٦١، صورة المعاهدة.

(٤) ج ٦، ص ١٧٦، سنة ستين من الهجرة، ترجمة معاوية بن أبي سفيان.

يقول ابن كثير: إن معاوية لما مرض مرضته التي هلك فيها دعا ابنه يزيد فقال يا بني إنني قد كفيتك الرحلة والرجال ووطأت لك الأشياء وذلك لك الأعداء وأخضعت لك أعناق العرب وإنني لا أتخوف أن ينازحك هذا الأمر الذي استتب لك إلا أربعة نفر: الحسين بن علي وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير... فأما ابن عمر فرجل قد وقفته العبادة^(١) وإذا لم يبق أحد غيره بايعك وأما الحسين فإن أهل العراق لا يدعون حتى يخرجوه... وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك روغان الثعلب وإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً^(٢).

ويقول المسعودي في مروج الذهب:... كان معاوية أول من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد... وأنفذت الكتب ببيعة يزيد إلى الأمصار وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم وكان عامله على المدينة يعلمه باختياره يزيد ومبايعته إياه بولاية العهد وأيمره بمبايعته وأخذ البيعة له على من قبله^(٣).

ويكون معاوية بن أبي سفيان في عمله هذا قد خالف بنداً من بنود الصلح وكان قد عاهد واتفق مع الإمام الحسن عليه السلام على خلاف ما فعل ويكون بذلك قد غدر بالناس أجمعين في عمله المشين.

ومن بنود الصلح أيضاً أن يترك سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولكنه أيضاً خالف هذا البند فكما يذكر مسلم في صحيحه حين أمر معاوية بن أبي سفيان سعد بن أبي وقاص فقال ما منعك أن تسب أبا التراب فقال أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه^(٤)، الحديث.

وذكر سعد حديث المنزلة وحديث المباهلة وإعطائه الراية يوم خيبر.

لاحظ أخي الكريم كلمة (أمر) معاوية بن أبي سفيان سعداً، أي أن معاوية يأمر سعد بن أبي وقاص بسب الإمام علي عليه السلام !!

(١) غلبته وسكنته.

(٢) البداية والنهاية، ج ٦، ص ١٦١، سنة ستين من الهجرة.

(٣) ج ٣، ص ٣٧-٣٨، البيعة ليزيد، ط ٤/١٣٨٤هـ، مطبعة السعادة، القاهرة.

(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ.

ويقول الأستاذ الدكتور لاشين في فتح المنعم شرح صحيح مسلم: الثابت أن معاوية كان يأمر بسب علي وهو غير معصوم فهو يخطئ...^(١).

وفي صحيح مسلم أيضاً عن سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم علياً قال فأبى سهل فقال له أما إذ أبيت فقل لعن الله أبا التراب فقال سهل ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي التراب...^(٢)، الحديث. هنا أيضاً معاوية كان قد خالف بنداً ثانياً من بنود الصلح وكان قد غدر بالناس أجمعين في سبه الإمام عليه السلام على المنابر.

قال القرطبي في الاستيعاب: حجر بن عدي بن الأديب الكندي، يكنى أبا عبد الرحمن، كوفي، وهو حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة بن الأديب، وإنما سمي الأديب لأنه ضرب بالسيف على أليته مولياً فسمي بها الأديب.

كان حجر من فضلاء الصحابة وصغر سنه عن كبارهم وكان على كندة يوم صفين وكان على الميسرة يوم النهروان ولما ولي معاوية زياداً العراق وما وراءها وأظهر من الغلظة وسوء السيرة ما أظهر خلعه حجر ولم يخلع معاوية وتابعة جماعة من أصحاب علي وشيعته وحصبه يوماً في تأخير الصلاة هو وأصحابه فكتب فيه زياد إلى معاوية فأمره أن يبعث به إليه فبعث إليه مع وائل بن حجر الحضرمي في اثني عشر رجلاً كلهم في الحديد فقتل معاوية منهم ستة وكان حجر ممن قتل فبلغ ما صنع بهم زياد إلى عائشة أم المؤمنين فبعثت إلى معاوية عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الله الله في حجر وأصحابه فوجده عبد الرحمن قد قتل هو وخمسة من أصحابه فقال لمعاوية أين عزب عنك حلم أبي سفيان في حجر وأصحابه ألا حبستهم في السجون وعرضتهم للطاعون قال حين غاب عني مثلك من قومي قال والله لا تعد لك العرب حلاً بعداً أبداً ولا رأياً قتلت قوماً بعث بهم إليك أسارى من المسلمين قال فما أصنع كتب إلي فيهم زياد يشدد أمرهم ويذكر أنهم سيفتقون علي فتقاً لا يرقع.

ثم قدم معاوية المدينة فدخل على عائشة رضي الله عنها فكان أول ما بدأت به قتل حجر في

(١) ج ٩، ص ٣٣٢، ح ٥٤١٣، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي عليه السلام.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

كلام طويل جرى بينهما ثم قال فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا.

والموضع الذي قتل فيه حجر بن عدي ومن قتل معه من أصحابه يعرف بمرج عذراء. حدثنا أحمد بن عبدالله بن محمد بن علي قال حدثني أبي قال حدثنا عبدالله بن يونس قال حدثنا بقي قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه قال حدثنا اسمعيل بن عليه عن ابن عون عن نافع قال كان ابن عمر في السوق فنعي إليه حجر فأطلق حبوته وقام وقد غلب عليه النحيب.

قال أحمد وحدثنا إبراهيم بن مرزوق قال حدثنا يوسف بن يعقوب الواسطي وأثنى عليه خيراً قال حدثنا عثمان بن الهيثم قال حدثنا مبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول وقد ذكر معاوية وقتله حجراً وأصحابه: ويل لمن قتل حجراً وأصحاب حجر.

قال أحمد قلت ليحيى بن سليمان أبلغك أن حجراً كان مستجاب الدعوة قال نعم وكان من أفاضل أصحاب النبي ﷺ.

وروينا عن أبي سعيد المقبري قال لما حج معاوية جاء إلى المدينة زائراً فاستأذن على عائشة ؓ فأذنت له فلما قعد قالت له يا معاوية أمنت أن أخبأ لك من يقتلك بأخي محمد بن أبي بكر فقال بيت الأمان دخلت قالت يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه قال إنما قتلهم من شهد عليهم.

وعن مسروق بن الأجدع قال سمعت عائشة أم المؤمنين تقول أما والله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة ما اجترأ على أن يأخذ حجراً وأصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام ولكن ابن آكلة الأكباد علم أنه قد ذهب الناس أما والله إن كانوا لجمجمة العرب عزاً ومنعة وفقهاً والله در لبيد حيث يقول شعراً:

ذهب الذي يعاش في أكنافهم

وبقيت في خلف كجلد الأجر

لا ينفعون ولا يُرَجَّى خيرهم

ويعاب قائلهم وإن يشغب

ولما بلغ الربيع بن زياد الحارثي من بني الحارث بن كعب وكان فاضلاً جليلاً وكان

عاملاً لمعاوية على خراسان وكان الحسن بن أبي الحسن كاتبه فلما بلغه قتل معاوية حاجر بن عدي دعا الله بِرَبِّكَ فقال اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجل فلم يبرح من مجلسه حتى مات^(١).

وحجر هذا الصحابي الجليل من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام ويكون معاوية يقتله قد خالف بنداً ثالثاً من بنود الصلح وفي الحقيقة الحوادث الدالة على مخالفته كل بند من البنود كثيرة ولكننا نذكر نموذجاً وحادثة واحدة كي لا نطيل على القارئ وإلا فجرائم كاتب الوحي هذا وخال المؤمنين كثيرة جداً!!

وأيضاً معاوية قد خالف بنداً ثالثاً من بنود الصلح وكان قد غدر بأهل ملة الإسلام جميعاً، وسوف يصيح المنادي يوم القيامة (هذه غدرة معاوية) كما في الروايات التي نحن بصددتها والتي ذكرناها في بداية هذا البحث.

نعم لقد تتبع معاوية شيعة الإمام علي عليه السلام في كل بلد ومدينة وحتى في البراري والجبال وتحت كل حجر وكان يقتل منهم الكثير الكثير حتى قتل محمد بن أبي بكر وأدخله جيفة حمار وأحرقه بالنار وكذلك قام بقتل مالك الأشتر بالسم وكذلك قتل الصحابي الذي بايع تحت الشجرة عبدالرحمن بن عديس البلوي وأيضاً قام بقتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام بالسم، وكان معاوية قد غدر بالأمة الإسلامية بأعماله المشينة، فالحديث يشملها وينطبق عليه تمام الانطباق ولا مجال للتأويل لإخراجه من المأزق الذي هو فيه.

وكان معاوية أيضاً في جرائمه التي ذكرنا منها بعض الشيء قد خالف البند الأول حيث أنه لم يسلك سلوك الخلفاء المهديين ولا عمل بسنة النبي الأكرم أيضاً! أي أنه خالف جميع ما اتفق عليه الطرفان وما ذكره ابن كثير بأن معاوية قال في خطبته (قاتلتكم لأتأمر عليكم) لخير دليل على ما ذكرنا.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر القرطبي، ج١، ص٣٩١، ترجمة ٥٠٥.

باب الأنفال

٥٢٩... عن مصعب عن سعد عن أبيه قال أخذ أبي من الخمس سيفاً فأتى به النبي ﷺ فقال هب لي هذا فأبى فأنزل الله ﷻ ﴿مَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الأنفال/١.

٥٣٠... عن مصعب بن سعد عن أبيه قال نزلت في أربع آيات أصبت سيفاً فأتى به النبي ﷺ فقال يا رسول الله نفلنيه فقال ضعه ثم قام فقال له النبي ﷺ ضعه من حيث أخذته ثم قال فقال نفلنيه يا رسول الله فقال ضعه فقام فقال يا رسول الله نفلنيه أو جعل كمن لا غناء له فقال له النبي ﷺ ضعه من حيث أخذته قال فنزلت هذه الآية ﴿مَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

معنى النفل: الغنيمة^(١).

قال النووي في شرحه: إن مقتضى آية الأنفال والمراد بها أن الغنائم كانت للنبي ﷺ خاصة كلها ثم جعل الله أربعة أخماسها للغنمين^(٢).

وقال القرطبي في شرحه: ... ظاهره إن حملنا الأنفال على الغنائم أن الغنيمة لرسول الله ﷺ وليست مقسومة بين الغنمين وبه قال ابن عباس وجماعة ورأوا أنها منسوخة بقوله

(١) كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد الفيومي المتوفى ٧٧٠هـ، ط دار القلم، بيروت.

(٢) المجلد ٦، ج ١٢، ص ٢٩٨، ح ١٧٤٨.

تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسُهُ﴾ الأنفال/٤٧، وظهرها أن أربعة أخماس الغنيمة للغنمين وقد روي عن ابن عباس أيضاً أنها محكمة غير منسوخة وأن للإمام أن يفضل من الغنائم ما شاء لمن شاء لما يراه من المصلحة^(١).

قال الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه: (أخذ أبي من الخمس سيفاً) الخمس بضم الخاء والميم ما يؤخذ من الغنيمة وكانت الغنائم تقسم على خمسة أقسام فيعزل خمس منها لرسول الله ﷺ يصرف في مصارف حددها قوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسُهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾....

وفي الرواية الثانية (أصبت سيفاً) أي أخذت سيفاً من الغنيمة من الخمس الذي خصص لرسول الله ﷺ.

(هب لي هذا) السيف، فأبى في الرواية الثانية (نفلنيه)... ووضحت الرواية الثانية إباء النبي ﷺ بقوله (ضعه) أي في مكانه الذي أخذته منه، (ثم قام) سعد... [فقال لرسول الله ﷺ] نفلني هذا السيف فأنا من قد علمت حاله، فقال رده من حيث أخذته، فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض أي المكان الذي قبضت وجمع فيه الغنائم (لامنتي نفسي) أي كيف أستجيب بهذه السهولة ولا ألح في طلبي من رسول الله ﷺ؟ فرجعت إليه فقلت أعطينيه قال فشد لي صوته رده من حيث أخذته زادت روايتنا الثانية الطلب مرة ثالثة (نفلنيه اجعل كمن لا غناء له) بفتح الغين أي لا كفاية له، أي أتجعلني يا رسول الله بدون سيف جيد وبدون كفاية من السلاح فقال له النبي ﷺ ضعه من حيث أخذته.

﴿سَأَلْتُمُونَا عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصِلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال:١، نزلت في بدر قيل إن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله ﷺ كيف تقسم وما الحكم فيها أهو للمهاجرين أم للانصار أم لهم جميعاً فنزلت هذه الآية وفوضت أمر الغنائم لرسول الله ﷺ وأمرت المؤمنين بالتقوى واجتناب ما هم فيه من التشاجر والاختلاف وأمرتهم بإصلاح البين والخصومات وبطاعة رسول الله ﷺ فيما يأمر به وفيما ينهى عنه ليتحقق لهم وصف الإيمان الصحيح الكامل.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن عمر القرطبي، ج ٣، ص ٥٣٦، ح ١٢٦٥.

(نزلت في أربع) لم يذكر في هذا الموضع من الأربع إلا هذه الواحدة، الأنفال، وقد ذكرت رواية مسلم في فضائل الصحابة بقية الأربع وفيها هذه وفيها خلفت أم سعد ألا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب قالت زعمت أن الله وذاك بوالديك وأنا أمك وأنا أمرك بهذا قال مكثت ثلاثاً حتى غشى عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله ﷻ في القرآن هذه الآية ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿ لقمان: ١٤ وما بعدها، قال ومرضت فأرسلت إلى رسول الله ﷺ فأتاني فقلت دعني أقسم مالي حيث شئت قال فأبى قلت فالنصف قال فأبى قلت فالثلث قال فسكت فكان بعد الثلث جائزاً قال وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا تعال نطعمك ونسقيك خمرأً وذلك قبل أن تحرم الخمر قال أتيتهم في حش والحش البستان فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر قال فأكلت وشربت معهم قال فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت المهاجرون خير من الأنصار فأخذ رجل أحد لحبي الرأس فضربني به فجرح بأنفي فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فأنزل الله ﷻ في - يعني نفسه - شأن الخمر ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴿ المائدة/٩٠﴾.

وسنوافيك بالمزيد، فابق معنا.

باب حكم الفيء

٥٣١... عن مالك بن أوس عن عمر قال كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت للنبي ﷺ خاصة فكان ينفق على أهله نفقة سنة وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله.

قال الأبي في شرحه: قوله (كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ) مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، الإيجاف الإسراع ووجيف الخيل والركاب إسرعها في السير قلت وبني النضير فرقة من يهود الحجاز كانت حصونهم ومساكنهم حوالي المدينة وقريباً منها وكان السبب في جلائهم عنها ومصيرها لرسول الله ﷺ أنهم نقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه بإرادتهم غدره حين أتاهم يستعينهم في دية الرجلين الذين قتلها وهما نائمان عمرو بن أمية الضمري وهو يرى أنه قد أصاب ثأراً من بني عامر الذين قتلوا أصحاب رسول الله ﷺ بيئر معونة وكان للرجلين عهد وجوار من رسول الله ﷺ ولم يعلم به عمر فلما أتى عمرو وأخبر النبي ﷺ أنه قتلهم قال لأدينهما فخرج إلى بني النضير يستعينهم في دية الرجلين للجوار الذي كان عقد لهما فقالت اليهود نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت فيما استعنت بنا فيه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لم تجدوا الرجل على مثل حالته هذه ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم جالس فهل رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه فانتدب لذلك منهم عمرو بن جحاش وقال أنا لذلك وصعد ليلقي الصخرة ورسول الله ﷺ في

ناس من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة فلما استلبت النبي ﷺ أصحابه فأقاموا في طلبه فلحقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عن رسول الله ﷺ فقال رأيتُه داخلًا المدينة فأتوه فأخبرهم بما أراد اليهود لعنهم الله من غدرهم ونقضهم العهد الذي عقد لهم فأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم فسار إليه بالناس ونزلوا بهم فتحصنوا بالحصون فأمر بقطع النخل والتحريق فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه قال السهيلي ووقع في نفس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء حتى أنزل الله سبحانه ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ ﴾ الحشر/5، ابن اسحاق وكان عبدالله بن أبي بن سلول في ناس من المنافقين بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإن لم نسلمكمم إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم فانتظروا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة أي السلاح ففعل فحملوا من أموالهم ما استقلت بحمله الإبل فكان بعضهم يهدم بيته على نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فخرجوا من غير قتال إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام فسار من أشرفهم إلى خيبر حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن أبي الحقيق وخلوا الأموال فكانت لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث شاء فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار يدفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار إذا كانوا قاسموهم الأموال والديار عدا أنه أعطى أبا دجانه وسهيل بن حنيف الأنصارين شيئاً من ذلك لفقرهما فكانت لرسول الله ﷺ إذا لم يوجب عليها بخيل ولا ركاب وإنما انصرفوا دون قتال ونزل في بني النضير سورة الحشر فذكر ما أصابهم به من النعمة وما سلط عليهم من رسوله فقال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ الحشر/2، ومعنى يخربون بيوتهم بأيديهم هو هدم بيوتهم عن نجاف أبوابها.

قوله (فكان ينفق على أهله نفقة سنة وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله) قال الطبري ما أفاء الله على رسوله طعمة منه له على أن يأكل منه هو وأهله ما احتاجوا ويصرف ما بقي في تقوية الإسلام.

قوله (فكان ينفق على عياله) فيه أن للإمام النفقة على نفسه وعياله من الفيء لأنه من

العاملين أو لأن له في الفيء حقاً كسائر المسلمين.

قوله (سنة) فيه جواز ادخار قوت سنة ولم يكن ﷺ يدخر لنفسه شيئاً وإنما يدخر لغيره وفيه أن الادخار لا يقدر في التوكل^(١).

ابق معنا كي نصل إلى ما نصبو إليه في الصفحة القادمة.

٥٣٢... عن الزهري أن مالك بن أوس حدثه قال أرسل إلي عمر بن الخطاب فجنته حين تعالى النهار قال فوجدته في بيته جالساً على سرير مفضياً إلى رماله متكئاً على وسادة من آدم فقال لي يا مال إنه قد دف أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم برضخ فخذ فاقسمه بينهم قال قلت لو أمرت بهذا غيري قال خذه يا مال قال فجاء يرفأ فقال هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد فقال عمر نعم فأذن لهم فدخلوا ثم جاء فقال هل لك في عباس وعلي قال نعم فأذن لهما فقال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الكاذب الأثم الغادر الخائن فقال القوم أجل يا أمير المؤمنين فاقض بينهم وأرحهم فقال مالك بن أوس يخيل إلي أنهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر اتئدا أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا صدقة قالوا نعم ثم أقبل على العباس وعلي فقال أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركناه صدقة قال نعم فقال عمر إن الله جل وعز كان خص رسوله ﷺ بخاصة لم يخصص بها أحداً غيره قال ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ما أدري هل قرأ الآية التي قبلها أم لا قال فقسم رسول الله ﷺ بينكم أموال بني النضير فوالله ما استأثر عليكم ولا أخذها دونكم حتى بقي هذا المال فكان رسول الله ﷺ يأخذ منه نفقة سنة ثم يجعل ما بقي أسوة المال ثم قال أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك قالوا نعم ثم نشد عباساً وعلياً بمثل ما نشد به القوم أتعلمان ذلك قال نعم فلما توفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر أنا ولي رسول الله ﷺ فجنتما تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر قال رسول الله ﷺ ما نورث ما تركناه صدقة فرأيتماه كاذباً أثماً غادراً خائناً والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق

(١) إكمال إكمال المعلم، ج ٦، ص ٣٣٥، ح ١٧٥٧.

ثم توفي أبو بكر وأنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر فرايتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً
والله يعلم إنني لصادق بار راشد تابع للحق فوليتها ثم جثتني أنت وهذا وأنتم جميع
وأمركما واحد فقلتما ادفعها إلينا فقلت إن شئتم دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله
أن تعملوا فيها بالذي كان يعمل رسول الله ﷺ فأخذتماها بذلك قال أكنذك قالا نعم قال
ثم جثتmani لأقضي بينكما ولا والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فإن
عجزتما عنها فرداها إلي.

باب قول النبي (ص) لا نورث

٥٣٣... عن عائشة أنها قالت إن أزواج النبي ﷺ حين توفي رسول الله ﷺ أردن أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر فيسألنه ميراثهن من النبي ﷺ قالت عائشة لهن أليس قد قال رسول الله ﷺ لا نورث ما تركنا فهو صدقة.

٥٣٤... عن عائشة أنها أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر إن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك قال فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلاً ولم يؤذن بها أباً بكر وصلى عليها علي وكان لعلي من الناس وجهة حياة فاطمة فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد كراهية محضر عمر بن الخطاب فقال عمر لأبي بكر والله لا تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر وما عساهم أن يفعلوا بي إني والله لآتينهم فدخل عليهم أبو بكر فتشهد علي بن أبي طالب ثم قال إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك ولكنك استبددت

علينا بالأمر وكنا نحن نرى لنا حقاً لقرابتنا من رسول الله ﷺ فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر فلما تكلم أبو بكر قال والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آل فيها عن الحق ولم أترك أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته فقال علي لأبي بكر موعذك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر صلاة الظهر رقي على المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه ثم استغفر وتشهد علي بن أبي طالب فعظم حق أبي بكر وأنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكاراً للذي فضله الله به ولكننا كنا نرى لنا في الأمر نصيباً فاستبد علينا به فوجدنا في أنفسنا فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت فكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجع الأمر المعروف.

٥٣٥... عن عائشة أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فذك وسهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر إني سمعت رسول الله ﷺ وساق الحديث بمثل معنى حديث عقيل عن الزهري غير أنه قال ثم قام علي فعظم من حق أبي بكر وذكر فضيلته وسابقته ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه فأقبل الناس إلى علي فقالوا أصبت وأحسن فكان الناس قريباً إلى علي حين قارب الأمر بالمعروف.

٥٣٦... عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه فقال لها أبو بكر إن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا صدقة قال وعاشت بعد رسول الله ﷺ من خيبر فذك وصدقته بالمدينة فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس فغلبه عليها علي وأما خيبر فذك فأمسكها عمر وقال هما صدقة رسول الله ﷺ كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من ولي الأمر قال فهما على ذلك إلى اليوم.

سوف نذكر ما قاله السيد جعفر العاملي حفظه الله ورعاه وذلك من كتابه الصحيح من

سيرة النبي الأعظم ﷺ وهذا نصه:

يقول السيد: إننا وإن كنا لا نستبعد أن يكون علي عليه السلام والعباس عليهم السلام قد طالبا عمر بن الخطاب بأراضي بني النضير ولكننا نرى أن حكاية هذه القضية بالشكل الآنف الذكر لا ريب في كونها مكذوبة ومصنوعة بهدف تبرئة ساحة الهيئة الحاكمة فيما أقدمت عليه من مصادرة أموال رسول الله ﷺ فور وفاته وحرمان ابنته من إرثه.

ولكن مخترعها أو فقل الذي حرفها وصاغها بهذا الشكل لم يكن ذكياً بالقدر الكافي ولا له معرفة تؤهله للاحتراس من المؤاخذات الظاهرة والواضحة تاريخية أو تفسيرية أو شرعية أو غيرها كما سنرى.

والأبداع من ذلك أننا نجد الرواية قد ذكرت في كتب الصحاح التي هي أصح الكتب عند أصحابها بعد القرآن.. فكيف خفي أمرها على مؤلفي هذه الكتب وهم الأئمة الكبار والعارفون والضليعون في فنهم حسبما يصفهم به أتباعهم ومحبوهم والآخذون عنهم.

وقبل أن نشير إلى نقاط الضعف التي في هذه الرواية نذكر القارئ الكريم بأن ما سوف نذكره من نقاط وإن كان أكثره قد خطر في بالنا ولكنه أيضاً مما قد تنبه له الآخرون ولذا فإننا سوف نشير إلى هؤلاء الذين سبقونا إلى ذلك ناسبين الكلام إليهم بل ومعتمدين في أحيان كثيرة في صياغة العبارة عليهم فنقول:

المؤاخذات التي لا محيص عنها:

وبعد.. فإنه يرد على الرواية المتقدمة:

أولاً: إن رواية مسلم تذكر أن العباس قال لعمر اقض بيني وبين هذا الأثم الغادر الخائن وهذا ما لا يتصور صدوره من العباس إذ كيف ينسب هذه الأوصاف إلى من اعتبرته آية المباهلة نفس النبي الأمين ولمن شهد الله سبحانه له بالطهارة.

وكيف يسبه وقد علم أن من سبه سب رسول الله ﷺ؟!؟

فلا بد أن يكون هذا القول مكذباً على العباس من المنافقين الذين يريدون سب الإمام الحق على لسان غيرهم.

ونشير هنا إلى ما يلي:

أ: استصوب المازري صنيع من حذف هذه الألفاظ من هذا الحديث وقال لعل بعض الرواة وهم فيها.

قالمازري إذن يؤيد ويستصوب تحريف النصوص وذلك من أجل الحفاظ على ماء الوجه أمام الحقائق التاريخية الدامغة فإنهم حينما رأوا أن كذبها صريح إلى درجة الفضيحة ورأوا أنها موجودة في صحاحهم وتلك فضيحة أخرى أدهى وأمر - نعم حينما رأوا ذلك - التجأوا إلى هذا الأسلوب الساقط والردذل ألا وهو التحريف والإسقاط كما اعترف به المازري واستصوبه.

وهذا الأسلوب لا يزل متبعاً عند خلف هؤلاء القوم فنجد الوهابيين يحرفون كتب علمائهم وغيرها وكذلك غيرهم من أولئك الذين يخونون دينهم وأمتهم بخيانتهم أماناتهم.

ب: قال العسقلاني إن المازري قال أجود ما تحمل عليه أن العباس قالها دلالاً على علي لأنه كان عنده بمنزلة الولد فأراد رده عما يعتقد أنه مخطئ فيه وأن هذه الأوصاف يتصف بها لو كان يفعل ما يفعله عن عمد.

قال: ولا بد من هذا التأويل لوقوع ذلك بمحضر الخليفة ومن ذكر معه ولم يصدر منهم إنكار لذلك مع ما علم من تشدهم في إنكار المنكر.

ونقول للمازري مرحباً وأهلاً بهذا الدل الوقع والمشين! فهل كل من كان بمنزلة الوالد يحق له أن يسب الناس ويتهمهم بالغدر والخيانة والإثم؟!!

وأيضاً.. فإن رواية البخاري تقول إنهم قد استبا فهل سب علي عليه السلام للعباس كان دلالاً أيضاً وهل كان علي بمنزلة الوالد بالنسبة للعباس؟!!

وهل كان هذا الدلال مما جررت عليه عادة العرب؟!!

وهل يصح الردع عن الخطأ بهذا الأسلوب الفاحش والبذيء؟!!

ثم إننا لم نعلم ما الذي فعله علي عليه السلام بأرض بني النضير حتى استحق الوصف بالغدر والخيانة؟! فهل فعل فيها غير ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعله؟!!

ولو أنه تعدى في فعله فهل يكون غادراً وخائناً؟! ولمن يا ترى؟! وهل يمكن أن

يظن علي بالعباس أنه يرتكب الخطأ الفاحش الذي هو على حد الخيانة والغدر عن عمد وقصد!

أسئلة تنتظر الجواب عنها بصورة منصفة ومقنعة وهيئات.

وثانياً: قال العلامة المظفر إنه يصرح بأن عمر ناشد القوم ومن جملتهم عثمان فشهدوا بأن رسول الله ﷺ قال لا نورث.

وهو مناف لما رواه البخاري عن عائشة إنها قالت أرسل أزواج النبي عثمان إلى أبي بكر يسألنه ثمنهن مما أفاء الله على رسوله فكنت أنا أردهن الحديث فإنه يقتضي أن يكون عثمان جاهلاً بذلك وإلا لامتنع أن يكون رسولاً لهن إلا أن يظن القوم فيه سوء. وهذا أيضاً قد أورده المعتزلي الحنفي.

وقد حاول المعتزلي الاعتذار عن ذلك فقال: اللهم إلا أن يكون عثمان وسعد وعبدالرحمن والزبير صدقوا عمر على سبيل التقليد لأبي بكر فيما رواه وحسن الظن وسموا ذلك علماً لأنه قد يطلق على الظن إسم العلم.

ثم ذكر أنه يجوز أن يكون عثمان في مبدأ الأمر شاكاً في رواية أبي بكر ثم يغلب على ظنه صدقه لإمارات اقتضت تصديقه وكل الناس يقع لهم مثل ذلك.

ونقول:

أ: إن نفس المعتزلي يقول إن أكثر الروايات أنه لم يرو خبر لا نورث غير أبي بكر ذلك ذلك أعظم المحدثين.

فمن أين جاءت هذه الإمارات على الصدق لا سيما مع تكذيب فاطمة له وهي المطهرة بنص الكتاب العزيز وكذلك مع إنكار علي والعباس وغيرهم من خيار الأصحاب وأكابرهم.

ولو كان لديهم أدنى احتمال بصدق الحديث ولو بأن يحتملوا أن يكون ﷺ قد أسر به إلى أبي بكر لما بادروا إلى إنكاره واستمروا على ذلك حتى لقد توفيت الصديقة الزهراء عليها السلام مهاجرة له لأجل ذلك.

إن المعتزلي وغيره - والحالة هذه - حين يصدقون حديث لا نورث فإنهم يكونون

قد طعنوا بالقرآن الذي نزه الزهراء وعلياً وأهل البيت عليهم صلوات ربي وسلامه.

ب: إن ما ذكر يبقى مجرد احتمال ويبقى احتمال أن يكون قد جرى عمر وشهد بما لا يعلم قائماً وقوياً بعد أن كانت السلطة التي كان عثمان أحد مؤيديها ومعاضديها تتجه نحو تثبيت دعوى أبي بكر وزعزعة موقف آل رسول الله ﷺ.

وثالثاً: قال العلامة الشيخ محمد حسن المظفر رحمته الله تعالى: لو كان الذين ناشدهم عمر عالمين بما رواه أبو بكر لما تفرد أبو بكر بروايته عند منازعته فاطمة عليها السلام.

فهل تراهم ذكروا شهادتهم لعمر وأخفوها عن أبي بكر وهو إليها أحوج؟!!

وحول تفرد أبي بكر برواية الحديث قال ابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي: إن أكثر الروايات أنه لم يرو هذا الخبر إلا أبو بكر وحده ذكر ذلك أعظم المحدثين حتى إن الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد.

وقال شيخنا أبو علي لا تقبل في الرواية إلا رواية اثنين كالشهادة فخالفه المتكلمون والفقهاء كلهم واحتجوا عليه بقبول الصحابة رواية أبي بكر وحده نحن معاصر الأنبياء لا نورث إلى آخره...؟

ورابعاً: قال العسقلاني - وذكر ذلك غيره أيضاً - : وفي ذلك إشكال شديد وهو أن أصل القصة صريح في أن العباس وعلياً قد علما أنه عليهما السلام قال لا نورث فإن كانا سمعاه من النبي صلى الله عليه وآله فكيف يطلبانه من أبي بكر وإن كان إنما سمعاه من أبي بكر أو في زمنه بحيث أفادهما العلم بذلك فكيف يطلبانه بعد ذلك من عمر؟!!

وقال العيني هذه القصة مشكلة فإنهما أخذاهما من عمر رضي الله عنه على الشريطة واعترفا بأنه عليهما السلام قال ما تركناه صدقة فما الذي بدا لهما بعد ذلك حتى تخصصا؟!!

وبعد أن ذكر العلامة المظفر رحمته الله تعالى ما يقرب مما ذكره العسقلاني وأن صريح أحاديث البخاري أن العباس وعلياً عليهما السلام قد طلبا الميراث من عمر مع علمهما بأنه عليهما السلام قال لا نورث.. قال: وهو من الكذب الفضيع لمنافاته لدينهما وشأنهما وكونه من طلب المستحيل عادة لأن أبا بكر قد حسم أمره وكان أكبر أعوانه عليه عمر فكيف يطلبان منه

ومع ذلك فكيف دفع لهما عمر ما بني النضير ليعملا به عمله، وعمل رسول الله ﷺ وأبي بكر وهما قد جاءه يطلبان الميراث مخالفين لعلمهما غير مباليين بحكم الله ورسوله حاشاهما فيكون قدحاً في عمر.

واحتمال أن يظننا بأن عمر لسوف ينقض قضاء أبي بكر.

قد دفعه المعتزلي بقوله وهذا بعيد أن علياً والعباس في هذه المسألة يتهمان عمر بمالأة أبي بكر على ذلك ألا تراه يقول نسبماني ونسبتما أبا بكر إلى الظلم والخيانة؟

فكيف يظنان أنه ينقض قضاء أبي بكر ويورثهما؟!

وأجابوا عن ذلك كله بجوابين:

الأول: كأن المراد تسألني التصرف فيما كان نصيبك لو كان هناك إرث.

وعلى حد تعبير ابن كثير كأن الذي سألوه بعد تفويض النظر إليهما والله أعلم هو أن يقسم بينهما النظر فيجعل لكل واحد منهما نظر ما يستحقه بالأرض لو قدر أنه كان وارثاً إلى أن قال وكان قد وقع بينهما خصومة شديدة بسبب إشاعة النظر بينهما.

إلى أن قال: فكأن عمر تخرج من قسمة النظر بينهما بما يشبه قسمة الميراث ولو في الصورة الظاهرة محافظة على امتثال قوله لا نورث ما تركناه صدقة.

زاد العيني قوله فمنعهما عمر القسم لثلاثي يجري عليها اسم الملك لأن القسم يقع في الأملاك ويتناول الزمان فيظن به الملكية.

أما الهيثمي فقد ذهب إلى أبعد من ذلك حين قال إستباب علي والعباس صريح في أنهما متفقان على أنها غير إرث وإلا لكان للعباس سهم ولعلي سهم زوجته ولم يكن للخصام بينهما وجه فخصامهما إنما هو لأجل كونها صدقة وكل منهما يريد أن يتولاها فأصلح بينهما عمر رضي الله عنه وأعطاه لهما إلى آخرة.

وقال إسماعيل القاضي إنما تنازعا يعني عند عمر في ولاية الصدقة وفي صرفها كيف تصرف.

الثاني: ما أجاب به العسقلاني بقوله إن كلا من علي وفاطمة والعباس أنهما كانا

يعتقدان ظلم من خالفهما في ذلك.

ونقول: إن ذلك لا يصح أما بالنسبة لما عدا الجواب الأخير فلما يلي:

أ: إننا نقول لو صح ما ذكره لكان عمر اقتصر على ذكر هذا المعنى ولم يكن بحاجة إلى المناشدة المذكورة والاستدلال على عدم كونها إرثاً بحديث لا نورث.

ب: قال العسقلاني: لكن في رواية النسائي وعمر بن شبة من طريق أبي البخري ما يدل على أنهما أراد أن يقسم بينهما على سبيل الميراث ولفظه في آخره ثم جئتماني الآن تختصمان يقول هذا أريد نصيبي من ابن أخي ويقول هذا أريد نصيبي من امرأتي والله لا أقضي بينكما إلا بذلك أي إلا بما تقدم من تسليمها لهما على سبيل الولاية وكذا وقع عند النسائي من طريق عكرمة بن خالد عن مالك بن أوس نحوه.

ثم ذكر دعوى أبي داود أنهما أرادا من عمر أن يقسما بينهما للانفراد بالنظر فيما يتوليان وأن أكثر الشراح اقتصروا عليه واستحسنوه ثم تنظر فيه بما تقدم.

ثم إنه بعد ذلك تعجب من ابن الجوزي ومن الشيخ محي الدين لجزمهما بأن علياً والعباس لم يطلبوا إلا قسمة النظر والولاية مع أن السياق صريح في أنهما جاءه مرتين في طلب شيء واحد ثم اعتذر بأنهما شرحا اللفظ الوارد في مسلم دون اللفظ الوارد في البخاري.

ج: إن العم لا يرث مع وجود البنت لبطلان التعصيب كما سيأتي.

ج: قول ابن كثير إنه كان قد وقع بين علي والعباس خصومة شديدة بسبب إشاعة النظر بينهما محض رجم بالغيب إذ ليس في الرواية ما يدل على أن سبب الخصومة هو ذلك ولا حدثنا التاريخ بشيء عن السبب المذكور بل الأمر على العكس كما تقدم عن العسقلاني.

هـ: لم نفهم معنى لهذا التحرج المدعى من قبل عمر فإنه إذا كان الأنبياء لا يورثون فإن قسمة النظر بينهما لا تخالف حديث لا نورث إن صح لا في الظاهر ولا في الباطن وإذا كان حديث لا نورث باطلاً وكانوا يورثون فمخالفة الحديث لا ضير فيها ولا حرج.

و: لم نفهم لماذا لا تصح القسمة إلا في الأملاك كما ذكره العيني وكيف غفل علي

والعباس عن ذلك وكيف لم يقل لهما عمر ولا أحد ممن حضر الخصومة إن القسمة لا تقع في الأملاك؟!

ز: لم نفهم كيف أصبح استنباب علي والعباس دليلاً على كون أرض بني النضير ليست إرثاً أليس الإرث يحتاج إلى القسمة وقد يقع الخلاف في هذا القسم أو ذاك؟! فلعل أحدهما يريد هذه القطعة وذاك يريد أيضاً فيقع الخصام ويحتاج إلى الفصل وإراحة كل منهما من الآخر.

وأما بالنسبة لجواب العسقلاني فإننا نقول:

أ: قد صرح المعتزلي الشافعي بأن خبر أبي بكر يمنع من الإرث مطلقاً قليلاً كان أو كثيراً ولا سيما مع إضافة ما تركناه صدقة.

وأضاف: فإن قال قائل نحن معاصر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا أرضاً ولا عقاراً ولا داراً.

قيل هذا الكلام يفهم من مضمونه أنهم لا يورثون شيئاً أصلاً لأن عادة العرب جارية بمثل ذلك وليس يقصدون نفي ميراث هذه الأجناس المعدودة دون غيرها بل يجعلون ذلك كالتصريح بنفي أن يورثوا شيئاً ما على الإطلاق.

وإن كان لنا تحفظ على إضافته المذكورة فإن ظاهر قوله نحن معاصر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة إلى آخره أنهما ما جاءوا لأجل جمع حطام الدنيا لأنفسهم وليورثوه أبنائهم وإنما هم زهاد تاركون للدنيا ولا يجمعون ذهباً ولا فضة ليقع في ميراثهم لمن بعدهم.

ب: إن اعتقاد علي والعباس ظلم من خالفهما يدل على اعتقادهما باختصاص حديث لا نورث ببعض الأموال دون بعض، لا يصح إذ كما يمكن أن يكون ذلك لأجل اعتقادهما بما ذكر كذلك يمكن أن يكون لأجل اعتقادهما بعدم صحة أصل الحديث وأنه مجعول ومختلق.

وهذا الثاني هو الصحيح لإنكار علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام والعباس عليهم السلام هذا الحديث من الأساس ومطالبتهم بتركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما هو ظاهر لا يخفى.

خامساً: إن العم لا يرث مع وجود البنت كما هو الحق الذي لا محيص عنه وإنما

ترث البنت الواحدة نصف التركة بالفرض والنصف الباقي بالرد عليها والتعصيب يعني توريث العصبية النصف كالعَم مع البنت باطل ولا يصح وقد استدلت العلماء على بطلانه بما لا مزيد عليه فليراجع في مظانه.

ويبدو أن توريث العم مع البنت الذي هو من التعصيب الباطل قد نشأ عن إرادة تقوية موقف أبي بكر وإضعاف موقف فاطمة وعلي عليهما الصلاة والسلام.

سؤال وجوابه:

ويرد هنا سؤال وهو أنه إذا كان العباس لا يرث فلماذا شارك في المطالبة بإرث النبي ﷺ من أبي بكر ثم من عمر؟!

وأجاب السيد ابن طاووس بأن هذه المطالبة بل وحتى إظهار الخصومة مع علي في ذلك عند عمر قد كان لأجل مساعدة علي وفاطمة عليهما السلام وقطع حجة أبي بكر وإقامة الحججة على عمر في ذلك ثم ذكر ابن طاووس هنا قصة الجارية التي قالت للرشيد العباسي إن علياً والعباس كانا في هذه القضية كالملكين الذين تحاكما إلى داود في الغنم حيث أراد تعريف وجه الحكم فكذلك أراد علي والعباس تعريف أبي بكر وعمر أنهما ظالمان لهما بمنع ميراث نبيهما.

وقد يجاب عن ذلك بأن العباس كان يظن في ظاهر الحال أنه يرث النبي ﷺ لعمومته له وكان علي عليه السلام يرفض ذلك على اعتبار أن العم لا يرث، فترافعا إلى عمر على هذا النحو ليقوما الحججة عليه.

سادساً: قال الشيخ المظفر رحمته الله إن أمير المؤمنين لو سمع ذلك أي حديث لا نورث إلى آخره فلم ترك بضعة الرسول أن تطالب بما لا حق لها فيه؟!

أخفى ذلك عنها راضياً بأن تغصب مال المسلمين؟! أو أعلمها فلم تبال؟! وعدت على ما ليس لها فيه حق؟! فيكون الكتاب كاذباً أو غلطاً بشهادته لهما بالطهارة فلا مندوحة لمن صدق الله وكتابه ورسوله ﷺ أن يقول بكذب هذه الأحاديث.

وقال المعتزلي: ... وهل يجوز أن يقال إن علياً كان يعلم ذلك ويمكن زوجته أن تطلب مالا تستحقه؟! خرجت من دارها ونازعت أبا بكر وكلمته بما كلمته إلا بقوله

وإذنه ورأيه؟!

سابعاً: قال المظفر والمعتزلي: إن أمير المؤمنين والعباس لو كانا سمعا من النبي ما رواه أبو بكر حتى أقرأ به لعمر فكيف يقول لهما عمر كما في حديث مسلم رأيتما أبا بكر كاذباً أثماً غادراً خائناً ورأيتما نبي آثماً غادراً خائناً.

ثامناً: قال العلامة الحلبي ما حصله إن عمر بن الخطاب قد أخبر أن علياً والعباس يعتقدان فيه وفي أبي بكر بأنهما كاذبان آثمان غادران خائنان فإن كان ذلك حقاً فهما لا يصلحان للخلافة وإن كان كذباً لزمه تطرق الدم إلى علي والعباس لاعتقادهما في أبي بكر وعمر ما ليس فيهما فكيف استصلحوا علياً للخلافة مع أن الله قد نزهه عن الكذب والزور وطهره.

وإن كان عمر قد نسب إلى العباس وعلي شيئاً لا يعلمانه لزمه تطرق الدم إلى عمر نفسه لأنه يفترى عليهما وينسب إليهما ما لا يعتقدانه.

مع أن البخاري ومسلماً ذكراً في صحيحهما أن قول عمر هذا لعلي والعباس قد كان بمحضر مالك بن أوس وعثمان وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد ولم يعتذر أمير المؤمنين عن هذا الاعتقاد الذي نسب إليهما ولا أحد من الحاضرين اعتذر لأبي بكر وعمر.

وأجاب البعض عن ذلك بأنه قد جاء على لسان عمر على سبيل الفرض والتقدير والزعيم فإن الحاكم إذا حكم بخلاف ما يرضي الخصم يقول له تحسبني ظالماً ولست كذلك ولذلك لم يعتذر علي ولا العباس ولا غيرهما ممن حضر.

ورد عليه العلامة المظفر رحمته الله بأن هذا مضحك إذ كيف لا يكون على سبيل الحقيقة وهما إنما يتنازعان عند عمر في ميراث النبي ﷺ بعد سبق رواية أبي بكر وحكمه فإن هذا النزاع بينهما لا يتم إلا بتكذيبهما لأبي بكر في حديثه وحكمهما عليه بأنه آثم غادر خائن على وجه يعلمان أن عمر عالم بكذب حديث أبي بكر وأن موافقته له في السابق كان لسياسة دعتة إلى الموافقة ولو لم يكونا عالمين بأن عمر عالم بكذب حديث أبي بكر لم يصح ترافعهما إلى عمر من جديد.

تاسعاً: إن من المعلوم أن الحكام بعد رسول الله ﷺ قد دفعوا الحجر إلى زوجاته ﷺ كما أن خلفاء بني العباس قد تداولوا البردة والقضيب وقد قال ابن المعتز مخاطباً العلويين:

ونحن ورثنا ثياب النبي
فلم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يا بني بنته
ولكن بنو المم أولى بها
فأجابه الصفي الحلبي بقوله:

وقلت ورثنا ثياب النبي
فكم تجذبون بأهدابها
وعندك لا يورث الأنبياء
فكيف حظيتم بأثوابها
وقال الشريف الرضي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ردوا تراث محمد ردوا
ليس القضيب لكم ولا البرد
كما أنهم دفعوا آله ويغلته وحذاه وخاتمه إلى علي ﷺ.

وعليه فيرد ما أورده المعتزلي الشافعي هنا حيث قال: إذا كان ﷺ لا يورث فقد أشكل دفع آله ودابته وحذائه إلى علي ﷺ لأنه غير وارث في الأصل.
وإن كان إعطاؤه ذلك لأن زوجته بعرضة أن ترث لو لا الخبر فهو أيضاً غير جائز لأن الخبر قد منع أن يرث منه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً.
ثم ذكر ما تقدم عنه آنفاً حين الجواب على ما ذكره العسقلاني الذي ادعى أن علياً ﷺ والعباس توهما أن لا نورث ليست عامة.
ثم قال فإنه جاء في خبر الدابة والآلة والحذاء أنه روي عن النبي ﷺ لا نورث ما تركناه صدقة ولم يقل: لا نورث كذا وكذا وذلك يقضي عموم انتفاء الإرث عن كل شيء.

عاشراً: لقد قال أحمد بن حنبل: حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال لما قبض رسول الله ﷺ أرسلت فاطمة إلى أبي بكر أنت ورثت رسول الله أم أهله؟ فقال: لا بل أهله.

فقلت فأين سهم رسول الله ﷺ؟!

فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم من بعده، فأريت أن أردته على المسلمين.

قالت: فأنت وما سمعت عن رسول الله ﷺ.

فلاحظ أن الخليفة يعترف بأن أهل النبي ﷺ يرثونه وذلك يكذب دعوى أن الأنبياء لا يورثون ولكنه عاد فادعى أنه يعود إليه لأنه قام بعد الرسول.

ولعل قول فاطمة أخيراً (فأنت وما سمعت من رسول الله) ظاهر في أنها تشك في صحة الحديث وأرجعت الأمر إلى الله سبحانه ليحكم في هذا الأمر..

ولنا أن نحتمل أن السلطة قد سارت في موضع إرث النبي ﷺ بخطوات تراتبيه تصعيدية وربما تكون هذه القضية للزهراء عليها السلام مع أبي بكر من الخطوات في هذا الاتجاه ثم تلاها غيرها إلى أن انتهوا إلى إنكار إرثها عليها السلام من الأساس.

حادي عشر: قد اعترض ابن طاووس على دعوى أن علياً قد غلب العباس على أرض بني النضير وقال إن ذلك غير صحيح لاستمرار يد علي عليه السلام وولده على صدقات نبيهم وترك منازعة بني العباس لهم مع أن العباس ما كان ضعيفاً عن منازعة علي ولا كان أولاد العباس ضعفاء عن المنازعة لأولاد علي في الصدقات المذكورة.

ثم ذكر رحمه الله روايتين عن قثم وعن عبدالله ابني العباس يقرران فيها أن الحق في إرث رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام.

ويجب ان لا ننسى مدى حرص الحكام على كسر شوكة علي عليه السلام وإبطال قوله وقول أهل بيته سواء في ذلك أولئك الذين استولوا على تركة النبي ﷺ أو الذين أتوا بعدهم من الأمويين أو العباسيين.

ثاني عشر: قال العلامة كيف يجوز لأبي بكر أن يقول أنا ولي رسول الله وكذا لعمر مع أن رسول الله ﷺ مات وقد جعلهما من جملة رعايا أسامة بن زيد؟! وأجاب البعض أن المراد بالولي من تولى الخلافة فإنه يصبح المتصرف في أمور رسول الله ﷺ بعده وتأمير أسامة عليهما لا يجعلهما من رعاياه بل هم جميعاً من رعايا النبي ﷺ.

وهو جواب لا يصح، فقد قال الشيخ محمد حسن المظفر رَحِمَهُ اللهُ مَا حَاصِلُهُ: إن الولي للشخص هو المتصرف في أموره لسultanه عليه ولو في الجملة كالمتصرف في أمور الطفل والغائب ولا يصدق على الوكيل أنه ولي مع أنه متصرف في أموره فلا أقل من أن ذلك إساءة أدب معه ﷺ لم يستصلحهما حين وفاته إلا أن يكونا في جملة رعايا أسامة فكيف صلحا بعده للإمامة على الناس عامة ومنهم أسامة؟!!

على أن إضافة الولي إلى رسول الله ﷺ من دون اعتبار السلطنة في معنى الولي تقتضي ظاهراً أن تكون الولاية مجعولة من النبي ﷺ لأنها من إضافة الصفة إلى الفاعل لا إلى المفعول وذلك باطل بالاتفاق وإنكار إطلاق الرعية على مثل تأمير أسامة في غير محله.

ثالث عشر: قال العلامة الحلبي ما حاصله كيف استجاز عمر أن يعبر عن النبي ﷺ للعباس تطلب ميراثك من ابن أخيك مع أن الله تعالى يخاطبه بصفاته مثل يا أيها الرسول، يا أيها النبي، ولم يذكره باسمه إلا في أربعة مواضع شهد له فيها بالرسالة لضرورة تخصيصه وتعيينه.

وقد قال الله تعالى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾! ثم عبر عمر عن ابنته مع عظم شأنها وشرف منزلتها بقوله (ميراث امرأته). أضف إلى ذلك أنه عبر عن أمير المؤمنين عَليِّهِ السَّلَامُ بِاسْمِ الإِشَارَةِ فقال (هذا). وأجاب البعض: بأنه إنما عبر بذلك لبيان قسمة الميراث كيف يقسم أن لو كان هناك ميراث لا أنه أراد الغرض منهما بهذا الكلام.

وقال آخر هذا القول من عمر قد جاء على طريق محاورات العرب وهو يتضمن ذكر

علة طلب الميراث وهو كونه ابن أخيه وليس فيه إساءة أدب وعمر لم يذكر النبي باسمه.
وبالنسبة للزهراء فإن الأولى ترك ذكر النساء بأسمائهن في محضر الرجال فهو متأدب
في ترك ذكر اسمه لا مسيء للأدب بذلك.

ولكنه أجوبة لا تصح فقد قال العلامة المظفر رحمته الله تعالى ما حاصله: إن محاورات
العرب إذا اقتضت التوهين برسول الله صلى الله عليه وآله فلا بد من تركها فإنه لا يصح ترك أدب القرآن
والعمل بأداب الأعراب وأهل الجاهلية.

وبالنسبة إلى علة الميراث فإنه لا حاجة إلى ذكرها وتركها الأدب مع الرسول
الأعظم صلى الله عليه وآله فهل لم يكن علي عليه السلام والعباس عليهم السلام أو أحد من الحضور يعلم هذه
العلة؟!

هذا.. بالإضافة إلى أنه كان يمكنه ذكر علة الميراث ومراعاة الأدب معه صلى الله عليه وآله في آن
واحد.

وبالنسبة إلى أن عمر لم يذكر النبي صلى الله عليه وآله باسمه الشريف فإن المقصود أن
تكرمه صلى الله عليه وآله مطلوب وليس في عبارته ذلك وقد قال تعالى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
لِيُنزِلَ كُدُّكُمْ كَدُّكُمْ كَدُّكُمْ بَعْضًا﴾.

كما أن تعبيره بـ (امراته) ليس فيه علة الميراث التي هي بنوتها لرسول الله صلى الله عليه وآله
وقد كان يمكنه احترام الزهراء بذكر بعض ألقابها وعدم ذكر النساء بأسمائهن لا يحمل
المشكلة فقد كان يمكنه تجنب اسمها عليها السلام وذكرها ببعض ألقابها المادحة لها.

الانتصار لرسول الله صلى الله عليه وآله أمر لعمر الفاروق!

قال العقيلي: سمعت علي بن عبدالله بن المبارك الصنعاني يقول كان زيد بن المبارك
لزم عبدالرزاق فأكثر عنه ثم خرق كتبه ولزم محمد بن ثور فقبل له في ذلك فقال كنا عند
عبدالرزاق فحدثنا بحديث معمر عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان الحديث
الطويل فلما قرأ قول عمر لعلي والعباس (فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك وجاء
هذا يطلب ميراث امرأته من أبيها) قال عبدالرزاق انظروا إلى الأنوك يقول تطلب أنت

ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ألا يقول رسول الله ﷺ؟! قال زيد بن المبارك فقلت فلم أعد إليه ولا أروي عنه.

قال الذهبي: لا اعتراض على الفاروق ﷺ فيها فإنه تكلم بلسان قسمة التركات.

وقال إن عمر إنما كان في مقام تبين العمومية والبنوة وإلا فعمرو ﷺ أعلم بحق المصطفى وتوقيره ﷺ وتعظيمه من كل متحذلق متنطع بل الصواب أن نقول عنك أنظروا إلى هذا الأنوك الفاعل - عفا الله عنه - كيف يقول عن عمر هذا ولا يقول قال أمير المؤمنين الفاروق؟! ونقول:

إن بيان العمومة والبنوة ليس ضرورياً هنا وذلك لوضوحه لكل أحد.

إن بيانهما والتكلم بلسان قسمة التركات لا يمنع من الإتيان بعبارة تفيد توكير رسول الله ﷺ واحترامه.

إن التكلم بلسان قسمة التركات في غير محله لأن العباس لا يرث لبطلان التعصيب. إذا صح أن النبي ﷺ لا يورث فلا حاجة إلى التحدث بلسان قسمة التركات لاسيما وأن المطلوب - حسبما يدعون - هو قسمة النظر كما تقدم وتقدم بطلانه.

إن زيد بن المبارك لا يعود إلى عبدالرزاق لأنه رآه ينتصر لرسول الله ﷺ وينتقد عمر على عدم توقيره للنبي ﷺ وينتقد عمر على عدم توكير للنبي ﷺ وهذا من ابن المبارك عجيب وعجيب جداً!!

إن الذهبي وغيره يغضبون لعمر ويشتمون عبدالرزاق لتوهينه عمر ولا يغضبون لرسول الله ﷺ ولا يقبلون حتى بانتقاد من يتصدى لإهانتة ﷺ.

إنهم يطلبون من عبدالرزاق أن يذكر عمر بألقابه ولا يطلبون من عمر أن يذكر النبي بألقابه التي شرفه الله تعالى بها.

فإننا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يحبسهم الجاهل أغنياء:

وبعد.. فإن إلقاء نظرة فاحصة على حياة فاطمة الزهراء عليها السلام تعطينا أنها صلوات الله وسلامه عليها لم تتغير حياتها بعد فتح بني النضير وخيبر وملكتها فدكاً وغيرها عما كانت عليه قبل ذلك رغم غلتها الكثيرة والوافرة فهي لم تعمر الدور ولم تبني القصور ولا لبست الحرير والديباج ولا اقتنت النفائس ولا احتفظت لنفسها بشيء وهكذا كانت حال زوجها علي عليه الصلاة والسلام رغم توفر الأموال له.

بينما نجد أن بعض أولئك الذين استفادوا من أموال بني النضير وغيرها قد خلفوا من الذهب والفضة ما يكسر بالفؤوس ويكفي أن نذكر هنا:

أن الزبير بن العوام بنى داره المشهورة بالبصرة وفيها الأسواق والتجارات وبنى داراً في الكوفة ومصر والإسكندرية وبلغ ثمن ماله خمسين ألف دينار وترك ألف فرس وألف مملوك وخططاً بمصر والإسكندرية والكوفة والبصرة وقالوا كان للزبير خمسون مليوناً ومئتا ألف وقيل بل مجموع ماله سبعة وخمسون مليوناً وستمائة ألف.

أما عبدالرحمن بن عوف فقد كان له ألف بعير وعشرة آلاف شاة ومائة فرس وصولحت إحدى نساءه على ربع ثمن ماله بأربعة وثمانين ألف دينار.

وعن أم سلمة أن عبدالرحمن بن عوف دخل عليها فقال يا أمه قد خفت أن تهلكني كثرة مالي وأنا أكثر قریش مالاً إلى آخره.

وحينما مات ابن عوف جيء بتركته إلى مجلس عثمان فحالت البدر بين عثمان وبين الرجل القائم في الجهة الأخرى وفي هذه المناسبة ضرب أبو ذر كعب الأحبار بالعصا على رأسه فكانت النتيجة هي نفي أبي ذر.

وبعد إخراج وصاياه كلها فإنه قد ترك مالاً جزيلاً من ذلك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال.

إن عمر بن الخطاب الذي استفاد هو الآخر من أموال بني النضير وغيرها كان أيضاً يملك ثروة هائلة في أيام خلافته بل هو يدعي أنه كان في مكة من أكثر قریش مالاً كما ذكره ابن هشام حين الحديث عن هجرته هو وعياش بن أبي ربيعة فقد أصدق إحدى

زوجاته أربعين ألف دينار أو درهم وقيل عشرة آلاف وأعطى صهرأ له قدم عليه من مكة عشرة آلاف درهم من صلب ماله.

كما أن ابناً لعمر باع ميراثه من ابن عمر بمائة ألف درهم.

وفي نص آخر أن ثلث مال عمر كان أربعين ألفاً أوصى بها وإن كان الحسن البصري قد استبعد ذلك واحتمل أن يكون قد أوصى بأربعين ألفاً فأجازوها.

لقد كان هذا في وقت كان يعيش الناس فيه أقصى حياة تمر على إنسان حتى إن بعضهم لم يكن يملك سوى رقتين يستر بإحدهما فرجه وبالأخرى دبره.

فهؤلاء يجمعون الأموال ويتنعمون بها ثم يرثها عنهم أبناؤهم وزوجاتهم ليكون لها نفس المصير أيضاً.

وفي المقابل فإن علياً أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام الذي وقف على الحجاج مائة عين استنبتها في ينبع يروى عنه أن صدقات أمواله قد بلغت في السنة أربعين ألف دينار وكانت صدقاته هذه كافية لبني هاشم جميعاً إن لم نقل أنها تكفي أمة كبيرة من الناس من غيرهم إذا لاحظنا أن ثلاثين درهماً كانت كافية لشراء جارية للخدمة كما قال معاوية لعقيل وكان الدرهم يكفي لشراء حاجات كثيرة بسبب قلة الأموال حينئذ ولغير ذلك من الأسباب.

نعم.. إننا نجد علياً عليه السلام لم يلبس ثوباً جديداً ولم يتخذ ضيعة ولم يعقد على مال إلا ما كان يبيع والبغيغة مما يتصدق به.

كما أنه لم يترك حين وفاته سوى سبع مائة درهم أراد أن يشتري بها خادماً لأهله وقد أمر برد هذه السبع مائة درهم إلى بيت المال بعد وفاته، كما ذكره الإمام الحسن عليه السلام في خطبته آنئذ.

وعاش ومات وما بنى لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة.

وباع سيفه وقال لو كان عندي ثمن عشاء - أو إزار - ما بعته.

ويقول عنه معاوية: والله لو كان له بيتان بيت تبن وبيت تبر لأنفذ تبره قبل تبنه.

وكان مصير تلك الأراضي والأموال والأموال أنه عليه السلام تصدق بها ووقفها على

المسلمين ولم يبق منها شيء حين وفاته صلوات الله وسلامه عليه كما هو صريح خطبة ولده السبط حين توفي والده.

وقد قال عليه السلام أنا الذي أهنت الدنيا وقد كان من أهم أسباب انصراف العرب عن علي عليه السلام سيرته في المال حيث لم يكن يحابي أحداً في هذا الأمر.

وكذلك كان حال زوجته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها صلوات ربي وسلامه فإنها لم تزل تتصدق بغلة فدك وغيرها وتنفق الأموال في سبيل الله سبحانه لتعيش هي عليها السلام حياة الزهد والعزوف عن الدنيا وعن زيارتها وبهاجتها.

وحتى هذه الموقوفات والصدقات فإنها لم تسلم من الظلم والظالمين فقد استولى الحكام عليها ومنعوا من استمرار انفاقها في سبيل الله ومن انتفاع الفقراء والمحتاجين بها ولتصبح بأيدي خصماء أهل البيت من بني أمية الذين كانوا يخضمون مال الله خضماً الإبل نبتة الربيع على حد تعبير علي عليه السلام في خطبته الشقشقية المذكورة في نهج البلاغة.

الزهد.. الحرية:

وكلمة أخيرة نود تسجيلها هنا وهي أن بعض الناس يرى في الزهد معنى غير واقعي ولا سليم. فيرى أن الزهد هو أن يلبس الإنسان الخشن ويأكل من فضول طعام الناس ويتخلى عن كل شؤون الحياة فلا يعمل ولا يسعى ولا يكد على عياله ولا يملك شيئاً من حطام الدنيا وذلك لأن عمله وحصوله على المال إنما يعني أنه يحب الدنيا وليس ذلك من الزهد في شيء.

وإذا كان لا مال لديه فلا يكون مكلفاً بشيء ولا يتحمل أية مسؤولية مالية لاتجاه نفسه ولاتجاه غيره.

ونقول:

إن هذا الفهم للزهد غير مقبول في الإسلام بل هو خطأ كبير وخطير فإن الحصول على المال لا ينافي الزهد ما دام يضعه في مواضعه التي يريد الله أن يريها الله فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله نعم المال الصالح للرجل الصالح.

فالإسلام يقول إنك إذا استطعت أن تحصل على المال لتوظفه في قضاء حاجات المؤمنين وليكون وسيلة لإحياء الدين ونشر تعاليمه ويكون قوة على الأعداء وسبباً في دفع البلاء فإن ذلك لازم إن لم يكن واجباً شرعياً يعاقب الله على تركه وعلى عدم التقيد به.

غاية الأمر: أنه يقول لا يجوز أن يتحول هذا المال إلى إله يعبد وإلى سيد يطاع وإلى مالك لرقبة صاحبه، فإنه ليس الزهد أن لا تملك شيئاً ولكن الزهد أن لا يملكك شيء. والتعبير عن الزهد بأنه حرية وانعتاق قد ورد عنهم عليهم الصلاة والسلام فلتراجع كتب الحديث والرواية.

وهذا بالذات هو المنهج الذي سار عليه النبي ﷺ الذي ملك الفياء والخمس وغير ذلك ولكنه لم يصبح مملوكاً لما ملكه وكذلك الحال بالنسبة إلى بضعته الصديقة الطاهرة وعلي أمير المؤمنين ﷺ والأئمة الطاهرين من ولده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الزهاء ﷺ في مواجهة التحدي:

إن مطالبة علي ﷺ بأموال بني النضير ومطالبة الزهاء بفدك وبسهمها بخبير وبسهمها من الخمس وبارئها أيضاً من أبيها الرسول الأعظم ﷺ وإصرارها على تحدي السلطة في إجراءاتها الظالمة ثم مغاضبتها للغاصبين حتى توفيت حيث أوصت أن تدفن ليلاً إن ذلك كله لا يمكن تفسيره على أنه رغبة في حطام الدنيا وحب للحصول على المال فإن حياتها وهي الصديقة الطاهرة والزاهدة والفانية في الله حتى إنها كانت تقوم الليل حتى تورمت قدمها وكذلك ما شاع وذاع حول كيفية تعاملها مع الأموال التي كانت تحصل عليها من فدك وغيرها وكيف كانت تصرفها - إن ذلك - لخبر دليل على ما نقول وأوضح شاهد عليه.

وهذا بالذات هو ما يجعلنا نتساءل عن السر الكامن وراء تلك المطالبة وذلك الإصرار ولعلنا نستطيع أن نفسر ذلك بما يلي:

إن نفس الانتصار للحق وتأكيده ورفض الباطل وإدانتة أمر مهم ومطلوب ومحجوب وهو من القيم والمثل التي لا بد من الالتزام بها والتأكيد عليها في مختلف الظروف والأحوال.

إن في موقف فاطمة الزهراء عليها السلام في وقت لا يزال في الإسلام طري العود ويمكن أن يصبح فيه السكوت على الانحراف سبباً في قبول الناس له على أنه أمر لا يتنافى مع أحكام الشرع والدين إن في هذا الموقف حفاظاً على مبادئ الإسلام وعلى قوانينه وأحكامه وصيانة له عن الفهم الخاطئ وعن التحريف.

إن فاطمة عليها السلام بموقفها قد أفهمت كل أحد أنه لا بد من قول الحق وإطلاق كلمة لا في وجه الحاكم وأنه ليس في منأى عن الحساب والعتاب والعقاب وأن الانحراف مرفوض من كل أحد حتى من الحاكم وليس هو فوق القانون بل هو حام للقانون ومدافع عنه وأن سلطته وحكمه ليس امتيازاً له يصول به على الآخرين ويستطيل به عليهم وإنما هو مسؤولية، لا بد وأن يطالب هو قبل كل أحد بالقيام بها وبالالتزام بما يفرض الشرع عليه الالتزام به في نطاقها.

إن الاعتراض حيث لا بد منه حتى على الحاكم مهما كان قوياً وعاتياً هو مسؤولية كل أحد حتى النساء بالمقدار الذي يمكن ولا يختص ذلك بالرجال.

إن التصدي للمطالبة بالحق وتسجيل الموقف لا يجب أن ينحصر في صورة العلم بإمكان الحصول على ذلك الحق أو احتمال ذلك بل إن ذلك قد يجب حتى مع العلم بعدم إمكان الحصول على شيء فإن فاطمة عليها السلام كانت تعلم بأن مطالبتها لن تجدي شيئاً في إرجاع ما اغتصب منها إليها ولكنه مع ذلك قد سجلت موقفاً حاسماً وأدانت الانحراف وتصدت له وماتت وهي مهاجرة وغاضبة على أولئك الذين أخذوا حقها واستأثروا به دونها.

وحتى حين طلب منها أمير المؤمنين أن تستقبلهما فإنها لم تجب بالقبول بل قالت له عليها السلام البيت بيك والحررة زوجتك، افعل ما تشاء.

فدخلت عليها وحاولا استرضاءها وبكيا لديها ولكنها فضحت خنيتها وأوضحت لهما من خلال حملها إياهما على الإقرار بأنهما قد أغضبها وبأن الله يغضب لغضبها

ويرضى لرضاها - أوضحت لهما أنها لا تزال غاضبة ساخطة عليهما لاسيما وأنهما ما
 زالا يصران على غضبها حقها ومنعها إرثها وسائر أموالها.
 وذلك لأنها عرفت أن بكاءهما وخضوعهما لها إنما يرمي إلى التأثير عليها عاطفياً
 من دون تقديم أي تراجع عن موقفهما السابق أو تقديم أي اعتذار مقبول عنه.
 ومعنى ذلك هو أنهما قد أرادا من وراء استرضائهما إياها ﷺ هو أن يصبح
 بإمكانهما دعوى أن فاطمة قد رضيت وطابت نفسها بل وأقرتهما على ما فعلاه وسلمت
 لهما بما ادعياه.

ولكن وصيتها بأن تدفن ليلاً ثم تنفيذ هذه الوصية من قبل أمير المؤمنين علي ﷺ
 قد فوت الفرصة على كل دعوى وسد السبيل أمام أي تزوير.
 فلم يبق أمام أولئك الذين يقصدون هؤلاء الغاصبين ويؤيدونهم إلا الإعلان بالخلاف
 والإصرار على الباطل بل إن بعضهم لم يستطع إخفاء ما يجنه من حقد وضغينة فجاهر
 بالظعن والانتقاص والنيل من مقامها وحاول ما أمكنه تصغير عظيم منزلتها.
 فأنكر بعضهم كونها واجبة العصمة لأجل ذلك رغم أن الكتاب العزيز قد نص على
 طهارتها وعلى أنها بريئة من أي رجس أو رين.. كما أن الحديث المتواتر عن رسول
 الله ﷺ حول أن الله يغضب لغضبها يدل على عصمتها كذلك.

لماذا لم يسترجع علي ﷺ ما اغتصب؟!

وأما لماذا لم يسترجع علي ﷺ فداً وغيرها مما اغتصب منهم ﷺ مع أنه كان
 قادراً على ذلك أيام خلافته فقد ذكرت الروايات الواردة عن الأئمة ﷺ الأسباب التالية:
 إن الظالم والمظلوم كانا قد قدما على الله ﷻ وأثاب الله المظلوم وعاقب الظالم فكرة
 أن يسترجع شيئاً قد عاقب الله عليه غاصبه وأثاب عليه المغصوب (عن الصادق ﷺ).
 للاقتداء برسول الله ﷺ لما فتح مكة وقد باع عقيل بن أبي طالب داره فقيل له يا
 رسول الله ألا ترجع إلى دارك؟ فقال ﷺ وهل ترك عقيل لنا داراً إنا أهل بيت لا نسترجع
 شيئاً يؤخذ منا ظلماً فلذلك لم يسترجع فداً لما ولي (عن الصادق ﷺ).

لأننا أهل بيت لا نأخذ حقوقنا ممن ظلمنا إلا هو (يعني إلا الله) ونحن أولياء المؤمنين إنما نحكم لهم ونأخذ حقوقهم ممن ظلمهم ولا نأخذ لأنفسنا (عن الإمام الكاظم عليه السلام)^(١).

ملاحظات يجب التنبيه عليها:

أ: لماذا قال الإمام علي عليه السلام لأبي بكر اثنتا ولا يأتنا معك أحد كراهية محضر عمر بن الخطاب؟

نعم، لأنه بالأمس كان قد أحرق دار فاطمة واقتحمه وهذا من الأدلة التي تؤكد هجوم القوم على الدار.

ب: عبارة (لا نورث ما تركنا صدقة)، أي أن النبي الأكرم يريد بها (أن ما تركناه صدقة حال حياتنا للمسلمين، لا يورث بعد موتنا) لماذا لا نقول أن النبي يعني بذلك ما ذكرناه لا كما يحاول أهل العامة توجيه الرواية لصالحهم؟!!

ج: قال الخطيب البغدادي في ترجمة عبدالرحمن بن يوسف بن خراش أبو محمد الحافظ... وكان أحد الرحالين في الحديث إلى الأمصار بالعراق والشام ومصر وخراسان وممن يوصف بالحفظ والمعرفة....

وقال ابن عدي: سمعت عبدالملك بن محمد أبا نعيم يشي على ابن خراش هذا وقال: ما رأيت أحفظ منه، لا يذكر له شيخ من الشيوخ والأبواب إلا مر فيه....

محمد بن العباس قال: قرئ على ابن المنادي وأنا أسمع قال عبدالرحمن بن يوسف بن خراش كان من المعدودين المذكورين بالحفظ والفهم والحديث والرجال^(٢).

وقال الذهبي: ابن خراش الحافظ الناقد البارع أبو محمد عبدالرحمن بن يوسف بن

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله للسيد جعفر مرتضى العاملي، ج ٨، ص ٢٦١، أراضى بني النضير والكيد السياسي، ط دار السيرة، بيروت.

(٢) تاريخ بغداد لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى ٤٦٣هـ، ج ١٠، ص ٢٨١، ترجمة ٥٣٩٨، ط دار الكتاب العربي، بيروت. وذكره ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان، ج ٣، ص ٤٤٥، ترجمة ١٧٣٢، وميزان الاعتدال للذهبي، ج ٢، ص ٦٠١، ترجمة ٥٠٠٩، ط ١٣٨٢هـ، دار إحياء الكتب العربية.

سعيد بن خراش المرزوي ثم البغدادي.

قال أبو نعيم بن عدي: ما رأيت أحداً أحفظ من ابن خراش^(١).

أقول:

لكن ابن خراش هذا الرجال الموصوف بالحفظ والمعرفة كما قالوا عنه: الحافظ الناقد البارع لم تسعفه ولم تشفع له هذه الألقاب عند الذين ذكروا ما أسلفنا، ولماذا!!!

يقول الخطيب البغدادي: حمزة بن يوسف السهمي يقول: سألت أبا زرعة محمد بن يوسف الجرجاني عن عبدالرحمن بن خراش فقال: كان قد خرج مثالب الشيخين وكان رافضياً^(٢)!

ويقول الذهبي: قال ابن عدي: سمعت عبدان يقول: قلت لابن خراش: (ما تركنا صدقة) فقال: باطل، أتهم مالك بن أوس^(٣).

نعم، لقد انحلت العقدة وعرف سبب هجوم هؤلاء عليه ومحاولة جرحه باتهامه بالرفض! فماذا قالوا عنه؟

قال الذهبي: جهلة الرافضة لم يدروا الحديث ولا السيرة ولا كيف ثم، فأما أنت أيها الحافظ البارع الذي شربت بولك إن صدقت في الترحال فما عذرك عند الله مع خبرتك بالأمور فأنت زنديق معاند للحق فلا رضي الله عنك!! مات ابن خراش إلى غير رحمة الله (!! سنة ثلاث وثمانين ومائتين^(٤)).

ويقول عنه أيضاً: هذا معثر مخذول! كان علمه وبلاً وسعيه ضلالاً!! نعوذ بالله من الشقاء^(٥)!

فهذا الحافظ الناقد البارع يرى أن راوي هذه الرواية المختلفة الموضوعه كذاب وهو

(١) سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٥٠٩، ترجمة ٢٥٣، ط ١١/١٤١٩هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج ١٠، ص ٢٨١، ترجمة ٥٣٩٨. وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١٣، ص ٥٠٩، ترجمة ٢٥٣.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١٣، ص ٥١٠، ترجمة ٢٥٣.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي، المجلد ٢، ج ٢، ص ١٨٦، ترجمة ٧٠٥.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ١٣، ص ٥١٠، ترجمة ٢٥٣.

مالك بن أوس بن الحدثان ولكن صاحبنا الناقد الحافظ البارع كونه ذكر ما أسلفنا أصبح
زنديقاً عند الذهبي ومعانداً للحق وذلك لأنه كذب رواية (لا نورث ما تركنا صدقة)!! فإننا
لله وإنا إليه راجعون!

باب الإمداد بالملائكة

٥٣٧... عبدالله بن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم أت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجر لك ما وعدك فأنزل الله ﷻ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ فأمده الله بالملائكة قال أبو زميل فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسرنا سبعين قال أبو زميل قال ابن عباس فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى فقال أبو بكر يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ ما ترى يا ابن الخطاب قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر

ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيباً لعمر فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما فقال رسول الله ﷺ أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة شجرة قريبة من نبي الله ﷺ وأنزل الله ﷻ ﴿ مَا كَانَتْ لِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْرَكَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ فأحل الله الغنيمة لهم.

جاء في الرواية أن أبا بكر قام ولزم النبي الأكرم وحاول تهدئته في قوله إن الله سينجز لك ما وعدك وسوف ينصرك عليهم هذا القول لا يمكن أن يصدر من شخص كأبي بكر وفي هذا الموقف المحرج وبين الصفيين المتقاتلين يقول ذلك وبأعصاب باردة وذلك لأنه كان قد صدر منه خلاف ذلك وفي أماكن عدة منها يوم هجرة النبي الأكرم فعندما لحقهم مالك بن جعشم على فرس قال أبو بكر للنبي قد لحقنا يا رسول الله^(١) لاحظ خوف وهلع أبي بكر ألا يعلم أن الله ناصره ومؤيده.

يقول الواقدي: إن رجلاً كشف عن فرجه وجلس يبول فقال أبو بكر قد رأنا يا رسول الله قال لو رأنا لم يكشف عن فرجه^(٢).

وفي البخاري أيضاً عن أبي بكر رضي الله عنه قال قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما^(٣).

لاحظ أخي الكريم كيف أن الخوف والهلع قد أخذ من أبي بكر مأخذه فمرة يقول قد لحقنا يا رسول الله ومرة أخرى يقول لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا وتارة يقول قد رأنا يا رسول الله فمن كثرة خوفه وارتبائه أصبح غير مسيطر على أعصابه وحركاته وسكناته، ألا يعلم هذا أن النبي الأكرم مسدد من قبل الله تعالى، ومن يكن قريباً منه

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم.

(٢) نقلاً عن فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج ٧، ص ١٥، ح ٣٦٥٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم.

فالطمأنينة يجب أن تجاريه في جميع أحواله طالما كان معتقداً بنبوته وأنه مرسل من عند الله تعالى ومسدد من قبله فكيف به يقوم بتهدئة النبي وفي أصعب الظروف والوقوف بين الجيشين والقيام بلزوم النبي وتهدئة غضبه وأن الله سينجز ما وعده ثم ألا يعلم ابن أبي قحافة أن النبي الأكرم أعلم منه وأن الله سينجز ما وعده.

وفي الرواية أيضاً أن عمر بن الخطاب يشير على النبي الأكرم أن يقتلوا الأسرى فيقوم علي بقتل أخيه عقيل ويقوم هو ويقتل نسيباً له ولكن في مسند أحمد بن حنبل يشير عمر على النبي الأكرم في قوله تمكن علياً عليه السلام من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هواده للمشركين هؤلاء صنائدهم... الحديث^(١).

أقول:

جاء في الرواية كلمة (فلان) وكان من ضمن الأسرى العباس بن عبدالمطلب عم النبي الأكرم لذا قال عمر وتمكن حمزة من أخيه العباس وفي الرواية التي نحن بصددها جاءت جملة أن عمر يطلب من النبي أن يضرب عنق فلان نسيباً لعمر فماذا يقول السيد العاملي؟

يقول: وهو طلب غريب حقاً كما أن سكوته عن فراغة وزعماء قریش أغرب وأعجب!! ولا سيما وهو يسمع النبي الأعظم عليه السلام يأمر الجيش وعمر من ومع الجيش بعدم قتل بني هاشم وهؤلاء بالذات وبعض من غيرهم لأنهم خرجوا مكرهين، هذا عدا عن أنه كان يعرف دفاعهم عن النبي عليه السلام في مكة ودخولهم معه الشعب وتحملهم المشاق والمتاعب في سبيله.

... لم يشهد معركة بدر أحد من بني عدي^(٢) وهم قبيلة عمر إذن فلسوف تكون الضربة في جلد غيره! وماذا يهم لو قتل الناس كلهم ما دام هذا الرجل لا يخاف على قومه وأهله. ومن هنا نعرف أن ما أضافه بعضهم حين ذكره لقول عمر ومكني من فلان فأضاف

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٣١، مسند عمر بن الخطاب.

(٢) راجع مغازي الواقدي، ج١، ص٤٥.

كلمة قريب لعمر كما يظهر من مراجعة الروايات التي تذكر كلام عمر هذا، لا يصح إذ لم يكن من أقارب عمر في بدر....

وعلى كل حال فقد سبقنا العباس بن عبدالمطلب ﷺ إلى إساءة الظن بعمر من هذه الناحية وذلك حين فتح مكة حتى إنه ليقول له حين أكثر في شأن أبي سفيان وأصر على قتله: لا مهلاً يا عمر أما والله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قتل هذا ولكنك عرفت أنه من رجال بني عبدمناف^(١).

إن من الواضح أن قتل الأقارب أمر مستبشع تنفر منه النفوس ولربما يوجب ذلك ابتعاد الناس عن الإسلام ومنعهم حتى من التفكير في الدخول في دين يكلفهم بمباشرة قتل إخوانهم، بل وقد يدفع ضعفاء النفوس من المسلمين إلى الارتداد إذا رأوا أنفسهم مكلفين بقتل أحبائهم وآبائهم بأيديهم مع إمكان أن يقوم غيرهم بهذا الأمر^(٢).
أضيف على ما ذكر السيد العاملي وأقول:

قال ابن عبدالبر القرطبي في كتابه الاستيعاب في ترجمة العباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ:

كان ممن خرج مع المشركين يوم بدر فأسر فيمن أسر منهم وكانوا قد شدوا وثاقه فسهر النبي ﷺ تلك الليلة ولم ينم، فقال له بعض أصحابه: ما أسهرك يا نبي الله؟ فقال: أسهر لأنين العباس، فقام رجل من القوم فأرخى من وثاقه فقال رسول الله ﷺ: ما لي لا أسمع أنين العباس؟ فقال رجل: أرخيت من وثاقه.
ويقول ابن عبدالبر:

أخرج إلى بدر مكرهاً، وفدى يومئذ عقيلاً ونوفلاً ابني أخويه أبي طالب والحارث من ماله وانهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم حنين غيره^(٣)!
لاحظ أن الرسول الأكرم لم يهدأ له بال وقد فارقه النوم في تلك الليلة بسبب سماع

(١) حياة الصحابة لمحمد بن يوسف الكاندهلوي، ج ١، ص ١٥٤، قصة فتح مكة، ط ١٣٨٩هـ، القاهرة.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ للسيد جعفر مرتضى العاملي، ج ٥، ص ١١٩، الغنائم والأسرى.

(٣) ج ٢، ص ٣٥٩، ترجمة ١٣٨٦هـ، ط ١٤١٥/١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، بتصرف.

أنين عمه العباس إلى أن فكوا وثاقه.

وقد كانت القوة للمسلمين بعد إسلام هؤلاء القوم، ومنهم العباس، وهم ممن لهم المنزلة الرفيعة في قريش، ولهم الكلمة المسموعة بين صناديد مكة وقريش، وقد ثبت العباس يوم حنين في حين أن جل الصحابة قد فروا وكذلك كان له من النسل - أي العباس - حتى قامت لهم دولة وقد سميت باسم العباس وأهل العامة يشيدون بتلك الدولة والحضارة التي حصلت في دولتهم، فلو كان قد قتل بعد الأسر لما كان كل ذلك الخير.

ثم أليس من الأولى أن تنزل آية تؤيد وتسلي النبي بدلاً من أن تعنفه وتوبخه ولو بالإشارة؟! في حين أن هذه الآية تنزل موافقة لقول عمر وتكون معارضة لما يهواه النبي ويستحسنه!

وكذلك من الفوائد التي حصلت بعدم قتل هؤلاء قول النبي لهم: من يقرأ ويكتب منكم فليعلم عشرة من المسلمين، وكذلك من كانت لديه الأموال فليقد نفسه بماله، وهذا مما عاد بالنفع على المسلمين حيث كانوا بأمس الحاجة للمال.

وأما عقيل بن أبي طالب فيقول النبي الأكرم أنه قد أخرج إلى بدر مكرهاً^(١).

وقول ابن الخطاب للنبي الكريم (مكن علياً من عقيل فيضرب عنقه)! فهل كان ابن الخطاب شاكاً في إيمان الإمام علي عليه السلام حتى أراد أن يمتحنه مثلاً؟!

وهل كان بينه وبين عقيل ما أخفاه عنا التاريخ ولم يوصله لنا الرواة؟! وذلك لأن عقيلاً كان يجتمع إليه في علم النسب وأيام العرب!

وهل كان عقيل يعلم ما كان يخشاه عمر من البوح به غداً، لذا تراه يريد التخلص منه وبهذه السرعة؟!

(١) الاستيعاب لابن عبد البر القرطبي، ج ٣، ص ١٨٧، ترجمة ١٨٥٣.

باب جواز قتال من نقض العهد

٥٣٨... أبا سعيد الخدري قال نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فأتاه على حمار فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله ﷺ للأنصار قوموا إلى سيدكم (أو خيركم) ثم قال إن هؤلاء نزلوا على حكمك قال تقتل مقاتلتهم وتسبي ذريتهم قال فقال النبي ﷺ قضيت بحكم الله وربما قال قضيت بحكم الملك ولم يذكر ابن المثنى وربما قال قضيت بحكم الملك.

٥٣٩. زهير بن حرب حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن شعبة بهذا الإسناد وقال في حديثه فقال رسول الله ﷺ لقد حكمت فيهم بحكم الله وقال مرة لقد حكمت بحكم الملك.

٥٤٠... عن عائشة قالت أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له ابن العرقه رماه في الأكلح فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة في المسجد يعوده من قريب فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح فاغتسل فأتاه جبريل وهو ينفذ رأسه من الغبار فقال وضعت السلاح والله ما وضعناه أخرج إليهم فقال رسول الله ﷺ فأين فأشار إلى بني قريظة فقاتلهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ فرد رسول الله ﷺ الحكم فيهم إلى سعد قال فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبي الذرية والنساء وتقسم أموالهم.

٥٤١. أبو كريب حدثنا ابن نمير حدثنا هشام قال قال أبي فأخبرت أن رسول الله ﷺ قال لقد حكمت فيهم بحكم الله ﷻ.

قال الواقدي: كان رسول الله ﷺ حين قدم صالح قريظة والنضير ومن بالمدينة من اليهود ألا يكونوا معه ولا عليه ويقال صالحهم على أن ينصروه ممن دهمه منهم ويقيموا على معاقلمهم الأولى التي بين الأوس والخزرج أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها^(١).

كان حيي بن أخطب يقول لأبي سفيان بن حرب ولقريش في مسيره معهم إن قومي قريظة معكم وهم أهل حلقة وافرة هم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلاً فلما دنوا قال أبو سفيان لحيي بن أخطب ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذي بينهم وبين محمد فذهب حيي حتى أتى بني قريظة... فقال كعب يا حيي إني عاقدت محمداً وعاهدته فلم نر منه إلا صدقاً والله ما أخفر لنا ذمة ولا هتك لنا سترأ ولقد أحسن جوارنا فقال حيي ويحك إني قد جئتك ببحر طام وبعز الدهر جئتك بقريش على قاداتها وساداتها... قد قادوا الخيل وامتلوا الإبل والعدد عشرة آلاف والخيل ألف وسلاح كثير ومحمد لا يفلت في فورنا هذا وقد تعاهدوا وتعاهدوا ألا يرجعوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه وأقسم حيي لكعب وقال لك ما في التوراة التي أنزلت على موسى يوم طور سيناء لئن لم يقتل محمد في هذه الفورة لأدخلن معك حصنك حتى يصيبني ما يصيبك... فلم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى لان له... فنقض كعب العهد الذي كان بينه وبين رسول الله ﷺ ودعا حيي بالكتاب الذي كتب رسول الله ﷺ بينهم فشقه حيي فلما شقه حيي علم أن الأمر قد لحم وفسد^(٢).

ويقول أي الواقدي جاء عمر رضي الله عنه فقال يا رسول الله بلغني أن بني قريظة قد نقضت العهد وحاربت فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ وقال من نبعث يعلم لنا علمهم^(٣). ثم دعا رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عباد وأسيد بن حضير فقال نه قد بلغني أن بني قريظة قد نقضوا العهد الذي بيننا وبينهم وحاربوا فاذهبوا فانظروا إن كان ما بلغني حقاً فإن كان باطلاً فأظهروا القول وإن كان حقاً فتكلموا بكلام تلحنون لي به

(١) المنازي لمحمد بن عمر بن واقد، ج ٢، ص ٤٥٤، غزوة الخندق، ط طهران.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٤٥٦.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٤٥٧.

أعرفه لا تفتوا أعضاد المسلمين فلما انتهوا إلى كعب بن أسد وجدوا القوم قد نقضوا العهد فنادوهم الله والعهد الذي كان بينهم أن يرجعوا إلى ما كانوا عليه قبل ذلك قبل أن يلتحم الأمر وألا يطيعوا حيي بن أخطب فقال كعب لا نرده أبداً قد قطعته كما قطعت هذا القبال - لقبال نعله - . ووقع كعب بسعد بن معاذ يسبه فقال أسيد بن حضير تسب سيدك يا عدو الله ما أنت له بكفاء أما والله يا ابن اليهود لتولين قريش إن شاء الله منهزمة وترتك في عقر دارك فتنسیر إليك فتنزل من جحرك هذا على حكمننا وإنك لتعلم النصير كانوا أعز منك وأعظم بهذه البلدة ديتك نصف ديتهم وقد رأيت ما صنع الله بهم وقبل ذلك بنو قينقاع نزلوا على حكمننا قال كعب يا ابن الحضير تخوفوني بالمسير إلي أما والتوارة لقد رأني أبوك يوم بعث لولنا نحن لأجلته الخزرج منها إنكم والله ما لقيتم أحداً يحسن القتال ولا يعرفه نحن والله نحسن قتالكم ونالوا من رسول الله ﷺ ومن المسلمين أقبج الكلام وشتموا سعد بن عبادة شتماً قبيحاً حتى أغضبوه فقال سعد بن معاذ دعهم فإننا لم نأت لهذا، ما بيننا أشد من المشاتمة، السيف!

وكان الذي يشتم سعد بن عبادة نباش بن قيس فقال عضضت ببظر أمك، فانتفض سعد بن عبادة غضباً فقال سعد بن معاذ إني أخاف عليكم مثل يوم بني النصير قال غزال بن سموأل أكلت أير أبيك! قال سعد بن معاذ غير هذا القول أحسن منه.

قال ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فلما انتهوا إلى النبي ﷺ قال سعد بن عبادة عضل والقارة، وسكت الرجلان - يريد بعضل والقارة غدرهم بخبيب وأصحاب الرجيع، ثم جلسوا فكبر رسول الله ﷺ وقال أبشروا يا معشر المسلمين بنصر الله وعونه وانتهى الخبر إلى المسلمين بنقض بني قريظة العهد فاشتد الخوف وعظم البلاء.

قالوا ونجم النفاق وفشل الناس وعظم البلاء واشتد الخوف وخيف على الذراري والنساء وكانوا كما قال الله تعالى ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ۗ وَالْأَحْزَابُ ۙ ۱۰ ﴾، ورسول الله ﷺ والمسلمون وجاه العدو لا يستطيعون الزوال عن مكانهم يعتقبون خندقهم ويحرسونه وتكلم قوم بكلام قبيح فقال معتب بن قشير يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى حاجته

وما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً^(١).

نعم لقد حشد رأس الشرك أبو سفیان هذا الحشد الهائل لمواجهة المسلمين وعلى رأسهم سيد البشر النبي ﷺ زاعماً أنه يريد استئصال شأفة هذا الدين وأتباعه ولكن الله تعالى خذله وأصحابه ونصر نبيه الأكرم في هذه المعركة غير المتكافئة لا من حيث العدد ولا من حيث العتاد وكان أول الغيث أن فارس ليليل عبر الخندق وجعل يدعو إلى البراز ويقول:

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

وعمر بن عبدود العامري هذا قد شهد بدرًا ولم يشهد أحداً وحرم الدهن حتى يثأر من محمد وأصحابه فلما دعا إلى البراز قال علي ﷺ أنا أبارزه يا رسول الله ثلاث مرات وإن المسلمين يومئذ كأن على رؤوسهم الطير لمكان عمرو وشجاعته فأعطاه رسول الله سيفه وعممه وقال اللهم أعنه عليه وأقبل عمرو وهو فارس وعلي راجل فقال له علي ﷺ إنك كنت تقول لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها قال أجل قال علي فإني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قال يا ابن أخي أحر هذا عني قال فترجع إلى بلادك قال هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبداً وقد نذرت ما نذرت وحرمت الدهن قال فالثالثة قال البراز قال فضحك عمرو ثم قال إن هذه الخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يرومني عليها إني أكره أن أقتل مثلك وكان أبوك لي نديماً فارجع فأنت غلام حدث.

فقال علي ﷺ: فإني أدعوك إلى المبارزة وأنا أحب أن أقتلك وكان جابر يقول فدنا أحدهما من صاحبه وثار بينهما غبرة فما نراهما فسمعنا التكبير تحتها فعرفنا أن علياً قتله فانكشف أصحابه الذين في الخندق هاربين^(٢).

وفي رواية للحسكاني: فقال له علي فأنت فارس وأنا راجل فنزل عن فرسه وقال ما لقيت من أحد ما لقيت من هذا الغلام، ثم ضرب وجه فرسه فأدبرت ثم أقبل إلى علي وكان رجلاً طويلاً - يداوي دبر البعيرة وهو قائم - وكان علي في تراب دق لا يثبت

(١) نفس المصدر السابق، ص ٤٥٩.

(٢) المغازي للواقدي، ج ٢، ص ٤٧١، بتصريف.

قدماء عليه فجعل علي ينكص إلى وراءه يطلب جلدأ من الأرض يثبت قدميه ويعلوه عمرو بالسيف وكان في درع عمر قصر فلما تشاك بالضربة تلقاها علي بالترس فلحق ذباب السيف في رأس علي حتى قطعت تسعة أكوار حتى خط السيف في رأس علي وتسيف علي رجله بالسيف من أسفل فوقع على قفاه فثارت بينهما عجاجة فسمع علي يكبر^(١).

وكان النصر للمسلمين وخاب سعي المشركين واليهود وهذا الحشد الكبير الذي ألهم وحرضهم أبو سفيان هذا الذي كان يحمل لواء العداء للنبي الأكرم هذا الذي كان يؤمل أصحابه بالنصر على محمد واستئصال دينه ومن يتعبد به.

خابت بنو قريظة ومن شدة خوفهم وهلعهم من النبي ولما ارتكبه من خيانة العهد ونقض الصحيفة وتمزيقها رفضوا حكم النبي فيهم خوفاً من أن يقسو في حكمه عليهم وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عدم ثقتهم بالنبي وبحكمه أيضاً، لذا طلبوا منه أن يحكم فيهم سعد بن معاذ وكان هذا الأخير أوثق من النبي عندهم وتطمئن القلوب له ولحكمه، فماذا يقول الواقدي في مغازيه؟

يقول: بعد الانتهاء من معركة الخندق سار النبي إلى بني قريظة وخافت بنو قريظة خوفاً شديداً وقالوا محمد يزحف إلينا^(٢).

فأحاطوا بحصونهم من كل ناحية فجعل المسلمون يرمونهم بالنبل والحجارة حتى أيقنوا بالهلكة وقالوا نريد أن نكلم محمداً فقال النبي الأكرم نعم فأنزلوا نباش بن قيس فكلم رسول الله وقال ننزل على ما نزلت عليه بنو النضير لك الأموال والحلقة^(٣) وتحقن دماننا ونخرج من بلادكم بالنساء والذراري ولنا ما حملت الإبل إلا الحلقة فأبى رسول الله

(١) شواهد التنزيل للحسكاني، من أعلام القرن الخامس الهجري، ج٢، ص١١-١٢، ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَالِ﴾ الأحراب/٢٥.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٤٩٦، بتصريف.

(٣) الحلقة: كل شيء استدار كحلقة الحديد والفضة والذهب وكذلك معناه الدروع والسلاح عموماً. (لسان العرب لابن منظور).

وقال إلا أن تنزلوا على حكمي^(١).

يقول الصنعاني في مصنفه: وأبو أن ينزلوا على حكم النبي ﷺ^(٢).

نعم.. بعد أن رأوا النبي الأكرم لا يستجيب لمطالبهم طلبوا منه أن يحكم فيهم غيره واتفقوا على أن يكون سيد الأوس سعد بن معاذ هو الذي يحكم فيهم لأنه حليفهم راجين بذلك أن يصفح ويعفو عنهم، فقبل النبي ذلك.

ويقول الصنعاني: حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ^(٣).

قال الواقدي: قال سعد فإني أحكم فيهم أن يقتل من جرت عليه الموسيقى وتسبى النساء والذرية وتقسم الأموال^(٤).

يقول السيد جعفر العاملي: ألم يكن من المناسب أن يستفيد بنو قريظة من عفو الإسلام وصفح النبي الكريم كما استفاد إخوانهم بنو النضير وبنو قينقاع من قبل، فيكتفي بإجلالهم وتقسيم أموالهم وأراضيهم؟!

وقد طلبوا هم أنفسهم أن يعاملهم ﷺ بنفس ما عامل به بني النضير من قبل فرفض طلبهم وأصر أن ينزلوا على حكمه.

لقد انتقد بعض الكتاب الأوروبيين هذا الحكم ووصفوه بأنه وحشي وغير إنساني.

ونحن في مقام التوضيح نلمح إلى الأمور التالية:

أولاً إن بني قريظة أنفسهم قد رفضوا النزول على حكم رسول الله ﷺ وقبلوا بالنزول على حكم حليفهم سيد الأوس سعد بن معاذ الأمر الذي يشير إلى أنهم كانوا يسيئون الظن فيما يرتبط بحكم رسول الله عليهم ولا يثقون أو فقل لا يعتمدون على كرمه وحلمه وسماحته وإمكانية صفحه عنهم رغم أننا لا نستبعد صفحه ﷺ لو أنهم قبلوا بالنزول على حكمه.

(١) نفس المصدر السابق، ص ٥٠، بتصرف.

(٢) ج ٥، ص ٣٧٠، ح ٩٧٣٧، وقعة الأحزاب وبني قريظة.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) المغازي للواقدي، ج ٢، ص ٥١٢.

ويرون أن سعد بن معاذ وهو من الأوس حلفائهم في الجاهلية أقرب إلى أن يعاملهم بالصفح والعتو والكرم وذلك حسب منطقهم الجاهلي الجاهل بحقيقة الإسلام وبما أحدثه في عقلية الناس ونفوسهم من تغيرات.

وثانياً: إن جريمة بني قريظة تختلف في حجمها وفي خطورتها على الإسلام والمسلمين ولا تقاس بجريمة بني النضير وقينقاع.

فقد تحرك بنو قريظة في خط الخيانة وتوغلوا فيها إلى درجة أصبح معها أساس الإسلام في خطر أكيد وشديد لاسيما وأن ما بنوا عليه كل مواقفهم هو استئصال شأفة الإسلام وإبادة الوجود الإسلامي بصورة تامة وحاسمة ولم يكن بنو النضير ولا بنو قينقاع قد توغلوا في أمر الخيانة إلى هذا الحد.

مع الإشارة إلى أن هدف بني قريظة كان في مستوى الحسابات العملية التي اعتمدا عليها قريب المنال وقد خطوا خطوات عملية لإنجاز هذا المهم وللوصول إلى ذلك الهدف حتى على مستوى التحرك العسكري الذي يستهدف تمكين الأحزاب وهم معهم من اجتياح الوجود الإسلامي وسحقه وإبادة المسلمين خصوصاً النبي وبني هاشم.

أما نقض بني النضير للعهد فقد بقي في حدود الإصرار على إظهار التمرد والغطرسة والطغيان فلا يمكن أن تتساوى عقوبة بني قريظة مع عقوبة بني النضير وقد طلب القريظيون أن يعاملهم كبني النضير فرفض إلا أن ينزلوا على حكمه.

وثالثاً لا ريب في أن سكوت النبي على الغطرسة اليهودية ثم القبول بترميم العلاقات مع اليهود ولو جزئياً لا يبقى مصداقية للعهد والمواثيق لما يتركه نقضها من سلبيات خطيرة في هذا المجال حيث يضعف تأثيرها في ضبط الأمور وحفظ الكيان العام وسيزيد من الاعتماد على القوة المسلحة في حسم الأمور على مستوى العلاقات فيما بين القوى المتجاورة وتقل فرص التعايش السلمي بين الفئات المختلفة في داخل الدولة الواحدة وحتى على مستوى العلاقات بين الدول والقوى المختلفة.

أضف إلى ذلك أن التساهل في مواجهة الأعمال الخيانية التي بهذا الحجم لسوف يسهل على الآخرين خيانات قد تكون أشد خطراً وأعظم أثراً في التدمير على قاعدة إن كان ثمة نجاح فهو غاية المنى وإن فشلت المحاولة فلن تكون النتيجة في غاية السوء وإن

كانت سيئة إلى حد ما لكنها تسمح بانتظار فرص أكبر وحظ أوفر.

ورابعاً إن حكم سعد بن معاذ قد جاء وفق ما يحكم به اليهود أنفسهم على الآخرين في حالات هي أدنى من حيث المبررات الموضوعية من الحالة التي توغل إليها بنو قريظة.

فاليهود هم الذين كتبوا في توراتهم المحرفة عن المدينة التي يدخلونها عنوة: وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك.

وثمة نصوص أخرى أكثر عنفاً وقسوة في هذا المجال... فإنها تأمر بإحراق المدينة بكل ما فيها مع بهائمها وقتل جميع سكانها بحد السيف ثم إحراق المدينة بالنار فتكون تلاً إلى الأبد.

وخامساً ما الذي يضمن أن لا يعود بنو قريظة إلى نقض العهد وتسديد الضربة القاصمة والقاضية حين تسنح لهم الفرصة لذلك.

فإن ظروفاً طارئة خارجة عن حدود اختيارهم أوجبت فشلم في تنفيذ خطتهم الجريئة وذلك بسبب الخندق ثم ضربة علي عليه السلام القاصمة لقيادة جيش الشرك ثم التدخل الإلهي بإرسال الريح والجنود بالإضافة إلى الخلافات التي نشأت بينهم وبين الأحزاب ثم ارتحال الأحزاب وغير ذلك من أمور تقدمت.

ولولا ذلك لتحققت أهدافهم الشريرة وكان الإسلام والمسلمون في خير كان.

ولو أنه عليه السلام تركهم ثم عادوا إلى الخيانة فإن استئصالهم والحالة هذه قد يكون أصعب بل يصبح متعذراً بعد أن تلقى الناس صفحه عنهم في المرة الأولى بالقبول، وقد يفهم الكثيرون أنه قد جاء عن استحقاق منهم للعفو وأنه لا يحق له أن يتخذ في حقهم أي إجراء آخر.

والذي لا بد من الوقوف عنده هنا هو حكم سعد بن معاذ فيهم الذي جاء موافقاً للحكم الشرعي الإلهي ومنسجماً معه وذلك هو حكم العقل والفطرة والضمير الحي

والوجدان الرضي، وقد ارتضوا هم أنفسهم بحكم سعد مسبقاً بل هم الذين اختاروه للحكم.

وسادساً قال الدكتور إسرائيل ولفنسون: وأما المنافقون فقد خفت صوتهم بعد يوم قريظة ولم نعد نسمع لهم أعمالاً وأقوالاً تناقض إرادة النبي وأصحابه كما يفهم ذلك من قبل....

عهد قريظة مع الأوس وعهدهم مع النبي ﷺ:

والغريب في الأمر أن نجد بني قريظة يلجأون إلى سعد بن معاذ نفسه لينقذهم من ورطتهم وذلك استناداً إلى الحلف الذي كان بينهم وبين الأوس.

مع أنهم هم أنفسهم قد نقضوا حلفهم مع محمد ﷺ وأعلنوا بذلك صراحة لسعد بن معاذ نفسه وقالوا له أكلت (كذا) أبيك فهذا النقض للحلف الذي جرهم لهذا المصير الأسود قد كان سعد الطرف الرئيس فيه وقد حاول معالجته لصالحهم فلم يفلح وأظهروا من الخبث ما جعله يعرفهم على حقيقتهم ويطمئن لما هم فيه من سوء نية وخبث طوية وها هم اليوم يطالبون سعداً بترميم ما نقضوه من عهد استناداً إلى عهد آخر.

لكن الفرق بين العهدين كالنار على المنار وكالشمس في رابعة النهار وكان سعد مدركاً لذلك بلا ريب فإن عهدهم مع الأوس قد فرضته ظروفهم الجاهلية التي لا تتبنى العدل وقضايا الإنسان والإنسانية أساساً لما تبرمه من عهود أو تقوم به من تحالفات.

أما عهدهم مع النبي والمسلمين فقد فرضته قضية الإنسان وضرورات الحياة الكريمة والفاضلة والحرص على إنسانية الإنسان وبهدف إبعاده وإبعاد الشرور والآفات عنه.

تحكيم ابن معاذ لطف إلهي:

ولا ننسى هنا أن تحكيم سعد بن معاذ بالذات له دلالاته الهامة فإن ذلك من التوفيقات والألطف الإلهية بالمسلمين وذلك من أكثر من جهة:

فمن جهة كان سعد رئيس الأوس - بل كان سيد الأوس وغيرهم - كما أشار إليه النبي ﷺ بقوله للصحابة قوموا إلى سيدكم، ونود أن نمعن النظر جيداً في تأكيد النبي على سيادة سعد هنا ثم أمره الصحابة بأن يقوموا لسيدهم.

وإذا حكم الرئيس فإن الجميع يرى حكمه ملزماً ونافاذاً ويراها صادراً وفق مصلحة مرؤوسيه ومن خلال حسابات دقيقة وعن إشراف تام على مختلف الحثيات التي ينبغي ملاحظتها في حكم خطير كهذا.

فليس ثمة أية رعونة في اتخاذ القرار ولا يعاني القرار من جهل في الحثيات الموضوعية والاجتماعية والسياسية التي لا بد من أخذها بنظر الاعتبار في إصدار أي حكم.

ومن جهة ثانية فإن هذا الحكم من سعد كما أنه أحرق كل خيوط الأمل لبني قريظة فإنه أيضاً قد أحرق قلوبهم فإنه جاء من أولئك الذين يرون أنهم يهتمون بالحفاظ على حياتهم أكثر من الآخرين.

وإذ بهم يهتمون بالقضاء عليهم ويصرون على ذلك فيحكمون عليهم بالموت ثم يشاركون عملاً في تنفيذ ذلك الحكم الصادر.

فأي فجيعة لهم أكثر من تلك الفجيعة التي زادها ألماً وضرماً ما يرونه من رسوخ الدعوة المحمدية وعلو نجمها واشتداد شوكتها واتساع نفوذها يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة^(١).

ويقول السيد جعفر العاملي أيضاً: إن رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أنبت من بني قريظة وكان من شك في بلوغه نظر إلى مؤثره فإن كان أنبت قتل وإلا طرح في السبي^(٢).

قال ابن الجوزي: فحكم فيهم أن يقتل كل من حزب عليه وتغنم المواشي وتسبي النساء والذراري وتقسم الأموال، فقال رسول الله ﷺ لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة^(٣).

فكلمة حزب عليه أصبحت بعد تصحيفها وإضافة كلمة واحدة إليها للتوضيح هكذا

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، ج ١١، ص ١٦٩، عدالة الحكم على بني قريظة.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٨٠.

(٣) الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي، ص ٧١٥، الباب ٢١، في ذكر غزاة بني قريظة، ط ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الخلاصة:

بعد أن رفض بنو قريظة أن يحكم النبي الأكرم فيهم واختاروا وارتضوا سعد بن معاذ ليحكم فيهم وافقهم النبي في ذلك وإقامة الحجّة الدامغة عليهم فأصدر سعد بن معاذ حكمه وقال يقتل كل من قاتلهم ومن شارك وساعد وأعان اليهود على القتال كما ورد في جملة (كل من حزب عليه) وهو الأقرب لأخلاق النبي الأكرم وليس كل من جرت عليه الموسى أي الذي أنبت ومن دون ذنب يقتل، فلله در السيد جعفر مرتضى العاملي الذي أراحنا من عناء البحث والتدقيق والتنقيب في بطون الكتب وقد حل لنا هذا الإشكال الذي من خلاله يتسلل العدو ويطعن في شخص نبينا الأعظم وقساوة حكمه على بني قريظة وقد نفذ النبي الأكرم عليهم حكم سعد وذلك كي يعتبر بنو قريظة بأن أسيادهم هم الذين جنوا عليهم بعنادهم ورفضهم لحكم النبي أول الأمر ولكن لا زال الإشكال الأخير محل نظر وهو قول النبي لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبعة أرعة أي فوق سبع سموات وفي رواية قضيت بحكم الله أو بحكم الملك وإن كان حقاً ما قيل في سعد وإن حكمه قد وافق حكم الله فلاحتمال الأقوى أن سعداً هذا كان قد سمع من اليهود والنصارى أن الحكم على من خان العهد القتل أو أنه كان قد قرأ ما في التوراة من أحكام اليهود في ذلك، لأن بعض الأحكام متشابهة بين الأديان ومنها حكم الخائن الغادر الناقض للعهد، هذا بالإضافة إلى أنه كان قد سمع حكم الإسلام في ذلك أيضاً، لذا وافق حكمه، حكم الله ﷻ.

ولا تزال القضية محل بحث في بعض وقائعها.

(١) الصحيح من سيرة النبي ﷺ للسيد جعفر العاملي، ج ١١، ص ١٧٣.

باب غزوة حنين

٥٤٢.... يونس عن ابن شهاب قال حدثني كثير بن عباس بن عبدالمطلب قال قال عباس شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولي المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار قال عباس وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال عباس وكان رجلاً صيتاً فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ﷺ هذا حين حمي الوطيس قال ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم قليلاً وأمرهم مدبراً وحدثناه إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن رافع وعبدالله بن حميد جميعاً عن عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري بهذا الإسناد نحوه غير أنه قال فروة بن نعامه

الجذامي وقال انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة وزاد في الحديث حتى هزمهم الله قال وكأني أنظر إلى النبي ﷺ يركض خلفهم على بغلته وحدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري قال أخبرني كثير بن العباس عن أبيه قال كنت مع النبي ﷺ يوم حنين وساق الحديث غير أن حديث يونس وحديث معمر أكثر منه وأتم.

٥٤٣. حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن أبي إسحاق قال قال رجل للبراء يا أبا عمارة أفررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله ﷺ ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسراً ليس عليهم سلاح أو كثير فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب يقود به فنزل فاستنصر وقال:

أنا النبي لا كذب

أنا ابن عبدالمطلب

ثم صفهم.

٥٤٤. وحدثنا زهير بن حرب حدثنا عمر بن يونس الحنفي حدثنا عكرمة بن عمار حدثني إياس بن سلمة حدثني أبي قال غزونا مع رسول الله ﷺ حينئذ فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم فتوارى عني فما دريت ما صنع ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلوعوا من ثنية أخرى فالتقوا هم وصحابة النبي ﷺ فولى صحابة النبي ﷺ أرجع منهزماً وعلي بردتان متزراً بإحدهما مرتدياً بالأخرى فاستطلق إزاري فجمعتهما جميعاً ومررت على رسول الله ﷺ منهزماً وهو على بغلته الشهباء فقال رسول الله ﷺ لقد رأى ابن الأكوح فرعاً فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال شأهت الوجوه فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله ﷻ وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين.

قبل الخوض في الحديث والتعليق عليه يجب أن أنبه القارئ الكريم على أمور مهمة

وهي:

ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات^(١). قال القسطلاني في شرحه: (اجتنبوا السبع الموبقات)... المراد بها الكبائر، (والتولي يوم الزحف) أي الإعراض والفرار يوم القتال في الجهاد^(٢). وفي صحيح مسلم عن جابر قال لم نبايع رسول الله ﷺ على الموت إنما بايعناه على أن لا نفر^(٣).

وألفت انتباهك أيها القارئ الكريم أيضاً أن بيعة الرضوان كانت يوم الحديبية وقد تمت البيعة (على أن لا يفروا) كل ذلك تم تحت الشجرة وسميت ببيعة الرضوان، وفيها قال تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الفتح/١٨. ونحن نعلم أيضاً أن بيعة الرضوان كانت قبل معركة حنين وهذا ما لا يشك ولا يختلف فيه اثنان.

أقول:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾... الآية، إن هذا الرضا وقتي... أي أنه ليس إلى آخر العمر، وإلا فإن من هؤلاء الصحابة من فر يوم حنين! ويشترط الإيمان فيمن ﷺ، فهل كل من بايع كان مؤمناً؟ وإلا فهذا التأريخ بين أيدينا، فهؤلاء الألف والأربعمئة الذين بايعوا تحت الشجرة أكثرهم ممن غير وبدل، فالرضا كان آنياً.

وفي فرارهم من ساحة المعركة يوم حنين كان هؤلاء الصحابة قد نقضوا البيعة بفرارهم! لأنهم كانوا قد بايعوا النبي الأكرم تحت الشجرة يوم الحديبية على أن لا يفروا فيكون الرضا من الله قد انقطع عنهم حين نقضوا شروط البيعة بفرارهم ذلك.

(١) كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رمي المحصنات.

(٢) إرشاد الساري، ج ١٤، ص ٣١٥، ح ٦٨٥٧.

(٣) كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش.

ولنوجز سبب فرارهم يوم حنين:

قال الطبري في تفسيره:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ التوبة: ٢٥.

﴿وَإِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُكُمْ﴾ كانوا ذلك اليوم فيما ذكر لنا إثني عشر ألفاً. وروي أن النبي ﷺ قال: ذلك اليوم لن تغلب من قلة!!

وقيل: قال رجل (!) من المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ.

لاحظ أن الطبري نسب هذا القول للنبي الأكرم، وهو قول ينم عن العجب والتكبر! فمتى كانت الغلبة للكثرة؟! وهل يعقل أن يصدر مثل هذا القول من رسول الله ﷺ؟! الذي كان متكلاً في جميع أموره وشؤون حياته على الله جل وعلا، وعلى الأخص في معاركه مع أهل الكفر كمعركة بدر وأحد حيث كان جيش المشركين يعادل ثلاثة أضعاف جيش المسلمين.

قال تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ الأنفال: ٦٥، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال: ٦٦.

فعلى ضوء هذه الآيات الكريمة محال أن يكون ذلك القول قد صدر من نبينا الأعظم! ويقول الطبري أيضاً: (وقيل قال رجل)!

يا ترى من هذا الرجل الذي لم يصرح الطبري باسمه؟!

قال الزمخشري في تفسيره:

قال رجل من المسلمين (لن تغلب اليوم من قلة)، فساءت رسول الله ﷺ. وقيل: قائلها رسول الله ﷺ، وقيل: أبو بكر^(١).

وفي كتاب المغازي:

(١) ج ١٠، ص ١١٤، ط ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) ج ٢، ص ٢٥٩، سورة التوبة، آية ٢٥، ط البلاغة.

عن سعيد بن المسيب قال أبو بكر:.... يا رسول الله لا تغلب اليوم من قلة^(١).
فيتبين لنا أن أصحاب التفاسير والسير أرادوا أن يموهوا على القارئ المسلم باخفاء
إسم القائل (لن تغلب اليوم من قلة) ولكي يخرجوا صاحبهم من هذه الورطة فنسبوا ذلك
القول للنبي الأكرم!!

فتارة نسبوا ذلك القول إلى (رجل)، وتارة أخرى ذكروا اسم أبي بكر!
إذن، الشبهات تحوم حول ابن أبي قحافة لا غير، هذا ما أردنا الإشارة إليه بأن ابن
أبي قحافة كان السبب الرئيسي في فرار الصحابة من أثر ذلك العجب! والغرور! فجاء
العقاب الإلهي الفوري بسبب ما ذكرنا.

وأخيراً أقول: عندما جاء عروة بن مسعود إلى النبي ﷺ كي يمهد لصلح الحديبية
قال للنبي الأكرم: إني أرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك^(٢)!
يقول ابن حجر: الأشواب: الأخلاق من أنواع شتى.
خليقاً: أي حقيقاً.

يدعوك: أي يتركوك وفيه أن العادة جرت أن الجيوش الممجة لا يؤمن عليها
الفرار^(٣).

أقول:

وقد صدق عروة في ذلك فكما أنهم فروا يوم أحد فكذلك أيضاً فروا يوم حنين
وكان من عادة الصحابة الكرام الفرار!! لذا ترى عروة يقول للنبي إن هؤلاء سيخذلونك
ويدعوك بين سيوفنا وحيداً فريداً وكان قريشاً قد أصابت في اختيارها لهذا الوسيط الحذق
العارف بمعادن الرجال^(٤)!

(١) لمحمد بن عمر الواقدي، ج٣، ص٨٩٠، ط طهران.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد.

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج٥، ص٤١٤، ح٢٢٧٣٢.

(٤) الحذق: الماهر في كل عمل. (لسان العرب لابن منظور).

باب فتح مكة

٥٤٥. حدثني عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي حدثنا يحيى بن حسان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت عن عبد الله بن رباح قال وفدنا إلى معاوية بن أبي سفيان وفينا أبو هريرة فكان كل رجل منا يصنع طعاماً يوماً لأصحابه فكانت نوبتي فقلت يا أبا هريرة اليوم نوبتي فجاؤوا إلى المنزل ولم يدرك طعامنا فقلت يا أبا هريرة لو حدثتنا عن رسول الله ﷺ حتى يدرك طعامنا فقال كنا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح فجعل خالد بن الوليد على المعجنة اليمنى وجعل الزبير على المعجنة اليسرى وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادي فقال يا أبا هريرة ادع لي الأنصار فدعوتهم فجاؤوا يهرولون فقال يا معشر الأنصار هل ترون أوباش قريش قالوا نعم قال انظروا إذا لقيتموهم غداً أن تحصدوهم حصداً وأخفى بيده ووضع يمينه على شماله وقال موعدكم الصفا قال فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه قال وصعد رسول الله ﷺ الصفا وجاءت الأنصار فأطافوا بالصفا فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله أبيت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم قال أبو سفيان قال رسول الله ﷺ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن فقالت الأنصار أما الرجل فقد أخذته رافة بعشيرته ورغبة في قريته ونزل الوحي على رسول الله ﷺ قال قلت أما الرجل فقد أخذته رافة بعشيرته ورغبة في قريته ألا فما اسمي إذاً ثلاث مرات أنا محمد عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم قالوا والله ما قلنا إلا ضناً بالله ورسوله قال فإن الله ورسوله

يصدقانكم ويعذرانكم.

قال العثماني: (وفدت) قائله عبدالله بن رباح الرواي عن أبي هريرة والمراد أنه وفد إلى معاوية... وهو بالشام وكان في الوفد أبو هريرة وعبدالله بن رباح. ويقول العثماني:... وكان أبو هريرة كثيراً ما يدعوننا إلى رحله فففيه ما كان عليه السلف من الكرم والمنافسة فيه وبر بعضهم بعضاً^(١).

وقال الأببي في شرحه: (فجاؤوا إلى المنزل فلم يدرك طعامنا... قال لو حدثنا قال أبو هريرة ألا أحدثكم ثم ذكر فتح مكة فقال أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة) اختار ذكر فتح مكة ليعلم من لم يحضره من أبناء الأنصار ولذا قال (ألا أحدثكم بحديثكم) ففيه أن أحسن ما يتحدث به في الاجتماع لطعام اللواتم وانتظار طعامها مثل هذا من أخبار الحدثنان والحروب لنشاط النفوس بسماعه وقطع مدة الانتظار المذكور^(٢).

هذه الرواية وما فيها للدليل قاطع على صحة من قال في هذا الدوسي أنه كان يتشيع لمعاوية وكان نهماً وكان وكان ولنضرب ونأخذ أمثلة على ذلك.

قال ابن العماد الحنبلي: كان يصلي خلف علي ويأكل على سماط معاوية ويعتزل القتال ويقول الصلاة خلف علي أتم وسماط معاوية أدمم وترك القتال أسلم^(٣).

لاحظ نهم أبي هريرة للطعام! نعم قد لازمه هذا النهم طول عمره، فمن يوم أن جاء إلى النبي الأكرم ودخل الإسلام بعد وقعة خيبر إلى أن كان يجلس على دكة الصفة يتكفف أبواب الصحابة ويمد لهم يد الذل ويسألهم أن يطعموه إلى أن أصبح عريفاً لأهل الصفة أي أنه رقى نفسه بنفسه حتى أصبح أشهر أهل الصفة ومن ثم أصبح يخرج في رحلات إلى الشام لدسومة طعام معاوية.

وفي الحلية: إن أبا هريرة كان في سفر فلما نزلوا وضعوا السفارة وبعثوا إليه وهو يصلي فقال إني صائم فلما كادوا يفرغوا جاء فجعل يأكل الطعام فنظر القوم إلى رسولهم

(١) تكملة فتح الملهم، ج ٩، ص ١٤٠، ح ٤٥٩٨ و ٤٦٠٠.

(٢) إكمال إكمال المعلم، ج ٦، ص ٤٠٣، ح ١٧٨٠.

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبدالحى بن العماد الحنبلي، المتوفى ١٠٨٩هـ، ج ١، ص ٦٤، سنة سبع وخمسين.

فقال ما تنظرون قد والله أخبرني أنه صائم فقال أبو هريرة صدق إني سمعت رسول الله ﷺ يقول صوم شهر رمضان وصوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر وقد صمت ثلاثة أيام من أول الشهر فأنا مفطر في تخفيف الله صائم في تضعيف الله^(١)!

ويقول أبو رية: كان أبو هريرة يلقب بشيخ المضيرة وهو صنف من الطعام كان مشهوراً بين أطمعة معاوية الفاخرة.

وقد نالت هذه المضيرة من عناية الكتاب والشعراء ما لم ينله صنف آخر من الطعام وظلوا يتندرون بها ويغمزونه قروناً طويلة من أجلها.

وإليك بعض ما كتبه فيها:

قال الثعالبي في كتابه ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ما يلي: شيخ المضيرة، كان أبو هريرة على فضله واختصاصه بالنبي مزاحاً أكولاً وكان يدعي الطب فيقول أكل التمر أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب الوصب والنصب والكرفس يقوي المعدة والقرع يزيد في اللب ويرق البشرة وأطيب اللحم الكتف وحواشي فقار العنق والظهر وكان يديم أكل الهريسة والفالودج ويقول هما مادتا الولد وكان يعجبه المضيرة جداً فكان يأكل مع معاوية وإذا حضرت الصلاة صلى خلف علي ﷺ فإذا قيل له في ذلك قال مضيرة معاوية أدمم والصلاة خلف علي أفضل وكان يقال له شيخ المضيرة وفيه يقول الشاعر:

وتولى أبو هريرة عن نص

ر علي ليستفيد الثريدا

ولعمري إن الثريد كثير

للذي ليس يستخف الهبيدا^(٢)

وفي صحيح البخاري عن محمد قال كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من

(١) حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، ج ١، ص ٣٨٢، أبو هريرة، ترجمة ٨٥.

(٢) شيخ المضيرة أبو هريرة لمحمود أبو رية، ص ٦٠-٦١، شيخ المضيرة. والهبيد هو حب الحنظل، كان يطحنه الناس

في أيام الجذب.

كتان فتمخط فقال بخ بخ أبو هريرة يتمخط في الكتان لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشياً علي فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أنني مجنون وما بي من جنون ما بي إلا الجوع^(١).

أعيد وأكرر، ما ذكرنا في الصفحات السابقة من كتابنا هذا وأنه بعد الانتهاء من معركة خيبر وكان له من العمر ما يناهز الثلاثين أي أنه كان في قوته وعنفوان شبابه وهذا التاريخ بين أيدينا وأمهات كتب العامة تحت تصرفنا فإننا لم نعثر على قول واحد بأن أبا هريرة كان معوقاً أو به عاهة أو مرض مزمن بل كان صحيحاً وسليماً من العاهات ولكنه فضل الجلوس على دكة الصفة والاستجداء حتى مله النبي الأكرم فقال والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه^(٢).

ألا يعلم أبو هريرة أنه هو المعني بهذا الحديث الذي كرره النبي الأكرم وفي مناسبات عدة؟! ألم يخجل من نفسه ويرتدع ويقوم من على الدكة ويعمل بيديه كباقي الناس؟! ولكنه ظل هكذا يمد يد الذل والمسألة وكان ينتظر الصحابة لعل من يدعوه منهم إلى داره لإطعامه، لماذا؟ خوفاً من أن ينزلق إزاره وتبان عورته من أثر الجوع. وخوفاً من أن نطيل على القارئ نكتفي بذلك وإلا فإن هذا الدوسي ومن خلال ما تقرأ في كتب أهل العامة ومن باب (من فمك أدينك)، باستطاعتنا أن نمضغه ثم نلفظه وذلك من كثرة ما جاء فيه من ذم وقدح وكذب وافتراء على رسول الله ﷺ، فكما قيل من كان همه بطنه كانت قيمته ما يخرج منه.

(١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على إنفاق أهل العلم.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة.

باب صلح الحديبية

٥٤٦... البراء بن عازب يقول كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية فكتب هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله فقالوا لا تكتب رسول الله فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك فقال النبي ﷺ لعلي امحه فقال ما أنا بالذي أمحاه فمحاها النبي ﷺ بيده قال وكان فيما اشترطوا أن يدخلوا مكة فيقيموا بها ثلاثاً ولا يدخلها بسلاح إلا جلبان السلاح قلت لأبي إسحاق وما جلبان السلاح قال القراب وما فيه حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالوا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت البراء بن عازب يقول لما صالح رسول الله ﷺ أهل الحديبية كتب علي كتاباً بينهم قال فكتب محمد رسول الله ثم ذكر بنحو حديث معاذ غير أنه لم يذكر في الحديث هذا ما كاتب عليه.

٥٤٧... عن البراء قال لما أحضر النبي ﷺ عند البيت صالحه أهل مكة على أن يدخلها فيقيم بها ثلاثاً ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح والسيف وقرابه ولا يخرج بأحد معه من أهلها ولا يمنع أحداً يمكث بها ممن كان معه قال لعلي اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال له المشركون لو نعلم أنك رسول الله تابعناك ولكن اكتب محمد بن عبدالله فأمر علياً أن يمحاها فقال علي لا والله لا أمحاها فقال رسول الله ﷺ أرني مكانها فأراه مكانها فمحاها وكتب ابن عبدالله فأقام بها ثلاثة أيام فلما أن كان يوم الثالث قالوا لعلي هذا آخر يوم من شرط صاحبك فأمره

فليخرج فأخبره بذلك فقال نعم فخرج وقال ابن جناب في روايته مكان تابعتك بايعناك.

٥٤٨.... عن أنس أن قريشاً صالحوا النبي ﷺ فيهم سهيل بن عمرو فقال النبي ﷺ لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل أما باسم الله فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم فقال اكتب من محمد رسول الله قالوا لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال النبي ﷺ اكتب من محمد بن عبدالله فاشترطوا على النبي ﷺ أن من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً.

٥٤٩.... عن أبي وائل قال قام سهل بن حنيف يوم صفين فقال أيها الناس اتهموا أنفسكم لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل قال بلى قال أليس قتلنا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً قال فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل قال بلى قال أليس قتلنا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً قال فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه فقال يا رسول الله أو فتح هو قال نعم فطابت نفسه ورجع.

قال الأبي في شرحه إكمال إكمال المعلم: قلت: الحديبية قرية قريبة من مكة خارج الحرم وسميت بذلك لبئر هناك تسمى الحديبية. قال السهيلي والأعرابي فيها عند أهل اللغة التخفيف والخطابي وأهل الحديث يشددونها ولا بد من تقديم ما يتوقف عليه فهم حديث الباب ففي السير أنه ﷺ خرج سنة ست معتمراً لا يريد حرباً واستنفر من حوله من الأعراب خوف أن يصده قريش كما وقع وأبطأ عليه كثير من الأعراب فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار وممن لحق بهم من العرب فبلغ عدد الجميع أربع عشرة مائة وساق

معه الهدى وأحرم بالعمرة من ذي الحليفة ليأمن الناس من حربه وليعلم أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له فلما بلغ عسفان لقيه بشير بن سفيان الكعبي فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل وهي النوق التي معها أولادها ليتزودوا بألبانها وقد لبسوا جلود النمرود وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا على كراع الغميم فقال رسول الله ﷺ يا ويح قريش قد أكلها الحرب وماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرير وإن هم لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السابقة.

ثم رحل رسول الله ﷺ قاصداً مكة فاتاه بديل بن ورقاء في رجل من خزاعة فسأله ما الذي جاء به فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت معظماً لحرمة ثم قال لهم مثل ما قاله لبشير بن سفيان فرجعوا إلى قريش فأخبروهم أنه لم يأت لقتال فاتهموهم فقالوا وإن جاء لا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا نتحدث بذلك عنا العرب وتكرر بعثهم الأرسال بذلك إلى رسول الله ﷺ وكان من جملة من بعثوه الحليس بن علقمة الكناني وكان سيد الأحابيش التي خرجت بها قريش معها والأحابيش الجموع من قبائل شتى فلما رأى رسول الله ﷺ الحليس قادماً قال هذا رجل من قوم يتألهون أي يعظمون أمر الإله فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل من عرض الوادي رجع فلم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى فأخبر قريشاً بذلك فقالوا اجلس إنما أنت أعرابي لا علم عندك بغضب وقال يا معشر قريش ما على هذا حالناكم أيصد عن البيت من جاء قاصداً له معظماً له لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد فقالوا كف يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي فلما جلس بين يدي رسول الله ﷺ قال يا محمد جمعت أوباش الناس وجئت إلى بيضتك لتفضها بهم إن قريشاً خرجت معها العوذ المطافيل ولبسوا جلود النمرود ويعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً

وأيم الله لكأنني بهؤلاء قد انكشفتوا عنك فقال أبو بكر نحن ننكشف عنه ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رسول الله ﷺ في الحديد فجعل يقرع يده إذا فعل ذلك ويقول كف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك فقال عروة ويحك ما أفظك وأغلظك فتبسم رسول الله ﷺ فقال من هذا يا محمد فقال ابن أخيك المغيرة بن شعبة الثقفي قال أي غدر هل غسلت سوءتك إلا بالأمس؟ يريد أن المغيرة كان قتل ثلاثة عشر رجلاً من ثقيف فتهايج رهط المقتولين ورهط المغيرة فودى عروة المقتولين ثلاثة عشر دية وقال رسول الله ﷺ لعروة مثل ما قال لبشير بن سفيان فقام عروة وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق إلا ابتدروا ذلك يتدلكون به أصحابه ﷺ ولا يسقط من شعره شعرة إلا أخذوها فرجع إلى قريش وقال يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وقصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ورأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً.

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو وقالوا له ائت محمداً وصالحه ولا يمكن صلحه إلا أن يرجع عنا هذا العام فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلم وأطال الكلام وتراجعا ثم جرى الأمر بينهما على الصلح فلما التأم الأمر فلم يبق إلا الكتب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس برسول الله؟ قال بلى قال أوليسوا بالمشركين؟ قال بلى قال فعلام نعطي الدنيا في ديننا قال أبو بكر يا عمر الزم غرزه أي ركاب رحله فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ فقال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله ﷺ ثم أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ألسنت رسول الله قال بلى قال أولسنا المسلمين قال بلى قال أوليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطي الدنيا في ديننا فقال إني عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني فكان عمر يقول ما زلت أتصدق وأصوم وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً.

ثم دعا رسول الله ﷺ علياً فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا أعرف بسم الله الرحمن الرحيم اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله ﷺ اكتب باسمك اللهم هذا ما

صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو علمت أنك رسول الله لم أقاتلك أكتب اسمك
 واسم أبيك فقال رسول الله ﷺ اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو.
 واصطلحا على وضع الحرب عشر سنين الكتاب إلى آخره وكانت قريش بعثت قبل
 مجيء سهيل أربعين رجلاً يطوفون بعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا أحداً من أصحابه فأخذ
 الأربعةون وجيء بهم إلى رسول الله ﷺ فخلى سبيلهم وكما تكرر بعث قريش لرسول
 الله ﷺ تكرر أيضاً بعثه إليهم وكان آخر من بعث إليهم عثمان فأتى أبا سفيان وأشرف
 قريش فبلغهم عن رسول الله ما بعثه به فقالوا له حين فرغ إن شئت أن تطوف بالبيت
 فطف قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول
 الله ﷺ أن عثمان قتل فقال حين بلغه ذلك لا نبرح حتى نناجز القوم فدعا رسول الله ﷺ
 القوم للبيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون بايعهم على الموت
 وكان جابر يقول بايعنا على أن لا نفر فلما أتى الصلح ونفذت القضية وفرغ من الكتاب
 أشهد عليه رجلاً من المسلمين ورجالاً من المشركين ثم قام رسول الله ﷺ إلى هديه
 فنحره ثم جلس يحلق رأسه.

قوله (كتب علي) قلت قال السهيلي الكاتب في صلح الحديبية ليس إلا علي....

قوله (ما أنا بالذي أمحاه) هو من علي ؑ أدب أن يمحو وصفه الكريم لا مخالفة
 لأمره وليس في تركه وصفه بالنبوة ووصم له.

قوله (وكان فيما اشترطوا أن يدخلوا مكة فيقيموا بها ثلاثاً) يعني بدخولهم في العام
 المقبل لا في ذلك العام فإنهم شرطوا أن لا يدخلوها في ذلك العام خوف أن تتحدث
 العرب أنهم دخلوها عنوة وإنما جعلوا الإقامة ثلاثة أيام لأن الثلاثة ليست بإقامة ولا رافعة
 لحكم السفر ولذلك يقصر المسافر إذا نوى إقامتها ويتم إذا نوى إقامة أربعة أيام.

قوله (ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح سيف وقرابه) قال الأزهري: القراب: الغمد
 والجلبان مثل الجراب من جلد يوضع فيه السيف مغمداً ويضع فيه الراكب سوطه وأداته
 ويعلقه في آخره الرحل وواسطته.

قلت: لا وإنما لم يشترطوا أن لا يدخلها بسلاح ألبتة جرياً على عادة العرب لأن ديدن
 العرب أن لا يفارقهم السلاح في حرب أو سلم وشرطوا أن لا يدخلوها شاهرين سلاحهم

متهينين بها للقتال.

... إنما صالحهم على العشرة لضعف المسلمين حينئذ... فإن المشركين نقضوا الصلح في السنة الرابعة فغزاهم رسول الله ﷺ.

قوله (ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ) هي مفاعلة من القضاء وأصل القضاء الفصل والحكم ومنه قضى القاضي أي فصل وحكم ولذلك سمي عام المفاصلة لما كان فيه وبه سميت عمرة القضية لا كما ظن من لا يعلم أنها سميت بذلك لقضاء العمرة التي صد عنها إذ لا يلزم قضاء ما صد عنه من ذلك إلا أن يعني أنها لما كانت عوضاً عنها وبأثرها كانت كأنها قضاء عنها.

قوله (في الآخر ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم) مساعدة النبي ﷺ على ذلك هي رغبة في إتمام الصلح الذي علم أن عاقبته الغلبة والظهور وليس كتب ذلك بضار وقد قامت الحجة عليهم بذلك فيما يكتبونه على أنفسهم في ذلك لأنه كالإقرار به ومثل هذا إذا مست الحاجة إليه صنع إذ لا يلزم من لا يعتقد شيئاً أن يقوله ومعنى لتسميتين واحد لأنه كله راجع إلى اسم الله تعالى وإنما ساعدتهم على مخالفة العادة. وليس في ترك بعض صفات الله تعالى نفي لها عنه سبحانه وتعالى وإنما الذي لا يحل كتبه لو طلبوا كتب ما لا يحل اعتقاده من ذكر آلهتهم وشركهم وقيل إن حرصه ﷺ على إتمام الصلح إنما كان لما فهم عن ربه إرادته ذلك بخلافنا فيه قلت قال السهيلي اللهم كلمة كانت قريش تقولها.

قوله (فاشترطوا أن من جاء منكم لم نرده ومن جاءكم منا رددتموه فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم) فيه أن للإمام أن يعقد الصلح على ما يراه مصلحة للمسلمين وإن كان يظهر في بادئ الرأي أي فيه ما ظهره هضم ولذلك قال عمر ما يأتي من قوله (فلم نعطي الدنيا في ديننا) ومذهبنا أن الإمام إذا عقد على رد من جاء مسلماً نفذ في الرجال دون النساء.

قوله (ففيهم نعطي الدنيا في ديننا) الدنيا النقيصة والحالة الخسيصة والدنيء الخسيس من كل شيء ومنه المثل المنية ولا الدنيا أي ولا الحالة التي توجب للإنسان ذلاً قلت فالمعنى فلم نعطي من أنفسنا لخصومنا ما يكسبنا ذلاً ولو علم عمر أن ذلك بوحى لم يصدر منه ما قال ولكن رأى المسألة اجتهادية ويجب على المجتهد إبداء ما عنده وأشكل

عليه أمره ﷺ بالصلح مع أنهم في منعة وقدرة وانتصار والأولى أن يقال أشكل عليه طريق الحكم فأجابه ﷺ بأمرين بقوله (إني عبد الله وروسه ولن يضيعني الله أبداً) وبيان كون الأول جواباً أن العلم قسماً ظاهر كعلم موسى وباطن كعلم الخضر والنبي ﷺ أوتي العلمين فمن حيث كونه رسول الله يعلم من الباطن ما لا يعلمه غيره أي يا عمر إني أعلم من الأمر ما لا تعلمه فلذلك آثرت الصلح وبيان كون الثاني جواباً هو أنه نفي للزوم ما قد يتوهم من رجوعه كما مر من الحالة الواقعة أي لا ينالنا ما يتوهم الرائي من ظاهر الحال.

قوله (فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً فأتى أبا بكر) قلت فإن قيل هذا يرد ما ذكرت من أن عمر أشكل عليه طريق الحكم لأنه لو كان كذلك لم يقع منه هذا لأنه ﷺ قد بين له وجه الحكم قلت قد علم من عمر من الشدة في الدين ما علم وانتهى فيها حتى صارت كالأمر الجبلي الخلقي الذي لا يقدر على دفعه حتى صار كأنه غير مكلف به. وفي السير ما تقدم كان يقول ما زلت أتصدق وأصوم وأعتق من الذي صنعته يومئذ خوف كلامي الذي تكلمت حين رجوت أن يكون خيراً.

قوله (قال يا ابن الخطاب إنه رسول الله ﷺ ولن يضيعه الله أبداً) موافقة أبي بكر لما أجاب به ﷺ دليل على فضل أبي بكر وعلمه وقوة يقينه على سائر الصحابة. قلت الذي وقع في السير كما تقدم أن عمر إنما قال ذلك ابتداءً لأبي بكر فأجابه بذلك ثم ذهب إلى النبي ﷺ فقال له ذلك فأجابه بما أجاب به أبو بكر وهذا أبين فيما قال من علمه ويقينه وأما على ما في مسلم أنه قال ذلك للنبي ﷺ أولاً ثم قال لأبي بكر فقد يحتمل أن أبا بكر سمع جواب النبي ﷺ بذلك فأعاده أبو بكر على عمر ولكنه يبعد هذا الاحتمال وإنما هو من إلهام الله له ذلك الجواب حتى وافق رسول الله ﷺ.

قوله (فنزل القرآن بالفتح قلت في السير أنه ﷺ لما رجع قافلاً من الحديبية نزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة واشتملت على جميع ما وقع في الحديبية من بيعة أصحابه تحت الشجرة بقوله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الفتح/ ١٨ وتخلف من تخلف عنه من الأعراب وتصديق رؤياه أنه يدخل مكة بقوله تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ الفتح/ ٢٧، وفي السير أن قريشاً أرسلت أربعين رجلاً ليصيبوا أحداً من أصحاب النبي ﷺ فأخذوا وأتوا بهم النبي ﷺ فخلى سبيلهم وهو المراد بقوله تعالى

﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ الفتح/٢٤، وذكر حمية سهيل لقريش وإبائه أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم بقوله تعالى ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الفتح/٢٦ وكلمة التقوى هي الشهادتان والمراد بالفتح المصدر به فتح مكة ولما وصل ﷺ إلى المدينة قال له بعض الناس ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمناً قال بلى أفقلت لكم من عامي هذا قالوا لا قال فهو كما قال لي جبريل وحقق الله صدق وعده.

قوله (أو فتح هو قال نعم) قلت الظاهر أنه يعني صلح الحديبية أي أصلحها فتح وإنما سأل لأن القرآن ليس نصاً فيه والفتح المصدر به هو فتح مكة والغنائم الموعود بها في الآية هي فتح خيبر ﴿فَجَعَلَ مِنْ ذَلِكَ فِتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح/٢٧، هو صلح الحديبية.

وذكر ابن عقبة في سيرته أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال والله ما هو فتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا أن يبلغ محله فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال بنس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم وسألوكم القضية وربغوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما يكرهون وأظفركم عليهم وردكم سالمين ماجورين وهو أعظم الفتوح أتسون يوم أحد إذ تصعدون ولا تلون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ الأحزاب/١٠، فقال المسلمون صدق الله ورسوله هذا أعظم الفتوح فوالله ما فكرنا فيما فكرت ولأنت أعلم بالله وبأمره منا قال الزهري ما فتح في الإسلام فتح قبله أعظم منه كان القتال حين يتلاقى الناس فلما وقعت الهدنة أمن الناس بعضهم بعضاً وفاوض بعضهم بعضاً. في الحديث ولم يكن أحد يعقل شيئاً إلا دخل فيه.

قال ابن هشام: والدليل على ما قال ابن شهاب أنه ﷺ خرج للحديبية في ألف وأربعمائة ثم خرج عام الفتح بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف. قلت وموجب ذلك أنه لما وقعت الهدنة دخل أهل مكة المدينة ودخل أهل المدينة مكة وتفاوضوا في الحديث وأخبروهم بمعجزاته ﷺ على التفصيل وبما هو عليه من حميد الصفات ورأوا ذلك كالعيان فكان كما قال لا يدع من يعقل شيئاً من الإسلام إلى الإسلام إلا دخل فيه.

قوله (في الآخر يوم أبي جندل) قلت أبو جندل هذا هو ولد سهيل بن عمرو، والذي بعثته قريش ليعقد الصلح يوم الحديبية مع رسول الله ﷺ وكان أبو جندل أسلم وحبه المشركون بمكة فلما كان يوم عقد الصلح وكان في شرط المشركين أن من جاء منهم من المسلمين يردونه فيينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل يرسف في قيوده انفلت من المشركين إلى رسول الله ﷺ وكان أصحاب رسول الله ﷺ لا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله ﷺ فلما رأوا الصلح وما تحمل فيه رسول الله ﷺ في نفسه دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون فلما رأى سهيل ولده أبا جندل قام فلطم وجهه وأخذ بتليبيته وقال يا محمد قد تم الصلح بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال صدقت فجعل يشده بتليبيته ويجره ليرده لقريش وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين أتردونني إلى المشركين فيفتنونني في ديني فزاد الناس ذلك إلى ما بهم فقال النبي ﷺ يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله يجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً فإننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم وأعطينا عهد الله إنا لا نغدر فقام عمر يمشي إلى جنب أبي جندل ويقول اصبر يا أبا جندل إنما هم المشركون وإن دمهم دم كلب ويدني قائم السيف من أبي جندل يقول عمر رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه فظن الرجل بأبيه^(١).

أقول:

إن أهل العامة يجبروننا على أن نرجع لصحيح البخاري وذلك لأنهم لا يعطون الحديث حقه في الشرح فنرجو المعذرة من القارئ الكريم وليتسع لنا صدره وذلك لتتم الفائدة المرجوة:

ورد في صحيح البخاري:.... عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالاً: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حَلْ حَلْ فَالْحَت

(١) ج ٦، ص ٤٢٧، ح ١١٧٨٥.

فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي ﷺ ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكبي إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله ﷺ إنا لم نجيء لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جئوا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره، فقال بديل سأبلغهم ما تقول، قال: فانطلق حتى أتى قريشاً، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي ﷺ فقال عروة بن مسعود فقال أي قوم أستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال أستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتية قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك أي محمد أرايت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوهاً وإني لأرى أشواباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر امضص ببطر اللات أنحن نَفِرْ عنه وندعه فقال من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لو لا يد كانت لك عندي لم أجزك بها مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله ﷺ إنا لم نجيء لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين وإن قريشاً قد

نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر
 فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جئوا وإن هم أبوا فالذي نفسي
 بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره، فقال بديل سأبلغهم
 ما تقول، قال: فانطلق حتى أتى قريشاً، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول
 قولاً فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء
 وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال
 النبي ﷺ فقال عروة بن مسعود فقال أي قوم أستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد
 قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال أستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما
 بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فإن هذا قد عرض لكم خطة
 رشد اقبلوها ودعوني آتية قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحواً من
 قوله لبديل فقال عروة عند ذلك أي محمد أرايت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت
 بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك وان تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوهاً وإني لأرى
 أشواباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر امصص بيظّر اللات أنحن نفيّر
 عنه وندعه فقال من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لو لا يد كانت لك
 عندي لم أجزيك بها يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبثون فلما
 رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه
 قال رأيت البدن قد قُددت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال
 له مكرز بن حفص فقال: دعوني آتية فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا
 مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ فيبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو قال
 معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ لقد سهل لكم
 من أمركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات أكتب بيننا
 وبينكم كتاباً فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل أما
 الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون
 والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا
 ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك

عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ والله إني لرسول الله وإن كذبتوني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها فقال له النبي ﷺ على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضُغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي فقال النبي ﷺ إنا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله إذن لم أصالحك على شيء أبداً قال النبي ﷺ فأجزه لي قال ما أنا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بل قد أجزناه لك قال أبو جندل أي معشر المسلمين أُرِد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عُدب عذاباً شديداً في الله قال فقال عمر بن الخطاب فأتيت نبي الله ﷺ فقلت ألسنت نبي الله حقاً قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرني قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي بالبيت فنطوف به قال بلى فأخبرتك أنا تأتيه العام قال قلت لا قال فإنك آتية ومطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا إذن قال أيها الرجل إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى فأخبرك أنك تأتيه العام قلت لا قال فإنك آتية ومطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك أعمالاً قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق

بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً عاماً ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ حتى بلغ ﴿بِعَصِمِ الْكَوَاكِيرِ﴾ فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إنني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً فاستلته الآخر فقال أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال أبو بصير أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه لقد رأى هذا ذعراً فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال قتل والله صاحبي وإنني لمقتول فجاء أبو بصير فقال يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم قال النبي ﷺ ويل أمة مسعر حرب لو كان له أحد فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلى اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن فأرسل النبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حتى بلغ ﴿الْحَمِيمَةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ وكانت حميتهم أنهم لم يقرأوا أنه نبي الله ولم يقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت...^(١)

يقول ابن حجر: قال المحب الطبري: الحديبية، قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم^(٢).

أقول:

جاء عروة إلى النبي الأكرم كي يمهد للصالح فقال للرسول ﷺ إنني أرى أشواباً من

(١) كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة.

(٢) فتح الباري، ج ٥، ص ٤٠٦، ح ٢٢٧٣٢.

الناس، خليقاً أن يفروا ويدعوك.

يقول ابن حجر: الأشواب: الأخلاط من أنواع شتى، والأوباش الأخلاط من السفلة، فالأوباش أخص من الأشواب.

خليقاً: أي حقيقاً وزناً ومعنى.

يدعوك: أي يتركوك. وفيه أن العادة جرت أن الجيوش المجمععة لا يؤمن عليها الفرار، بخلاف من كان من قبيلة واحدة، فإنهم يأنفون الفرار في العادة.

أقول: وقد صدق الرجل في ذلك.

جاء في البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عثمان بن عفان:

... حدثنا عثمان هو ابن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر وحج البيت فرأى قوماً جلوساً فقال من هؤلاء القوم؟ فقالوا هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبدالله بن عمر، قال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم... إلى آخر الحديث.

وفي مسند أحمد بن حنبل:... عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: بايعنا نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية على أن لا نفر^(١).

عن عبدالله بن مغفل... قال: إني لأخذ بغصن من أغصان الشجرة أظل به النبي صلى الله عليه وسلم وهم يبايعونه فقالوا: نبايعك على الموت قال: لا، ولكن لا تفروا^(٢).

وفي صحيح مسلم، باب استحباب مبايعة الإمام من كتاب الإمارة:... عن جابر قال: لم نبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت إنما بايعناه على أن لا نفر.

وفي صحيح البخاري كتاب الوصايا باب قول الله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى: عن أبي هريرة... عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله... والتولي يوم الزحف.

وفي سنن ابن ماجه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله

(١) ج ٣، ص ٢٩٢، مسند جابر بن عبدالله، ط دار الفكر العربي.

(٢) نفس المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٤، حديث عبدالله بن مغفل المزني.

ورسوله ليس بفرار فتشرف له الناس فبعث إلى علي فأعطاهما إياه^(١).

واقراً معي أخي الكريم ما جاء في المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری:
... عن أبي لیلی عن علي أنه قال: يا أبا لیلی أما كنت معنا بخير؟ قال: بلى، والله
كنت معكم، قال: فإن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر إلى خيبر ففسار بالناس وانهزم حتى
رجع.

وفيه أيضاً: ... بعث عمر... وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم فقاتلوهم فلم
يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه فجاءوا يُجَبِّنونه ويُجَبِّنهم ففسار النبي ﷺ... الحديث.
هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٢).

أقول:

بما أن الرسول الأكرم يقول: ليس بفرار كما جاء في سنن ابن ماجه، فإن الذين بعثهم
النبي لفتح خيبر قد فروا من ساحة القتال، كما كان من أمر أبي بكر وعمر الفرار كما مر
عليك آنفاً.

فحين قال عروة لرسول الله بأن هؤلاء سوف يدعونهم ويفرون! فقد كان صادقاً في قوله.

الخلاصة:

إن صلح الحديبية كان قبل معركة حنين، ففي معركة حنين أيضاً فر المسلمون،
وذلك عندما أخذ الخوف منهم كل مأخذ، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر..
فر المسلمون إلى أن صاح بهم العباس عم النبي ﷺ وكان جهوري الصوت فقال لهم
وذكرهم: يا أصحاب بيعة الشجرة والرضوان، وكان ذلك بأمر من الرسول، حتى رجع
المسلمون وقاتلوا فكان النصر لهم.

وكأن من عادة هؤلاء الفرار! لذا ترى عروة يقول للنبي الأكرم إن هؤلاء سيخذلونك
ويدعوك.

أعود لصلب الموضوع وما جرى في صلح الحديبية:

(١) ج ١، ص ٤٤، حديث ١١٧، المقدمة، فضل علي بن أبي طالب ٥.

(٢) ج ٣، ص ٣٧، كتاب المغازي، ط بيروت.

يقول محمد بن عمر الواقدي: فغضب أبو بكر... وقال: اممص بظر اللات^(١)! فقال عروة: أما والله لو لا يد لك عندي لم أجرك بها بعد لأجبتك!
أقول:

أيقال مثل هذا الكلام البذيء بحضرة الرسول الأكرم؟! وكان عروة كانت له معرفة سابقة بماضي أبي بكر، ويعرف عنه الكثير مما خفي علينا!

ويقول - أي الواقدي - : فطفق عروة وهو يكلم رسول الله ﷺ يمس لحيته والمغيرة قائم على رأس رسول الله ﷺ بالسيف على وجهه المغفر، فطفق المغيرة كلما مس لحية رسول الله ﷺ قرع يده ويقول: اكفف يدك عن مس لحية رسول الله قبل ألا تصل إليك، فلما أكثر عليه غضب عروة فقال: ليت شعري من أنت... فقال رسول الله ﷺ: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة.

قال: وأنت بذلك يا عذر! والله ما غسلت عنك عذرتك إلا بعُلابط^(٢) أمس. لقد أورثتنا العداوة من ثقيف إلى آخر الدهر. يا محمد... أتدري كيف صنع هذا؟ إنه خرج في ركب من قومه فلما كانوا بيننا وبينهم وناموا، فطرقهم فقتلهم وأخذ حراهم وفر منهم... وكانوا ثلاثة عشر رجلاً... وأخذ المغيرة أمتعتهم وأموالهم.
أقول:

عروة هنا أيضاً أخذ بفضح زَنَاء البصرة، ويتبين لنا أيضاً أن عروة هذا ليس بالرجل الهين، وكان قريش كانت صائبة في اختيارها لهذا الوسيط.
ويقول الواقدي أيضاً: فلما اصطلحوا فلم يبق إلا الكتاب، وثب عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألسنا بالمسلمين؟ قال رسول الله ﷺ: بلى. قال: فعلام نعطي الدنيا في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: أنا عبدا لله ورسوله، ولن أخالف أمره، ولن يضيعني.

(١) اممص: أي امتص الشيء، والبظر: قلقة بين شفري المرأة لم تقطع في الختان. مجمع البحرين لفخر الدين الطريحي، ج ٣، ص ٢٢٧، ط ١٤٠٣هـ.

(٢) علابط: قطع من الغنم.

فذهب إلى أبي بكر... فقال: يا أبا بكر ألسنا بالمسلمين؟ فقال: بلى، فقال عمر: فلم نعطي الدنيا في ديننا؟ فقال أبو بكر: الزم غرزه^(١)، فإني أشهد أنه رسول الله، وأنه الحق ما أمر به، ولن نخالف أمر الله ولن يضيعه الله.

أقول:

لاحظ أن عمر لم يقتنع بإجابة الرسول له! فقام بسؤال أبي بكر عسى ولعل أن ينال ويسمع ما يروي غليله ويقوم بتأييده في معارضاته!

ونقرأ أيضاً كما في رواية البخاري أن إجابة أبي بكر لعمر كانت مطابقة حرفياً لما أجاب به الرسول الكريم، فيظهر لنا أن الرسول أثناء إجابته لعمر كان أبو بكر من ضمن الموجودين عند رسولنا الكريم حين الإجابة ولم يأت بجديد.

ويقول - والحديث لا زال للواقدي -: قال أبو عبيدة بن الجراح: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول؟ تعوذ بالله من الشيطان واتهم رأيك. قال عمر... فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حياة....

فكان ابن عباس... يقول: قال لي عمر في خلافته: وذكر القضية، ارتبت ارتياباً لم ارتبه منذ أسلمت إلا يومئذ^(٢)!

وأقول:

لقد تعوذ عمر من الشيطان حياة! وليس إيماناً وامتثالاً واقتناعاً لأوامر الرسول ﷺ. وأيضاً، كيف بهذا الشيطان الذي تعوذ منه عمر لم يفر منه؟! أوليس إذا سلك عمر وادياً سلك الشيطان وادياً آخر، أو فجاً آخر؟!

ويقول - أي الواقدي -: قال أبو سعيد الخدري: جلست عند عمر بن الخطاب... يوماً. فذكر القضية فقال: لقد دخلني يومئذ من الشك، وراجعت النبي ﷺ يومئذ مراجعة ما راجعته مثلها قط... حتى قلت في نفسي لو كنا مائة رجل على رأيي ما دخلنا فيه

(١) أي الزم أمره والفرز للرجل بمنزلة الركاب للسرّج.

(٢) المغازي لمحمد بن عمر الواقدي، ج٢، ص٥٩٦ و٦٠٧، ط طهران.

ويقول: ... أقبل أبو جندل بن سهيل... حتى أتى رسول الله ﷺ وهو يكتاب سهيلاً... قال سهيل: هذا أول ما قاضيتك عليه، ردوه، فقال رسول الله ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد. فقال سهيل: والله لا أكتبك على شيء حتى ترده إلي. فرده رسول الله ﷺ... ثم رفع رسول الله ﷺ صوته فقال: يا أبا جندل اصبر واحتسب... إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك عهداً وإنا لا نغدر.

قال عمر: فوثبت إلى أبي جندل أمشي إلى جنبه وسهيل بن عمر يدفعه، وعمر يقول: اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب، وإنما هو رجل وأنت رجل ومعك السيف! فرجوت أن يأخذ السيف ويضرب أباه... فقال عمر: يا أبا جندل إن الرجل يقتل أباه في الله، والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله، فرجل برجل! قال: وأقبل أبو جندل على عمر فقال: ما لك لا تقتله أنت؟ قال عمر: نهاني رسول الله ﷺ عن قتله وقتل غيره، قال أبو جندل: ما أنت بأحق بطاعة رسول الله مني^(١).

أقول:

ألم يقل النبي الكريم إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عهداً وصلحاً وإنا لا نغدر بهم! لاحظ الجملة الأخيرة، وقد قرأت ما فعله عمر مع أبي جندل، فتراه يدني سيفه إليه كي يخرطه من جرابه ويضرب أباه! أليس هذا يعتبر غدراً؟!

ولنفرض أن أبا جندل سحب السيف وقتل أباه. ألم يكن هذا العمل من صالح المشركين، وأن الصلح لن يتم كما كان مخططاً ومُعداً له؟! ألا يعتبر ذلك العمل مخالفاً لأوامر الرسول الأكرم؟

ونعود مرة أخرى إلى عمر بن الخطاب بشكوكه بالنبي واعتراضاته له فيقول: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى. فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟ قال: قلت لا. قال: فإنك آتية ومطوف به....

(١) نفس المصدر السابق، ص ٦٠٧.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٦٠٩.

أقول:

يا ليت هذا الجهد الذي يبذله عمر في تحركاته وسكناته ومن سؤال النبي ومن ثم ذهابه إلى أبي بكر ليعيد السؤال نفسه علّه يجد في الإجابة مبتغاه.

والغريب من كل تلك المعارضات، كيف لم تنزل آية تؤيد رأي عمر كالعادة - وافقت ربي في ثلاث، وافقتني ربي في ثلاث - !!

فأقول:

ليته بذل ذلك الجهد في ساحات القتال حيث أن تلك الساحات هي التي تريد التنقل من هنا وهناك، ومن ضرب الرؤوس ورفع الأيدي وإنزالها أثناء القتال، فكل ذلك الجهد في الحديدية ذهب هباءً منثوراً.

وأعتذر من القارئ فقد ذكرت في مقدمة الكتاب أن التعليق على الأحاديث سيكون بشكل مُبسّط ومختصر جداً، ولكن نرى أن الأمر قد خرج من نطاق السيطرة، فأرجو مرة أخرى المعذرة.

الخلاصة:

النبي الأكرم استشعر من الصحابة (الفرار) إذا حمي الوطيس، فلذلك بايعهم على أن لا يفروا.

قلة أدب أبي بكر في حضرة الرسول الأكرم.

علم عروة بأمور خفيت علينا، ولم يذكرها التاريخ لنا في شأن أبي بكر! معارضة عمر كعادته، والتي تُنمُّ عن الشك في أعماق نفسه بالرسالة المحمدية! عدم انصياع الصحابة لأمر الرسول جرّاء معارضة عمر.

٥٥٠. وحدثني إبراهيم بن سعدي الجوهري حدثنا أبو أسامة عن مالك بن مغول عن أبي حصين عن أبي وائل قال سمعت سهل بن حنيف يصفين يقول اتهموا رأيكم على دينكم فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ ما فتحنا منه في حُصمٍ إلا انفجر علينا منه حُصم.

قال القرطبي في شرحه: وقول سهل بن حنيف أيها الناس اتهموا أنفسكم... رأيكم

يعني به التثبت فيما كانوا فيه والتصبر والآن يستعجلوا في أمورهم ووجه استدلاله بها أن تلك الحالة كان ظاهرها مكروهاً لهم صعباً عليهم فلما تثبتوا في أمرهم وأطاعوا رسول الله ﷺ جعل الله لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً فكانه يقول لهم إن صبرتم على المكروه وتثبتتم في أمركم واتقيتم الله جعل الله لكم من هذه الفتن مخرجاً كما جعل لأصحاب رسول الله ﷺ يوم الحديبية.

وقال القاضي عياض: إنما قال ذلك سهل بن حنيف لما ظهر في أصحاب علي كراهة شأن التحكيم ومراوضة الصلح وكان الظفر لهم حتى رفع لهم أهل الشام المصاحف ودعواهم إليها ورغبوا في المصالحة^(١).

سهل بن حنيف هذا يريد أن يبين للناس أن موقفهم يوم صفين كيوم الحديبية أي صلح الحديبية وذلك عندما رأى أن علياً وأصحابه المنتجبين قد رفضوا التحكيم فقام سهل ببيان ما جرى يوم صلح الحديبية مع العلم أن عمر كان رافضاً للصلح وكارهاً له ومع ذلك فقد أعقب خيراً كثيراً كما ذكر ابن حجر في شرحه^(٢).

أقول لابن حجر هل بعد التحكيم في صفين أعقب خيراً كثيراً كما يدعي ابن حجر ورواية هذه الرواية؟

بعد التحكيم ألم يرتد كثير من المسلمين وأصحاب الجباه السود عن دينهم الصحيح أعني بذلك الخوارج.

لقد جر التحكيم الولايات على المسلمين، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: معاوية بن أبي سفيان جلس على دكة الحكم وأصبح هذا الطليق ملكاً على الصحابة. معاوية بن أبي سفيان أخذ يتتبع شيعة الإمام علي ويقتل فيهم ومنهم مالك الأشتر ومحمد بن أبي بكر فقتل الأول بالسم وقتل ابن أبي بكر ثم وضعه في جيفة حمار وأشعل النار فيه.

معاوية بن أبي سفيان قتل سبط الرسول الأعظم الإمام الحسن عليه السلام بالسم.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن عمر القرطبي، ج ٣، ص ٦٤٠، ح ١٣٠٢.

(٢) فتح الباري، ج ٦، ص ٣٤٢، ح ٣٨٢.

معاوية بن أبي سفيان قتل الصحابي الجليل العابد الزاهد القوام الصومح حجر بن
عدي الكندي.

معاوية جعل الحكم من بعده لابنه يزيد شارب الخمر وهاتك الحرمات وجعل
الحكم كسروياً بعد أن كان شورى.

ولو أردنا أن نسرذ المفاسد التي حصلت بعد التحكيم لاحتجنا إلى مجلد ضخم
لذكر ذلك، فأقول لابن حجر: أين الخير الكثير الذي أعقب التحكيم.

وأخيراً أقول لسهل بن حنيف: دع عنك علماً وأنه الصراط المستقيم وأنه على الحق
ويدور الحق معه ولكن ألم تسمع قول النبي الأكرم في حق عمار تقتله الفئة الباغية فلماذا
لم تجعل هذا القول ميزاناً لك في معرفة الحق من الباطل.

باب غزوة أحد

٥٥١. حدثنا يحيى بن يحيى التميمي حدثنا عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه أنه سمع سهل بن سعد يسأل عن جرح رسول الله ﷺ يوم أحد فقال جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم.

٥٥٢. حدثنا عبدالله بن مسلمة بن قعنب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسלט الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله ﷻ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

لقد شكل النبي الأكرم فريق الرماة فجعل خمسين رامياً ماهراً على الجبل وأمرهم أن لا يتركوا مكانهم مهما حصل أي سواء انتصر المسلمون أو انهزموا ولكن بعد أن رأى الرماة أن المسلمين قد انتصروا تركوا مواقعهم ونزلوا لجمع الغنائم ظناً منهم أن المعركة قد انتهت لصالح المسلمين فاستغل خالد بن الوليد الفرصة فحمل على المسلمين من خلفهم فقتل منهم الكثير وأصاب المسلمين الذعر والارتباك وعدم السيطرة على أنفسهم في ساحة القتال وفر من فر منهم وأدبر الكثير ولم يبق مع النبي الأكرم إلا القليل القليل

وحاول المشركون الوصول إلى النبي ولكن هؤلاء الذين كانوا معه حموه بأنفسهم وقد خاب ما أراده الكفار ولكن من جملة ما نالوا من النبي الأكرم أنهم جرحوا وجه النبي وكسروا ربايعته هذا بالإضافة إلى جرح شفثيه الكريمتين ورأسه الشريف وكل ما جرى على النبي الأكرم والسبب الرئيس في ذلك هم الصحابة الذين خالفوا أوامر نبيهم الأعظم وأيضاً حبهم لأنفسهم أكثر من حبهم النبي ﷺ وذلك بفرارهم عن ساحة القتال فجعلوا النبي بين أيدي وسيوف المشركين مؤثرين بذلك حياتهم على حياة النبي ﷺ ومن الصحابة الذين فروا يوم أحد واشتهر أمره بالفرار عثمان بن عفان فر حتى بلغ ناحية المدينة وأقام هناك ثلاثة أيام حتى قال فيهم النبي الأكرم لقد ذهبتم فيها عريضة^(١).

وبعد الفرار قال بعض الصحابة لبت لنا رسولاً إلى عبدالله بن أبي فأخذ لنا أمانة من أبي سفيان^(٢).

وبعد أن صعّد النبي والذين معه جبل أحد صاح فيهم أبو سفيان أفيكم محمد فقال النبي لا تجيبوه ولكن عمر خالف أمره وأجاب أي أنه كشف مكان النبي ﷺ وهو المطلوب من قبل المشركين!!

ثم لاحظ ما جاء في الرواية أن الإمام علي عليه السلام وفاطمة يداويان جراحات النبي الأكرم وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن نبينا الأعظم بعد عودته من أي غزوة أو سفر كان أول بيت يدخله هو بيت ابنته فاطمة عليها السلام وكذلك إذا أراد الخروج للسفر أو لمعركة يكون آخر عهده بيت فاطمة عليها السلام.

يقول الطبري: كان رسول الله ﷺ إذا سافر آخر عهده إتيان فاطمة وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة عليها السلام^(٣).

أعيد وأكرر.. كل هذه الكسور والجراحات بالنسبة للنبي الأكرم كانت بسبب الصحابة الذين تركوا النبي بين سيوف المشركين وفروا من ساحة القتال لينجوا بأنفسهم وأرواحهم الغالية والتي هي أغلى من روح ونفس النبي ﷺ.

(١) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٠٣، غزوة أحد، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٢٠١.

(٣) ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري، ص ٣٧، ط ١٤٠١هـ، بيروت.

ففي صحيح البخاري:... عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده^(١).

وفيه أيضاً: عبدالله بن هشام قال كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي ﷺ الآن يا عمر^(٢)!

قال القسطلاني في شرحه:

فقال له عمر يا رسول الله والله لأنت أحب إلي... لتأكيد القسم المقدر من كل شيء إلا من نفسي، ذكر حبه لنفسه بحسب الطبع.

فقال النبي ﷺ له لا يكمل إيمانك والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك.

فقال له عمر... لما علم أن النبي ﷺ هو السبب في نجاة نفسه من الهلكات فإنه الآن والله يا رسول الله لأنت أحب إلي من نفسي، فأخبر بما اقتضاه الاختيار بسبب توسط الأسباب.

فقال النبي ﷺ له الآن عرفت فنطقت بما يجب عليك يا عمر^(٣)!!

أقول:

جواب النبي ﷺ لعمر حين قال الآن يا عمر نفهمه من وجهين:

الأول: إما أنه يعني بذلك الآن يا عمر اكتمل إيمانك.

الوجه الآخر: وإما أنه يعني أي بعد ماذا يا عمر! أبعد أن ذكرت لك ذلك! فلا فائدة الآن من قولك، لأنك صرحت بما في نفسك.

(١) كتاب الإيمان والنذور، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان.

(٢) كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ.

(٣) إرشاد الساري، ج ١١، ص ٦١٨، ح ٦٦٣٢.

وأقول:

السبب واضح وجلي وهو أن من يخاف أن يبارز عمرو بن عبدود يوم الخندق، ومن قرأ يوم أحد وحنين، ومن أخذ بالتهرب وعدم المشاركة في حرب مؤتة مع أسامة بن زيد كما مر علينا في الصفحات السابقة والشواهد كثيرة، فكل ذلك بسبب حب النفس، أي حب الدنيا وهو ما اعترف به عمر بنفسه وحب النفس يؤدي أيضاً إلى الأناية.

إذن.. عمر لم يكن مؤمناً وعلى أقل التقادير قبل صدور هذه الرواية التي نحن بصددنا.

والرواية الأولى التي ذكرناها آنفاً عن أبي هريرة، فنحن نعلم بأن قدوم أبي هريرة كان يوم خيبر! وبعد الانتهاء من المعركة! أي في السنة السابعة من الهجرة.

فعجباً لهذا الصحابي - أي عمر - كيف به مدة هذه السنين الطويلة وقبل وفاة الرسول ﷺ بثلاث سنين - هذا على أكثر التقادير - أحب النبي أكثر من نفسه! أي في هذه السنوات الثلاث فقط.

نعم، وإلا فمن المحتمل أن يكون راوي الحديث وهو أبو هريرة روى هذا قبل وفاة النبي بسنة مثلاً.

ونحن لا نريد أن نخوض في هذا أكثر من ذلك.

قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يُحِبُّ الله ورسوله ويُحبه الله ورسوله... الحديث^(١).

أقول:

إن رسول الله ﷺ لم يقل يحب الله ورسوله إلا لأن علياً عليه السلام يحب رسول الله أكثر من نفسه، وإلا لو كان الإمام علي عليه السلام مثل عمر يحب نفسه أكثر من النبي لما قال النبي عنه ما ذكره البخاري والفرق واضح وجلي بين حب الإمام للنبي وحب عمر!

ولا ننس أخى الكريم ليلة مبيت الإمام في فراش رسول الله صلوات الله عليه وآله حتى عرف عنه بـ (الفدائي)، أي الذي يفدي نفسه ويضحي بنفسه في سبيل الله وذلك

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر.

كي ينجو النبي من حبائل المشركين.

ومن يضحى بنفسه يكون النبي أحب إليه من نفسه ، وهذا ما لا يختلف فيه اثنان.

والشواهد على ذلك كثيرة.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
أَقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾
التوبة: ٢٤.

باب ما لقي النبي (ص) من أذى المشركين

٥٥٣. وحدثنا عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان الجعفي حدثنا عبدالرحيم يعني ابن سليمان عن زكريا عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن ابن مسعود قال بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه قال فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتهم فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان إذا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وذكر السابع ولم أحفظه فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر.

٥٥٤. حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار واللفظ لابن المثنى قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت أبا إسحاق يحدث عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال بينما رسول الله ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور

فقدفه على ظهر رسول الله ﷺ فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة فأخذته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك فقال اللهم عليك المأ من قريش أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وعتبة بن أبي معيط وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف أو أبي بن خلف شعبة الشاك قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فآلقوا في بئر غير أن أمية أو أباياً تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر.

٥٥٥. وحدثني سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن أعين حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله قال استقبل رسول الله ﷺ البيت فدعا على ستة نفر من قريش فيهم أبو جهل وأميه بن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن أبي معيط فأقسم بالله لقد رأيتهم صرعى على بدر قد غيرتهم الشمس وكان يوماً حاراً.

الروايات التي ذكرناها تدور على لسان تابعي واحد وهو عمرو بن ميمون الأودي فهو الذي أشاع هذه الرواية وذكر فيها أن السيدة فاطمة عليها السلام كانت جويرية ويحاول أهل العامة أن يؤكدوا في دعائهم أن فاطمة عليها السلام قد ولدت قبل البعثة ويحاولوا بزعمهم هذا أن يخالفوا ما يعتقد شيعه أهل البيت بأنها ولدت بعد البعثة بخمس سنين وفي ادعائهم ذلك تكون السيدة فاطمة عليها السلام كباقي النساء فلا فضل لها على غيرها.

وهذا الراوي له رواية في صحيح البخاري وروايته تعتبر من طرائف الصحيح، ويجب التنبيه إلى أن ليس كل ما كان سنده صحيحاً يكون متنه صحيحاً أيضاً!

... عن عمرو بن ميمون قال: رأيت في الجاهلية قُرْدَةً اجتمع عليها قُرْدَةٌ قد زَنَّت فرجموها فرجمتها معهم^(١)!

يقول ابن حجر في شرحه للرواية: عن عمرو بن ميمون قال: كنت في اليمن في عزم لأهلي وأنا على شُرف، فجاء قُرْدٌ مع قُرْدَةٍ، فتوسَّد يدها فجاء قرد أصغر منه! فغمزها، فَسَلَّت يدها من تحت رأس القرد الأول سَلاً رقيقاً وتبعته فوق عليها وأنا أنظر! ثم رَجَعَتْ، فَجَعَلَتْ تدخل يدها تحت خد الأول برفق، فاستيقظ فرعاً فَسَمَّهَا فصاح فاجتمعت القرود فجعل يصيح ويومئ إليها بيده، فذهب القرود يُمنه ويُسرة، فجاؤا

(١) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب القسامة في الجاهلية، وكذلك تهذيب الكمال للمزي، ج ٢٢، ص ٢٦٦، ترجمة ٤٤٥٨.

بذلك القرد أعرفه، فحفروا لهما حفرة، فرجموهما فلقد رأيت الرجم في غير بني آدم!

قال ابن التين:

لعل هؤلاء كانوا من نسل الذين مُسِّخُوا فبقِي فيهم ذلك الحكم!

ويقول ابن حجر:

فيحتمل أن يكون الذين مسِّخُوا لما صاروا على هيئة القرد مع بقاء أفهامهم عاشرتهم القردة الأصلية للمشابهة في الشكل، فَتَلَقَّوْا عنهم بعض ما شاهدوه من أفعالهم، فحفظوها وصارت فيهم^(١)!!

إنا لله وإنا إليه راجعون!!

أقول:

عندما ترى ديكاً سَفَدَ على دجاجة فلا يجوز لك أن تقول إن هذا الديك يزني. وكذلك عندما ترى كَبْشاً ينزو على نعجة فلا يجوز أن تقول إن هذا الكبش يزني. وذلك لأن الحيوان غير مُكَلَّف، فكلمة الزنا لا تُطلق ولا تُقال إلا لبني البشر ولمن عقل ووقع عليه التكليف الشرعي.

فنحن نلاحظ أن هذا التابعي (ابن ميمون) قد أطلق كلمة الزنا على القردة!

يقول ابن عبد البر القرطبي:

فلعلَّ هؤلاء كانوا من الجن!! لأنهم من جملة المُكَلَّفِينَ^(٢)!

ويقول ابن حجر:

وأغرب الحميدي في الجمع بين الصحيحين فزعم أن هذا الحديث وقع في بعض نسخ البخاري... وليس في نسخ البخاري أصلاً، فلعلَّه من الأحاديث المُقحمة في كتاب البخاري!!

فرد عليه ابن حجر وقال بلهجة استنكارية شديدة:... ما قاله مردود! فإن الحديث

(١) فتح الباري، ج٧، ص١٩٩، ح٣٨٤٩.

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٩٩.

المذكور في معظم الأصول التي وقفنا عليها... وأما تجويزه أن يزداد في صحيح البخاري ما ليس منه فهذا ينافي ما عليه العلماء من الحكم بتصحيح جميع ما أورده البخاري في كتابه... وهذا الذي قاله تخيل فاسد! يتطرق منه عدم الوثوق بجميع ما في الصحيح لأنه إذا جاز في واحد لا بعينه جاز في كل فرد، فرد، فلا يبقى لأحد الوثوق بما في الكتاب المذكور، واتفق العلماء ينافي ذلك!^(١)

قال القرطبي:

قال عمرو بن ميمون: قدم علينا معاذ الشام، فلزمته فما فارقتة حتى دفنته، ثم صحبت ابن مسعود وهو معدود في كبار التابعين من الكوفيين وهو الذي رأى الرجم في الجاهلية من القردة إن صح ذلك! لأن رواته مجهولون!

ويقول:

وأما القصة بطولها فإنها تدور على عبدالملك بن مسلم عن عيسى بن حطان وليس ممن يحتج بهما!

وهذا عند جماعة أهل العلم منكر إضافة الزنى إلى غير مكلف وإقامة الحدود في البهائم^(٢)!

لاحظ أخي الكريم كيف أن علماء الحديث قد اختلفوا فيما بينهم في صحة هذه الرواية!

ويقول ابن حجر أيضاً: أن مُهرأ أنزى على أمه فامتنع، فأدخلت في بيت وُجِّلَّت بكساء وأنزى عليها فنزى، فلما شَمَّ ريح أمه عمد إلى ذكره فقطعه بأسنانه من أصله! فإذا كان هذا الفهم في الخيل مع كونها أبعد في الفطنة من القرد فجوازها في القرد أولى^(٣)!

ويقول - والحديث ما زال لابن حجر - :

(١) نفس المصدر السابق، ص ١٩٩.

(٢) الاستيعاب، ج ٣، ص ٢٨٢، ترجمة ١٩٨٢، عمرو بن ميمون، ط/١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) فتح الباري، ج ٧، ص ٢٠٠، ح ٣٨٤٩.

(وَمِنْ خِصَالِ الْقِرْدِ) أَنَّهُ يَضْحَكُ! وَيَطْرُبُ! وَيَحْكِي مَا يَرَاهُ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْغِيْرَةِ مَا يُوَازِي الْآدَمِيَّ، وَلَا يَتَعَدَّى أَحَدَهُمْ إِلَى غَيْرِ زَوْجَتِهِ، فَلَا يَدْعُ فِي الْغَالِبِ أَنْ يَحْمِلَهَا مَا رَكِبَ فِيهَا مِنْ غَيْرِهِ عَلَى عَقُوبَةٍ مِنْ اعْتَدَى إِلَى مَا لَمْ يَخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْأَنْثَى.

وَمِنْ خِصَائِصِهِ أَنَّ الْأَنْثَى تَحْمِلُ أَوْلَادَهَا كَهَيْئَةِ الْآدَمِيَّةِ، وَرَبَّمَا مَشَى الْقِرْدُ عَلَى رِجْلَيْهِ لَكِنْ لَا يَسْتَمِرُّ عَلَى ذَلِكَ وَيَتَنَاوَلُ الشَّيْءَ بِيَدِهِ وَيَأْكُلُ بِيَدِهِ وَلَهُ أَصَابِعٌ مَفْصَلَةٌ إِلَى أَنْمَالٍ وَأظْفَارٍ، وَلَشْفَرٍ عَيْنِيهِ أَهْدَابٌ^(١).

أقول:

لقد حاول أهل العامة إيجاد العذر للرواي ابن ميمون، وكذلك للبخاري حيث إنه رواه في صحيحه، ومن هؤلاء ابن حجر الذي صالَّ وجالَّ وأصبح من علماء الحيوان والمختصين بشؤون الحيوان، وقد خفيت عليه أمور كثيرة منها أنه يوجد نوع من القرود تذهب بأكلها إلى البحيرة أو النهر أو أي مستنقع للماء فتغسل الأكل قبل التهامه! فهذه من الغرائز التي أوجدها الله تعالى في هذا لحيوان.

الأمر الأهم من هذا وذاك هو: ما فائدة ذكر هذه الرواية في صحيح البخاري؟! وماذا نستفيد من ذكر هذه الرواية؟!

أليس المسلمون في غنى عن ذكر مثل هذه الروايات؟

ومن الذي قال لابن حجر أن كل ما في الصحيح صحيح؟!

أليس هذا الزعم وهو أن كل ما في صحيح البخاري صحيح هو الحاجز الذي يقفل عقل المسلم ويجعله متحيراً من تلك الروايات!

فلماذا لا نُقرَّ ونعترف بأن ليس كل ما في البخاري صحيحاً ومنه هذه الرواية مثلاً!

إن الله تعالى أعطى الإنسان عقلاً فهو الوحيد بين جميع الكائنات الذي يفهم ويعقل ويفكر، هذا بالإضافة إلى أنه سبحانه وتعالى أوجد فيه الغرائز.

أما الحيوان فقد أعطاه الله تعالى الغرائز فقط من دون العقل، فهذه القرد التي تُرَضِعُ صغيرها فهي ليست عاقلة بل هذه غريزة، وكذلك الحصان الذي نزا على أمه فنحن لا

(١) نفس المصدر السابق، ص ١٩٩.

نكذب ذلك، ولكن الله وضع في الخيل تلك الغريزة ومنها أن لا ينزو على أمه طالما عرفها ولو أن في ذلك القول نظراً.

وأيضاً إن من الطيور إذا علمتها ولقنتها بعض الكلمات فإنها تعيد ذلك، وتقول ما تعلمته منك وبنفس الصوت أيضاً! أي: أنه إذا سمع ذلك من الرجل أصدر صوت الرجل نفسه، وإذا تعلمت الكلمة وسمعتها من الطفل أو المرأة فإنه يصدر ذلك الصوت نفسه سواء بصوت الطفل أو المرأة!

لقد شاهدت بأم عيني طائراً يسمى (المينا) يقرأ سورة التوحيد كاملة وبصوت صاحبها!

فلو كنت يا ابن حجر حاضراً عند ذلك الطائر وتسمعه بأذنك وتراه بأم عينيك لاستصغرت شأن ابن ميمون وروايته ومن روى له أي البخاري.
وأقول أيضاً:

لو وضعت جمرة من النار بين طفل يحبو وهرة مثلاً فسوف تلاحظ أن الطفل يذهب ويمسك تلك الجمرة، وأما الهرة فلن تقترب من تلك الجمرة، ولو اقتربت فإنها تكون منها على حذر، وذلك لأن الهرة تعلم ذلك من خلال غريزتها التي أوجدها الله فيها، وأما الطفل فإنه سوف يتعلم ذلك مستقبلاً أي مع التجربة لأن له عقلاً.

والنمل أيضاً، هذا المخلوق الصغير الذي يعيش مع جماعته بنظام دقيق جداً ومتكامل، فمن حيث مملكته فإن له عُرف نوم ومخازن للحبوب وما أشبه، وغرفاً لرعاية صغاره حين خروجها من البيض، ونضرب مثلاً واحداً مشاهداً فقط:

عند نزول المطر يقوم النمل في اليوم الثاني بإخراج البذور ونشرها تحت أشعة الشمس وذلك لكي لا تنبت تلك البذور وتخضر، وبعد جفافها تنقلها مرة أخرى إلى مخازنها!

وصحيح أن بعض البذور تُقطعُها نصفين كي لا تنبت ولكن البعض الآخر تجعلها في مخازنها كاملة ومن دون تقطيع!

فهل هي تعقل ذلك؟ فسبحان الله الذي أوجد ذلك فيها.

ما فائدة ذكر رواية القردة، وماذا نستفيد منها؟ وأخيراً.. هل هذه القردة هي الوحيدة التي زنت؟!!

وهل كان هذا القرد الزاني محصناً؟!!

وهل كان هذا القرد الزاني حراً أم عبداً؟!!

وهل من حضر الرجم كانوا من المؤمنين كما قال تعالى ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النور: ٢٢؟!!

لقد عودنا أهل العامة أن يستमितوا في الدفاع عن الصحابة، ولكنهم هنا قاموا بالدفاع عن هذا التابعي وهو خلاف القاعدة التي عودونا عليها!

إن هذه الرواية رواها البخاري فقط ولا توجد في صحيح مسلم ولا في السنن الأربعة، فإن هؤلاء ضربوا بهذه الرواية عُرض الحائط ولا يسعني إلا أن أعتبر هذه الرواية (من طرائف الصحيح) أيضاً.

فبالله عليك أخي الكريم من يروي مثل هذه الرواية كعمرو بن ميمون هل تأخذ منه ما رواه في فاطمة عليها السلام وأنها كانت جويرية؟!!

ثم لنقرأ ما يقول السيد محمد كاظم القزويني قدس سره، فأهل البيت أدري بما في البيت: من العجب الاختلاف الواضح في تاريخ ولادتها وأنها هل كانت قبل المبعث أو بعده؟ فإنك تجد طائفة كبيرة من الأحاديث تصرح بولادتها بعد المبعث بخمس سنين أو ثلاث سنين وتجد كمية من الأقوال التي تلح تركز على ميلادها قبل المبعث بخمس سنين وتجد القول الأول للشيعة مروياً عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ويوافقهم بعض علماء العامة والقول الثاني خاص بعلماء العامة ومحدثيهم، وإليك بعض تلك الأحاديث حول ميلادها بعد المبعث:

١. الكافي للكليني: ولدت بعد النبوة بخمس سنين وبعد الإسراء بثلاث سنين وقبض النبي ولفاطمة يومئذ ثمانين عشرة سنة!... إلى آخره.

٢. المناقب لابن شهر آشوب: ولدت فاطمة بعد النبوة بخمس سنين وبعد الإسراء بثلاث

سنين في العشرين من جمادي الآخرة وأقامت مع أبيها بمكة ثمانين سنين ثم هاجرت... إلى آخره.

٣. وفي الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام: ولدت فاطمة بنت محمد بعد مبعث رسول الله بخمس سنين وتوفيت ولها ثمانية عشر سنة وخمسة وسبعون يوماً.

٤. روضة الواعظين: ولدت فاطمة بعد مبعث النبي بخمس سنين... إلى آخره.

٥. إقبال الأعمال: قال الشيخ المفيد في كتاب حقائق الرياض يوم العشرين من جمادي الآخرة كان مولد السيدة الزهراء سنة اثنتين من المبعث.

٦. مصباح الكفعمي: ولدت في العشرين من جمادي الآخرة يوم الجمعة سنة اثنتين من المبعث وقيل سنة خمس من المبعث.

٧. مصباح الكفعمي والطوسي: في اليوم العشرين من جمادي الآخرة يوم الجمعة سنة اثنتين من المبعث كان مولد فاطمة عليها السلام في بعض الروايات وفي رواية أخرى سنة خمس من المبعث والعامه تروي أن مولدها قبل المبعث بخمس سنين.

٨. دلائل الإمامة عن الإمام الصادق عليه السلام قال ولدت فاطمة في جمادي الآخرة العشرين منها سنة خمس وأربعين من مولد النبي... إلى آخره.

هذه نبذة من أقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام وقدماء علماء الشيعة رحمهم الله حول ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد المبعث.

وأما أقوال علماء العامة:

١. معرفة الصحابة لأبي نعيم: إن فاطمة كانت أصغر بنات رسول الله سناً ولدت وقريش تبني الكعبة.

٢. مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: كان مولد فاطمة قبل النبوة وقريش حينئذ تبني الكعبة.

٣. ابن الأثير في المختار من مناقب الأخيار.

٤. الطبري في ذخائر العقبى.

٥. السيوطي في الثغور الباسمة.

هذا ولعل الباحث يجد هذا القول في أكثر كتب العامة حول مولد الزهراء عليها السلام.

وقد مرت عليك طائفة من الأحاديث المروية عن كتب العامة حول انعقاد نطفتها من طعام الجنة.

بعد الاطلاع على هذه الأحاديث ولو بصورة موجزة يتضح لنا أن ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كانت بعد المبعث إذ لم يكن قبل المبعث معراج ولا هبوط جبرئيل ولا ميكائيل على النبي بالوحي وبهذا ينكشف لنا تزوير الأقوال المصرحة بولادتها قبل المبعث بخمس سنين وأن القائلين بذلك لهم غاية تدفعهم وهدف يدعوهم إلى اختلاق هذا القول وهو نسف الأحاديث الواردة حول نزول الطعام من السماء وانعقاد نطفة السيدة فاطمة من أطعمة الجنة وثمارها.

وهدف آخر وهو أنهم يحاولون أن يثبتوا أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت مزهوداً فيها ولا يرغب فيها أحد ولهذا بلغت من العمر ثمانية عشر سنة - على زعمهم - ولم يخطبها أحد في خلال تلك الفترة....

وعلى كل.. فقد روى الطبري في ذخائر العقبى والصفوري الشافعي في نزهة المجالس والقندوزي في ينباع المودة عن خديجة عليها السلام قالت:.... فلما قربت ولادتي أرسلت إلى القوابل من قريش فأبين علي لأجل محمد عليه السلام.

فبينما أنا كذلك إذ دخل علي أربع نسوة عليهن من الجمال والنور ما لا يوصف فقالت إحدهن أنا أمك حواء وقالت الأخرى أنا آسية وقالت الأخرى أنا أم كلثوم (كلثم) أخت موسى وقالت الأخرى أنا مريم جئنا لنلي أمرك.

وقد وردت هذه الرواية بصورة أخرى:.... فلما أرادت خديجة أن تضع بعثت إلى نساء قريش ليأتينها فيلين منها ما تلي النساء ممن تلد فلم يفعلن وقلن لا نأتيك قد صرت زوجة محمد عليه السلام.

فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة عليهن من الجمال والنور ما لا يوصف فقالت لها إحدهن أنا أمك حواء وقالت الأخرى أنا آسية بنت مزاحم وقالت الأخرى أنا كلثم أخت موسى وقالت الأخرى أنا مريم بنت عمران (أم عيسى) جئنا لنلي من أمرك ما يلي النساء.

قال: فولدت فاطمة، فوقعت - حين وقعت - على الأرض ساجدة رافعة إصبعها^(١).

وماذا يقول السيد جعفر مرتضى العاملي: يذكر البعض أن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت الرسول الأكرم ﷺ قد ولدت قبل البعثة ثم يختلفون - أولئك البعض - فيما بينهم في تحديد سنة ولادتها فبعضهم يقول إنها ولدت سنة بناء الكعبة أي قبل البعثة بخمس سنين.

وبعضهم يقول: إنها ولدت قبل البعثة بسبع سنين، وقيل باثنتي عشرة سنة. والقائلون بأنها ولدت بعد البعثة اختلفوا أيضاً بين قائل إنها ولدت سنة البعثة وقيل في الثانية وقيل سنة إحدى وأربعين من عمره الشريف.

والقول الحق هو ما عليه شيعة أهل البيت تبعاً لأئمتهم عليهم السلام وأهل البيت أدري بما فيه وتابعهم عليه جماعة من غيرهم وهو أنها قد ولدت في السنة الخامسة من البعثة وتوفيت وعمرها ثمانية عشر عاماً.

ويدل على ذلك أو يؤيده:

١. ما تقدم في البحث عن أولاد خديجة من أن البعض قد ذكر أنهم كلهم قد ولدوا بعد الإسلام باستثناء عبد مناف مع العلم بأن فاطمة عليها السلام كانت أصغر أولاده ﷺ. ويدل على ذلك أنه قد ذكر في الاستيعاب في ترجمة خديجة أن الطيب قد ولد بعد النبوة وولدت بعده أم كلثوم ثم فاطمة.

٢. ويدل على أنها قد ولدت بعد البعثة روايات كثيرة أوردها جماعة من العلماء على اختلاف نحلهم ومشاربهم تدل على أن نطقها قد انعقدت من ثمر جاء به جبرئيل إلى النبي ﷺ من الجنة حين الإسراء والمعراج وذلك مروى عن عدد من الصحابة منهم عائشة وعمر بن الخطاب وسعد بن مالك وابن عباس وغيرهم.

وإذا أمكنت المناقشة في بعض تلك الروايات فإن البعض الآخر لا مجال للنقاش فيه. ويؤيد ذلك أيضاً أن النسائي قد روى أنه لما خطب أبو بكر وعمر فاطمة ردهما ﷺ

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد للسيد محمد كاظم القزويني، ص ٤١-٤٥، فاطمة الزهراء عليها السلام تطل على الحياة.

وقال لهما إنها صغيرة فلو كان عمرها سبع عشرة سنة أو أكثر فلا يقال إنها صغيرة.
ويؤيده أيضاً ما روي من أن خديجة رحمها الله كانت قد هجرتها نساء قريش فلما
حملت بفاطمة كانت تحدثها من بطنها وتصبرها.

بقي أن نشير إلى أن استبعاد حمل خديجة بفاطمة في السنة الخامسة من البعثة لأن
سنة خديجة كان حينئذ عالياً، هذا الاستبعاد في غير محله لما تقدم من أن سن خديجة
حينئذ كان ما بين ٤٥ حتى ٥٠ سنة بناء على عدد من الأقوال في مقدار عمرها ولعل من
بينها ما هو الأقوى وإن كان المشهور خلافه.

وحتى على هذا المشهور فإن عمر خديجة حينئذ كان لا يأبى عن الحمل فإن القرشية
يستمر حيضها إلى الستين كما هو مقرر في الفقه، وهذا يعني أن قابلية الحمل موجودة
أيضاً كما هو ظاهر.

ومما ذكرناه ومن قول المصباح: والعامّة تروي أن مولدها كان قبل المبعث بخمس
سنين نعرف أن المسعودي قد اشتبه في نسبة القول بالتسع والعشرين إلى أكثر أهل البيت
وشيعتهم ولعله سهو من قلمه أو عمد أو سهو من النساخ بحيث كان في الأصل تسعة
عشرة فبدل إلى تسع وعشرين.

وبعد كل ما تقدم فإنه إذا كانت فاطمة قد ولدت في السنة الخامسة من البعثة فإنها
تكون قد توفيت وعمرها ثمانية عشر عاماً فقط كما هو ظاهر^(١).

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ للسيد جعفر مرتضى العاملي، ج ٢، ص ١٨١، ولادة فاطمة بنت الرسول ﷺ.

باب في دعاء النبي (ص) إلى الله

٥٥٦. حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ومحمد بن رافع وعبد بن حميد واللفظ لابن رافع قال ابن رافع حدثنا وقال الآخرون أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة أن أسامة بن زيد أخبره أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فدكية وأردف وراءه أسامة وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود فيهم عبدالله بن أبي وفي المجلس عبدالله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبدالله بن أبي أنفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم عليه النبي ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبدالله بن أبي أيها المرء لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه فقال عبدالله بن رواحة اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك قال فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال أي سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب يريد عبدالله بن أبي قال كذا وكذا قال اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك فذلك فعل به ما رأيت فعفا عنه النبي ﷺ.

٥٥٧. حدثنا محمد بن عبدالأعلى القيسي حدثنا المعتمر عن أبيه عن أنس بن مالك قال

قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبدالله بن أبي قال فانطلق إليه وركب حماراً وانطلق المسلمون وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي ﷺ قال إليك عني فوالله لقد أذاني نتن حمارك قال فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك قال فغضب لعبدالله رجل من قومه قال فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي والنعال قال فبلغنا أنها نزلت فيهم ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾.

قال النووي في شرحه: ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فدكية... القطيفة دثار مجمل جمعها قطائف و... الفدكية منسوبة إلى فدك بلدة معروفة على مرحلتين أو ثلاث من المدينة.

عجاجة الدابة هو ما ارتفع من غبار حوافرها. خمر أنفه أي غطاه.
قوله أيها المرء لا أحسن من هذا... أي ليس شيء أحسن من هذا... قال القاضي...
أحسن من هذا أن تقعد في بيتك ولا تأتينا.
فلم يزل يخفضهم أي يسكنهم ويسهل الأمر بينهم.
ولقد اصططح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة معناه انفقوا على أن يجعلوه ملكهم.

ويقول النووي: قوله شرق بذلك... أي غص ومعناه حسد النبي ﷺ وكان ذلك بسبب نفاقه.

ويقول (وكان) ذلك قبل أن يسلم عبدالله وقبل أن يظهر الإسلام وإلا فقد كان كافراً منافقاً ظاهر النفاق^(١).

ويقول ابن حجر في شرحه: وقد استشكل ابن بطال نزول الآية المذكورة وهي قوله ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا ﴾ الحجرات/٩ في هذه القصة لأن المخاصمة وقعت بين من كان مع النبي ﷺ من أصحابه وبين أصحاب عبدالله بن أبي وكانوا إذ ذاك كفاراً فكيف ينزل فيهم ﴿ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾؟!

(١) المجلد ٦، ج ١٢، ص ٤٠٤، ح ١١٧٩٩.

ويقول ابن حجر: إن فيه إشكالاً من جهة أخرى وهي أن حديث أسامة صريح أن ذلك كان قبل وقعة بدر وقبل أن يسلم عبدالله بن أبي وأصحابه^(١).
ويقول الأبي في شرحه كما في رواية وذلك قبل أن يسلم عبدالله معناه قبل أن يظهر عبدالله وإلا فلم يزل كافراً ظاهراً النفاق حتى مات على ذلك^(٢).
أقول:

لقد اتفق جميع من شرح صحيح مسلم وكذلك من شرح صحيح البخاري أن ابن أبي بن سلول كان كافراً فكيف تنزل هذه الآية وتصفه وأصحابه بالطائفة المؤمنة فأين الإنصاف والأمانة في النقل سواء من البخاري أو النووي وهكذا بقية شراح الصحيحين.

(١) فتح الباري، ج ٥، ص ٣٦٥، ح ٢٢٦٩١.

(٢) إكمال إكمال المعلم، ج ٦، ص ٤٤٥، ح ١١٧٩٩.

باب غزوة ذي قرد

٥٥٨. حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا هاشم بن القاسم وحدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا أبو عامر العقدي كلاهما عن عكرمة بن عمار وحدثنا عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي وهذا حديثه أخبرنا أبو علي الحنفي عبيدالله بن عبدالمجيد حدثنا عكرمة وهو ابن عمار حدثني إياس بن سلمة حدثني أبي قال:.... فلما قدمنا خيبر قال خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أنني مرحب
شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

قال وبرز له عمي عامر فقال:

قد علمت خيبر أنني عامر
شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوق سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله ﷺ من قال ذلك قال قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد فقال لأعطين الراية رجلاً

يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله قال فأتيت علياً فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله ﷺ فَبَسَقَ في عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أنني مرحب
شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة
كليث غابات كريبه المنظرة
أوفيهم بالصاع كيل السنندرة

قال فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه.

نحاول أن نختصر، قال النووي في شرحه: قوله (أنا الذي سمتني أمي حيدرة) حيدرة اسم للأسد وكان علي ﷺ قد سمي أسداً في أول ولادته وكان مرحب قد رأى في المنام أن أسداً يقتله.

قوله (فضرب رأسه مرحب) يعني علياً فقتله، هذا هو الأصح أن علياً هو قاتل مرحب^(١).

وقال الأستاذ الدكتور لاشين في شرحه فتح المنعم: يقول سلمة فأتيت علياً فجئت أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبصق في عينيه فبرأ حتى كان لم يكن به وجع فأعطاه الراية وعند الحاكم قال علي فوضع رأسي في حجره ثم بزق في إلية راحته فذلك بها عيني وعند الطبراني فما رمدت ولا صدعت منذ دفع النبي ﷺ إلي الراية يوم خيبر، وفي رواية له فما اشتكيتها حتى الساعة وكانت راية النبي ﷺ سوداء مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله^(٢).

ويقول القسطلاني في شرحه إرشاد الساري: إن النبي ﷺ بعث أبا بكر ﷺ إلى بعض حصون خيبر فقاتل ولم يكن فتح فبعث عمر ﷺ فلم يكن فتح فإذا نحن بعلي ﷺ قد

(١) المجلد ٦، ج ١٢، ص ٤٢٦، ح ١٨٠٧.

(٢) ج ٧، ص ٣٤٠، ح ٤١٠٥.

حضر وما نرجوه أي ما نرجو قدومه للرمد الذي به^(١).

وفي المستدرک للحاکم: ... إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر إلى خيبر فسار بالناس وانهمز حتى رجع.

وفيه أيضاً: سار النبي ﷺ إلى خيبر فلما أتاها بعث عمر... وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم فقاتلوهم فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه فجاء يجبنونه ويجبنهم...^(٢).

فبعد انهزام أبي بكر وعمر ورجوعهم خائبين أصاب الرسول الأعظم اليأس إن صح التعبير فبعث إلى من يطمئن إليه وأن الفتح سيتم على يديه فبعث إليه كما في الروايات الصحيحة. ولننقل ما ذكره البخاري في صحيحه وبلفظه:

... عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها فلما أصبح الناس غدواً على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها فقال: أين علي بن أبي طالب فقالوا يشتكي عينيه يا رسول الله قال: فأرسلوا إليه فأتوني به. فلما جاء بصق في عينيه ودعا له فَبَرَأَ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمُر النعم^(٣).

أقول:

إن هؤلاء قد أخذوا الراية وجربوا حظهم العاثر ولم يحصل الفتح على أيديهم فلماذا بعد قول النبي الأكرم لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه كان ابن أبي حنيفة وعمر بن الخطاب يأملون أن يجربوا حظهم مرة أخرى فالفرصة قد أعطيت لهم ولكن دون جدوى ورجعوا خائبين.

(١) ج ٨، ص ٢٢٨، ح ٣٧٠٢.

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاکم النيسابوري، ج ٣، ص ٣٧، كتاب المغازي، ط بيروت.

(٣) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه.

وفي سنن ابن ماجه ما يؤيد ذلك أيضاً: لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار فتشرف له الناس فبعث إلى علي فأعطاه إياه^(١).

وفي البخاري أيضاً:... عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كان علي رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر وكان به رمد فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج علي فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما كان مساء الليلة التي فتحتها في صباحها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية أو قال ليأخذن غداً رجل يحب الله ورسوله أو قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا هذا علي فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتح الله عليه^(٢).

أحاول بقدر المستطاع أن أختصر فأقول:

إن الفرصة كانت جيدة وسانحة أمام الصحابة وذلك لغيب الإمام علي عليه السلام عن تلك المعركة وكانت جميع الأمور مهياة لأبي بكر وعمر لاستعراض شجاعتهم وقوتهم وعضلاتهم في ساحة الوغى وذلك كما أشرنا بأن الذي كان يفوت الفرص الجيدة على هؤلاء هو الإمام علي عليه السلام ولا يدع لهم المجال كونه هو المقدم دائماً وأبداً.

وكان الله تعالى لم يشأ أن تكون لمن ذكرنا صولات وجولات في ساحات القتال بل كان من عادة هؤلاء طأطأة الرؤوس كما حصل في معركة الخندق والفرار من ساحات القتال كما حدث في أحد وحنين وكانوا يظهرون شجاعتهم بحماية النبي في الجلوس معه في العريش أو سحب السيف شبراً لضرب عنق أسير وإرجاعه إلى غمده حتى أكله الصداً وأخذ منه مأخذه.

قوله (ليس بفرار) أي أن الذين ذهبوا لفتح الحصون كانوا قد فروا.

وقد وصفت سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام فقالت في خطبتها في مسجد النبي الأكرم وفي جمع الصحابة بعد أن نيظت دونها ملاءة وذلك بعد أن انتزع ابن أبي قحافة منها أرض فندك: كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاعرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها - أي علي بن أبي طالب عليه السلام - فلا ينكفي حتى

(١) سنن ابن ماجه للقرظيني، ج١، ص٤٣-٤٤، ح١١٧، فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في لواء النبي صلى الله عليه وسلم.

يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه... إلى آخر الخطبة.

الحاصل: إن النبي الأكرم كان إذا استشكل عليه أمر ما كما في الرواية التي نحن بصدها (فتح خير) والتي عجز ابن أبي قحافة وعمر عن فتحها انتدب عليها لحلها فيكون الإمام آخر من يأمره لحل تلك المشكلة العسيرة. وما يجب التنبية عليه هو:

١. فرار الصحابة وعدم استقامتهم في الحرب.

٢. الرجل الذي أخبر النبي الأكرم بأن الفتح سيكون على يديه من صفاته أنه كرار وليس بفرار وأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

فهل باستطاعتنا القول أن الصحابة الذين فروا لم يكونوا يحبون الله ورسوله فيكفي الإمام علي عليه السلام بأن النبي شهد له بذلك، والشواهد على ما قاله النبي فيه كثيرة جداً منها مبيت الإمام مكان النبي ليلة الهجرة ففدى بنفسه النبي وبعكس ذلك ورد في البخاري في كتاب الإيمان والنذور باب حب الرسول ﷺ من الإيمان عن أبي هريرة... قال: أن رسول الله ﷺ قال فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده.

وفيه أيضاً: عبدالله بن هشام قال كنا مع النبي ﷺ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي ﷺ الآن يا عمر!^١

وأخيراً يقول الغماري: أما حديث غزوة خيبر فهو من أظهر في الدلالة على فضل علي ومزيد خصوصيته ولهذا استشرف كبار الصحابة في هذه الغزوة - حين سمعوا الحديث - إلى أن يكون كل منهم ذلك الرجل الذي شهد له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، حتى قال عمر رضي الله عنه ما تطاولت للإمارة إلا في هذا اليوم أتري عمر وكبار الصحابة كانوا لا يحبون الله ورسوله؟ أم كانوا يجهلون أن الله ورسوله يحبان المؤمنين؟ لا هذا ولا ذاك ولكن سر المسألة شهادة الرسول

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كان يمين رسول الله.

لشخص بخصوصه فشهادة النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم التي سجلها في خيبر على ملاء من الصحابة، وصمت المناوئين لعلي - فيما بعد - بوصمة النفاق لأنهم ناووا شخصاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

وابن تيمية يعلم هذا أو هو لا يجهله لكنه لشدة انحرافه يتعمى عنه أو يتحاماه فيلجأ إلى تلك التأويلات التي تزري بمقامه وتومئ إلى اتهامه^(١).

(١) علي بن أبي طالب إمام العارفين لأحمد الغماري، ص ٥٤، ط ١٣٨٩هـ، مطبعة السعادة، مصر، نقلاً عن كتاب موقف علماء أهل السنة من ابن تيمية لعادل كاظم، ص ١١٨، ط ١٤٢٨هـ، دار وادي السلام، بيروت.

باب النساء الغازيات

٥٥٩... عن جعفر بن محمد عن أبيه عن يزيد بن هرمز أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن خمس خلال فقال ابن عباس لولا أن أكنتم علماً ما كتبت إليه كتب إليه نجدة أما بعد فأخبرني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء وهل كان يضرب لهن بسهم وهل كان يقتل الصبيان ومتى ينقضي يتم اليتيم وعن الخمس لمن هو فكتب إليه ابن عباس كتبت تسألني هل كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويحذين من الغنيمة وأما بسهم فلم يضرب لهن وإن رسول الله ﷺ لم يكن يقتل الصبيان فلا تقتل الصبيان وكتبت تسألني متى ينقضي يتم اليتيم فلعمري إن الرجل لتنتب لحيته وإنه لضعيف الأخذ لنفسه ضعيف العطاء منها فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس فقد ذهب عنه اليتيم وكتبت تسألني عن الخمس لمن هو وإنا كنا نقول هو لنا فأبى علينا قومنا ذلك.

قال النووي في شرحه: قوله (وكتبت تسألني عن الخمس لمن هو وإنا كنا نقول هو لنا فأبى علينا قومنا ذلك) معناه خمس خمس الغنيمة الذي جعله الله لذوي القربى. قوله (أبى علينا قومنا ذلك) أي رأوا أنه لا يتعين صرفه إلينا بل يصرفونه في المصالح وأراد بقومه ولاة الأمر من بني أمية!!

ويقول النووي أيضاً: أبي ذاك علينا قومنا من بعد الصحابة وهم يزيد بن معاوية^(١).
ويقول الأبي: في أبي داود أن نجدة هذا كان في فتنة ابن الزبير وكانت سنة بضع
وستين من الهجرة^(٢) يعني بذلك أن نجدة سأل ابن عباس أيام فتنة ابن الزبير.

الخلاصة: يقول السيد محمد كاظم القزويني: إن السلطة حينما صادرت أموال
السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام - فدك - وجعلتها في ميزانية الدولة بالاصطلاح الحديث
كان هدفهم تضعيف جانب أهل البيت عليهم السلام، أرادوا أن يحاربوا علياً محاربة اقتصادية،
أرادوا أن يكون علياً فقيراً حتى لا يلتفت الناس حوله ولا يكون له شأن على الصعيد
الاقتصادي، وهذه سياسة أراد المنافقون تنفيذها في حق رسول الله صلى الله عليه وآله حين قالوا ﴿لَا
نُفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ المنافقون/٧^(٣).

وكذلك نقول في الخمس أيضاً، إن القوم قطعوا عن أهل البيت الخمس لنفس
الأسباب التي ذكرها السيد القزويني قدس سره.

راجع باب الأنفال من كتاب الجهاد والسير، وباب حكم الفيء من نفس الكتاب
المذكور، وراجع أيضاً باب المساقاة والمعاملة من كتاب المساقاة.

(١) المجلد ٦، ج ١٢، ص ٤٣٤، ح ١١٢.

(٢) إكمال إكمال المعلم، ج ٦، ص ٤٨٣، ح ١١٢.

(٣) فاطمة الزهراء عليها السلام من المهدي إلى اللحد، ص ٢٩٠، السر في مطالبة فاطمة الزهراء عليها السلام بفدك.

فهرس الجزء الثاني

- كتاب الجمعة..... ٥٦٩
- باب في قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾..... ٥٦٩
- كتاب صلاة العيدين..... ٥٧٢
- باب الرخصة في اللعب..... ٥٨٠
- كتاب الجنائز..... ٥٨٣
- باب البكاء على الميت..... ٥٨٣
- باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه..... ٥٨٦
- باب في كفن الميت..... ٥٨٩
- باب في تحسين كفن الميت..... ٥٩٣
- باب فضل الصلاة على الجنائز..... ٥٩٤
- باب فيمن يشني عليه خير أو شر من الموتى..... ٥٩٨
- باب الصلاة على القبر..... ٦٠٠
- باب استئذان النبي (ص) ربه عَزَّوَجَلَّ في زيارة قبر أمه..... ٦٠٦
- باب في المنفق والممسك..... ٦١٥
- باب من جمع الصدقة..... ٦١٦
- باب النهي عن المسألة..... ٦١٨

٦٢٥	باب كراهة المسألة.....
٦٢٧	باب لو أن لابن آدم واديين.....
٦٣٢	باب إعطاء المؤلفة قلوبهم.....
٦٤٧	باب ذكر الخوارج.....
٦٥٠	باب التحريض على قتل الخوارج.....
٦٦٠	باب الدعاء لمن أتى بصدقته.....
٦٦٦	كتاب الصيام.....
٦٦٦	باب الشهر يكون تسعاً وعشرين.....
٦٧٨	باب بيان وقت انقضاء الصوم.....
٦٨٤	باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة.....
٦٨٩	باب صحة صوم من طلع عليه الفجر.....
٦٩٢	باب صوم يوم عاشوراء.....
٦٩٩	باب أي يوم يصام في عاشوراء.....
٧٠٠	باب النهي عن صوم الدهر.....
٧٢٣	باب فضل ليلة القدر.....
٧٢٥	كتاب الحج.....
٧٢٥	باب بيان وجوه الإحرام.....
٧٣٠	باب في المتعة بالحج والعمرة.....
٧٣٦	باب حجة النبي (ص).....
٧٦١	باب جواز التمتع.....
٧٦٣	باب في متعة الحج.....
٧٦٤	باب جواز العمرة في أشهر الحج.....
٧٦٥	باب التقصير في العمرة.....
٧٦٦	باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف.....
٧٦٩	باب بيان أن السنة يوم النحر.....
٧٧٢	باب نقض الكعبة وبنائها.....

٧٧٤	باب جدر الكعبة.....
٧٨٦	باب الحج عن العاجز.....
٧٨٩	باب فرض الحج مرة في العمر.....
٧٩٩	باب لا يحج البيت مشرك.....
٨٠٤	باب تحريم مكة وصيدها.....
٨١٧	باب جواز دخول مكة بغير إحرام.....
٨٢٤	باب فضل المدينة.....
٨٢٧	باب من أراد أهل المدينة بسوء.....
٨٤١	باب فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة.....
٨٤٣	باب لا تشد الرحال.....
٨٤٤	باب فضل مسجد قباء.....
٨٤٥	باب ندب من رأى امرأة فوقع في نفسه.....
٨٤٩	باب نكاح المتعة.....
٨٦٠	باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها.....
٨٦٢	باب زواج زينب بنت جحش.....
٨٦٦	كتاب الرضاع.....
٨٦٦	باب في المصّة والمصتان.....
٨٦٧	باب التحريم بخمس رضعات.....
٨٦٩	باب رضاعة الكبير.....
٨٧٦	باب إنما الرضاعة من المجاعة.....
٨٧٧	باب جواز هبتها نوبتها لضررتها.....
٨٨١	باب استحباب نكاح ذات الدين.....
٨٨٧	باب لولا حواء لم تكن أنثى زوجها.....
٨٨٩	كتاب الطلاق.....
٨٨٩	باب تحريم طلاق الحائض.....
٨٩٢	باب طلاق الثلاث.....

٨٩٤	باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته
٨٩٧	باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاق
٨٩٩	باب في الإيلاء واعتزال النساء
٩١٥	كتاب العتق
٩١٥	باب تحريم تولي العتيق غير مواليه
٩١٧	كتاب المساقاة
٩١٧	باب المساقاة والمعاملة
٩٣٨	باب الأمر بقتل الكلاب
٩٤٠	باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير
٩٤٩	باب بيع البعير
٩٥٨	باب تحريم الاحتكار
٩٦٠	باب تحريم الظلم
٩٦٣	كتاب الهبات
٩٦٣	باب تحريم الرجوع في الصدقة
٩٨٥	كتاب الوصية
٩٨٥	باب الوصية
٩٨٧	باب ترك الوصية
٩٩٦	كتاب النذر
٩٩٦	باب النهي عن النذر
١٠٠٠	باب لا وفاء لنذر في معصية
١٠٠٢	كتاب الإيمان
١٠٠٢	باب الاستثناء
١٠٠٤	باب ثواب العبد وأجره
١٠٠٨	كتاب القسامة
١٠٠٨	باب ما يباح به دم المسلم
١٠١٣	كتاب الحدود

١٠١٣.....	باب قطع السارق.....
١٠١٨.....	باب رجم الثيب.....
١٠٢٠.....	باب من اعترف بالزنا.....
١٠٢٦.....	باب حد الخمر.....
١٠٣١.....	كتاب الأفضية.....
١٠٣١.....	باب الحكم بالظاهر.....
١٠٣٤.....	باب قضية هند.....
١٠٣٧.....	باب أجر الحاكم.....
١٠٤١.....	كتاب اللقطة.....
١٠٤١.....	باب تحريم حلب الماشية.....
١٠٤٤.....	كتاب الجهاد والسير.....
١٠٤٤.....	باب تحريم الغدر.....
١٠٥١.....	باب الأنفال.....
١٠٥٤.....	باب حكم الفيء.....
١٠٥٨.....	باب قول النبي (ص) لا نورث.....
١٠٨٣.....	باب الإمداد بالملائكة.....
١٠٨٨.....	باب جواز قتال من نقض العهد.....
١٠٩٩.....	باب غزوة حنين.....
١١٠٤.....	باب فتح مكة.....
١١٠٨.....	باب صلح الحديبية.....
١١٢٩.....	باب غزوة أحد.....
١١٣٤.....	باب ما لقي النبي (ص) من أذى المشركين.....
١١٤٥.....	باب في دعاء النبي (ص) إلى الله.....
١١٤٨.....	باب غزوة ذي قرد.....
١١٥٤.....	باب النساء الغازيات.....
١١٥٦.....	فهرس الجزء الثاني.....